

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَنْ شَوَّدَتْ كَلِمَاتُهُ لِلْبَشَرِ فَلَا تَوْزِعُنِي بِالْأَنْصَافِ

١٧٦

المُخَرَّجُ عَنْ حَدِيثِ عَنْدِهِ

فِي

شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْقَدِيرِ وَإِيَّاهُ

(مُقَدِّمةُ الرِّسَالَةِ لِابْنِ أَبِي تَمِيمَ الْعَقِيرِ وَإِيَّاهُ الْمَغْرِبِيِّ ت ٢٨٦)

وَهُوَ أَنْقَلَةُ الْقَدِيرِ وَإِيَّاهُ مِنْ قَوْلِ سَالِيَّهِ ، وَلَهُ عَلَوْمٌ مِنْ مَذْهِبِهِ
وَمَا عَلِمَ أَهْلُ الْكُتُبَ وَأَهْلُ الْأَنْسَاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْHَدِيرِيِّ

تألِيفُ

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْزُوقِ الظَّرِيفِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوَاللَّهِ يَهُ وَلَمْ يَعْمَلْ

محض السعر

مُبَهِّبُهُ لِلْمُهَاجِرِ

لِلْعَقِيرِ وَالْمَغْرِبِيِّ بِالْأَنْصَافِ

المختصر في
الكتاب والسنة

فِي

شرح العقيدة القير沃ية

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار النهار بالرياض
الطبعة الأولى

١٤٣٨

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض

المركز الرئيسي - الدايرى الشرقي - مخرج ١٥ - جنوب أسواق المجد

ت: ٤٤٥٢٢٩ - فاكس: ٢٩٦٠٤ - صب: ٥١٩٩٩ - الرياض ١١٥٥٣

القروء - طريق خالد بن الوليد (باكستان) ت: ٢٢٢٤٥

مكتبة المكتبة - الجميرا - الطريق النازل للحمر - ت: ٤٧٢٦١٢٧٧

المدينة البوالة - أمام الجامعة الإسلامية من جهة الجنوب - ت: ٤٨٤٧٩٩٩

حساب الدار في موقع قويت: Alminhaaj.com

سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْبَرَ لِلْمُنْهَاجِ الْمُنْهَاجِ لِلْمُنْهَاجِ لِلْمُنْهَاجِ
١٧٦

الْمُنْهَاجُ بِحِلْلِهِ

فِي

شَرَحُ الْعِقِيدَةِ الْقَيْرَوَانِيَّةِ

(مقدمة الرسالة للبن أبي زيد القيرواني المغربي ٢٣٨٦هـ)

وَهُوَ انْقَلَاءُ الْقَيْرَوَانِيِّ مِنْ قَوْلِ سَالِيْهِ ، وَلِعَلَوْمِ مِنْ مَذْهِبِهِ
وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُتُبِ وَأَئْمَانُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْمَهِيْبِ

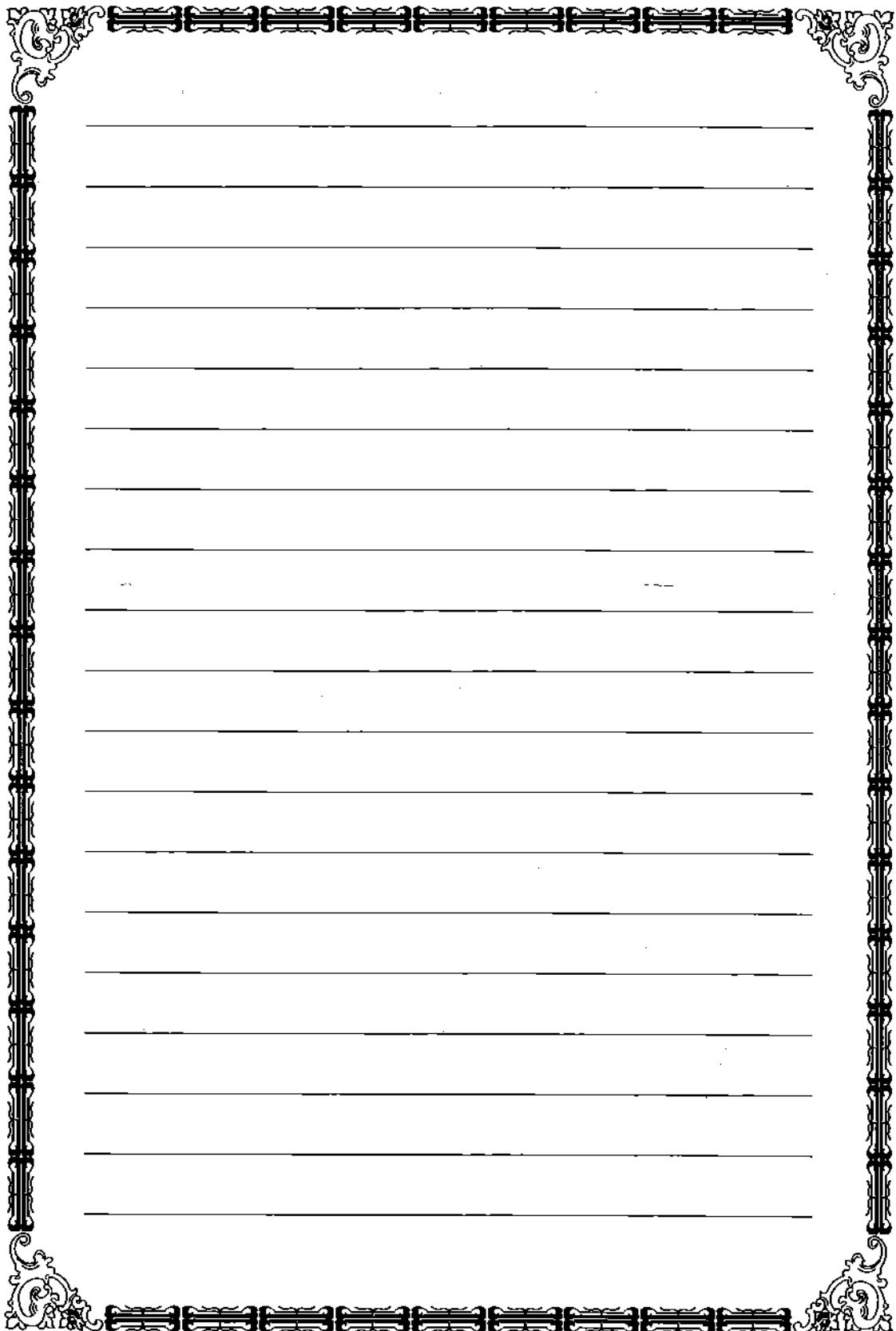
سَأَلِيفُ

عَبْدِ الرَّزِيزِ بْنِ مَرْزُوقِ الظَّرِيفِيِّ

غَصَّرَ اللَّهُ لَهُ رَوَالِدَيْهِ وَلَامِعَيْهِ

مَكْبِرَةُ الْمُنْهَاجِ

لِلْتَّشِيرِ وَالْتَّوزِيعِ بِالرِّياضِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة العقديّة، لرسالة الفقهية

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القمي وابن رحمة الله تعالى
(ت ٣٨٦هـ) :

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصورة في الأرحام بحكمته،
وأبرزه إلى رفقه، وما يسره له من رزقة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان
فضل الله عليه عظيماً.

ونبهه بآثار صنعته، وأعذر إليه على ألسنة المسلمين الخبرة من
خلقه، فهدى من وفقة بفضله، وأصل من خذله بعدله، ويسر المؤمنين
لليسرى، وشرح صدورهم للذكرى، فآمنوا بالله بالسنتهم ناطقين،
وبقولهم مخلصين، وبما أتتهم به رسُلُه وكتبه عاملين، وتعلموا ما
علّمُهم، ووقفوا عند ما حد لهم، واستغثوا بما أحل لهم حرماً
عليهم.

أمّا بعد:

أعاننا الله وإياك على رعاية وداعية، وحفظ ما أودعنا من شرائعه.
فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الدين؟

مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسَنَةُ، وَتَعْقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِخُ، وَمَا يَتَّصِلُ
بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَتَوَافِلِهَا، وَرَغَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ
الْآذَابِ مِنْهَا، وَجُمِلٍ مِنْ أَصْوَلِ النِّفَقَةِ وَفَنُونَهُ؛ عَلَى مَذَهِبِ الْإِمَامِ مَالِكَ بْنِ
أَنَسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَطَرِيقَتُهُ.

مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلًا مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ تَقْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ
الْمُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغَبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوَلَدَانَ؛ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ
الْقُرْآنَ؛ لِيَسْبِقَ إِلَيْهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ؛ مَا تُرْجِحُ لَهُمْ
بَرَكَتُهُ، وَتُحَمِّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ؛ فَأَجَبْتُكَ إِلَيْهِ ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِتَقْسِيرِ وَلَكَ مِنْ
ثَوَابِ مَنْ عَلِمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَاعْلَمُ : أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ : أُوْعَادُهَا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ :
مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ .

وَأَوْلَى مَا عَنِي بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ: إِيصالُ
الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَشْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ
الدِّيَانَةِ، وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيَرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْقِدُهُ مِنَ الدِّينِ
قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصُّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ،
يُظْفِئُ عَصَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصَّغْرِ؛ كَالنَّفَشِ فِي الْحَجَرِ .

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَفْظِهِ،
وَيَشْرُفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ .

وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمِرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرِبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرَ،
وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ؛ فَكَذَلِكَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِي عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ
قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتِ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتِ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ .

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلاً مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ، وَعَلَى
الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلاً مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأَفْصُلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرُهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَاحِبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا



بَابُ مَا نَطَقَ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْقِدُهُ الْأَفْعَدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: إِلِيمَانٌ بِالْقُلْبِ، وَالنُّطُقُ بِاللُّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ، وَلَا نَظِيرٌ لَهُ، وَلَا وَلَدٌ لَهُ، وَلَا وَالِدٌ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةٌ لَهُ، وَلَا شَرِيكٌ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوْلَيْتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِتِهِ انْقِضَاءٌ.

لَا يَلْعُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ.

يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِيمَانِهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ دَائِرَةِ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا يَتَوَدَّهُ حَفَظَهُمْ أَوْهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الْعَالَمُ الْخَيْرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ، **﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَبِنِي مَبِينٍ﴾** [الأنعام: ٥٩].

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى.

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصَّفَاتُ الْعَلَا، لَمْ يَزِلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ
وَأَسْمَائِهِ؛ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاءُهُ مُحَدَّثَةً.

كَلَمُ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.
وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ ذَكَارًا مِنْ جَلَالِهِ.
وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيُبَيِّنُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ
فَيُفَيَّنُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوهُ وَمُرُورٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدْرَهُ اللَّهُ
رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدِرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدْرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ
وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ
الْحَمِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلُّ
مُبِيرٌ بِتَبَيِّنِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ، مِنْ شَرِقٍ أَوْ سَعْيِهِ.
تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غَنِيًّا، أَوْ
يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقْدِرُ لِحَرَكَاتِهِمْ
وَآجَالِهِمْ.

الْبَاعِثُ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ خَتَمَ الرُّسَالَةَ وَالنُّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ
الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَسَرَّحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيِّمُ، وَهَدَى بِهِ الصُّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ لَا رَيْبٌ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا
يَدَأُهُمْ يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعِفٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتُ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالْتَّوْيِةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرُ، يَاجْتِنَابُ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُّبِعْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيتَةٍ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارَةَ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ؛ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزال: ٧].

وَيُخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعْدَّهَا دَارَ حُلُودٍ لِأُولَائِنَهُ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْدَّهَا دَارَ حُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَايَتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لِعَرْضِ الْأُمُّمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثُوابُهَا.

وَتُؤْضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؛ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: ٨].

وَيُؤْتَوْنَ صَحَافَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَمَنْ أُوْفَ كِتَابَهُ بِسِيمَيْدِهِ ⑦ فَسَوْفَ يَحْاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الإنشقاق: ٧ - ٨]، وَمَنْ أُوْتَبِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَضْلُلُونَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقُدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ في سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أُوْقَتُهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُهُ أَمْتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللُّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيادةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا؛ فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الرِّبَادَةُ. وَلَا يَكُمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنَيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَيَّةٌ إِلَّا بِمُوافَقَةِ السُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لَا يَكُفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقاوةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُقْتَلُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَسَائِلُونَ؛ «يَتَبَشَّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّالِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [ابراهيم: ٢٧].

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَهُمْ.

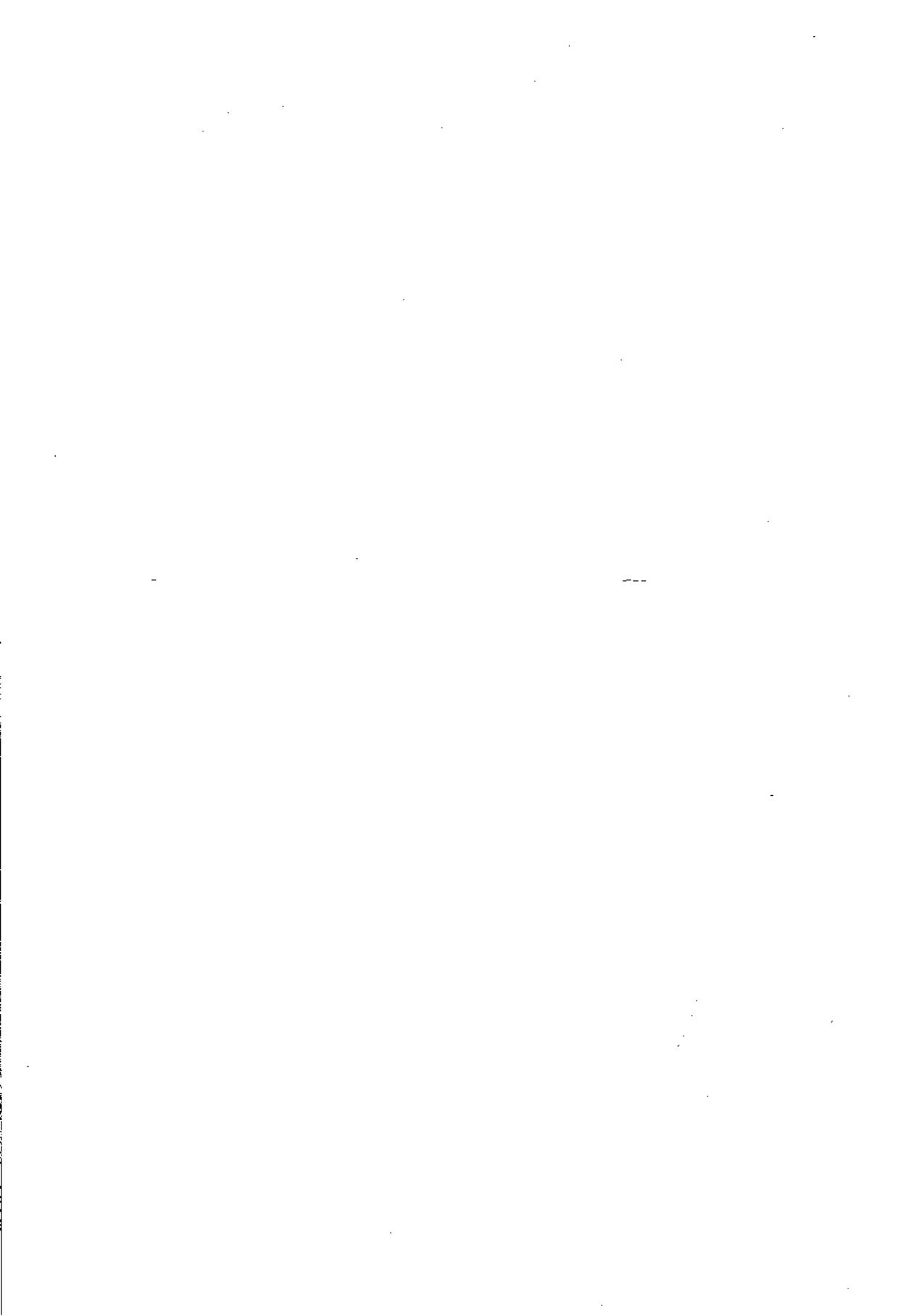
وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعُينَ.

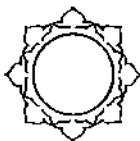
وَأَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظْهَرُ بِهِمْ أَخْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.
وَابْنَاءُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالإِسْتِغْفَارُ لَهُمْ.
وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ مَا أَخْذَهُ الْمُخْدِثُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا







المُقدِّمة

الحمدُ لله؛ له الحمدُ كُلُّه، أَوْلَهُ وآخِرُهُ، ظَاهِرُهُ وباطِنُهُ، وله الشُّكْرُ كُلُّهُ عَلَى مَا أَفَاضَ بِهِ وتكَرَّمُ، وتفَضَّلَ بِهِ عَلَى عبادِهِ وَأَنْعَمَ .
وَتَشَهَّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَعْظَمَ الواجباتِ عَلَى الْإِنْسَانِ: مَعْرِفَةُ مُوجِدِهِ، وغَايَةُ وجودِهِ، وَحَقُّ مُوجِدِهِ - وَهُوَ اللَّهُ - عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا هُوَ دُعْوَةُ جَمِيعِ الرَّسُولِ؛
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وَبِيَانِ الْحَقِّ يَكُونُ بِأَخْدِيَهِ مِنْ أَصْوَلِهِ وَالتَّدْلِيلُ عَلَيْهِ بِهِ، وَبِيَانِهِ يَكُونُ
بِلَا جَدَالٍ وَلَا مَرَاءٍ؛ فَإِنَّ الْجَدَالَ وَالْمَرَاءَ الرَّائِدَ عَنِ الْبَيِّنَةِ يُورِثُ الْعَنَادَ
وَالْمَكَابِرَةَ، وَيُحَدِّثُ فِي نُفُوسِ الْمُخَالِفِينَ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ حَتَّى وَإِنْ اسْتَبَانُوا
الْحَقَّ .

فِيمِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ الْخَطَأَ بِلَا قَنَاعَةً، فَإِذَا جَادَهُ أَحَدُ عَانِدَ
وَكَابِرٌ؛ فَيَكُونُ جَدَالُهُ تَبْيَيْنًا لِلْخَطَأِ فِي نَفْسِهِ! وَمِثْلُ هَذَا يَبْيَيْنُ لِهِ الصَّوَابُ
وَيُنْزَكُ بِلَا جَدَالٍ .

وقد نهج الأئمة من السلف بيان الحق والبعد عن الجدال الزائد فيه، وقد قيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟ قال: «لا، ولكن يخرب بالسنة؛ فإن قيل منه، وإن سكت»^(١).

وإياضًا الحق بلا جدال ولا مراء زائد عن الحججة، يُبقي في قلب المخالف قبساً منه وإن لم يُظهر قبوله، وربما حمله ذلك على المراجعة في السر؛ تهيئًا من الرجوع في العلن؛ فللنفس سلطان وعزّة لا يغلبها بالحق إلا التدرّة من أصفباء الناس.

والواجب على المتكلّم: بيان الحق بحججه بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكليف، مع الأخذ في الحسبان: المعاند، وضعيف الفهم، والتفريق بينهما؛ فإن بعض من يعجز عن الفهم، يظن أن القائل يعجز عن التعبير؛ وهذا يمكن تقريبه بالرُّفق، ويمكن أن يبعد فيصيّن منه الإبعاد معاندًا بالشدة.

ولم يَزَلَ العلماء يعرّفون الإنسان ويذكرونَه بذلك، ويعرفونَه بحق ربّه عليه، وذلك في كل بلد، وفي كل زمان، ولم تخل بلدٍ من بلدان الإسلام مشرقاً ومغارباً من مبلغ عن الله مُقيم للحجّة على الخلق؛ وهذا مقتضى حفظ الله لدينه أن سحر له حفظة يحفظونه وينقلونه.

وفي المغرب أئمة على آثارٍ من سلفٍ؛ فقد نزلتها صحابة وتابعون، وأئمة مهتدون، وأخذوا عنهم أهلها، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وله كتب على آثارٍ من السلف في الأصول والفرع، ومنها كتاباه: «الرسالة»، و«الجامع»، وقد أبان فيما اعتقد السلف في

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٨٤).

مَعْرِفَةُ اللهِ وَحْدَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ تَعَدَّ نَفْعُ كِتَابِ أَهْلَ بَلْدِهِ؛ فَانْتَفَعَ بِهَا
أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

هذا؛ وقد زَرْتُ الْقَيْرَوَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ وَأَلْفِ، وَكَانَ
فِي أَهْلِهَا حُبُّ الْعِلْمِ وَحَرَصُ عَلَى تَلَقْيَهِ فِيمَا كَانَ مِنْ مَجَالِسِ فِي جَامِعِ
الْقَيْرَوَانِ: (عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ)، وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ رَغَبَ إِلَيَّ بَعْضُ مَنْ لَقِيَتِي: شِرَحُ مَعْتَقِدِ ابْنِ أَبِي زِيدٍ، وَبِيَانِ مَا
عَلَيْهِ أَسْلَافُهُ مِنِ الْأئمَّةِ الْمَهْدِيَّينَ مِنِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ، وَمَا عَلَيْهِ الْإِمامُ
مَالِكُ وَأَصْحَابُهُ؛ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ الَّذِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنْ طَبَقَتِهِمْ
مِنِ الْأئمَّةِ فِي شَيْءٍ مِنِ الْأَصْوَلِ إِلَّا بِخَتْلَافِ الْأَرْضِ، وَتَبَاعُدِ الْقُطْرِ.

وَقَدْ كَانَ التَّعلِيقُ عَلَى مُقْدِمَةِ «الرِّسَالَةِ»؛ مِنْ غَيْرِ إِطَالَةِ ثُمَّلٍ،
وَلَا اخْتَصَارٍ يُخْلِلُ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَقصُودُ، وَمِنْ اللهِ التَّوْفِيقُ وَالْتَّسْدِيدُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

عبد العزيز الطريفي





لِسْمَةُ الْكَوْكَبِ الْحَنِيفِ

الحمدُ لله رب العالمين، مستوجب كمال الشكر لنفردو بالنعْم،
والصلوة والسلام على سيد ولد آدم المبعوث لجميع الأمم:

أما بعْدُ:

فإن توفيق الإنسان يكون بمقدار علمه وصدقه فيه؛ فلا ينال التوفيق إلا بالعلم بالحق، وكمال التوفيق إصابة الحق عن علم به، وذلك أنه قد يُصيب الإنسان الحق وهو جاهل؛ وذلك بالصدفة والتقليد، ومن أصاب الحق بالصدفة والتقليد لا يثبت عليه، وإنما يتغير بحسب عوامل الصدفة وسير المتبوعين وما يلحظه من خوف أو طمع في طريقه.

وقد ينشأ الإنسان في بلده أو مجتمع ويكون على ما كان عليه منشئه، وقد يُصيب الحق وقد لا يُصيبه، وقد يُصيبه عن علم، وقد يُصيبه عن جهل، كما أنه قد يخطئه عن علم، وقد يخطئه عن جهلي.

﴿فَضْلُ الْعِلْمِ وَأَفْضَلُهُ﴾

ولا يختلف الناس على فضل العلم، وأن زيادة اليقين تكون - من بين ما تكون - بمقدار زيادة العلم، وأعظم مراتب اليقين اليقين بالله، ففضل العلوم بفضل المعلوم، وأفضل العلوم نوعان:

الأول: العلم بالمعبود؛ وهو الله تعالى.

الثاني: العلم بحق المعبود، وحقيقه: أن يعبد وحده بما شرع.

فالعبادة هي الصلة التي تكون بين العابد ومعبوده، والمخلوق وخالقه.
وأدنى درجات الجهل: الجهل بالمعبود، ثم الجهل بعبادته؛ فمن كان جاهلاً بالله، صرف العبادة لغير الله، ومن كان عالماً بالله، وجاهلاً بالعبادة، عبد الله بغير ما شرع، ومن كان جاهلاً بالعبادة والمعبود، وقع في الشرك والبدعة كلَّيْهما.

وقد أوجَدَ اللهُ الإنسـانـ في الأرضـ، وجعلـ له عقـلاً ليُصـرـ به دنيـاهـ، وأنـزلـ إـلـيـهـ النـقلـ (الـلوـحـيـ) ليُصـرـ به دـينـهـ؛ فـمـنـ عـطـلـ العـقـلـ، فـسـدـتـ دـنيـاهـ؛ كـمـاـ تـفـسـدـ دـنيـاـ الـمـجـنـونـ، وـمـنـ عـطـلـ النـقلـ، فـسـدـ دـينـهـ؛ كـمـاـ يـفـسـدـ دـينـ الـمـحـرـفـينـ وـأـهـلـ الـأـهـوـاءـ، وـمـنـ أـبـصـرـ فـسـادـ دـنيـاـ فـاقـدـ العـقـلـ، عـرـفـ كـيـفـ يـكـوـنـ فـسـادـ دـينـ فـاقـدـ النـقلـ.

حفظ العقل والنـقلـ :

وقد فطرَ اللهُ الإنسـانـ على الاحتـراـزـ مـمـاـ يـفـسـدـ عـقـلـهـ مـنـ الـأـمـراضـ والـعـلـلـ؛ حتـىـ لاـ تـؤـثـرـ عـلـىـ دـنيـاهـ، وـبـيـمـثـلـ ذـلـكـ جاءـتـ حـيـاطـةـ النـقلـ مـنـ الـأـهـوـاءـ والـبـيـدـعـ؛ حتـىـ لاـ تـؤـثـرـ عـلـىـ الدـينـ، وـلـكـنـ لـمـ كـانـ لـذـهـ الدـنـيـاـ عـاجـلـةـ، وـمـتـعـةـ الـآخـرـةـ آجـلـةـ، غـلـبـ عـلـىـ النـاسـ حـمـاـيـةـ الدـنـيـاـ أـكـثـرـ مـنـ حـمـاـيـةـ الدـيـنـ.

وقد وصفَ اللهُ مـيـلـ الإنسـانـ وـحـبـهـ لـلـذـهـ الـعـاجـلـةـ فـيـ مواـضـعـ؛ قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيْلَ ثَبَّوْنَ الْكَاعِلَةَ﴾ [الفـيـامـةـ: ٢٠]، وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يَمْحُوُنَ الْعَاجِلَةَ﴾ [الـإـنـسـانـ: ٢٧]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا شَاءَ﴾ [الـإـسـرـاءـ: ١٨].

فالنفسُ مـيـالـةـ لـمـتـعـةـ الـعـاجـلـةـ؛ فـإـنـ المـتـعـةـ الـعـاجـلـةـ تـسـلـبـ الـحـوـاسـ وـتـجـذـبـهاـ إـلـيـهاـ؛ وـلـهـذـاـ أـمـرـ اللهـ بـعـدـ مـدـ الـبـصـرـ إـلـيـهاـ حتـىـ لاـ تـجـذـبـهـ وـتـحـرـفـهـ، وـقـدـ قـالـ اللهـ لـنـبـيـهـ الـمـحـصـومـ: ﴿وَلَا تَمـدـنَّ عَيـنـيـكـ إـلـىـ مـاـ مـتـعـنـاـ بـهـ﴾

أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْجَوَافِ الدُّنْيَا لِتَقْتِيمِ فِيهِ وَرْفُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْنِي» [طـ: ١٣١]،
وَالنَّوْسُعُ بِالْمُتَعَةِ الْعَاجِلَةِ يُنْسِي النَّعِيمَ الْآجِلَّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَكِنْ
مَتَعَثَّثُهُمْ وَإِبَاهَةُهُمْ حَقَّ نَسُوا الْذِكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا» [الْفَرْqَان: ١٨].

وَسَيِّرُ الْإِنْسَانَ لِتَحْقِيقِ الْمُتَعَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالاِكْتِفَاءِ بِذَلِكَ، فَذُرْ يُشَارِكُهُ
فِيهِ الْحَيْوَانُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَعَّمُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَعْنَمُ
وَالنَّارُ مَتَوْكِي لَهُمْ» [مُحَمَّد: ١٢]، بَلْ إِنَّ الْحَيْوَانَ أَكْمَلُ فِي تَحْقِيقِ كَمَالِ مَتْعِتِهِ
مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ الْإِنْسَانَ بِالْعَبُودِيَّةِ لَهُ؛ وَهِيَ الَّتِي يُفَارِقُ
الْإِنْسَانُ بِهَا الْحَيْوَانَ؛ وَلَهُذَا فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا ذَكَرَ الْإِنْسَانَ فِي الْقُرْآنِ ذَكَرَهُ
مَذْمُومًا، وَإِذَا وَصَفَهُ بِالْإِيمَانِ مَدْحَمًا.

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْوَحْيَ لِيُحَفِّظَ الْعُقُولَ مِنْ سُطُوةِ النُّفُوسِ وَاسْتِبْدَادِهَا
عَلَى الْإِنْسَانِ.

﴿فَضْلٌ قُرْبٌ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْأَوَّلِ﴾:

وَأَصْحَحُ النَّاسِ اعْتِقَادًا وَأَسْلَمُهُمْ فَهُمَا: أَصْحَابُ الْقَرْوَنِ الْثَلَاثَةِ
الْأَوَّلِيِّ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْتُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلْتُونَهُمْ)، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْوَحْيَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينًا، وَكَانَ
وَضْعُهُ عَلَى وَضِعِ قَرِئَتِهِ وَلِسَانِهِمْ، وَأَقْرَبَ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ وَفَهْمِهِ: مَنْ
تَحَقَّقَ فِيهِ الْقُرْبَانُ مِنَ الْوَحْيِ:

الْقُرْبُ الْأَوَّلُ: قُرْبُ الزَّمَانِ.

وَالْقُرْبُ الثَّانِي: قُرْبُ الْمَكَانِ.

وَقَدْ كَانَ طَلَابُ الْحَقِّ فِي الْقَرْوَنِ الْأَوَّلِيِّ يَعْظُمُونَ أَهْلَ الْفَقْهِ فِي
الْحِجَازِ، وَيَقْدِمُونَ فَهْمَهُمْ:

فَكُلَّمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَسْبَقَ زَمَنًا وَأَقْرَبَ مَكَانًا، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ نَزَّلَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَبِلِسَانِهِمْ أَوْ لِسَانَ مَنْ حَوْلَهُمْ.

وَكُلَّمَا تَقَادَ الزَّمَانُ، وَتَبَاعَدَ الْمَكَانُ، ضَعُفَ اللِّسَانُ.

وَقَدْ يُوجَدُ صَحِيحُ الْاعْتِقَادِ بَعِيدُ الْمَنْزِلِ، وَقَرِيبُ الْمَنْزِلِ فَاسِدُ الْاعْتِقَادِ.

﴿الْمَغْرِبُ﴾ فِي زَمِنِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ:

دَخَلَ الإِسْلَامُ الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِي خِلَافَةِ مَنْ بَعَدَهُ؛ كَعْثَمَانَ، ثُمَّ فِي إِمَارَةِ مُعاوِيَةَ، وَبَرِيزِيدَ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَثَّةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ، وَمُعاوِيَةَ بْنَ رُوَيْفَعَ بْنَ ثَابَتِ، وَمُعاوِيَةَ بْنَ حُدَيْبِيَّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيرِ، وَعُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ، وَجَاءَ يَزِيدُ وَأَتَمَّ أَمْرَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ.

وَكُلُّ أُولَئِكَ الْمَبْعُونَ صَحَابَةٌ؛ إِلَّا عُقْبَةَ، فَمُولُودُ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَبِهِ دَخَلَ الإِسْلَامَ عَامَّةُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنِيِّ وَالْأَوْسَطِ، حَتَّى بَلَغَ مَحِيطَةُ الْأَطْلَسِيَّ، وَمَا اشْتَهَرَ عَنْهُ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ اشْهِدْ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الْمَجْهُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبَحْرُ، لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ أُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِكَ»؛ حَتَّى لَا يُغَيِّبَ أَحَدٌ دُونَكَ»^(١).

ثُمَّ اتَّسَعَ الإِسْلَامُ بَعْدُ بَيْدَ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسِ، وَمُوسَى بْنِ نُصَيْرِ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ؛ حَتَّى جَازَتِ الْأَنْدَلُسَ إِلَى جَنوبِ فَرَنْسَا.

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (٣٩/١).

وكلُّ هذا قبلَ تمامِ المائةِ مِن الهجرةِ.

وقد دخلَ بلدانَ المغربِ جماعةً مِن الصحابةِ فانجحن، وقد سُمِّيَ أهلُ السُّبْرِ خلقًا منهم متفرقين؛ يقرُّبونَ أو يزيدونَ على خمسينَ نَفْسًا، وقد أخرجَ ابنُ عبدِ الْحَكَمِ عنْ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ، قالَ: «غَزَوْنَا إِفْرِيقِيَّةَ مَعَ معاويةَ بْنِ حُدَيْجٍ، وَمَعْنَا بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^(١).

وأما التابعونَ: فخلقُ كثِيرٍ لا يُحصَّنُونَ، وقد ارتَحَلَ إلى المغربِ جماعةً مِنْ فقهاءِ التَّابِعِينَ مَمَّنْ سَمِعَ أَوْ أَدْرَكَ جماعةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - كابنِ عَيَّاسٍ، وابنِ عُمَرَ، وعبدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وطبقتهم - لنشرِ الْعِلْمِ فِي الْمَغْرِبِ؛ كَحَّيٌّ بْنُ مَوْهَبِ الْمَعَافِرِيِّ، وَجِيَّانٌ بْنُ أَبِي جَبَلَةِ الْقُرَشِيِّ، وإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْيَدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ، وَبِكَرٌ بْنُ سَوَادَةِ الْجُذَامِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَافِعِ التَّنْوِخِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمَعَافِرِيِّ، وإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْيَدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَجُعْشُلٌ بْنُ عَاهَانَ الرُّعَيْتِيِّ، وَسَعْدٌ بْنُ مُسْعُودَ الْتَّجِيْبِيِّ، وَطَلْقٌ بْنُ جَعْبَانَ الْفَارَسِيِّ.

وهو لاءُ أَرْسَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِتَعْلِيمِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ.

وكذلك في المغربِ مِنَ التَّابِعِينَ: عبدُ اللهِ بْنُ أَبِي بُرْدَةِ الْقُرَشِيِّ، وَعُلَيْهِ بْنُ رَبَاحِ الْلَّخْمِيِّ.

وعامةُ هؤلاءِ سَكَنَ الْقِيَرْوَانَ بَلَدَ ابْنِ أَبِي زِيدٍ، وَأَكْثَرُهُمْ تُوفَّى فِيهَا، وَخَلَقُوهُمْ فِي ذَلِكَ تَلَامِذَتُهُمْ، وَكَانَ السَّلْفُ يَسْمُونَ الْقِيَرْوَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ، وَقَدْ قَالَ مَالِكُ: «تُوْفِيَتْ حَفْصَةُ عَامَ فُتِّيَّحْتُ إِفْرِيقِيَّةً»^(٢)؛ يَرِيدُ: الْقِيَرْوَانَ،

(١) «فتح مصر» (ص ٢٢٠).

(٢) «تاريخ أبي زرعة» (٤٨٩ و ١٢٨٢).

وهكذا في «المدونة» إذا أطلق إفريقية، فالمراد بها: القَيْرَوَانُ؛ لأنها أظهرت معاليمها وعواميرها^(١).

السُّنَّةُ وَالآثَرُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ فِي الْمَغْرِبِ:

وكان الناسُ في إفريقية والمغرب على السُّنَّةِ وَالآثَرِ، ولم تَظَهُرْ فيهم الْبَدْعُ مُتَمَكِّنَةً، ولا عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْفَلَسْفَةِ، وقد كان الفيلسوف أبو بكر محمد بن الطفيلي القيسي في القرن السادس يصنف نُذْرَةَ الفلسفة في المغرب بأنها أعدم من الكثريت الأحمر^(٢)، وكانت المغرب آخر بلدان الإسلام ينتظم فيها علم الكلام، وقد كانت بلدان الإسلام على جهاتِ ثلَاثٍ:

الأولى: بلاد المَشْرِقِ؛ وهي: من عِرَاقِ العِجَمِ إلى خَرَاسَانَ وَمَا وراءَهَا، وهي موضعُ الْفَلَاسِفَةِ في الإسلامِ، وفيها ظَهَرَ عِلْمُ الْكَلَامِ، ودخلَ في تقريرِ مسائلِ الدِّينِ؛ كأقوالِ الجَهَنَّمِ بْنِ صَفْوانَ، والجَعْدِ بْنِ دِرْهَمَ، وهي مَوْطِنُ الْفَارَابِيِّ، وابنِ سِينَا، وابنِ مَسْكُوَيْهِ، وهي موطِنُ الْأَئِمَّةِ الْمُنْتَكِلِّمِينَ؛ كابنِ فُورَّكَ، وأبي إسحاقِ الإسْفَراِينِيِّ، وأبي القاسمِ الْقَشَيْرِيِّ، والجُوَنِيِّيِّ، والغَزَالِيِّ.

الثانية: بلاد المَغْرِبِ؛ وهي: المَغْرِبُ الْأَدْنِيُّ؛ وَتُسَمَّى إفريقية، وهي القَيْرَوَانُ وَمَا حَوْلَهَا، وَالْمَغْرِبُ الْأَقْصِيُّ؛ وهي الْأَنْدَلُسُ وَمَا وراءَهَا.

الثالثة: ما بَيْنَهُما؛ وهي: جزِيرَةُ الْعَرَبِ وَمَا اتَّصلَ بِهَا مَمَّا بَيْنَ

(١) «حاشية العدوى بهامش شرح مختصر خليل» (١٨٦/٣).

(٢) «حي بن يقطان» (ص ٢٠).

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، وَمَا يَرِبِطُ بِهِمَا مِنْ عَرَاقِ الْعَرَبِ وَالشَّامِ، وَإِنْ كَانَ
الْعَرَاقُ يَعْدُهُ أَهْلُ الْحِجَارَ شَرْقاً، وَالشَّامُ يَعْدُونَهُ غَربَاً.

﴿أَثْرُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْمَغْرِبِ﴾:

وَالْمَدَاهِبُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْمَغْرِبِ فِي الْأَصْوَلِ وَالْفَرْوَعِ، إِنَّمَا أَخْذَتْ
مِنَ الْمَشْرِقِ؛ حَتَّى مَذَهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ لَمْ يَنْشأْ فِي الْمَغْرِبِ؛ وَإِنَّمَا تَنَشَّطَ
فِيهِ، وَنَشَأَتْهُ مَشْرِقِيَّةً.

وَمَنْ نَظَرَ فِي عَامَّةِ مُتَكَلِّمِي الْأَشَاعِرَةِ فِي الْمَشْرِقِ، وَجَدَ أَنَّهُم
لَا يَكَادُونَ يَذَكُّرُونَ مُتَكَلِّمِيهِمْ فِي الْمَغْرِبِ؛ بِخَلَافِ الْمَغَارِبِيَّةِ مَعَ مُتَكَلِّمِيهِمْ
فِي الْمَشْرِقِ، حَتَّىِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ.

﴿فَلْسَفَةُ الْيُونَانِ وَأَثْرُهَا عَلَىِ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾:

وَبَعْضُ الْعِلُومِ كَالْفَلْسَفَةِ أَصْلُهَا فِي الْغَرْبِ؛ فَقَدْ كَانَ رَؤُوسُ
الْفَلَسَفَةِ يُونانيِّينَ، وَلَكِنْ لَمْ تُؤْسَلْ فَلْسَفَتُهُمْ إِلَّا فِي الْمَشْرِقِ أَوْلَىِ الْأَمْرِ،
ثُمَّ أَخْذَهَا الْمَغَارِبِيَّةُ بَعْدَ أَسْلَمَتْهَا مِنَ الشَّرِقِ، وَلَمْ يُؤْسَلِمُوهَا بِأَنفُسِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْفِيلِسُوفُ الْيَهُودِيُّ ابْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيُّ^(١)؛ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ
الْمَعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ مُبْنَىٰ عَلَىِ مَقْدِمَاتٍ مَأْخُوذَةٍ كُلُّهَا مِنْ
كِتَابِ الْيُونانيِّينَ وَالشَّرِيَانِيِّينَ، الَّذِينَ رَأَمُوا مُخَالَفَةَ آرَاءِ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ
يَطْعَنُونَ فِي دِيَنِهِمُ النَّصَارَى، وَدَعَمُهُمْ مَلُوكٌ يَرِيدُونَ مِنْهُمْ حَمَايَةً دِيَنِهِمْ مِنْ
تَلْكَ الْآرَاءِ الْفَلَسِفَيَّةِ الَّتِي تَهُدُّ قَوَاعِدَ شَرِيعَتِهِمْ؛ فَنَشَأَ فِيهِمْ عِلْمُ الْكَلَامِ،
وَعِنْهُمْ أَخْدَىِ الْمَعْتَزِلَةُ، ثُمَّ الْأَشَاعِرَةُ، وَطَبَّقُوهُ بِزَعْمِهِمْ حَمَايَةً لِلَّذِينَ مِنْ
تَلْكَ الْآرَاءِ، وَاخْتَارُوا مِنْ آرَاءِ الْفَلَسِفَةِ مَا رَأَوْهُ مُسْتَقِيمًا عَلَىِ طَرِيقَتِهِمْ؛

(١) «دَلَالَةُ الْحَائِرِينَ» (١/١٨٠).

حتى قال ابن ميمون: «إنه نظر في كتب المتكلمين وال فلاسفة كلهم حسب طاقته - من اليهود والنصارى والمسلمين - فوجد أن طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بال النوع، وإن اختلفت أصنافه، وأنهم في مواضع كثيرة يسعون الخيال، ويسمونه عقلا»^(١).

اعتقاد أهل المغرب:

ولم يكن الناس في المغرب أهل جدل، بل أهل سنت وأثر، حتى في المغرب الأقصى الأندلس، وكما قال الباقي: « كانوا عن سن المُجادلة عادلين»^(٢)، وقلة الجدل في متقدمي أهل المغرب لا تعني عدمه فيهم، فلا بن سخنون كتاب في «أدب المتناظرين»، وكانوا على معتقد السلف، فنُقل إليهم اعتقاد مالك، كما نُقل إليهم فقهه، وتُنقل إليهم اعتقاد أحمد بن حنبل؛ فقد أدخله المغرب الأقصى والأدنى: أسلم بن عبد العزيز قاضي قضاة الأندلس، وقد ارتحل ولقي أصحاب أحمد، وأصحاب الشافعى؛ كالمرانى، والربيع، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، كما أسند عقيدة أحمد بن حنبل برواية أسلم وسنده: محمد بن الحارث الحشنى القيروانى في كتابه: «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس»، وفيها عقيدة بصفات الله؛ كالاستواء، وكلام الله، وعلوه، ومعيته، وسائل الإيمان والبعث، وأبن الحارث ناقل عقيدة ابن حنبل تلك، هو شيخ ابن أبي زيد القيروانى.

والاعتزاز لم يكن منتشرًا في المغرب في القرن الثاني والثالث والرابع لدى العلماء؛ يعتقدون له المجالس، ويصنفون فيه الكتب؛ فلم

(١) «دلالة الحارثين» (ص ١٨٢).

(٢) «المنهاج» (ص ٧).

يَتَبَيَّنُ عَالَمٌ مُعْتَبِرٌ، وَلَا رَأْسٌ فِي الشَّرِيعَةِ؛ وَهَذَا فِي الْمَغْرِبِ عَامَّةً الْأَقْصِيِّ وَالْأَدْنِيِّ، وَخَاصَّةً مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَتَابِعُ مَالِكٍ، حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مُعْتَزِلٌ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيُّ»؛ كَمَا قَالَهُ أَبُو الْعَيَّاسِ أَحْمَدُ الْمَقْرِيُّ فِي «الْفَقْحِ»^(١).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «رَسائلِهِ»^(٢): «وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ: فَإِنَّ بِلَادَنَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَتَجَادِبْ فِيهَا الْخُصُوصُ، وَلَا اخْتَلَقْتْ فِيهَا النَّحْلُ، فَقَلَّ لِذَلِكَ تَصْرُّفُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ؛ فَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ عَرِيَّةٍ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَذَهَّبُونَ إِلَى الْاعْتِزَالِ».

وَبِنَحْوِهِ قَالَ ابْنُ جُبَيرٍ صَاحِبُ «الرُّحْلَةِ»^(٣): أَنَّ الْمَغْرِبَ عَلَى جَادَةٍ وَاضِحةٍ، لَا بُنْيَاتٍ لَهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْجَهَاتِ الْشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَبِدْعٍ، وَفِرْقَ ضَالَّةٍ وَشَيْعَ.

﴿وَجُودُ الْاعْتِزَالِ فِي الْمَغْرِبِ، وَمَوْقُوفُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُ﴾

وَالْاعْتِزَالُ فِي الْمَغْرِبِ مُوْجَدٌ، وَوَجُودُهُ لَا يَعْنِي أَنَّ لَهُ شَوْكَةً وَرَأْسًا فِي عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيهِمْ: «لَا يَعْدُونَ عِنْدَ الْجَمِيعِ فِي جَمِيعِ الْأَمْسَارِ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ»؛ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعِ»^(٤)، وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ بِالْتَّصْنِيفِ رَدًا ظَاهِرًا؛ لَأَنَّهُمْ لَا يَعْدُونَ خَلَافَهُمْ خَلَافًا؛ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْاسْتِذْكَارِ»^(٥).

وَوَجُودُهُمْ فِي تِلْكَ الْقَرْوَنِ فِي طَبَقَتَيْنِ:

الطبقة الأولى: حَمَلَةُ مِنَ الْعَامَّةِ وَأَوَاسِطِ الْمُتَعَلِّمِينَ، لَا يُسَبِّبُونَ إِلَى

(١) «فَحْ الطَّيْبِ» (٦٠٥ - ٦٠٤). (٢) «رَسائلِ ابْنِ حَزْمٍ» (١٨٦ / ٢).

(٣) «رُحْلَةِ ابْنِ جُبَيرٍ» (ص ٥٥ - ٥٦). (٤) «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» (٩٤٢ / ٢).

(٥) «الْاسْتِذْكَارِ» (٥٢ / ٢٤).

العلم بالشريعة والفهم فيها؛ وهذا وُجُدٌ في أول ظهور الاعتزال في المشرق؛ فقد ارتحل بعض أصحاب واصل بن عطاء إلى المغرب؛ كعبد الله بن الحارث، وتأثر بهم بعض عوام المغرب وجهائهم؛ خاصة من البربر في تاهرت في المغرب الأوسط الجزائري اليوم.

الطبقة الثانية: بعض أمراء المغرب؛ ككثير من الأغالبة؛ فقد كانوا على الاعتزال؛ اقتداء ببعض أمراء المشرق منبني العباس؛ كالمامون، والمعتصم، والواثق، وبعض قضائهم؛ وذلك لما جعله الله من تأثير الفوسس بالعلية والكبراء؛ فيقتدي الأدنى بالأعلى فيحاكيه، فحاكي بعض أمراء المغرب أمراء المشرق، وحاكي بعض قضاة المغرب قضاة المشرق؛ فحمل بعض أمراء الأغالبة - لهم أولاد الأغلب بن سالم التميمي، قائدبني العباس في غزو المغرب - الناس على الاعتزال؛ كمحمد وأحمد أبني الأغلب، ومن القضاة والمنسوبيين إلى العلم المغاربة: ابن أبي الجواد، ومحمد بن الأسود الصدّيقي، وسليمان بن عمر العراقي القيراني، ومن أشهرهم: سليمان بن أبي عصفور الحنفي شيخ الاعتزال بالقيروان، ويعرف بالفراء؛ فقد كتب في خلق القرآن، وكان مقاماً قريباً من مقام يسir المرسي عنـ المغارقة؛ فهو من أصحاب يسir، وأبي الهذيل، ومن الرحـلين إليهم.

وقد امتحن في المغرب العلماء والعامة؛ كـ سخنون بن سعيد، وموسى بن معاوية، وكان سخنون بن سعيد عصرياً لأحمد بن حنبل، وقام وثبت في فتنـ خلق القرآن في المغرب؛ كما قام ابن حنبل وثبت في المشرق.

وكان العلماء والعامة يهجرـون أهل الكلام ومن يقول بقولهم؛ فقد

كان يهلوُلُ بنُ راشدٍ، وسُخنُونُ بنُ سعيدٍ، وعليٌّ بنُ زيادٍ: لا يسلِّمون عليهم، وكان سُخنُونُ بنُ سعيدٍ لا يصلُّ لِخَلْفِهِمْ، بل كان عبدُ اللهُ بنُ فرُوخٍ، وابنُ غانمٍ، ويهلوُلُ بنُ راشدٍ، لا يصلُّون على جَنَائزِهِمْ، وقد حكى بعضُ علماءِ المَغْرِبِ اتفاقَ علماءِ السُّنَّةِ المغاربةِ على أنه لا تجوز الصلاةُ على مَنْ يَدِينُ بالاعتزالِ.

﴿بدايةً ردَّ المغاربة على المشارقة في الفروع لا في الأصول:

والماهِبُ الفقهِيَّةُ - ومنها: المذاهِبُ الْأَرْبَعَةُ المشهورةُ - مذاهِبُ فقهِيَّةٍ، وليس طُرُقاً عَقْدِيَّةً؛ فليس كُلُّ مَنْ انتسبَ إِلَى إِمامٍ في الفروعِ، فهو على طريقِهِ في الاعتقادِ، ولا يُنَسِّبُ للإِمامِ اعتقاداً قرَرَهُ بعضاً أتباعِهِ في الفروعِ.

ومن نَظَرَ في كثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِ الاعتزالِ، وجَدَهُمْ حنفيَّةٍ في الفروعِ، وأبو حنيفةٍ بريءٍ مِنْ اعترافِهِمْ، وهكذا في بعضِ مَنْ يَنْتَسِبُ لِمَالِكِ والشافعيِّ وأحمدَ؛ فتُؤَخَّذُ مذاهِبُ الفروعِ بما يَخْلُدُهُ غَيْرُ طرائقِ العقائدِ.

ولم تَظَهِّرِ الأَهْوَاءُ في المَغْرِبِ مُنْتَظَمَةً مُبَكِّرَةً؛ كما ظَهَرَتْ في المشرقِ والعراقِ والشامِ، وقد كانت غَايَةُ البدعِ الْكَلَامِيَّةِ يَحْمِلُهَا أَفْرَادٌ، وربَّما يَتَهَيَّبُونَ مِنَ الدُّعَوةِ إِلَيْها وَالْكِتَابَةِ بِهَا، وكان عَامَّةُ ردودِ المغاربةِ ومتناهُرَاتِهمْ في القرنِ الثالثِ والرابعِ - خاصَّةً المَالِكِيَّةَ - في الفروعِ، ودفعاً عن مَالِكِ ومذهِبِهِ مِنْ ردودِ بعضِ المشارقةِ وغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ؛ خاصَّةً مِنْ أبي حنيفةٍ والشافعيِّ وأصحابِهما، وخاصَّةً في كِتَابِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ «الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، وكتابِ الشافعيِّ «اخْتِلَافُ مَالِكٍ»، وغَيْرِهِمَا.

وقد ردَّ جماعةٌ مِنَ المغاربةِ على الشافعيِّ، منهم: مُحَمَّدُ بْنُ سُخنُونِ في كتابِهِ «الجوَابَاتِ»، ويحيى بْنُ عُمَرَ الْكَنَانِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ

القيرواني في كتابه «الحجّة في الرد على الشافعي»، وردّ على الشافعي: يوسر المعاملي الأندلسي، وأبو عثمان سعيد الحداد، وردّ محمد بن سخنون على أبي حنيفة وأصحابه في كتابه «الرد على أهل العراق».

وهذه الردود كلّها في القرن الثالث.

وقد كانوا يردون الاحتجاج بكتب داود الظاهري وأقواله قبل دخول بعض رجال المغرب في مذهبِه، وقبل ولادة ابن حزم، وأول من أدخل كتاب داود الأندلس تلاميذه: عبد الله بن قاسم بن هلال القرطبي، ومنذر بن سعيد البلوطي، ثم أدخل كتاب داود مغرب إفريقية: محمد بن خيرون القيرواني في «رحلته إلى العراق»، التي لقي فيها أصحابَ أَحَمَّدَ، وابن معين، وابن المديني؛ وهو أول من أدخلها القيروان، وهذا قبل ولادة ابن حزم ب نحو قرن.

وقد تكلّم أبو عثمان سعيد بن الحداد في مسألة، فقيل له: إنَّ داود قال فيها كذا وكذا، فقال: «لو كان نَوْمِي كِيَقْنَةً داود، ما تكلَّمْتُ في العِلْم»^(١).

وابن الحداد شيخُ شيوخ ابن أبي زيد.

وردَّ ابن أبي زيد نفسه على الظاهري وخلافهم لمالك في كتابه «الذب عن مذهب مالك»، وكان كتابه ردًا على كتاب لأحد الظاهريَّة سمَّاه: «التنبيه والبيان»، عن مسائل اختلفَ فيها مالك والشافعي؛ حيث ذكرَ صاحبُ «التنبيه» مخالفَة مالك للسنَّة في بعض أصول فقهه، وسبعاً وثلاثين مسألةً من فروعه، وكان المغاربة يسمُون داود بالقياسي؛ لأنَّه ينفي القياس.

(١) «معالم الإيمان» (٢٩٧ - ٢٩٨).

وإنما قوَّىْتُ شوَّكَةَ أهْلِ الظَّاهِرِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ بَعْدَ ابْنِ حَزْمَ، وَانْتَشَرَ مَذَهْبُهُمْ حَتَّىِ الْقَرْنِ السَّابِعِ؛ فَضَعُفُوا حَتَّىِ كَانُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا أَثْرٌ.

وَكَتَبَ الْأَئِمَّةُ الْمُشَارِقِ الْسَّابِقِينَ فِي الْعَقَائِدِ مَعْرُوفَةً، وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ يَرْدُونَ عَلَىِ شَيْءٍ مِنْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: كَتَبَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّحاوِيُّ الْحَنَفِيُّ؛ فَقَدْ كَتَبَ رِسَالَتَهُ فِي «مَعْتَقَلِهِ وَمُعْتَقَدِهِ أَئِمَّةُ مَذَهْبِهِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ»، وَكَتَبَ فِي فِرَوْعَهُمْ وَأَدَلَّتِهَا: «مُشَكِّلُ الْآثارِ»، وَ«مَعْانِي الْآثارِ»، وَغَيْرَهُمَا.

وَلَمْ يَرْدُ عَلَيْهِ الْمَالِكِيُّونَ إِلَّا فِي الْفَرْوَعِ؛ كَمَا رَدَ عَلَيْهِ شِيخُ ابْنِ أَبِي زِيدِ الْقَيْرَوَانِيِّ: أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ الْمُمْسِيُّ فِي تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ.

وَكُثْرَةُ رِدَوْهُمْ فِي الْفَرْوَعِ فِي تِلْكَ الْطَّبَقَةِ دَلِيلٌ لِنَفَاقِهِمْ فِي الْأَصْوَلِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَلِفُونَ مَعَ الشَّافِعِيِّ وَلَا أَصْحَابِهِ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَلَا لَهُمْ فِي الْقَرْنِ الْثَالِثِ كَبِيرٌ شَيْءٌ مِنْ كَتَبِ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ؛ لِاستِقْرَارِ الْأَمْرِ عَلَىِ السُّنَّةِ، وَجَرِيَانِهِ عَلَىِ الْفَطْرَةِ.

أسباب تأخُّر ذيوع علم الكلام في المغرب:

وَقَدْ كَانَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنَ الْبَلْدَانِ - كِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَا عَلَاهَا مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَقِ وَالشَّامِ - حَائِلًا عَنِ وَصْوَلِ عِلْمِ الْفَلْسَفَةِ وَالْكَلَامِ إِلَىِ الْمَغْرِبِ؛ فَشَغَّلُوا فَلَاسِفَةَ الْمَشْرِقِ الْأَقْصِيِّ وَمُتَكَلِّمِيهِمْ بِالرَّدِّ وَالنَّفْضِ وَالْتَّحْذِيرِ، وَنَازَعُوهُمْ بِالْحُجَّةِ وَالْبَرَهَانِ؛ فَحُبِسَتْ تِلْكَ الْبَدْعَةُ فِي الْعَرَقِ وَالشَّامِ، وَلَمْ تَنْتَقلْ إِلَىِ الْمَغْرِبِ إِلَّا بَعْدَ نَحْوِي مَئِيَّةِ سَنَّةٍ مِنْ ظَهُورِهِا فِي الْمَشْرِقِ؛ عَلَىِ يَدِ الْجَعْدِيِّ بْنِ دَرْهَمَ، فَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوانَ، فِي شِرِّ الْمَرِيسِيِّ، فَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادِ، وَطَبَقَتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكَذَلِكَ: مَنْ

أخذَ بعلم الكلام ممَّن لم يَجْرِ مجرِي المعتزَلة، وإنَّما ردَّ عليهم؛ كأبي الحسن الأشعري، فضلاً عن الفلاسفة المُشائِن وأشباههم من المُشارِقة؛ كيعقوب بن إسحاق الكيندي.

وإنَّ كان في المغرب فلاسفة؛ كابن مَسَرَّة الجبلي بِفُرطَةٍ من أتباعِ أَبْنَادُوكَلِيس أحدُ حُكَّماء اليونان السَّبُعة، وكان يَزعمُ الانتساب إلى مذهبِ مالك، واختصرَ «المدوّنة»، وكان يَحْفَظُ مسائلَها ويُسْرُدها، وهو من فلاسفة المتصوّفة، وتبعَه تلامذةٌ نُدرةٌ على مذهبِه؛ كمحمدٌ الحَوْلَانِيُّ ابن الإمام، وعبد العزيزٌ بن حَكَمٍ، وكان الخليفةُ يتبعُ أتباعَه بالحبسِ والنفي.

وقد ردَّ ابن أبي زيد القيرواني على ابن مَسَرَّة في كتابِه «الرَّدُّ على ابن مَسَرَّة المارق»، وبقي مذهبُ ابن مَسَرَّة في المغرب، وهو الذي آتى إليه ابن عَرَبِي في القرن السادس بالأندلس.

وكذلك؛ فإنَّ فيهم معتزلةً قليلين؛ كخليل بن عبدِ الملك بن كليب القرطبي، المعروف بخليل الغفلة، وقد شدَّ عليه جماعة؛ كبقيٍّ بن مُخْلِدٍ، وابنِ وضاحٍ.

ومن المعتزلة: أبو طالب شيخ المعتزلة ولسانُهم، وفيهم أهلُ خرافَة في الكرامات؛ كأبي القاسم البكري الصقلي القيرواني، وقد ردَّ عليه ابن أبي زيد بكتابِه: «الرَّدُّ على البكريّة».

وليس لهؤلاء المُبتدِعَة كُتُبٌ، وإنما هي أقوالٌ تفوَّهوا بها.

وقد كتبَ ابن أبي زيد القيرواني إلى الباقياني - مع كونِ ابن أبي زيد أَسَنَ منه - يسألُه عن الكرامات لعلمه بأقوالِ المعتزلة، وردَّ عليهم؛ حيثُ نسبَ ابن أبي زيد في «رَدِّه على البكريّ» بمشابهة قولِ المعتزلة

بنفي الكَرامَات؛ فانتصَرَ الْبَاقِلَانِيُّ لابن أبي زيد، وبين قوله^(١)؛ وقد قال في ابن أبي زيد: «شَيْخُنَا»^(٢).

أسباب انتشار علم الكلام في المغرب:

وقد كانت غالباً الدِّينُ الكلاميُّ في المغرب يحملها أفراد، وربما يتهيئون الدُّعوةُ إليها، والكتابةُ بها، حتى إذا كان القرنُ الرابعُ والخامسُ، حملها بعضُ المغاربة إلى بلادِهم من بعضِ شيوخِ المشرقِ، وببدأ الخوضُ في الكلامِ والفلسفةِ، وبذلت رياحُ المشرقِ الكلاميةُ تصلُ وتؤثرُ في المغربِ، بأسبابٍ ثلاثةٍ:

أولُها: ارتحالُ المغاربة إلى المشرقِ الأدنى والأقصى، والأخذُ والسماعُ من علمائِها؛ فسمعوا منهم القرآنَ والسنةَ والأثرَ، والفقهَ والكلامَ، ورحلَ فرجُ بنُ سلامِ القرطبيُّ، ولقيَ الجاحظَ، وأخذَ كُتبَهُ، ورحلَ عبدُ الله بنُ مسراً بنُ نجيحَ، وأبو بكرِ يحيى بنُ السُّمِينَةِ، وإبراهيمَ القَلَانِسِيَّ، ودراسُ بنُ إسماعيلَ، القيروانيُّونَ، وغيرُهم.

ولم يأخذُ - فيما أعلمُ - أحدٌ من أعيانِ المغاربة المعتبرينَ من أبي الحسنِ الأشعريِّ عِلْمَ الكلامِ مباشرةً، وإنما كان هناك من التقى ببعضِ أصحابِه؛ كابنِ مجاهِدِ الطائيِّ؛ فقد ارتحلَ إلى العراقِ: أبو بكرِ إسماعيلُ بنُ إسحاقَ بنِ عُذْرَةَ، ومحمدُ بنُ خلدونَ؛ وكلاهما من تلامذةِ ابنِ أبي زيدِ القيروانيِّ، والتقيا ابنَ مجاهِدٍ من جملةِ من التقى به بالعراقِ، وقد استجازَ ابنَ مجاهِدٍ كتابَ «المختصر» لابنِ أبي زيدِ القيروانيِّ، وأرسَلَ إليه مع تلاميذه بذلك، ورحلَ إلى المشرقِ: أبو بكرِ محمدُ بنُ مؤهِّبٍ، وهو جَدُّ أبي الوليدِ الْباجِيِّ، وحَكَمَ بنُ مُنْتَهِي البُلُوطِيِّ.

(١) «البيان» (ص ٥).

(٢) في نفس الموضع السابق.

وأكثر المتكلمين أثراً في المغرب: أبو بكر الباقياني، وصاحبُه
أبو ذر الهروي، ثمَّ الجونيُّ:

فالأولُ: أخذَ عنه المغاربة في العراق، وبلغَت بعض كتبِه المغرب،
كـ«التمهيد»؛ فقد شرحَه أبو القاسم عبدُ الجليل الربعيُّ القرروانيُّ، وسمى
شرحَه: «التدقيق في شرح التمهيد»، وكان منتصفَ القرنِ الخامس.

والثاني: أخذُوا عنه في مكة؛ لأنَّه جاوزَ فيها، وأسمعَ البخاريَّ
والفقهاء والكلامَ أزيدَ من ثلاثينَ عاماً، وكان يميلُ إلى مذهبِ مالك،
وكان يعجبُ من مذهبِه، وهو هرويُّ، وكان يسألُ: من أينَ تَمَذْهَبَتْ
بمذهبِ مالكِ ورأيِ الأشعريِّ، معَ أنَّكَ هرويُّ؟!

وأما الثالثُ: فقد انتشرَت كتبُه وتلاميذه في المغرب وغيره.

وقد سمعَ من الباقيانيَّ جماعةٌ من أهلِ المغرب وساكنيها؛ كأبي
عمرانَ الفاسيِّ، وأبي طاهرِ البغداديِّ، والحسينِ بنِ حاتِمِ الأذرِيِّ نزيلِ
القرروانِ، وأبي عمرو الدانيِّ.

وسمعَ من تلاميذه الباقيانيَّ جماعةٌ من المغاربة؛ كعبدِ الجليلِ
الربعيِّ القرروانيِّ.

وسمعَ من أبي ذرِ الهرويِّ - وقد سُكِنَ مكةً عقوداً - وأخذَ عنه جماعةٌ
كثيرةٌ من أهلِ المغرب، وكان يقصدُ لروايته للبخاريَّ، وصحَّة ضبطِه له،
وكان أكثرَ من أدخلَ أهلَ الحديثِ المغاربة في علمِ الكلام؛ فقد أخذَ عنه
أبو عمرانَ الفاسيِّ، وأبو الوليدِ الباقيانيِّ، ومكتئِي بنِ أبي طالبِ، وجماعةً.

وسمعَ من الجونيِّ جماعةٌ من المغاربة؛ كابنِ أبي حمزةِ الأندلسيِّ،
ومحمدِ الميورقيِّ، وأبي القاسمِ المعاافريِّ، ورَحَلَ بعضُ أصحابِه
المشارقة إلى المغرب معلِّمين؛ كأبي نصْرِي سهليِّ بنِ عثمانَ النيسابوريِّ، ثمَّ

لِقِيَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ أَصْحَابَ الْجُوَيْنِيِّ فِي الْمَشْرِقِ؛ كَالْغَزَالِيُّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ الْجُوَيْنِيَّ نَفْسَهُ؛ فَأَخْذَ عِلْمَهُ وَنَشَرَهُ فِي الْمَغْرِبِ وَاتَّسَعَ.

وَلَمْ يَكُنْ مَدْهُبُ الْمُتَكَلِّمِينَ - التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيْضُ التَّامُ - مَنْتَظِمًا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَدْنِيِّ، وَلَا رَوَاجَ لَهُ مُسْتَمِرٌ، وَإِنَّمَا فِي أَفْرَادٍ وَزَوَّابِا، حَتَّى آخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «إِنَّ الْأَشْعُرِيَّةَ قَامَتْ لَهُمْ سُوقٌ بِصِيقْلَيَّةِ الْقَيْرَوَانِ، ثُمَّ رَقَّ أَمْرُهُمْ»^(١).

وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِمْ وَإِدْخَالُهُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ فِي الاعْتِقَادِ يَسْتَنْكِرُهُ عُلَمَاءُ الْمَغْرِبِ، وَرِبِّيَا بِالْعُوْنَى فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ الْقَحْطَانِيُّ يَصِفُّهُمْ فِي «قَصِيدَتِهِ» بِـ«الْزَنَادِقَةِ»، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَصِفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ^(٢)، وَمِنْ بَعْدِهِ فَعَلَ ابْنُ حَزْمٍ، وَسُمِّيَّ مَقَالَتِهِمْ بِـ«الْمَلْعُونَةِ»^(٣)، حَتَّى ذَكَرَ الْمَرَأَكُشِيُّ فِي «الْمُعَجَّبِ»: أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ كَفَرُوا كُلًّا مِنْ دَخَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ^(٤)، وَكَانَ بَعْضُ الْأَئِمَّةَ يُسَأَّلُ عَنْ حُكْمِ لِعْنِ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَسَبَّهُمْ؛ كَمَا سُئِلَ ابْنُ أَبِي زِيدٍ، وَابْنُ رَشِيدٍ^(٥).

وَالإِشَارَاتُ فِي تَفْوِيْضِ الْحَقِيقَةِ فِي كَلَامِ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمَغَارِبِ، لَا تَعْنِي: أَنَّهُمْ يَؤْصِلُونَ لِذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرَاتٌ عَارِضَةٌ يَقْرِرُونَ فِي نَظَائِرِهَا خَلَافَهَا؛ مَا يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى أَصْوَلِ الْكَلَامِ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْوِيْضِ التَّامِ، وَإِشَارَاتُ التَّفْوِيْضِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَغَارِبِيِّ الْمُتَقَدِّمِينَ نَظِيرُ إِشَارَاتِ التَّشْبِيهِ فِي كَلَامِ بَعْضِ الْمَشَارِقِيِّ الَّتِي لَيْسَتْ أَصْلًا لِدِيْهِمْ؛ يَقْرِرُونَ خَلَافَهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ النَّظَائِرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصَّفَاتِ وَإِمَارَاتِ

(١) «الْفَصْل» (٤/١٥٥).

(٢) «الْتَّوْنَيْة» (١٨٧).

(٣) «الْفَصْل» (٤/٣٤).

(٤) «الْمُعَجَّب» (ص ١٣١).

(٥) «مسائل ابْنِ رَشِيدٍ» (٢١٥ و ١٥٣).

نحو صِحَّها؛ بلا تكييفٍ ولا تفسيرٍ ولا تشبيهٍ؛ حتى كانوا يُسمونَ من خُصُوريِّهم بـ: «الْحَشَوَيَّة»؛ كما قال أبو القاسم بن حَوْقَلٍ في أهلِ السُّوسِ: «وَالْمَالِكِيَّةُ مِنْ فُطَاطِ الْحَشَوَيَّةِ»^(١).

وكلما تقدَّمَ الزَّمَنُ في المغَربِ، اتسَعَ القولُ بالكلامِ مع الأعوامِ، حتى تقرَّرَ وثَبَّتَ ورسَخَتْ أصْوَلُهُ في مجالِسِ الْعِلْمِ والكتَّبِ بأيدي المغارِبةِ أنفِسِهِمْ، بعدَمَا كانَ بأيديِ غَيْرِهِمْ.

وثانيها: انتقالُ كتبِ المشارقة إلى المغَربِ مع الرُّسُلِ والْمُسَاخِ، وقد كان بعضُ المعتزلةِ مِنْ يزعمُ اتباعَ مذهبِ مالكٍ في العرَاقِ، يُكتَابُ أصحابَ مالكٍ بالمغَربِ بالاعتزالِ ويدعوهم إليه؛ فقد كتبَ عليٌّ بنَ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيُّ رسالَةً إلى أهلِ المغَربِ بالقِيَرْوَانِ يدعوهم إلى الاعتزالِ، ونَفَى القدرِ، وَخَلَقَ الْقُرْآنَ، ويزعمُ أنَّ هذا مذهبُ مالكٍ بنِ أَنَسٍ؛ لأنَّه يَعْلَمُ إجلالَه لِمالكٍ وقولِهِ، وقد ردَّ عليه جماعةٌ من المغارِبةِ، ومنهم ابنُ أبي زَيْدٍ في رسالته «الرَّدُّ على الْقَدْرِيَّةِ»^(٢).

وكانت بعضُ كتبِ ابنِ مجاهِدِ صاحِبِ أبي الحَسَنِ قد أدخلَتِ المغَربَ؛ ككتابِهِ: «عُقُودُ أهلِ السُّنَّةِ»، ورسالتِهِ فيما التَّمَسَّهُ أهلُ التَّغْرِيرِ من شرحِ أصولِ مذاهبِ المتعَدِّدينِ.

وثالثُها: انتقالُ بعضِ المشارقة إلى المغَربِ مِنْ له نَظَرٌ في الفلسفةِ والكلامِ، وهذا قليلٌ؛ كالْحُسَينِ بنِ حاتِمِ الْأَذْرِيِّ نَزِيلِ الْقِيَرْوَانِ، صاحِبِ أبي بكرِ الْبِاقَلَانِيِّ^(٣)، ولِكِنَّ الْأَذْرِيُّ موصوفٌ بالضَّعْفِ في علمِ الكلامِ، وكان أبو محمدٌ بنُ عَطِيَّةَ الْأَنْدَلُسِيُّ في فهْرِسِهِ يَصِفُّ بِبَلَادِ الْذَّهَنِ في علمِ

(١) «صورة الأرض» (١٩١/١).

(٢) انظر: «ترتيب المدارك» (٦/٢١٨)، و«شجرة النور» (ص ٩٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٤٧١/٤١).

الأصول، وكان نحوياً يأذن له شيخه البافلاني أن يصحح كتبه من جهة التّحوُّل، ويئها عما عدا ذلك^(١).

﴿أثُرُ الاعتزال في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة﴾

وقد بلغت المعتزلة المغرب بالكلام والنظر، وعامة أهل المغرب أهل حديث وأثر، وكان دخول علم الكلام على طريقة الأشاعرة مؤثراً في تلقّي المغاربة له؛ لأنّه الحجّة التي يرددون بها على المعتزلة؛ فيرددون عليهم بلغتهم، ولو دخل علم الكلام المغرب على طريقة الأشاعرة أول الأمر، لم يكن له قبول ولا نظر ولا تمكّن، ولكن سبقة شرُّ الاعتزال وفتّتها؛ فرق علم الكلام بعضاً بعضاً.

وقد ذكر الفيلسوف ابن ميمون القرطبي في القرن السادس^(٢) : أنَّ علم الكلام على طريقة المعتزلة نشأ في مسلمي المغرب قبل دخوله على طريقة الأشاعرة فيهم، حتى أخذ يهود الأندلس علم الكلام من المعتزلة.

﴿مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللّبن معه﴾

ومن هذا الباب: مدح جماعةٍ من الأئمَّة بعض المنظرين من المتكلمين على طريقة الأشاعرة؛ لأنَّ غالبهُ كان مفترناً بزمانِ شدَّةِ النَّزاع بين المعتزلة والأشاعرة، وكان لهم فضلٌ في صدِّ عادية المعتزلة، وكان ابن أبي زيد يُنتهي على الأشعريّ، مع كونه ليس من أهل الكلام ولا النظر فيه، بل كان محذراً منه.

وثناؤه على الأشعري وأصحابه إنما كان لأئمَّةِهم على أهل البدع، وردهم على المعتزلة والجهمية، وقد قال في أبي الحسن الأشعري لِمَا وقع فيه المعتزلة: «هو رجل مشهور؛ أنه يردد على أهل البدع وعلى

(١) «دلالات العائرين» (١/١٨٠ - ١٨١).

(٢) «فهرس ابن عطية» (ص ٥٥).

القدرية والجهمية، متمسك بالسنن»^(١).

ومثل هذا قاله في الذب عن ابن كلاب^(٢).

وهذا من فتو ابن أبي زيد ودرايته؛ أنَّ مَنْ اتَّرَى مِنَ الْمُخَالِفِينَ لِصَدْ عَادِيَةِ الزَّنَادِقَةِ وَمَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ مُخَالَفَةً، لَيْسَ مِنَ الْفَقِهِ دَفْعَةُ بَذَاتِهِ؛ لَأَنَّهُ بَابٌ لَوْ كَثِيرٍ، لَفْتَحَ عَلَى السُّنْنَةِ بَعْدِهِ شَرٌّ أَعْظَمُ لَا يَقُولُ بِهِ غَيْرُهُ، وَيَعْضُّ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنْنَةِ وَالْأَثَرِ يَعْاْمِلُ كُلَّ مُخَالِفٍ بِالنَّظَرِ إِلَى مُخَالَفَتِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شَرُورٍ مَدْفُوعَةٍ بِهِ، وَكَانَ يَسْعَهُ بَيَانُ السُّنْنَةِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَعَدَمُ كَسْرِ بَابِ بِدْعَةٍ يَدْخُلُ عَلَى الإِسْلَامِ مِنْهُ بِدْعَةً أَكْبَرُ مِنْهَا.

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْأَئِمَّةِ فِي التَّعَالَمِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ؛ يَحْفَظُونَ السُّنْنَةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَمِنْ حِفْظِهِمْ: تَقْدِيرُ مَرَاتِبِ الْمُخَالِفِينَ وَأَحْوَالِهِمْ؛ فَفَرَقٌ بَيْنَ مُخَالِفٍ وَجَهَهُ إِلَى بِدْعَةٍ أَشَدَّ مِنْ بِدْعَتِهِ يُحَارِبُهَا، وَبَيْنَ مُخَالِفٍ وَجَهَهُ إِلَى سُنْنَةٍ يُحَارِبُهَا، وَلَوْ كَانَتْ مُخَالَفَةُ الثَّانِي أَخْفَى، فَرِبَّمَا شَدَّدُوا عَلَى الثَّانِي، وَخَفَّفُوا فِي الْأَوَّلِ.

وقد كان أبو عثمان الصابوني يُثني على أبي منصور البغدادي، ويعظمُهُ؛ لِمَقَامِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعَتَزِّلَةِ، مع كونهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ^(٣).

وقد كان ابن أبي زيد على هذا النهج، ومعتقدُه يبيّنه ما كتبه وقاله، ولا يؤخذُ مِنْ مَضَامِينَ الشَّاءِ وَالْمَدْحِ لِلأَعْلَامِ.

وقد كان ابن أبي زيد على طريقة مالك وأحمد، وكان مُعظَّماً لأحمد، وكان يقول: «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَنْبَلٍ بِهِ يُقْتَدَى، وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا، وَمَا أَنْكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْكَرْنَاهُ»^(٤).

(١) «تبيين كذب المفترى» (ص ١٢٣).

(٢) «تبيين كذب المفترى» (ص ٤٠٥).

(٣) «تبيين كذب المفترى» (ص ٢٥٣).

(٤) «تبيين كذب المفترى» (ص ٤٠٨).

ونسبة ابن أبي زيد في المغرب لطريقة الأشعري قديمة؛ بسبب ما تقدم ذكره من نصرة الأشعري وأصحابه في سياق صد المعتزلة والجهمية. وقد بين أبو نصیر عَبْدُ اللَّهِ السَّجْزِيُّ وهو في أوائل القرن الخامس - في رسالته «الرَّدُّ على مَنْ أَنْكَرَ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ» - خطأً ظنًّا بعض المغاربة أشعريَّة ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي؛ فرسالتُه على طريقة السلف؛ كما في «رسالتِه»، و«جامعِه»، وبقيَّة كتبه، ومثلُه القابسي كما في كتابِه في «الاعتقاد».

وابن أبي زيد يُثْبِتُ الصِّفَاتِ اللَّهُ عَلَى ظَاهِرٍ يُلْبِقُ بِالخَالِقِ، لا بِالْمُخْلُوقِ، بلا تكييف؛ وهذا ظاهرٌ في إثباتِه لصفة الـيَدَيْنِ، والرُّضَى والسَّخَطِ والغَضَبِ، والتَّزوِيلِ والْمَجِيءِ، والضَّحْكِ وغَيْرِهَا.

كتابُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ فِي الْعَقَائِدِ:

وبهذا بدأ علم الكلام يظهر في المغرب ويُنشئُون في تقرير بعض علمائها؛ على سبيل الاستطراد، لا على سبيل التأصيل؛ فيكونُ منتشرًا في ثنايا بعض كلامهم وفتاويهم، وربما جرى في كلام بعض أئمتهم في أواخر القرن الرابع والخامس ممَّن هو على طريقة السلف، ويحلُّ من علم الكلام؛ فأدركه بعضُه في فروع تقريراته، لا في تأصيلاته.

ولهذا بدأ المغاربة بالكتابة في العقائد وأصول الدين وبيان الحق فيما اعتقاد خلافة من الباطل، من غير تخصيص القائل بتلك البدعة، وهذه عادة العلماء عند بدء ظهور البدع من المغمور: تقريرُ الْسُّنَّةِ وإبطال الْبِدْعَةِ، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ صَاحِبِها؛ حتَّى لا يُذَكَّرُ عليه:

فمنهم: مَنْ كَتَبَ بِأَعْيَانِ الْبَدْعِ؛ كَمُحَمَّدِ بْنِ سُحْنَوْنَ فِي كِتَابِ «الْحُجَّةِ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ»، وَكَبِيجِيِّ بْنِ عُمَرَ الْكِنْدِيِّ السُّوْسِيِّ فِي كُتُبِه: «الرَّدُّ

على المُرْجِحَةِ»، و«الرُّؤْيَا»، و«الْمَيْزَانُ»، وكأبي عُثْمَانَ الْحَدَادِ في كتابه: «الاستواء»، وأبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبِ الزَّنَاتِيِّ، وابنِ أبِي زَيْدٍ لَهُمَا كُتُبٌ في: الرد على القدرية.

ومنهم: مَنْ أَجْمَلَ بِيَانِ مَعْنَقِ الدِّينِ السَّلْفِ، وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ الْمَغَارِبِ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي تَقْرِيرِ أَصْوَلِ الْعَقَائِدِ عَامَّةً: أَبُو الْقَاسِمِ مَسْلَمَةُ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَرْطَبِيُّ فِي كَتَابِهِ: «تَبَيِّنِ أَصْوَلِ السُّنَّةِ»، وَحَفِظَ مَا لَا يُبَدِّلُ لِلْعَمَلِ مِنْهُ بِشَاهِدِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ^(١)، وَقَدْ تُوفِيَ مِنْ تَنْصُفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ بِثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَامًا، وَضَمَّنَ كَتَابَهُ رَدًا عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَاشْتَكَى مِنْ فُتُورِ الْبِدْعَةِ، وَبَيْنَ قَوْلِ السَّلْفِ فِي كَلَامِ اللَّهِ، وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَعُلُوِّ وَاسْتَوائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَنَزُولِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْمُنْعَلِّيَّاتِ، وَإِثْبَاتِ صَفَاتِهِ سَبْحَانَهُ، وَفَضْلِ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكِ مِنْ مَسَائلِ الاعْتِقادِ.

﴿أَصْوَلُ مَالِكٍ وَفَرُوعُهُ، وَأَحْوَالُ أَصْحَاحِهِ فِي الْمَغْرِبِ﴾

وَقَدْ كَانَتْ عَامَّةً أَهْلِ الْمَغْرِبِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ عَلَى مَلْهِبِ مَالِكِ فِي الْأَصْوَلِ وَالْفَرُوعِ، فِي الاعْتِقادِ وَالْفَقْهِ، وَقَدْ شَاعَ مَذَهَبُ مَالِكٍ فِي الْمَغْرِبِ فِي حَيَاتِهِ، وَكَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى مَذَهِبِهِ وَأَصْوَلِهِ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ زَمَانًا وَمَكَانًا، وَأَقْرَبُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَصْوَلِهِ وَفَرُوعِهِ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ زَمَانًا، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مَالِكٍ مِنْ الْمَغَارِبِ عَلَى طَافَتَيْنِ:

* الطائفة الأولى: الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ سَمْعِ مَالِكًا وَأَخْذَ عنْهُ، وَمَنْ اتَّهَى نَهْجَهُمْ؛ كَعَبِ الدِّينِ بْنِ فَرُوخِ الْفَارَسِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَقَدْ كَانَ مَالِكُ يُجْلِهُ وَيَعْظِمُهُ، وَقَيلَ: «إِنَّهُ كَانَ يَسْمِيهُ فَقيْهَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ»^(٢).

(١) مطبوع بتحقيق: رضوان بن صالح الحصري.

(٢) «رياض النقوس»، (١/١٧٧).

وكَبْلُولِ بن راشد القیروانی، وأبی الحسن علیٰ بن زیاد التّونسی، وقد قال أبو سعید بن یوئن: «إنه أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ «الموطأً»، و«جامع سُفیانَ» المغیرب^(١)، وفسّر لهم قول مالک، ولم يكونوا يَعْرِفُونَهُ، وكان قد دَخَلَ الحجاز وال伊拉克 في طلب العلم، وهو معلم سُخنُون الفقة.

وكان سحنون لا يَقْدِمُ عليه أحداً من أهل إفريقيَّة، ويقول: «وما أَنْجَبَتْ إفريقيَّةً مثْلَ علیٰ بن زیاد»^(٢)، وقد فضله على المصريين.

ومن هذه الطَّبَقَةِ: عبد الله بن غانم الإفريقيُّ القیروانی، وكان مالك يُحَجِّهُ ويُحلِّهُ، وإذا التقاه، اشتغلَ به عن أصحابه؛ حتى قيل: «إنه عَرَضَ عليه ابنته، ويقيمُ عنده»^(٣)، وكان أصحابُ مالك إذا رأوه، قالوا: «شَغَلَهُ المَغْرِبِيُّ عَنَا»^(٤)، ولما وَلَيَ قضاة المغیرب، أعلَمَ مالكَ بذلك أصحابه، وُسِّرَّ به، وكان مالك يَكَانِيُّ وهو في القیروان؛ كما جاء في «المدونة»^(٥).

ومنهم: أبو محمد الغازی بن قيس الأمويُّ القرطبيُّ، وصِقلَابُ بن زیاد الهمدانیُّ القیروانیُّ، وأبُو جعفر موسى بن معاویة الصُّمَادِجِيُّ، وأسدُ بن الفرات الحَرَانِيُّ القیروانیُّ قاضي القیروان، وعيسى بن دینار القرطبيُّ، وعَبَّاسُ بن أبي الوليد الفارسيُّ التونسيُّ، وأبُو مسعود بن أشرسَ التُّونسِيُّ، وأبُو خارجة عَنْبَسَةُ بن خارجة الغافقيُّ، وأحمدُ بن أبي مُحرِّز، وعبد الله بن أبي حسان البَحْصَبِيُّ، ويحيى بن يحيى اللَّيْثِي الأنْذَلِسِيُّ، وأبُو عبد الله زیادُ بن عبد الرحمن القرطبيُّ، وأبُو عبد الله محمدُ بن سعید بن بشير بن شراحيل.

(١) «ریاض النقوس» (١/٢٣٥).

(٢) «ریاض النقوس» (١/٢٣٤).

(٤) «ترتیب المدارک» (٣/٦٦).

(٥) «المدونة» (١/٢١٧).

(٥) «المدونة» (٢/٥٩٥).

وهو لاء كلهم سمعوا من مالك بن أنس، ونقلوا قوله إلى المغرب، يروون عن مالك السنة والأثر والفقه، وكانوا يكرهون الكلام ومعارضة السنة بالرأي، وأصولهم أصول مالك، وفروعهم فروعه، وكانوا في العقائد يجرون على أصلٍ وفرعٍ واحدٍ، ولم يكن بينهم فيه نزاع، وإنما اختلافهم في الفروع، وبذل على ذلك: أنهم لا يكتبون في العقائد إلا تبعاً، لاستقرار الأمر على الأمر الأول.

ولمَّا بلَغَ أسدَ بنَ الْفُرَاتِ قاضيَ الْقِيرَوانَ: أَنَّ بِشَرَّاَ الْمَرِيسيَّ كَتَبَ كتابَهُ «الْتَّوْحِيد»، قَالَ: «أَوْجَهُ النَّاسُ التَّوْحِيدَ حَتَّى يَضْعَ لَهُمْ بِشَرٌّ فِيهِ كِتابًا؛ هَذِهِ نُبُوَّةٌ ادْعَاهَا»^(١).

وكانوا يعرِفُونَ مصْدَرَ الْبَيْعِ الشَّرْقِيَّةِ وأصْوَلَهَا، وقد كان ابنُ أبي حَسَانَ صاحبُ مالكٍ قالَ فِيمَنْ يَفْاضِلُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «لَيْسَ هَذَا دِينَ قَرِيشٍ، وَلَا دِينَ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قُمٍ»^(٢).

الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ، وَأَثْرُهُمَا فِي الْخَلَافِ:

وَأَهْلُ الْكَلَامِ أَكْثَرُ نِزَاعًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثْرِ؛ فَأَهْلُ الْحَدِيثِ نِزَاعُهُمْ فِي الْفَرَوْعِ، وَأَهْلُ الْكَلَامِ نِزَاعُهُمْ فِي الْأَصْوَلِ وَالْفَرَوْعِ، وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي أَصْلٍ، تَنَازَعُوا فِي فَرَوْعَهُ، وَالنَّاظِرُ فِي مَذْهِبِ الْأَشَاعِرَةِ: يَرِي تَشْدِيدَهُمْ فِي الْخَلَافِ فِي الْعَقْلَيَاتِ، وَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمُخَالَفَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْكُفَرِ وَالْابْتَدَاعِ وَالْإِثْمِ، وَبَيْنَ أَئْمَانِهِمْ خَلَافٌ فِي أَصْوَلِهِمْ؛ فَقَدْ خَالَفَ رُؤُوسُهُمْ فِي أَصْوَلِهِمْ؛ كَأَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ، وَالْفَخْرِ الرَّازِيِّ، وَجَلَالِ الدِّينِ الدَّوَانِيِّ:

(٢) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٢٨٧).

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٢٦٤).

فالجُوئنِيُّ: يَرَى أَنَّ القدرةَ الحادِثَةَ تؤثِّرُ في مقدورِها، واستحَلَّ إطلاقَ القولِ بِأَنَّ العَبْدَ خَالِقُ أَعْمَالِهِ، وَأَنَّ فَعْلَ الْعَبْدِ وَاقِعٌ بِقُدرَتِهِ قُطْعَانًا، وقدرتَهُ مُنْفِرَدَةٌ بِالتَّأثِيرِ فِيهِ^(١).

وكذلك قولُ الرَّازِيِّ في «الأربعين»، و«المَطَالِبُ الْعَالِيَّةِ»: إنَّ الصَّفَاتِ إِنَّمَا هِيَ نِسَبٌ وَإِضَافَاتٌ تَحْصُلُ بَيْنَ ذَاتِهِ تَعَالَى، وَبَيْنَ الْمَعْلُومِ وَالْمَقْدُورِ وَالْمَرَادِ^(٢).

وكذلك الجَلَالُ الدَّوَانِيُّ: فَإِنَّهُ يَقُولُ بِعَيْنِيَّةِ الصَّفَاتِ، وَأَنَّ الصَّفَاتِ عَيْنُ الذَّاتِ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا؛ كَمَا فِي «شِرْحِ الْعَقَائِدِ الْعَصْبِيَّةِ»^(٣)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّزَارِ.

ثباتُ أهْلِ الْمَغْرِبِ، وامتحانُهُم بِعِلْمِ الْكَلَامِ :

ولم يكن أحدٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ يَخْوضُ فِي الْكَلَامِ، وَلَا يَقْرَرُهُ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ، ولما امْتَحَنَ النَّاسُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْعَرَاقِ، افْتَدَى كَثِيرٌ مِنَ السَّلاطِينَ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ، وامْتَحَنُوا عُلَمَاءَهُمْ؛ فَامْتَحَنَ بَعْضُ أَصْحَابِ مَالِكٍ؛ كَمُوسَى بْنِ مَعَاوِيَةَ الصَّمَادِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ، وَسُخْنُونَ بْنِ سَعِيدٍ، وَخَلِقٍ، وَتَوْلَى الْمَحْنَةَ قَضَاءً؛ كَفَاضِي الْقَيْرَوَانِ ابْنِ أَبِي الْجَوَادِ، وَكَانَ مَقَامُهُ فِي الْقَيْرَوَانِ قَرِيبًا مِنْ مَقَامِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادِ فِي الْعَرَاقِ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ سُخْنُونُ: «فَرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَبَارُهَا»^(٤).

(١) «النَّظَامِيَّةُ» (ص ٤٢).

(٢) «الأربعين في أصول الدين» (ص ١١٧ وما بعدها)، و«المطالِبُ الْعَالِيَّةِ» (٢/٦ - ١٠٨)، وانظر: تفسيره «مفاصِيحُ الْغَيْبِ» (٧/٣٠٩).

(٣) (١/٢٧٧ وما بعدها)، وانظر: رسالته «إثبات الواجب» (ص ٩).

(٤) «البيان المَغْرِب» (١/١٠٩).

وتَيَّع هُؤُلَاءِ طبَقَهُ تلامِذَتِهِم مَمَّنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ؛ كَزِيدُ بْنُ بَشِيرِ الْأَزْدِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ؛ حِبْتُ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ لِمَا هَرَبَ مِنْ مَضَرِّ
بَعْدَمَا امْتَحَنَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَزَيْدُ بْنِ سَنَانِ الْأَسْدِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ،
وَمُحَمَّدُ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَضْرَمِ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنِ سَحْنُونَ، وَبَكْرُ بْنِ حَمَادَ
الرَّنَانِيِّ التَّاهِرِيِّ، وَأَبِي الْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنِ وَضَاحٍ
الْقَرْطَبِيِّ، وَيَحِيَّ بْنِ عُمَرَ الْكَنَانِيِّ، وَأَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ الْحَدَادِ الْقَيْرَوَانِيِّ،
وَأَحْمَدُ بْنِ نَصْرِ بْنِ زَيْدِ الْهَوَارِيِّ، وَلَقْمَانَ بْنِ يَوسُفَ الْعَسَانِيِّ.

وَقَدْ اسْتَمْسَكَ هُؤُلَاءِ الْأَئِمَّهُ بِالسُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، وَمَا عَلِمُوهُ مِنْ السَّلْفِ
فِي مَسَأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَعَلَوْ اللَّهُ، وَكَانُوا عَلَى مَعْتَقَدِهِمْ مِنْ سَبَقَهُمْ،
وَلَا يَرَوْنَ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ عَمَّا زَادَ عَنِ الْوَارِدِ فِي النَّصوصِ؛ لَا يَتَأوِيلُ
وَلَا تَشْبِيهُ، وَقَدْ كَانَ سُخْنُهُمْ يَقُولُ: «مَنْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ: الْجَهَلُ بِمَا لَمْ
يُخْبِرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ تَقْيِيهِ»^(١).

وَهَذَا نَظِيرُ مَا يَقْرُرُهُ الشَّافِعِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ؛ أَنَّ: «الْفِقْهَةُ فِي
الْكَلَامِ الْجَهَلُ بِهِ»^(٢)؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ يَؤْدِي إِلَى القَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ
نَفِيَا إِلَيْهَا، وَمَتَهِيَ الْفِقْهُ فِي ذَلِكَ: الْكَلَامُ عِنْدَ وَرَوْدِ النَّصْ، وَالْوَقْفُ
عِنْدَ عَدَمِ وَرَوْدِهِ.

وَبَقِيَتْ شَوَاهِدُ الْقَبُورِ بِالْقَيْرَوَانِ شَاهِدَةً عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ؛ حِبْتُ
كُتِبَ عَلَيْهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»،
وَالشَّوَاهِدُ مُؤَرَّخَةٌ بِصَفَرِ عَامَ اثْنَيْنِ وَتِسْعَينَ وَمِتْقَنِينَ، وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقَبُورِ:
شَوَاهِدُ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا الْيَوْمَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»، وَمُؤَرَّخٌ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ عَامَ اثْنَيْنِ وَتِسْعَينَ وَنَلَاثَ مِنْتَهَى.

(١) «الْتَّهَيِّدُ» لابن عبد البر (١٤٦/٧). (٢) «صُونُ الْمِنْطَقِ» (ص ١٥٠).

وقد يرتفع الشر، ويقوى الباطل، حتى إذا ظن بعض الناس أن لا قائمة للحق، أدار الله الدائرة للحق وأهله؛ فالمعتزلة بدأوا الدين، وتسليطوا بالسلطان على المسلمين شرقاً وغرباً:

• في المشرق: حرف القرآن على كسوة الكعبة؛ فكتب عليها: «ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير»؛ أزالوا: «السميع البصير»؛ يقول حنبل: حرجت فرأيت ذلك، فلما قدمت، أخبرت أحمد، فقال: فاتَّهُ الله الخير - يعني: ابن أبي دؤاد - عمداً إلى كتاب الله، فغيره^(١).

• وفي المغرب: أوصى العلماء أن يكتب الحق على شواهد القبور، لما عجزوا عنه على المآذن؛ فواجد العلماء أن يبيّنوا الحق حسب المقدور، والله كفيل بإظهاره.

وببدأ الأئمة يصنفون ويكتبون في بيان المعتقد الحق في ذلك إجمالاً وفصيلاً؛ ككتاب محمد بن وضاح: «رسالة في رؤية الله»، وكتب محمد بن سخنون كتاب «الحجّة على القدرية»، وسعيد بن الحداد كتاب «الاستواء»، وله أيضاً مناظرات مع المعتزلة بالقيروان.

وقد دخل سخنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: «ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله، قال له سخنون: ألسْتَ مصدقاً بالرُّسُل والبُشِّر، والحساب والجنة والنار، وأنَّ أفضل هذه الأئمة أبو بكر، ثمَّ عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأنَّ الله يُرى يوم القيمة، وأنَّه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف، وإنْ جاروا؟ قال: إني والله، فقال: مُتْ إذا شئت، مُتْ إذا شئت»^(٢).

(٢) «رياض النقوس» (١/٣٦٧ - ٣٨٦).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦).

وكان أبو العباس عبد الله بن طالب يقول في خطبته على منبر جامع القيروان، والعلماء والعامّة شهوداً: «الحمد لله الذي يُشكّر على ما به أنّعُم، والحمد لله الذي عذّب على ما لو شاء منه عصّم، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكيه احتوى، وهو في الآخرة يُرى»^(١).

وتبع هؤلاء أئمّة في المغرب؛ كابن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»، وفي المغرب الأقصى من الأندلس: أبو القاسم مسلمة بن القاسم، وابن أبي زمّين، وأبو عمر الطَّلْمَنْكِي، وابن عبد البر، ولم يجرّوا في أصولهم مجرّد أهل الكلام والفلسفة.

وقد مرَّ المغرب بمحن شديدة، ومن أشدّ ما مرَّ به أصحابُ مالك في المغرب من محن في تلك الفرون: حُكم الأغالبة، وحكم الفاطميّين، وحكم الموحّدين؛ الأوّل: حَنْفي - معتزليّ وغيره معتزليّ -، والثاني: باطني، والثالث: أشعريّ غال.

﴿التأویل والتقویض في کلام بعض أهل السنة﴾

وقد يُوجَدُ في تقريراتٍ بعض هذه الطّبقة تفريعاتٍ كلاميّة، لا تأصيلات، أو ما يشابه فروع أهل الكلام ولم يخرج على أصولهم، وتأتي في سياق كلامهم وثانياً استطرادهم، ولا يذكرون تلك الفروع تقريراً، وربما ظنَّ من يقرأ بعض استطراداتهم وتفريعاتهم: أنّ أصولهم كلاميّة، وليس كذلك:

- فابن عبد البر فرَّ عقيدة السلف وأهل السنة في الصفات في قوله: «أهُلُّ السُّنَّةِ مُجَمِّعونَ عَلَى الإِقْرَارِ بِالصَّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٢١٤).

والسُّنَّةِ، والإيمانُ بِهَا، وحملُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا عَلَى الْمَجَازِ^(١)، وأثَبَتَ عَلَوَّ الذَّاتِ، واستوَاءَ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ، وأبْطَلَ قَوْلَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِتَفْسِيرِ الْاِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْاِسْتِيَلاءُ^(٢)، وَلَكِنَّهُ فِي النَّزُولِ حُكْمِيَّ عَنْهُ فِي أَحَدِ الْمَوَاضِعِ أَنَّهُ نَزُولُ الْأَمْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا لَيْسَ مَوْافِقًا لِلْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَصْلِهِمْ فِي الصُّفَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفُضُّ أَصْلَهُمْ فِي ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ، وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى يُثْبِتُ نَزُولَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَيُنْكِرُ غَيْرَهُ.

وَيُوجَدُ مِنْ هَذِهِ الطَّبْقَةِ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ رَبِّيْمَا وَأَفَقُوا الْمُتَكَلِّمِينَ فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ لَا كُلُّهَا؛ كَأَبِي عَمْرِ الدَّانِيِّ، فَهُوَ مِنْ تَلَامِذَةِ الْبَاقِلَانِيِّ، وَلَهُ مَيْلٌ إِلَى بَعْضِ كَلَامِهِ فِي «الرِّسَالَةِ الْوَافِيَّةِ»، وَفِي «الْأَرْجُوزَةِ»، وَرِسَالَتُهُ «الْوَافِيَّةُ» أَخْذَ مَعَانِيهَا مِنْ كِتَابِ «الْإِنْصَافِ» لِلْبَاقِلَانِيِّ، وَقَدْ وَافَقَ فِيهَا الْبَاقِلَانِيُّ فِي الصُّفَاتِ.

وَرَبِّيْمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ خَالَفَ فِي الْإِثْبَاتِ؛ كَمَا فِي قَوْلِ أَبِي عُمَرِ الْطَّلَمَنْكِيِّ فِي إِثْبَاتِ الْجَنْبِ لِلَّهِ^(٣)؛ لَقَوْلِهِ: «يَحْسَرُنَّ عَلَى مَا فَرَطُتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» [الزَّمْر: ٥٦]؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ نَظَرَ لِمَجْرِدِ الإِضَافَةِ لِلَّهِ، وَمَجْرِدُ الإِضَافَةِ لَا تُقْبِدُ إِثْبَاتَ الصَّفَةِ؛ فَلِلْسِيَاقِ مَعْنَى يَجْبُ الْأَخْذُ بِهِ؛ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَنْدِ نَزُولِ الْوَحْيِ، وَلَا يُنْظَرُ لِمَجْرِدِ الْلَّفْظِ، فَقَدْ يُضَيِّفُ اللَّهُ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ مَخْلوقٌ مِنْ مَخْلوقَاتِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «نَافَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» [الشَّمْس: ١٣]، وَقَوْلِهِ: «وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ» [الْفَرْقَان: ٦٣]، وَقَوْلِهِ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: (سَيِّفُ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ)^(٤).

(١) «التمهيد» (١٤٥/٧). (٢) «التمهيد» (٧/١٣٠ - ١٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥٦٩/١٧).

(٤) البخاري (٤٢٦٢ و ٣٧٥٧) من حديث أنس.

والمراد من جنْبِ الله: هو الْقُرْبُ؛ فَمَنْ فَرَطَ فِيمَا يَقْرُبُهُ مِنْ أَحَدٍ،
فَقَدْ فَرَطَ فِي جَنْبِهِ.

* **الطائفة الثانية:** طائفة كثُرَ فيها تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام، وكان ذلك في كثيرٍ من أصولهم، ولم يكن ذلك في فرع منها ولا في أصلٍ واحدٍ، وإنما كان ذلك كثيراً أو غالباً؛ وذلك كأبي الوليد الجاجي، وأبي بكر بن العربي، وتلميذه القاضي عياض، ومن هؤلاء من يردد على المتقديرين ويُخْطئُهم كابن العربي في رده على ابن أبي زيد في قوله في استواء الذات، وعلى ابن عبد البر وغيره؛ كما في كتابه «العارضة»، و«العواصم».

وهذا يدلُّ على البُؤُنَ بين الطائفتين، وسَيِّرُ الأوَّلِينَ على طريقة السلف.

* **وبين الطائفتين:** مَنْ لَهُ أصوْلٌ يُوَافِقُ فِي بعْضِهَا أَهْلَ الْكَلَامِ، وَلَهُ أُخْرَى أَكْثَرُ: خَلَافُ ذَلِكَ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ الْقَابِسِيِّ فِي جَعْلِ الْإِيمَانِ هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطُّ، وَيُنْصَّ عَلَى إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنْهُ، وَلَهُ كِتَابٌ «الْمُنْقِذُ فِي شُبُّهِ التَّأْوِيلِ»، وَلَمْ أَرَهُ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي الاعْتِقادِ، ذَكَرَ فِيهِ: «أَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى السَّمْعِ، وَأَنَّ الْجَدَلَ وَعِلْمَ الْكَلَامِ مَذْمُومٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يَدْعَيْنِ؛ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْأَثْرِ»^(١)؛ وَلَهُذَا عَذَّةُ أَبُو نَصِيرِ السُّجْزِيِّ مِنْ سَلَكَ طَرِيقَ السلف فِي الاعْتِقادِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَقْرُرُ عَلَى أصوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعٍ، وَفِي مَوْضِعٍ عَلَى أصوْلِ السَّلَفِ وَأَهْلِ الْأَثْرِ؛ كَمَكْيَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَإِنَّ لَهُ شَيْئاً مِنَ التَّأْوِيلِ فِي كِتَابِهِ: «الْهِدَايَةُ، إِلَى بَلوغِ النَّهَايَةِ»، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِ

(١) «رسالة السجزي» (ص ٣٥١).

أبي ذر الهروي، وابن أبي زيد، وقد تأول الاستواء وصفة اليد؛ فجعلهما بمعنى القدرة في موضع^(١)، والأكثر تصریحه بالإثبات، وقد قال: «وأحسن الأقوال في هذه: «عَلَا»، والذي يعتقدُه أهل السنة ويقولونه في هذا: أن الله جل ذكره: فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وله - تعالى ذكره - كرسيًّا وسَعَ السموات والأرض؛ كما قال جل ذكره؛ وكذلك ذكر شيخنا أبو محمد بن أبي زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

ومن الأئمة: من يفسر الخبر بما يظهر منه التأويل، وهو أراد معنى من معانيه، لا حقيقته؛ فإن من معاني العلو: القدرة؛ فلا يعلو إلا قادرًا قاهرًا؛ كما أن من معاني القدرة والقهر: العلو؛ فلا يقهر ويقدر إلا عالٌ؛ فيُظَنُ أنه يتأول، ولو نظر إلى قوله في موضع آخر، لبان معتقدُه، وإن قصر قوله في موضع آخر.

والكلام في المتأخرین من المالکیة أكثر من المتقدمین، حتى كان من هذه الطبقة: من يُنکر على من لم يجر على طريقة أهل الكلام؛ كما حظَ ابن العربي على ابن حویز متداد، وابن أبي زيد.

وانما ظهر بعض كلام الأشعري في قليل من كلام أبي الحسن بن القابسي، وبعض تلامذته؛ كأبي عمران الفاسی على ما تقدّم، وتوسّع في بعض تلامذة أبي عمران؛ كأبي محمد عبد الحميد بن الصائغ القبروانی، وفي بعض تلامذة الصائغ؛ كمحمد بن علي المازري شارح «مسلم» بكتابه «المعلم».

ومن طبقة الصائغ في المغرب: أبو بكر محمد بن الحسن المراودي الحضرمي القبروانی، صاحب «التجريدة»، في علم الكلام، وتلامذة،

(١) «الهدایة» (١/٢٠٩ و٥/٣٦٦٤). (٢) «الهدایة» (٧/٤٦١٠).

كأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي، وأبي عبد الله محمد بن خلف الإلبيري صاحب «الأصول»، إلى معرفة الله والرسول، و«الرَّدُّ على أبي الوليد بن رشد»، في مسألة الاستواء، وكان الإلبيري معظمًا للجوياني.

وقد أخذ علم الكلام عن هذه الطبقة: القاضي عياض؛ فقد أخذ عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الضرير، وقد كان نظم «الإرشاد» للجوياني وتأثر به.

وقد أذاعه ابن تومرت في منتصف المئة السادسة بسلطانه، وأبو بكر بن العربي بمنقوله؛ وكلاهما أخذ عن الغزالى في المشرق.

وليس في عامّة المغرب الأدنى والأقصى حتى المئة الخامسة أشعري خالص الأشعري على طريقة المتأخرین، وإن قيل، فهي ظنون لا برهان عليها؛ فليس الثناء ولا التلمذة يدخل أحداً في مذهب أحد، ولا الموافقة في قول يدخل أحداً مع أحدٍ في الموافقة على الأصول.

وإن كان بعض المتكلمين على طريقة الأشعري من المتأخرین ينسب بعض المتقدمين لطريقتهم، فلا والله وافقهم في موضع أو موضع، وليس لهم كتب ولا أصول منقوله تدل على تلك النسبة التامة.

ومن ذلك: ما ينسب إلى إبراهيم بن عبد الله الزبيري القلانيسي، ودراس بن إسماعيل، القيروانين، وكان قبل ابن أبي زيد، وليس لهما كتب في العقائد بين أيدي الناس اليوم، ووجود بعض المسائل المنقوله عنهم المشابهة لما عليه الأشاعرة شبيه بما عليه بعض الأئمة قبل الأشعري بما يشابهه في بعض أصوله؛ فالموافقة في مسائل لا تعني الموافقة في المدرسة والأصول.

ولمَا تمكّن محمد بن تومرت في القرن السادس من المغرب، نشر

الأشعرية المتأخرة المفوضة بالجملة والمتاؤلة، وأطر الناس عليها، وفتن المخالفين وشردهم، وسمى أتباع مذهبـه: «الموحدين»؛ لـمـرـا للمخالفين، وكان يسمـي من سـبـقـهـ من أهلـ المـغـرـبـ بـ: «المـجـسـمـةـ»؛ يـريـدـ المـشـيـةـ التي لا تـأـوـلـ، من المـرـاـبـيـنـ وـغـيرـهـ.

وفي زـمـنـ ابنـ ثـوـمـرـتـ وماـ بـعـدـهـ: قـويـ علمـ الكلـامـ فيـ المـغـرـبـ، وأـطـرـ النـاسـ عـلـىـ الـظـاهـرـيـةـ فـيـ الـفـروـعـ، وـعـلـىـ الـأـشـعـرـيـةـ فـيـ الـأـصـولـ، وـشـعـرـ عـلـىـ الـمـخـالـفـيـنـ، وـأـحـرـقـ كـتـبـ الـمـالـكـيـةـ، وـكـفـرـ أـهـلـ السـنـنـ بـحـجـةـ أـنـهـ مـجـسـمـةـ، وـذـكـرـ أـبـوـ بـكـرـ الـبـيـدقـ: أـنـهـ سـيـيـثـ نـسـاـؤـهـ لـأـجـلـ ذـلـكـ، وـانـشـرـتـ كـتـبـ ابنـ ثـوـمـرـتـ «الـمـرـشـدـةـ»، وـ«أـعـزـ ماـ يـطـلـبـ»، وـشـاعـ تـدـرـيـسـ كتابـ «الـإـرـشـادـ» للـجـوـنـيـ.

ثم جاء أبو عمرو السلاجي في القرن السادس، وتصدى لتعليم عقيدة ابن ثومرث، وألف «العقيدة البرهانية»^(١)، وبقيت عادة المغاربة في علم أصول الدين إلى اليوم، ولا يزالـها إلا كـتـبـ المـتـأـخـرـيـنـ؛ كالـسـنـوـسـيـ فيـ الـقـرـنـ النـاسـيـ فـيـ رـسـالـتـهـ «أـمـ الـبـرـاهـيـنـ»، وـ«الـعـقـيـدـةـ الـصـغـرـيـ»، وقد كانت في المـغـرـبـ دـوـلـةـ المـرـاـبـيـنـ، وـكـانـ أـوـلـهـ خـيـرـاـ مـنـ آخـرـهـاـ، ثـمـ تـعـنـتـهاـ دـوـلـةـ الـمـوـحـدـيـنـ، وـكـانـ آخـرـهـاـ خـيـرـاـ مـنـ أـوـلـهـاـ.

وكان في المـغـرـبـ قـبـلـ الـمـوـحـدـيـنـ مـنـ يـصـنـفـ فـيـ الـاعـتـقـادـ عـلـىـ طـرـيقـةـ الـمـتـكـلـمـيـنـ؛ كـأـبـيـ بـكـرـ الـمـرـادـيـ الـحـضـرـمـيـ، وـكـانـ يـعـدـهـ عـيـاضـ مـنـ أـدـخـلـ عـلـمـ الـعـقـائـدـ بـهـذـهـ الـطـرـيقـةـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ.

وقد أحـدـ ابنـ ثـوـمـرـتـ مـذـهـبـهـ مـنـ رـحـلـتـهـ إـلـىـ الـمـشـارـقـ الـمـتـكـلـمـيـنـ؛

(١) وهو مطبوع بتحقيق: نزار حمادي.

كما ذكر ذلك: أبو الحجاج بن طمُوس^(١)، والناصري^(٢)،
وابن خلدون^(٣)، وابن تيمية^(٤).

ولم يكن ابن تومرت يدعى الاعتزاز، وقد نسبه إلى الأشعرية
جماعة؛ كالسبكي^(٥) وغيره، وربما نسبه إلى الاعتزاز بعض من يستبشر
أفعاله وظلمه وبغيه من الأشاعرة، وعلم الكلام سبق إليه المعتزلة، ومنهم
أخذة الأشاعرة، والاعتزاز فكر انتشر في طوائف، وليس جماعة
منتظمة لها أصولها وفروعها؛ لأن الاعتزاز علم كلامي، وقد تغلغل في
الرافضة والزيدية والإباضية، والأشاعرة وغيرهم.

والمنذهب الأشعري تدرج حتى آتى إلى ما آتى إليه، ولم يكن أئمه
في المبتدئ كائمه في المُنتَهَى، ومنذهب المتأخرین غير مذهب
المتقدّمين.

وعلم العقائد علم ثابت لا يتسع كعلم الفقه، وإنما اتسع لدى
المتكلمين وتدرجوا في تطويره؛ لأنهم أجروا فيه علم الكلام، كما أجرى
الفقهاء في الفقه علم الرأي.

فالمتقدّمون الأشعري وأصحابه؛ كأبي الحسن الطبرى،
وابن مجاهد، وتلامذتهما؛ كالقاضي الباقلاوى: يُشترون الصفات الحجراوية،
ولا يتأولونها؛ كالوجه واليد، والعلو والاستواء، وأمام الطبقة التي تليهم؛
كالجحونى، والغرزالى، فيتفونها.

والأشاعرة منهجه قبل أبي الحسن الأشعري، وإن سُمي به، وهو

(١) «المدخل لصناعة المنطق» (ص ١٠). (٢) «الاستقصا» (١٩٦/١).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (٦/٣٠١ - ٣٠٢). (٤) «مجموع الفتاوى» (١١/٤٧٦).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/١٠٩ و ٨/١٣٨).

مسلك جرّى عليه بعض أهل العربية؛ كأبي زكريّا يحيى بن زياد الفراء، وأبي العباس محمّد المبرّد، وغيرهم، ثم بدأ يلتئم شعاعه ويجتمع شتاوته بعد ذلك.

علم الكلام والإمام مالك بن أنس:

وقد كان مالك من المعظّمين للأثر، المحذّرين من علم الكلام؛ وذلك لأنّ الأثر يقيّد العقل للوقوف عما لا يحسنه، وعلم الكلام يُطلقه ويجسّره باسترسال على ما لا يُبرهان له به؛ حتى يكون منتهاء على حاليين:

- إنما أن يقرّر ما لا يبرهان له به من مشابهة الخالق للمخلوق، ويحدث من لوازم الصفات صفات وتفسيرات، حتى لو كان في صفة ثابتة بالدليل، لم يجز له ذلك الأخذ بتلك اللوازم بطلاق.
- وإنما أن يستحضر باسترساله معاني باطلة؛ فيرجع على أصوله بالنفي والتفضي، ويتحايل على الحقائق بالتأويل والتقويض التام.
- ووالوقوف على الحديث والأثر براءة من الخوض فيما لا علم للإنسان به، وأسلّم لربّيه، وأجمع للمسلمين، من التفرّق في معرفة ربّهم وصفاته.
- ومعلوم أن الرؤوس الذين نشأت فيهم الفلسفة والكلام يقلّ فيهم علم الأثر؛ لأنّ الأثر يحدّ العقل من الخوض فيما لا يعلم، والكلام يُرسّله، ثم إنّه لا حدّ لخيال العقل في الغيبات ولا منتهى له، وكثير من فرعيات المتكلّمين في الأسماء والصفات والغيبات، لا رأي لأهل السنة فيه، ويظنون أنّ هذا علم يعجزون عنه، وإنما يُمسّك أهل السنة عنه؛ تعظيمًا لله، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: **«وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»** [البقرة: ١٦٩]، والمتكلّمون لا ينتهيون إلى فرع.

ولهذا فما من فرقة كلامية إلا كان أئمتها الأولون أخف من المتأخرین؛ لأنهم يتسعون جيلا بعد جيل، وقد قال مالك: «من طلب الدين بالكلام، تزندق»^(١)؛ يعني: منتهاء إلى ذلك، وأمام الآثار: فإنها تحكمهم، وقد قال مالك بن أنس: «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء»^(٢).

وقد كان مالك يحذر أصحابه من علم الكلام لأجل ذلك؛ ومن قوله: «إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يكتون عمما سكت عنه الصحابة والتبعون لهم بإحسان»^(٣).

وقد كان أهل المدينة ينهون عن الخوض في علم الكلام، وهم أعلم الناس بأثره على الحديث، وقد قال مالك ومصعب الزبيري: «رأيت أهل بلدنا - يعني: أهل المدينة - ينهون عن الكلام في الدين»^(٤).

الرأي وعلم الكلام:

والسلف يطلقون «الرأي»، و«علم الكلام»، والأصل في كلامهم: أنهم يقصدون بعلم الكلام: ما يستدل به من المعقول في الأصول من العقائد، ويقصدون بالرأي: ما يستدل به من المعقول في الفروع من الفقه، وكانوا ينهون عن الرأي، وهو باع للخوض في فروع أمرها أيسر.

(١) «ذم الكلام» للهروي (٨٥٩).

(٢) «الفقيه والمتفقة» (٣٩٠)، و«ذم الكلام» للهروي (٨٦٩).

(٣) «ذم الكلام» للهروي (٨٥٨).

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٠٨ و ٣٠٩).

من الأصول؛ وذلك تعظيمًا للوحى قرآنًا وسُنّة، وانتهاءً إلى ما بلّغه الله لنبيه، وكلٌّ من شدّ في الرأي من السلف، فهو في علم الكلام أشدّ، ولا يوجد إمامٌ منهم نهى عن الرأي، ثم أذن بالكلام، حتى كان من أصحاب مالك - وخاصة المغاربة - من دخل العراق، ولم يسمع من أهل الرأي، ولم يأخذ عنهم الفقه، بل كانت تلك الطبقة من أهل الرأي ينهون عن علم الكلام؛ كما قال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام، ترندق»^(١)، وهو لاء كانوا محل إنكارٍ كثيرٍ من السلف، مع أنهم أدخلوا الرأي في الفروع، لا في الأصول.

نهي مالك عن علم الكلام، ومراده:

وقد كان مالك ينهى عن علم الكلام كله، ولا يستثنى منه شيئاً؛ فهو وإن لم يظهر في زمانه وفي بيته علم الكلام تاماً، كما هو عليه بعده بقرون - إلا أن مالكاً نهى عن الكلام، ولم يستثن، وربط نهيّ عنه بعلل هي متحققة في كل علوم الكلام؛ سواءً ما كان عليه الجهمية أو المعتزلة أو المتكلمون من الأشاعرة.

وبهذا فسره جماعة من أتباع مالك المتقدمين؛ كابن خويز مثلاً، وأبي عمر بن عبد البر، وقد كان ابن خويز ينهى عن قبول شهادة أهل الكلام كافة، وكان ابن عبد البر ينقل كلاماً معتمدًا عليه؛ فقد نقل عنه قوله في تأويل قول مالك: «لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء»؛ قال: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام؛ فكل متكلم، فهو من أهل الأهواء والبدع؛ أشعريًا كان أو غير أشعري».

(١) «الإبابة» لابن بطة (٦٧١/كتاب الإيمان).

ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجّر ويُؤدّب على بدعه؛ فإنَّ تمامَى عليها، استُبيَّب منها»^(١).

ولابن عبد البر كلام في غير موضع من كتبه، لا يرى تقرير ما يتعلّق بالغيبيات ومسائل الصفات بالنظر، ولا يرى المنازرة فيها، ومن ذلك قوله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صَحَّ عن رسول الله، أو أجمعَت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الأحادي في ذلك كله أو نحوه: يُسلِّمُ له، ولا يُناظِرُ فيه»^(٢).

ولما كان التوسيع في البدع الكلامية لم يكن في زمان مالك، ولم يدخل فيه أهل السنة والأئمّة إلا ما ندر، ولم يستعمله كبير أحد في الرد على أهل الأهواء والكلام في عصره -: جعل بعضهم كلام مالك لا يريد به طوائف من المتكلمين الذين استعملوا علم الكلام للرد على المعتزلة وال فلاسفة؛ لأنّهم رأوا أثراً هؤلاً المتكلمين في الرد على الفلسفه والمُعتزلة.

فقد كان البيهقي يحمل كلام مالك على أنه يريد كلام الغلاة، لا الكلام الذي سلّكه بعض أهل السنة من بعده؛ قال: «إنما يريد - والله أعلم - بالكلام: كلام أهل البدع؛ فإنَّ في عضرهما^(٣) إنما كان يُعرف بالكلام أهل البدع، فاما أهل السنة، فقلّما كانوا يخوضون في الكلام، حتى اضطروا إليه بعد»^(٤).

وهذا صحيح في أنَّ مالكا قصد البدع الكلامية التي أظهرها الزنادقة

(١) الموضع السابق.

(٢) «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

(٣) «تبين كذب المفترى» (ص ٣٣).

(٤) يعني: عصر أبي يوسف ومالك.

والمعتزلة والجهمية؛ لأنها هي التي ظهرت في زمانه، ولكن قول مالك ونفيه عن علم الكلام لا يحصر فيها؛ لأن دخول بعض أهل السنة في علم الكلام - مع نذرته - كان في طبقة شيوخ مالك وتلامذتهم، وكان مالك يعلم أنه في بعض شيوخه وبعض تلامذته، وكان يحمد ردهم على أهل البدع به، وسلامة معتقدهم منه، ويحذرهم من الخوض فيه بلا علم من الأثر، ولا تمكّن منه؛ حيث يفهّمون لجهلهم به، فيغتر المبطل بباطلهم لجهلهم؛ كما حذر مالك تلميذه ابن فروخ من ذلك^(١).

وقد اتخذت تلك الطبقة لإبطال باطل المبطلين، لا لاحقاق حق المؤمنين، وظهوره على هذا النحو في شيوخ مالك في ابن هرمز عبد الله بن يزيد المدائني، وقد قال مالك: «كان ابن هرمز رجلاً كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليلاً الكلام، قليلاً الفتيا، شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يفتي الرجل، ثم يبعث في أثره، فيرده إليه حتى يخبره بغير ما أفتاه؛ قال: وكان بصيراً بالكلام، وكان يردد على أهل الأهواء؛ قال: وكان من أعلم الناس بما اختلف الناس فيه من هذه الأهواء!»^(٢).

وظهره في تلامذة مالك على هذا النحو أيضاً: في عبد الله بن فروخ القيرواني، وقد كتب إلى مالك من المغرب يحيره أن بلدة كثيرة البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم؛ فكتب إليه مالك يقول: «إن ظنت ذلك بتفسيك، خفت أن تنزل فتهليلك؛ لا يردد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعرجوا عليه؛ فهذا لا بأس به، وأماماً غير ذلك، فإني أخاف أن يكلّهم فيخطئ؛ فيمضوا على خطئه، أو يظفرُوا منه بشيء؛ فيقطعوا ويزدادوا تمادياً على ذلك»؛ كما نقله أبو العرب في «طبقاته».

(١) «رياض النقوس» (١/١٧٧).

(٢) «تبين كذب المفترى» (ص ٣٥٢).

وكلام مالك ونهاية هو لجميع علم الكلام في الغيبيات؛ كالأسماء والصفات والقدر؛ قليله وكثيرة؛ سواه ما كان عند الفلاسفة وغلبة المتكلمين؛ كالمعتزلة، أو الذي يتخذ الأشاعرة والماثريدية، يردون به على غلة المتكلمين والزنادقة، ثم يقررون به الحق لأهل الحق؛ فهو ينهى عن ذلك كله، وقد قال مالك: «أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكنون عمما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان».

فهو يرى أنَّ كُلَّ قَدْرٍ زَائِدٍ يُؤَدِّيهِ الْكَلَامُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ؛ صحابةً وتابعين -؛ فهو بذلة، مع علمه بما اتخذه بعض شيوخه وتلامذته لرد الباطل، لا لتقرير الحق، وهذا الذي يتافق عليه من بعده؛ كالشافعي، وأحمد.

وقد فَهِمَ مِنْ نَهْيِ مَالِكٍ عَنِ الْكَلَامِ الْعُمُومَ بِلَا إِسْتِثْنَاءِ؛ جماعة؛ كالغزالى في «الإحياء»^(١)، بل جعله قول مالك والشافعى وأحمد.

وقد كان أبو حنيفة من أهل الرأي في الفقه، وينهى عن الكلام في الغيبيات، ويشدد فيه، ويقول: «العن الله عمرو بن عبيدة؛ فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يغتربُه من الكلام»^(٢)، وقد كان ينهى أصحابه عنه؛ كما قال محمد بن الحسن: «كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام»^(٣).

وكان الأئمة ممن سبق مالكا ومن في طبقته ومن جاء بعدهم:

(٢) «ذم الكلام» (١٠٢٠).

(١) «الإحياء» (١/٩٤ - ٩٥).

(٣) الموضع السابق.

يَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ دَرَجَاتٌ وَخُطُوطٌ، وَأَنَّ لَهُ مُبْتَدَىءٌ، وَلَهُ مُنْتَهَى، وَقَدْ يُدْرِكُ بَعْضُ الدَاخِلِينَ فِيهِ آخِرَهُ، وَيَعْصُمُهُمْ يُدْرِكُ مِنْ أَوَّلِهِ شَيْئًا، وَيَمْنَعُهُ مِنِ الْاسْتِرْسَالِ فِيهِ بَشَاعَةٌ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْيٍ وَتَعْطِيلٍ؛ وَلَذَا يَقُولُ ابْنُ مَهْدِيٍّ: «مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَآخِرُ أَمْرِهِ زَنْدَقَةٌ»^(١).

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى نَهَايَتِهِ، نَدِيمٌ مِنْ بَدَائِيَّتِهِ؛ لَأَنَّ أَصْلَ عِلْمِ الْكَلَامِ يُبَيَّنُ عَلَى الْقِيَاسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مَيْتَلَ لَهُ يُشَابِهُ.

﴿الْاسْتِرْسَالُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَثْرُهُ﴾

وَالْحَقُّ: أَنَّ تُؤْخَذُ مَسَائِلُ الصَّفَاتِ وَالْغَيْبَيَّاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا الَّذِي يُلْيِقُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُتَرَكُ مَا سُواهُ، وَكَثِيرٌ مِنِ الْأَئمَّةِ حَاضِرٌ وَسَبَعَ ذَهْنَهُ فِي بَحْرِ الْخِيَالِ، وَانْتَهَى إِلَى التَّسْلِيمِ بِالْفِطْرَةِ، وَأَخْذَ النَّصْرَ عَلَى ظَاهِرِهِ الْلَّاتِقِ بِالْخَالِقِ لَا بِالْمُخْلُوقِ، وَالإِمْسَاكِ عَنِ الْغَيْرِ؛ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرٍ عَقْلٍ؛ فَالَّذِينَ لَمْ يُنْزَلُهُ اللَّهُ لِلأَذْكِيَاءِ، بَلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلأَسْوَيَاءِ؛ فَكُلُّ مَكْلُوفٍ قَادِرٌ عَلَى تَكْمِيلِ مَعْتَقِلِهِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنِ النَّصْوصِ.

وَقَدْ قَالَ هَذَا وَأَفَرَّ بِهِ أَئمَّةُ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي نَهَايَةِ طَوَافِهِمْ فِي الْمَعْقُولَاتِ الْكَلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبْيَانَ الْكَرَابِيسِيُّ لِمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ لِبْنِيهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَتَنَاهُمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أُوصِيُّكُمْ بِمَا عَلِيَّهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعْهُمْ»^(٢)، وَقَالَ أَبُو الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيُّ: «أَمُوتُ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُور»^(٣)، وَيَقُولُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ

(١) أَحَادِيثُ فِي ذِمَّةِ الْكَلَامِ (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) «الْحَجَةُ فِي بَيَانِ الْمَحْجَةِ» (١/٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبِيرِيَّةِ» (٥/١٩١).

عَقِيلٌ: «عَدْتُ الْقَهْمَرَى إِلَى مَذَهَبِ الْمَكْتَبِ»^(١)، ويقول الشَّهْرَسْتَانِيُّ: «عَلَيْكُم بِدِينِ الْعَجَائِزِ»^(٢)، ويقول الفخرُ الرَّازِيُّ: «الْقَدْ اخْتَرْتُ الْطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسْفِيَّةَ، وَالْعِلُومَ الْمُخْتَلِفَةَ؛ فَمَا رأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تَسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لَأَنَّهُ يَسْعَى إِلَى تَسْلِيمِ الْعَظِيمَةَ وَالْجَلَالِ بِالْكَلِيلِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّمَعُّنِ فِي إِبْرَادِ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمَنَاقِضَاتِ»^(٣).

وقد روى الشاطبي في كتابه «الإفادات والإنشادات»^(٤) بإسناده إلى الراري، أبياناً بين فيها حسرته ووحشته من مباحثه العقلية.

﴿التَّعْرُفُ عَلَى اللَّهِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ يُورِثُ الْوَحْشَةَ﴾

وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُحَاوِلُونَ التَّعْرُفَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللَّهِ، وَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِهِ، وَمِنْ أَظْهَرِ فَسَادِ تِلْكَ الْعِلُومِ الْكَلَامِيَّةِ: أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يُورِثُ خَشِيَّةَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَلَا يَكَادُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَتَعْرَفَ عَلَى اللَّهِ بِهِ، إِلَّا ضَعَفَتْ خَشِيَّةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَرَقَّ دِينُهُ؛ لَأَنَّهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ عَرَفَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ عَرَفَ اللَّهَ، لَازْدَادَ لَهُ خَشِيَّةً لَا وَحْشَةً.

وَالْفَلَاسِفَةُ كُلُّمَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسْفَةِ، ازدادُوا حَزَنًا وَحَبَّرَةً، لَا طَمَانِيَّةً وَيَقِينًا؛ يَبْدَأُ الدَّاخِلُ فِي الْفَلَسْفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ بِنَسْوَةٍ، ثُمَّ يَتَهَيَّ بِحَبَّرَةٍ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ أَرْسَطُوطَالِيسُ: «لِمَاذَا كُلُّمَا تَجاوَزْنَا الْمَسْتَوِيَ الْمُتَوَسِّطَ فِي الْفَلَسْفَةِ، تَمَلَّكَنَا الْأَحْزَانُ، وَلَازَمَنَا الْأَمْرَاضِ».

(١) «ذيل طبقات الحتابلة» (١/٣٣٧).

(٢) «نهاية الأقدام» (ص ٧).

(٣) «طبقات الشافية الكبرى» (٨/٩١).

(٤) «الإفادات والإنشادات» (ص ٨٤ - ٨٥).

اعتقاد السلف في الصفات:

ولما كان السلف يُمْرِنُونَ آياتِ الصفاتِ وأحاديثها، ولا يزيدون على قراءتها، ولمَّا ظهرَت البدعُ الكلاميةُ، وظهرَ التأويلُ والتشبيهُ والتعطيلُ - توهُّم بعض الناسِ: أنَّ السلفَ يريدونَ نفيَ الحقيقةَ كُلُّها، وأنَّ كتابَهم للنصوصِ مِنْ غيرِ كلامٍ؛ يعني الإيمانُ بالحروفِ فقط، لا مجرَّد أنَّهم ينفُونَ كيَفِيَةَ الصفةِ وبيانَ كُنْهِها، والسلفُ إنما يُشَيِّتونَ الحقيقةَ للصفةِ الالائقةَ بِاللهِ، لا الالائقةَ بالعبدِ، وإنَّ كتابَهم للحقيقةِ تلكَ لا يعني تشبيهاً؛ كما أنَّ نفيَهم للكيفِ لا يعني تعطيلًا؛ فلا هم مشبهُهُ، ولا معطلُهُ، ولا مكفيَّهُ؛ لأنَّ التأويلَ للحقيقةِ زيادةً على النصِّ، كما أنَّ التشبيهَ زيادةً على النصِّ.

والعدلُ: أنْ يَقْفَى الإنسانُ بينهما؛ فلا يَحْمِلُهُ خوفُ التشبيهِ على نفيِ الحقيقةِ، ولا يَحْمِلُهُ خوفُ التأويلِ على إثباتِ التشبيهِ، ويُمسِكُ عَمَّا عدا ذلكَ؛ لأنَّ هذا غَايَةُ العلمِ، وما سواه جَهَلٌ؛ كما قالَ سُحْنُونُ: «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهَلُ بِمَا لَمْ يُخِرِّجْ بِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ».

وبنحوِه قالَ ابنُ أبي زَمَّنِ^(١).

ويجبُ إمساكُ الذَّهْنِ عَنِ الاسترسالِ بالتفكيرِ في كيفيةِ ذاتِ اللهِ وصفاتهِ؛ لأنَّ العقلَ يشبةُ ويمثُلُ ويكيِّفُ؛ فكلُّ عقلٍ يصوّرُ الغائبَ عنه على ما يَرَى، حتى تختلفُ الصُّورُ في العقولِ للذاتِ الواحدةِ؛ لاختلافِ المشاهِدِ في كلِّ عقلٍ؛ ولهذا نهى السلفُ عن الجِدَالِ في اللهِ وصفاتهِ وأسمائهِ؛ وقد قالَ ابنُ عبدِ البرِّ: «أُهْبِيَنا عن التفكُّرِ في اللهِ، وأُمْرِنَا

(١) «أصولُ الستةِ» (ص ٦٠).

بالتفكير في خلقه الدالٌّ عليه^(١)؛ لأنَّ التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأثارها، والعمل بمقتضاهما، وهو الإحصاء المقصود بقوله عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةُ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَخْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة:

كان اللسانُ العربيُّ الأوَّلُ حامِيًّا من الخروج عن وضع الشريعة، ومراد الله سبحانه، ولما انتشرت العجمةُ في الناسِ، ظنَّ أولادُ العربِ أنَّهم كآبائهم يرثُونَ اللسانَ، كما يرثُونَ النسبَ؛ ففسَدَتْ أفهامُ بعضِهم للنصوصِ لفسادِ اللسانِ؛ وقد صَحَّ عن الحسنِ البصريِّ قوله: «أهَلَّكُتُهُمُ الْعُجْمَةُ؟ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»^(٣).

وكان مالكُ يحضرُ من تفسيرِ القرآنِ وتأويلِهِ من غيرِ معرفةِ بلسانِ العربِ ولغاتها، ويدعو إلى تأديبِ فاعليهِ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى حملِ كلامِ الله على غيرِ مرادِهِ؛ قال: «لَا أُوْنَى بِرَجُلٍ يَفْسُرُ كِتَابَ اللهِ غَيْرَ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ، إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا»^(٤).

ويكفي في ردِّ البدعِ الكلاميةُ معرفةُ مُنشئها اللسانِيُّ، وبُعدِها المكانيُّ والزمنيُّ؛ ولهذا لم يكنَ العربُ الذين سمعُوا القرآنَ يَسْتَشْكِلُونَ مِن الصفاتِ ما استشكَلُهُ المتكلمونَ حتى كفارُ قريشِ، ولم يكنَ الصحابةُ يَسْأَلُونَ النبيَّ صلواتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أنواعِ الصفاتِ الذاتيةِ والفعليةِ؛ لأنَّ لسانَهم وبيانَهم لا يحتاجُ لِمِثْلِ هذا التقسيمِ.

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة. وسيأتي بيانُ أنواعِ ظاهرِ الصفاتِ عند السلفِ في شرحِ كلامِ ابنِ أبي زيدٍ، بإذنِ اللهِ.

(٣) «تفسير القرآن» لابن وهب (٨٥/الجامع).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٠٩٠)، و«ذم الكلام» (٨٨٢).

وقد بين ابن أبي زيد القير沃اني: أنَّ البداع في الدين كانت بسبب تصدير بنى العباس للعجز من الفرس وغيرهم، ولم يكن ذلك في بنى أمية^(١).

ولما تمكَّن علم الكلام من بعض الناس، التمسوا من علم العربية وأشعار العرب ما يؤيد قولهم، ولو كان مخالفًا للوضع العربي الأول، ولسان قريش؛ فهم اعتقدوا بدليل علم الكلام، ثم استأنسوا بالعربية، حتى أصبح هناك من يقصد تعلم العربية، لتقرب علم العقائد على طريقة أهل الكلام.

وأهل السنة يرجعونَ لهم مسائل الدين إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول، وشتهر الأخذ به من زمِّ النبي ﷺ والصحابة والتلابين خاصة الحجازيين، ولا يعتمدون على كل لغة واستعمال، ويتثبتون في النقل، ولا يستدلُّون بكل شيء من شواهد العرب وأشعارهم، بل بما تفهمه عامة العرب عند الإطلاق.

وقد نبه على هذا جمعٌ من الأئمة؛ كالشافعي في «الرسالة»^(٢)، وعبد العزيز الكتاني في «الحيدة»^(٣)؛ وهو الذي يجري عليه في استعماله ونحوه أئمة العربية؛ كأبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والأصماعي، وأبي عبد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، وثعلب، وأبي منصور الأذري، وغيرهم.

(١) انظر: «صون المنطق» (ص ٤٠ - ٥٣).

(٢) «الرسالة» (ص ٧٥٦).

(٣) «الحيدة» (ص ٥٤ - ٥٨).

خطا المتكلمين في استعمال اللغة:

وأنا المتكلمون: يقدمون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية، ويقدمون الاستعمال الأقرب على الأغلب، ولا يعتبرون بالسياق ولا القرائن ولا أحوال المتكلم والمخاطب؛ فقد يتشابه الفعل مع غيره، ولكن يختلف في سياقه، ويتغير معناه:

كالإتيان في قوله تعالى: **﴿فَأَنَّ اللَّهَ بِتِينَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** [النحل: ٢٦]، فإنه يختلف عن الإتيان في قوله تعالى: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظَلَلٍ مِنَ الْفَسَادِ﴾** [البقرة: ٢١٠]، مع أنَّ الإن bianَين مضافان جمعاً إلى الله، ولكن الأول مقتول بإسقاط السقف وخروجه؛ فكان مكرراً بهم، والثاني صفة لله تعالى.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (**الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ**)^(١)، وقوله: (**إِنِّي أَحِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ الْيَمِينِ**)^(٢)، وقوله تعالى: **﴿نَافَقَ اللَّهُ وَسَفِينَهَا﴾** [الشمس: ١٣]، وقوله ﷺ عن خالد بن الوليد: (**سَيْفٌ مِنْ سُبُوفِ اللَّهِ؛ سَلَّمَ اللَّهُ**)^(٣)؛ فهذه تعرُّفها العرب بسياقها: أنَّ الإضافة فيها لله، لا يعني كونها صفة؛ وهذا السياق يُعرف بالوضع العربي الأول، وليس مجرد التركيب اللغوي كافياً في الفهم.

ومثل هذا كان سبباً في خطأ المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة حينما ألمّوا المُثبتة على منهج السلف بأمثال هذه الأحاديث: أن تكون

(١) «العلل المتأدية» (٩٤٤) من حديث جابر.

(٢) أحمد (٥٤١/٢) رقم (١٠٩٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) سبق تحريرجه.

صفات الله كغيرها، أو يَتَمْ تأوِيلُ الجميع كتأوِيلِها، وقد فَهَمُوا الألفاظ، وجَهَلُوا السياق.

ومحْرَدُ العِلْمِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يُجِيزُ تقدِيمَ الوضِيعِ فيها عَلَى الوضِيعِ الشَّرِعيِّ؛ فَالاصطلاحُ والوضِيعُ الشَّرِعيُّ مُقْدَمٌ عَلَى الوضِيعِ اللُّغويِّ، وَمَا خَالَفَ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلْفُ مِنَ الْمَعْنَى، فَهُوَ فَاسِدٌ، وَإِنْ احْتَمَلَتْهُ الْلُّغَةُ؛ وَلَذَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامَ: «الْأَهْلُ الْعَرَبِيُّونَ لُغَةُهُمْ، وَالْأَهْلُ الْحَدِيثُ لُغَةُهُمْ، وَلُغَةُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَقْيَسُ، وَلَا تَجِدُ بُدُّا مِنْ اتِّبَاعِ لُغَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ أَجْلِ السَّمَاعِ»^(١)، وَيَقُولُ ثَعْلَبُ: «السَّنَةُ تَقْضِي عَلَى الْلُّغَةِ، وَاللُّغَةُ لَا تَقْضِي عَلَى السَّنَةِ»^(٢)؛ فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالحُجَّ وَالصُّومُ جَاءُ الْاسْتِعْمَالُ الشَّرِعيُّ فِيهَا عَلَى مَعْنَى مُخْصُوصٍ يُخَالِفُ الْإِطْلَاقَ الْلُّغويِّ، وَمَنْ حَمَلَ مَعْنَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصُّومِ وَالْحُجَّ عَلَى أَحَدِ مَعْنَاهُما الْلُّغويِّ، كَانَ حَمْلُهُ صَحِيحًا لُغَةً، بَاطِلًا شَرْعًا.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَئمَّةِ الْمَغَارِبِيَّةِ يُدْرِكُونَ هَذَا الْمَعْنَى؛ كَابِنُ أَبِي زَيْدٍ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَأَبِي عَمْرُو الدَّانِي؛ يَقُولُ أَبُو عَمْرُو الدَّانِي: «وَأَئِمَّةُ الْقُرَاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حِرْوَفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْسَى فِي الْلُّغَةِ، وَالْأَقْيَسُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ، وَالْأَصْحَّ فِي النَّقْلِ وَالرِّوَايَةِ؛ إِذَا ثَبَّتَ عَنْهُمْ، لَمْ يَرُدُّهَا قِيَاسٌ عَرَبِيَّةً، وَلَا فُشُوًّ لُغَةً؛ لَأَنَّ الْقُرْآنَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَلْزَمُ قَبْوُلُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا»^(٣).

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ عَقَائِدُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى التأوِيلِ أو التفویضِ المطلَقِ، التَّمَسُّوا مِنَ الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ شَوَاهِدَ لِتَؤْيِدَ قَوْلَهُمْ؛ فَاسْتَدَلُوا بِهَا، وَاسْتَندُوا

(١) «الْكَفَايَةُ» لِلْخَطِيبِ (٥٥٤). (٢) «مَجَالِسُ ثَعْلَبٍ» (١/١٧٩).

(٣) «جَامِعُ الْبَيَانِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» (٢/٨٦٠).

إليها؛ كتفسيرهم الاستواء بالاستيلاء؛ حيث استدلّ القاضي عبد الجبار بشهادـة اللغة على ما استقرَّ عنده قبلَ استدلالـه؛ كما في «متشابه القرآن»^(١)، وكذلك تأويلُ اليد بالنعمـة^(٢)، والكلامُ في قوله تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ حيث فسـرـوه بالـكلـمـ، وهو الجـرحـ؛ يعني: ابتلاءُ وجـرحـه بالـمـحـنـ والـشـدائـدـ^(٣).

وقد تعدـى ذلك الاستدلال على الألفاظ بغيرـ المعـرـوفـ، إلى التـوـسـعـ في تقـديرـ المـحـذـوفـاتـ؛ للوصـولـ إـلـىـ الغـاـيـةـ؛ وـهـيـ التـأـوـيلـ، حتـىـ عـطـلـواـ جـمـيعـ الصـفـاتـ الفـعـلـيـةـ عنـ حـقـيقـتـهاـ؛ وـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿فَلَمَّا جَهَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، جـعـلـواـ ثـمـ تـقـدـيرـاـ مـحـذـوفـاـ، وـهـوـ تـجـلـيـ أـمـرـهـ وـقـدرـتـهـ^(٤)، وـنـحـوـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿إِلَآ أَن يـأـتـهـمـ اللـهـ﴾ [آلـقـرـةـ: ٢١٠]، قـلـرـواـ المـحـذـوفـ: إـتـيـانـ أـمـرـهـ وـإـرـادـتـهـ^(٥).

وهـذاـ بـاـبـ لاـ حـدـدـ لـهـ؛ أـدـخـلـواـ مـنـهـ أـكـثـرـ تـأـوـيلـاتـهـ؛ حتـىـ قالـ القـاضـيـ عبدـ الجـبارـ: «هـكـذـاـ طـرـيـقـتـناـ فـيـ سـائـرـ المـتـشـابـهـ: أـلـهـ لـاـ بـدـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ لـهـ تـأـوـيلـ صـحـيـحـ، بـخـرـجـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـعـرـبـ مـنـ غـيـرـ تـكـلـفـ وـلـاـ تـعـسـفـ»^(٦).

وـتـوـسـعـواـ فـيـ إـدـخـالـ كـثـيرـ مـنـ تـأـوـيلـاتـهـ لـلـصـفـاتـ مـنـ بـاـبـ الـكـنـاـيـةـ وـالـمـبـالـغـةـ، وـالـاسـتـعـارـةـ وـالـتـشـبـيـهـ وـغـيـرـهـ.

وـأـدـخـلـواـ مـنـ بـاـبـ الـمـجـازـ كـثـيرـاـ مـنـ الـحـقـائـقـ لـلـخـرـوجـ مـنـ الـإـثـبـاتـ؛

(١) «متشابه القرآن» (ص ١٤٢).

(٢) «متشابه القرآن» (ص ٢٩٩ - ٣٠١).

(٣) «الكشف» (١/٥٩١).

(٤) «معاني القرآن» للأخفش (١/٣٣٦)، و«الكشف» (٢/١٥٥).

(٥) «معاني القرآن» للأخفش (١/١٨٣)، و«الكشف» (١/٢٥٣).

(٦) «المغني في أبواب التوحيد والعدل» (٦/٣٨٠).

حتى جعل المجاز مصطلحاً في العربية يضاهي الحقيقة، وقد يفوقها؛ كما يظهر في تقريرات أوائل من عبر عن هذا الاصطلاح؛ كالأخفش في «معاني القرآن»^(١)، والجاحظ في «البيان»، و«الحيوان»^(٢)؛ حتى زعم ابن حمّي في «الخصائص»^(٣)： أنَّ أكثَرَ اللغة مجاز، لا حقيقة.

والعجب: أنَّهم يقبلون التأويل بقولهم، ويردون تفسير السلف لأنَّه من عقولهم؛ وعقول السلف أصلح، وألستهم أصلح.

ولما اتسَعَ الأخذُ بعلم الكلام، طُوَّعَتُ العربيةُ له، ولم يُطُوَّعْ لها، وكثُرَتِ البدعُ من أهلِ العربية؛ حتى قال إبراهيمُ الحرزيُّ: «كان أهلُ البصرة أهلَ العربيةِ، منهم أصحابُ الأهواءِ، إلا أربعةٌ؛ فإنَّهم كانوا أصحابَ سُنةً: أبو عمرو بن العلاءِ، والخليلُ بنُ أَحْمَدَ، ويُونُسُ بنُ حَبِيبٍ، والأصمَعِي»^(٤).

وقد ظهرَ الاعتزَالُ في كثيرٍ من أهلِ العربيةِ مع إمامَتِهم فيها؛ كهارونَ الأعورِ، وأبي محمدِ اليزيديِّ، وقطُرُبِّ، وسعيدِ الأخفشِ، وأبي عثمانَ المازنيِّ، والجاحظِ، وقد كتبَ الجاحظُ كتاباً لنصرةِ القولِ بخلقِ القرآنِ، وتعطيلِ الصفاتِ؛ ككتابِ «خلقِ القرآن»، و«الرَّدُّ على المشبهة»؛ كتبها لأبي الوليدِ محمدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ أبي دُؤادِ قاضي المتوكليِّ، ولم يبقَ لهذه الكتبِ ذِكرٌ، وهُجرَتْ حتى فُقدَتْ.

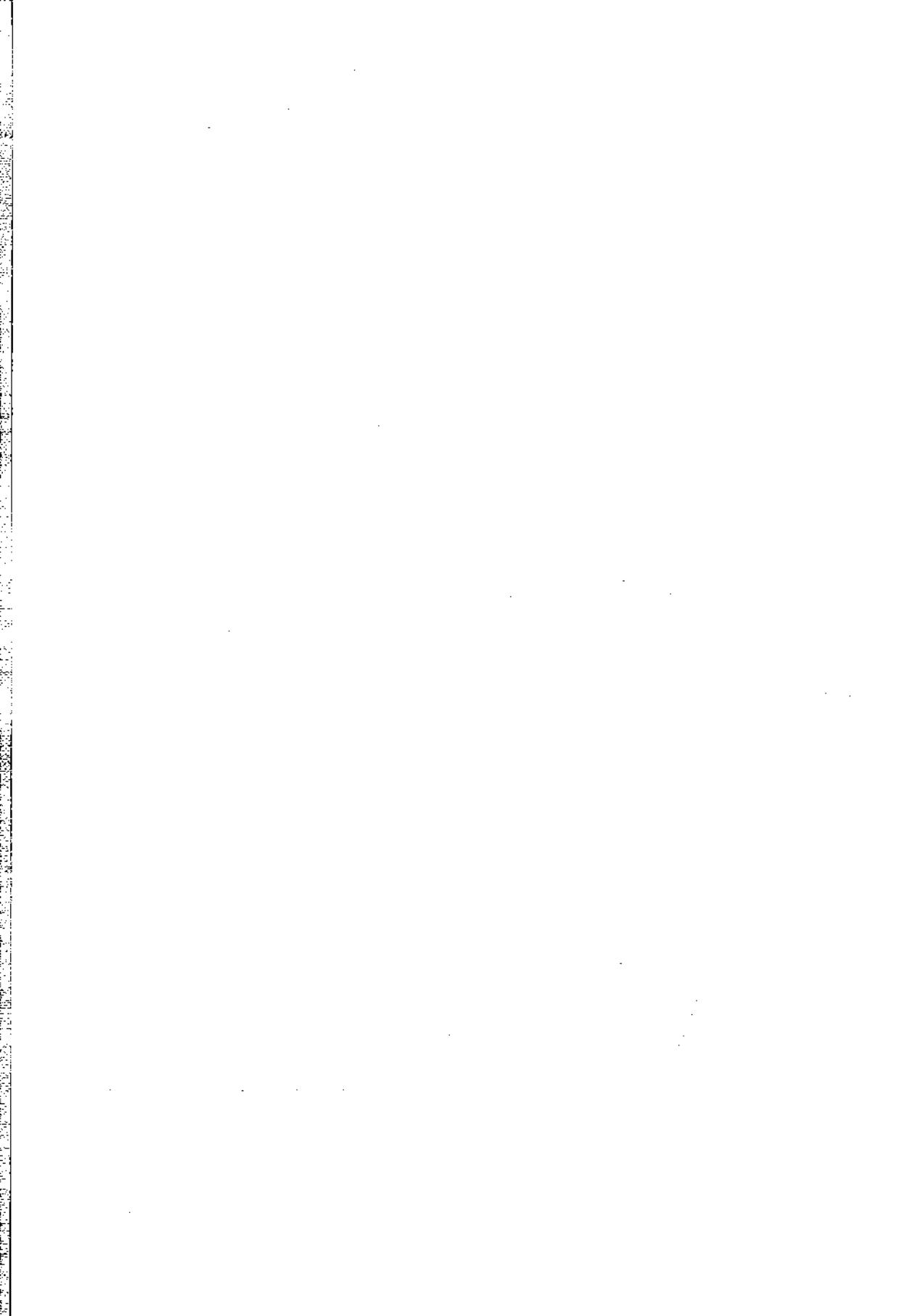


(١) «معاني القرآن» (٦١/١ و٨٤) و(٢/٥٢٩).

(٢) «الحيوان» (١/٢١٢ و٣٤١) و(٤/٣٩٤ وما بعدها) (٥/٢٣ - ٣٤).

(٣) «الخصائص» (٢/٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٢/١٦٦ - ١٦٧).



الشَّرْح



قال أئنَ لِي زَيْدٌ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ :

يُشرع البداءة بذكر الله قبل الشروع في المقامات المهمة، والموافق الجليلة، وقد استفاضت السنة العملية بذلك، وقد دلت السنة على أنواع من الذكر يشرع البداءة به باختلاف أنواع المقام المشروع فيه؛ فجاءت نصوصٌ بالبداء بالبسملة، ونصوصٌ بالبداء بالحمدلة والشهادة والصلوة على النبي ﷺ:

أما البداءة بالحمدلة: ففي الخطب وما في حكمها من طوبل الكتب والمقالات، وقد استفاضت الأحاديث عند حكاية قيام النبي ﷺ لخطبة يقولون: (فحمد الله، وأثنى عليه)، كما في «الصحيحةين» من حديث ابن عباس^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وابن عمر^(٣)، وأبي حميد الساعدي^(٤)، وأنس^(٥)، وجابر^(٦)، وعائشة^(٧)، وأسماء^(٨)، وهكذا الخلفاء الراشدون، وليس في فعلهم التسمية في الخطب.

وأما اقتداء الحمدلة بالتشهيد: فهو مشروع في صدر الخطب

(١) البخاري (٤٦٧).

(٢) البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥). (٣) البخاري (٤٤٠٢)، ومسلم (١٦٩).

(٤) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (١٨٣٢).

(٥) البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١٤٠١) في قصة أخرى.

(٦) مسلم (١٠١٧). (٧) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٨) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

والكلام الجليل بلا خلاف، وقد جاءت به السنة العمليّة: كما في حديث عائشة في «الصحيحين»؛ لَمَا ائْتَمُ النَّاسُ بِصَلَاتِهِ باللَّيلِ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَخَطَبَهُمْ فِي الْفَجْرِ، فَقَالَ: (إِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ) ^(١).

وتشهّد عندما حدثت عائشة بالإفك؛ فقال كما في «الصحيحين»: (يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَّا وَكَذَّا؛ فَإِنْ كُنْتِ بِرِيَّةً، فَسَيَبِرِّئُكَ اللَّهُ). ^(٢) وجاء بالتشهيد السنة القولية؛ كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ مرفوعاً؛ قال: (كُلُّ خطبةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدُ، فَهِيَ كَالْبَدْوُ الْجَدْمَاءِ) ^(٣).

وصحّ عن أبي بكر وعليّ بن أبي طالب تشهّدُهم في خطبة غير الجمّع؛ كما في «الصحيحين» عن عائشة، في بيعة أبي بكر ^(٤).

وتشهّد عمر في خطبته لما مات النبي ﷺ، وتشهّد عثمان في كلامه لِمَا أقام الحجّ على الوليد بن عقبة؛ وكلاهما في «الصحيح» ^(٥). وكان بعض الصحابة يتشهّد فيما يهُمُّ، حتى في غير صعود المنبر، ولغير الناس عمّةً:

كما جمّع ابن عمر بنبيه وأهله في إثبات بيعته يزيد لِمَا خلّعه الناس؛ حيث رأى أنَّ الخلع نكتُّ وغدر؛ كما عند أحمد ^(٦)، والأصل المروي في «مسلم» ^(٧).

(١) البخاري (٩٢٤ و ٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).

(٢) البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أبو داود (٤٨٤١)، والترمذني (١١٠٦).

(٤) البخاري (٤٢٤٠ و ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).

(٥) البخاري (٧٢١٩).

(٦) البخاري (٣٨٧٢).

(٧) أحمد (٤٨/٢ رقم ٥٠٨٨).

(٨) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).

وجاء عن ابن مسعود: التشهد في كل حاجة يخطب لها.
وجاء عن عطاء، عن أبي البختري؛ قال: «كل حاجة ليس فيها
تشهد، فهي براء»^(١).

وأما البداءة بالبسملة: ففي المكابيات والرسائل سنة النبي ﷺ
والأنبياء؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا يَسِيرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ﴾ [النمل: ٣٠]، وكلما كان الأمر الذي يشرع فيه الكاتب والمتكلّم
أعظم، كان التأكيد بالبداءة بذكر الله فيه أشد.

وظاهر السنة: التفريق بين الخطيب والمكابيات؛ فالخطيب يبدأ فيها
بالحمدلة، والمكابيات يبدأ فيها بالبسملة؛ كما في كتب النبي ﷺ إلى
الملوك ورؤوس الناس؛ ككتابه إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى عظيم
فارس، والموقرنس عظيم القبط، والنرجاشي ملك الحبشة، والموندر بن
سأوى التميمي حاكم البحرين، والحارث الغساني ملك الحيرة، وأول
رسائله ﷺ في «الصحيحين» من حديث ابن عباس^(٢)، وبقيتها في
السير.

وأكثر السلف في القرنين الأولين يبدؤون كتبهم بالبسملة، ثم
يسرعون في المقصود؛ كمالك في «الموطأ»^(٣)، وغيره، ثم غالب على
الكتب البداءة بالبسملة والحمدلة جميعاً.

والآحاديث الواردة في الأمر بالبداءة بالبسملة والحمدلة: معلومة،
والسنة العملية أصح وأشهر.



(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٢١٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) البخاري (٧)، ومسلم (٢٧٢١٧).

(٣) (٣).

قال ابن أبي زيد: هو الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصورة في الأرحام بحكمة لهم:

الذكير بنعمة الله على عبده موجب لظهور حق الله على عبده؛ فحق الله سابق ولاحق، ونعمه لا تحسى، وإنما يؤمن الإنسان بعقله عن هذا؛ وضلاله يكون من جهتين:

الأولى: أن ينسب فضل الله ونعمته عليه إلى غير الله؛ فيعبد من دون الله.

الثانية: أن ينسى فضل الله عليه، ويغفل عنه؛ فيغفل عن عبادة الله وحده عليه بمقدار عقلته.

ولهذا تأتي أسباب التذكرة بفضل الله على عبده: إما بالابتلاء ليرجع، وإما بالتوفيق والمراجعة للحق بالذكير والعلم والفهم.

* * *

قال ابن أبي زيد: هو أبرزة إلى رفقه، وما يسره له من رزقه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، ونبهه بآثار صنعته، وأعذر إليه على ألسنة المسلمين الخيرة من خلقه؛ فهدى من وفقه بفضله، وأضل من خدله بعذله، ويسر المؤمنين لليسرى، وشرح صدورهم للذكري، فآمنوا بالله بالسنتهم ناطقين، ويقولونهم مخلصين، وبما أتتهم به رسالته وكتبه عاملين، وتعلموا ما علمهم، ووقفوا عند ما حدد لهم، واستغثوا بما أحل لهم عمما حرم عليهم فهو:

ذكر المؤلف نعمة الله على عبده من إيجاده وكفالته وتعليمه، وذكر دليل الخلق بقوله: «ونبهه بآثار صنعته»؛ وهذا كثير في القرآن؛ يأمر عبادة بالنظر والتفكير والسير في الأرض؛ لتدبر آيات الله والتأمل فيها؛

فَإِنَّ اللَّهَ أَيَّاتٍ - كَالْكَوَاكِبِ وَالْأَبْرَاجِ، وَالنَّجُومِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةِ وَالْجَامِدَةِ - تَدْلُّ عَلَى عَظِيمٍ مُوجِدَهَا؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَوَلَذَا يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٥]، وَقَالَ : ﴿فِي الْأَرْضِ أَيَّاتٌ لِتَعْوِيزِكُمْ﴾ ١٦ وَفِي أَفْسَرِكُمْ أَفْلَأَ بَيْصَرُونَ ١٧ [الذَّارِياتِ: ٢٠ - ٢١]، وَقَالَ : ﴿فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبْدِلِ كَيْفَ خُلِقُتُمْ﴾ ١٨ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُبَعْتُمْ ١٩ وَإِلَى الْبَلَالِ كَيْفَ نُصِبْتُمْ ٢٠ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحْتُمْ ٢١ [الْغَاشِيَّةِ: ١٧ - ٢٠].

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصْنَفُ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ تَسْبِيرِهِمْ عَلَى مَرَادِهِ بِفَضْلِ وَعَدْلٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا، وَتَقْدِيرُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَعْنِي ظُلْمَهُمْ، وَلَا قَطْعَ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فِي بَابِ الْقَدْرِ وَالْمُشَيْئَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وَفِي قَوْلِهِ : «فَآمَنُوا بِاللَّهِ بِالْبَيِّنَاتِ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَنْتُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ»، ذِكْرُ لِلإِيمَانِ، وَأَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقادٌ، وَلَا يَبْتَمِعُ إِيمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِذَلِكَ، وَيَأْتِي بِيَانُ هَذَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

سَعَةُ الْحَلَالِ، وَضِيقُ الْحَرَامِ :

وَفِي قَوْلِهِ : «وَتَعَلَّمُوا مَا عَلِمْتُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَغْنَوُا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَمَ عَلَيْهِمْ» :

تَنْبِيَةٌ إِلَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنَ الْعِلْمِ : الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمُحَظَّرِ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي الْحَلَالِ غُنْيَةً عَنِ الْحَرَامِ وَكَفَايَةً، وَكَثِيرًا مَا يَنْهَا اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سَعَةَ الْحَلَالِ؛ حَتَّى لَا يَشْعُرَ الإِنْسَانُ بِالْحَرَجِ وَالضِّيقِ، وَتَتَوَهَّمُهُ نَفْسُهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُكَثِّرُ مِنْ عَرْضِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى الإِنْسَانِ؛ حَتَّى يَشْعُرَ بِسَعْتِهَا، وَيُنْسِيَهُ الْحَلَالَ حَتَّى يَشْعُرَ بِضِيقِهِ وَقُلْتِهِ :

ومن ذلك: قوله تعالى قبل تحريم الميّتة والدّم: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ**
عَمِّلُوا حَكُلًا وَنَطَبَتِي مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كَسْفُهُ إِيمَانُهُمْ [بقرة: ١٧٢]، ثم قال: **﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا**
أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [بقرة: ١٧٣].

والله تعالى يذكر الحلال ويوسّعه، ويدرك الحرام ويضيقه؛ كما في
قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ عَمِّلُوا أَذْلَلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَنْعِمُوا**
عَلَى خُطُوبِ الْشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَحَكْمُ عَدُوٌّ مُّمِينٌ﴾ [بقرة: ٢٠٨]، فلما ذكر الحلال
أطلقه، ولما ذكر الحرام وصفه بالخطوات، ولا يتجرأ أحد على حرام
إلا وقد ضاق الحلال عليه: إنما توهّما في نفسه، أو حقيقة في الواقع،
والتضييق ليس من التشريع.

﴿بِيَانُ الْمُؤْلِفِ لِمُوْجِبِ التَّأْلِيفِ﴾

قال ابن أبي زيد: **﴿إِنَّمَا بَعْدَهُ أَعْانَاهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ،**
وَحَفِظِ مَا أُوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ؛ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُختَصَّةً
مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ﴾:

شرع ابن أبي زيد في بيان معنى مقصوده من «رسالته»، وموجب كتابتها.
 واستعمال: «إنما بعد» سمة لفصل الخطاب، كان يفعله النبي ﷺ في
 خطبته ومكتباته.

وبيان موجب الكتابة يبيّن المقصود منها، ويُخرِجها عن الفضول
وقصد الكتابة للكتابة، وبيان موجب القول يزيد من التوضيح؛ وهو كثير في
القرآن، فيذكر الله الحكم والجواب بعد ذكر الاستشكال والسؤال من
الناس؛ كقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ﴾** [بقرة: ١٨٩]، و**﴿يَسْتَشْتُونَكَ﴾** [نساء: ١٧٦].

﴿ قَالَ أَبْنَىٰ رَبِيْدٌ : حُمَّا تَنْطُقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ ، وَمَا يَتَصَلُّ بِالوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَنَوَافِلِهَا ، وَرَغَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا ، وَجُمِلٌ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُتُونِهِ ؛ عَلَى مَذَهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ بْنِ أَسِّ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ : وَالْمَقْصُودُ بِشِرْحِنَا هُنَّا : هُوَ لِمَعْتَقَدِ الْمُؤْلِفِ فِي صِدْرِ رسَالَتِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَيَّعَ مَعْتَقَدَهُ أَحْكَامَ الْفِقْهِ وَتَفاصِيلَهُ ، وَمَحَلُّ الْكَلَامِ عَلَيْهَا غَيْرُ هَذَا الْكِتَابِ . 】

﴿ قَالَ أَبْنَىٰ رَبِيْدٌ : حَمَّعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ ؛ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ ، وَبَيَانِ الْمُتَفَقِّهِينَ ؛ لِمَا رَغَبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ الْوِلْدَانَ ، كَمَا تُعْلَمُهُمْ حُرُوفُ الْقُرْآنَ ؛ لِيَسْبِقَ إِلَيْهِمْ قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ ؛ مَا تُرْجَى لَهُمْ بِرَكَتُهُ ، وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ ؛ فَأَجْبَرْتُكَ إِلَيْهِ ذَلِكَ ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَمَ دِينَ اللهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ 】

لقد يسرَ اللهُ كلامَهُ لمن يريدهُ فهمَهُ من العَربِ ومَمَنْ عَرَفَ لسانَهُمْ غيرَهُمْ؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وجعلَهُ سهلاً يُبَيَّنا، لا يحولُ بينه وبين فهمِه إلا أعراضُ قلبهُ وانصرافُهُ عن الحقِّ، ومثُلُّ هذا لو سمعَ الحقَّ، لم ينتفعْ به، ويكونُ سماعُهُ كسمعِ الأَصمِّ: ﴿ وَكُنْ عَلَمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمِعُوهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ورَبِّما نَظَرَ مَنْ فِي قلْبِهِ مَرَضٌ فِي الْقُرْآنِ، وَتَتَبَعَ المُتَشَابِهَ، فزادَ زَيْعَهُ؛ لَأَنَّهُ طَلَبَ الزَّيْعَ بِنَفْسِهِ، وَاللهُ لَا يَبْتَدِئُ أَحَدًا بِإِزَاغَةٍ: ﴿ فَلَمَّا رَأَعُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

ولا يصرف أحداً عن الحق وهو يريده: **﴿ثُمَّ أَنْصَرَهُمْ صَرْفَكَ اللَّهُ تُلُوِّهِمْ﴾** [التوبه: ١٢٧]، ولا يغليط في قلب أحد مرضأ أو رجسأ إلا وهو يطلب المرض والرجس: **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾** [البقرة: ١٠]، وقال: **﴿وَآتَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضًا فَرَأَهُمْ رَجَسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾** [التوبه: ١٢٥]، ومن كان في قلبه فصد الخير وطلبُه، فإن الله يهديه: **﴿وَلَوْ عِلِّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمَعُوهُمْ﴾** [الأنفال: ٢٣]، وإذا كان الإنسان كلما فرَّ الأدلة، ازداد غيّاً وانحرافاً، فالعيوب في قصده ومرض قلبه، لا في الأدلة.

ومن جهل شيئاً من الوحي المتعين عليه، وجَبَ عليه سؤال أهل العلم العارفين بذلك؛ فإن مجرد الجهل مع إمكان رفعه، لا يذر صاحبه به؛ وإنما لكان الجهل خيراً من العلم، وتجهيل الناس أفضل من تعليمهم؛ لأن تعليمهم تكليف وحساب، وتجهيلهم إعذار وعفو.

وينشأ الصغير على الفطرة، وتقبل الحق والاتجاه إليه، واستنكار الباطل والنفرة منه، ولكنَّه قد يتوطئ على الشر، إذا تدرج فيه؛ كما قال **رسول الله**: **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهُوَّدُهُ أَوْ يُمَجْسِسُهُ...)**^(١).

وتعليم الولدان الحق والخير واجب، وهو حق لهم على ولديهم، ويتأكد ذلك في الأزماء التي يكثر فيها الشر، فيجب أن يسبق بالخير إلى قلوبهم قبل أن يسبق إليهم الشر، فيتقبلونه ويتشاربونه.



(١) البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

قال ابن أبي زيد: لو أعلم: أنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أُوْعَادَهَا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى
الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ: مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوْلَى مَا عَنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ،
وَرَغَبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ: إِصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أُولَادِ الْمُؤْمِنِينَ؛
لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِيمِ الدِّيَانَةِ، وَخَدْوُدُ الشَّرِيعَةِ؛ لِيَرْأُضُوا
عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْقِدُهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ
رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ شَيْءٍ فِي
الصَّغَرِ؛ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ.

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَفْظِهِ،
وَيَسْرُفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِمْ:

أنقى القلوب: القلب الذي يكون على الفطرة، ولم يردد إليه واردٌ
من الشر؛ لأنَّ القلب إذا تمكَّنَ منه الشرُّ، تصلَّبَ وقسَّ، وشقَّ عليه
الرجوع؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَطَّالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَنَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]،
لأنَّ للقلب منافذ يدخلُ منها الخيرُ، وإذا كثُرَ الباطلُ والشرُّ على القلب،
كثُرَ إغلاقُ منافذِ الخيرِ إليه؛ حتى يكون كالحجارة أو أشدَّ قسوةً في قبولِ
الحقِّ.

وقد جاءت الأدلة في تعليم الصغار دين الله، وخاصةً ما يتعلَّقُ بهم
وما يشقُّ عليهم ثباتُ عليه بعد تكليفهم؛ كالصلوة وأحكام العورات؛ كما
قال ﷺ: (مُرُوا أُولَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعَ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا
وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(١)، وكما في ظاهر آية
العوراتِ من سورة النور.

(١) أحمد (٢/١٨٠ و ١٨٧ رقم ٦٦٨٩ و ٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو.

وتعلّم الصغير أثبّت في قلبه مِن تعليم الكبير؛ لخلوّ قلبه ولبنه وظراؤته.

والآمُمُ والشعوبُ التي تَنْشَأُ على الفُطْرَةِ، ولم تَتَبَدَّلْ، فإنَّها أسرعُ لِقَبْوِلِ الْحَقِّ والتسلّيم به؛ كما هو الْيَوْمَ في كثِيرٍ من بُلدانِ إفريقيَّةٍ وبعضِ بُلدانِ جنوبِ شرقِ آسيا، وأمَّا التي تَبَدَّلَتْ فِطْرَتُهَا، وطالَ الأمْدُ على انحرافِها، فَإِنَّ قَبْولَهَا لِلْحَقِّ شاقٌّ؛ لأنَّ قلوبَهُمْ منحرفةٌ؛ كالإناءِ المائلِ أو المنكوسِ، فبِمَقْدَارِ مَيَلَانِهِ يَقُلُّ نَصْبُهُ مِنْ تَقْبِيلٍ وَضَعِيفَةِ الماءِ فِيهِ، وإذا كانَ منكوسًا، لا يَقْبِيلُ شَيْئًا حتَّى يَعْدَلَ عَلَى الفُطْرَةِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ يُصْبِبُ الماءَ فِيهِ، والجهدُ في هُولَاءِ شاقٌّ؛ لأنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى جَهَادَيْنِ: جَهَادُ تَعْدِيلِ الفُطْرَةِ، وَجَهَادُ عَرْضِ الشُّرْعَةِ؛ وهذا كالفَرْقِ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ الإِسْلَامِ؛ فَأَهْلُ مَكَّةَ أَشَدُّ تَبَدِيلًا لِلْفُطْرَةِ، فَعَانِدُوا وَكَابُرُوا، وَلَكِنْ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، ثَبَّتَ وَكَانَ إِيمَانُهُ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ جَرَبَ أَقْصَى الضَّلَالَةِ، فَرَجَعَ، فَلِيسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ؛ وَلَهُذَا كَانَ مُؤْمِنُو مَكَّةَ الْمَهَاجِرُونَ أَفْضَلُ مِنْ مُؤْمِنِي الْمَدِينَةِ الْأَنْصَارِ.

وَمَنْ أَرَادَ دُعْوَةً أَحَدٍ إِلَى الْحَقِّ، فَلِيَنْظُرْ إِلَى فِطْرَتِهِ وَمَقْدَارِ انحرافِها قَبْلَ دُعْوَتِهِ، حتَّى يَقُومَ الإناءُ قَبْلَ الصَّبِّ فِيهِ، وَمَنْ يَدْعُ أَصْحَابَ فِطْرَةٍ مَبَدِّلةٍ، أَعْظَمُ أَجْرًا مَمَّنْ يَدْعُ أَصْحَابَ الْفُطْرَةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَوْ كَانَ أَقْلَى اتِّبَاعًا؛ فَكُلُّ أُولَئِي الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُولِ أُرْسِلُوا إِلَى أَمَمٍ مَبَدِّلةٍ لِلْفُطْرَةِ.

وَإِذَا نَشَأَ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ شُرًّا وَعَرَفَ الْحَقَّ، فَهُوَ أَثَبَّتْ وَخَيْرٌ مَمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ فِي بَيْتِهِ خَيْرٌ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَحْمَدَ: إِذَا أَصَبَّتِ الْكَوْفَيْنِ صَاحِبَ سُنَّةَ، فَهُوَ يَفْوُتُ النَّاسَ^(١)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَلَبَتْ عَلَى الْكَوْفَةِ بِدُعْةِ التَّشْيُعِ وَالرَّفْضِ.



(١) الخلال (٣٠٨/١)، و«أخبار الشيوخ» للمرزوقي (٢٦٣).

قال ابن أبي زيد: هو قدر جاء أن يُؤمرُوا بالصلوة لسبعين سنين، ويُصرِّبوا علىَها لعشر، ويُفرق بينهم في المضاجع؛ فكذلك: يعني أن يتعلّموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم؛ ليأتي عليهم البلوغ، وقد تمكّن ذلك من قلوبِهم، وسكنَت إليه أنفسهم، وأنسَت بما يتعلّمون به من ذلك جوارحُهم.

وقد فرض الله سبحانه على القلب عملاً من الإعتقادات، وعلى الجوارح الظاهرة عملاً من الطاعات.

وسأفصل لك ما شرطت لك ذكره باباً باباً؛ ليُثرب من فهم متعلّمه إن شاء الله، وإياده نستخرج، وبه تستعين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم:

أمر الصبي بالصلوة في صغيره متوجّه في الشرع لوليّه؛ كما في الحديث: (أُمُروا أولادكم بالصلوة...)^(١)؛ لأنّ الصبي غير مكلّف؛ فلا يتوجّه إليه الخطاب، والتقصير والإثم في ذلك يقع على ولية لا عليه، وإذا بلغ، وقع عليه لا على ولية.

إنما خصّت الصلاة بالتأكيد على الصغير في أول تمييزه؛ لأسباب منها:

الأول: كونها أعظم الأركان العمليّة وأكدها؛ والاهتمام في الشريعة يكون للأهم والأعظم.

(١) سبق تخرّجه.

الثاني: أنَّ الصلاةَ ثقيلةٌ، وتحتاجُ إلى توطُّنٍ، والنفُسُ غَضَّةٌ طَرِيقَةٌ؛ حتى إذا كَبَرَتْ، لا تستقبلُ الصلاةَ، وقد اعتادَتْ قبلَ ذلك عليها، ومن لم يؤدِّها وهو صغيرٌ بأيِّ حالٍ، شَقَّ عليه القيامُ بها عند أَوَّلِ بلوغِهِ؛ ولهذا جاءَ أَمْرُ الوليِّ بأنْ يأمرَ الصبيَّ وهو ابنُ سبعِ سنينَ؛ حتى يبلغَ العاشرَةَ، وهي ثلَاثُ سنينَ، يُؤمِّرُ فيها عند كلِّ صلاةٍ، ثُمَّ يُصرَبُ عليها بعد العاشرةِ إلى بلوغِهِ، ضرِيًّا غيرَ مبرُّحٍ؛ ولكنَّ مَنْ انتَظَمَ على الأولى، لم يَحْتَجْ إلى الثانيةِ؛ أيِّ: مَنْ انتَظَمَ بأَمْرِ الصبيِّ بعد السابعةِ ثلَاثَ سنينَ، لم يبلغِ العاشرةَ إِلَّا وهو مُداومٌ عليها، ولم يَحْتَجْ إلى ضرِيَّهِ.

الثالثُ: أنَّ الصلاةَ ثقيلةٌ بلا خشوعٍ، والخشوعُ ثقيلٌ في ذاتِهِ على مَنْ لم يتوطُّنْ عليهِ، والصغيرُ أَوَّلَ مَا يُؤدِّيَها لا يَعْرِفُ الخشوعَ؛ فيرادُ توطيئُهُ على الأمَّرينِ ليسهلاً عليهِ: ﴿وَاسْتَعْيِنُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، والخشوعُ ثقيلٌ على ضعيفِ اليقينِ بِرِيَّهِ؛ كما وصفَ اللهُ الخاشعينَ في نفسِ الآيةِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

فالثلاثةُ متلازِمةٌ: أداءُ الصلاةِ، وخشوعُها، واليقينُ باللهِ؛ ولما كان الصغيرُ يحتاجُ إلى جمعِها في نفسهِ، احتاجَ إلى التبكيُّرِ بها أَوَّلَ تمييزِهِ.

الرابعُ: أنَّ الصلاةَ بابٌ لحفظِ بقيةِ الدِّينِ؛ فهي تنهي عن الفحشاءِ والمنكرِ، ويحتاجُ الصغيرُ إليها؛ لتردَّعهُ عند بلوغِهِ، وتحثُّهُ على العملِ الصالِحِ ومكارمِ الأخلاقِ.

وأمَّا ما يتعلَّقُ بأمرِ الباطِنِ، فيأتي الكلامُ عليهِ في مَوْضِعِهِ من هذا الكتابِ بإذنِ اللهِ.

قال أَنَّ رَبِيعَيْدَ: حَوَّصَلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ نَبِيِّهِ، وَاللَّهُ وَصَحِّبِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا^(١):

تُشَرِّعُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُطَبِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ لَأَنَّ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ مِنْ تَعْظِيمِ الْمُرْسَلِ وَالرِّسَالَةِ، وَتَعْظِيمُ
النَّبِيِّ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيَّ وَالْمُنْبَيِّ؛ وَبِهَذَا يَعْمَلُ الْخَلْفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛ فَفِي
«الْمُسْنَدِ» عَنْ أَبِي جَحِيفَةَ، قَالَ: «صَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى،
وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَيْرٌ هُنُّ أَهْمَّ بَعْدَ نَبِيِّهَا
أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ رض، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ
أَحَبُّ^(٢).

﴿فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوَاضِعُهُ:

وَلِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَةٌ عَلَى قَائِلِهَا، وَهِيَ مُؤْثِرَةٌ فِي قَبُولِ
الْعَمَلِ وَالدُّعَاءِ؛ فَفِي «السُّنْنَةِ» مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عَبْيَدٍ، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ لِمَنْ صَلَّى وَدَعَا، وَلَمْ يُمَجَّدْ وَلَمْ يُصَلَّى عَلَيْهِ: (عَجِلْتَ إِلَيْهَا الْمُصَلَّى)،
وَقَالَ لِمَنْ صَلَّى فَمَجَدَ اللَّهُ وَحْمَدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: (ادْعُ تُعْجَبُ،
وَسَلْ تُعْطَ)^(٢).

وَقَدْ تواتَرَتِ الْأَحَادِيثُ وَالآثَارُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
عَامَّةً، وَصَحَّتْ فِي مَوَاضِعَ خَاصَّةٍ:

فَتُشَرِّعُ كُسَائِرُ الدَّكْرِ لِغَيْرِ سَبِّ؛ لِمَا فِي «صَحِيفَ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ

(١) «زِيَادَاتُ الْمُسْنَدِ» (١٠٦/١) رَقْمُ (٨٣٧).

(٢) أَبُو دَاوُدَ (١٤٨١)، وَالْتَّرْمِذِيَّ (٣٤٧٦ وَ٣٤٧٧)، وَالْسَّائِيَّ (١٢٨٤).

أبي هريرة؛ قال : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا) ^(١).

وهي من أعظم أسباب مكفرات الذنب وجلاء الهموم؛ ففي «المسندة» من حديث أبي طلحة ^(٢)؛ قال : قال رسول الله ^(ص): (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطَبَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ) ^(٣).

وتُشرع عند أسباب، وأكملها: في الصلاة عند التشهد ^(٤)، وعند ذكر النبي ^(ص)، وبعد الأذان ^(٥)، وفي صلاة الجنائز ^(٦)، وعند الهم وال حاجات ^(٧)، وفي مجالس الذكر عامة ^(٨)، وعند الدعاء ^(٩)، وكان بعض الصحابة يختتم قنوتة بالصلاحة على النبي ^(ص)، وروي فيه مرفوعات يوم الجمعة وليلتها ^(١٠).

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) «المسندة» (٤/٢٩ رقم ١٦٣٥٢)، وهو في «شعب الإيمان» (١٤٥٥) من حديث أنس.

(٣) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حميد الساعدي. والبخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة. وورد عن عدد من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

(٤) الترمذى (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة، و(٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي.

(٥) مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) «مسند الشافعى» (١/٢١ - ٢١٠) من حديث رجل من الصحابة.

(٧) الترمذى (٢٤٥٧) من حديث أبي بن كعب. وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/١٤١٣) من حديث جابر بن سمرة.

(٨) الأصبهانى في «الترغيب والترهيب» (١٦٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٩) الترمذى (٥٩٣) من حديث ابن مسعود.

(١٠) «فضل الصلاة على النبي» (١٠٧).

(١١) النسائي (١٣٧٤) من حديث أوس بن أوس. وابن ماجه (١٦٣٧) من حديث أبي الدرداء. والبيهقي (٣/٢٤٩) من حديث أنس وأبي الدرداء.

ويُروى الصلاة عليه عند دخول المسجد، وعند الخروج منه؛ وهو معلوم^(١).

وإذا ذُكر النبي ﷺ في مجلسِ ، تأكَّدتْ .

وتُجزيَّ مَرَّةً واحدةً، وتُنْكِرُها عند ذكره أَوْلَى وأَحْوَطَ؛ وذلك لأنَّ جبريلَ دعا على مَنْ ترَكَها بالبُعْدِ، وأَمَّنْ عليه النبي ﷺ؛ كما في حديث جابرِ بن سَمْرَةَ؛ قال: صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: (آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ)، قَالَ: (أَتَانِي جَبْرِيلٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ أَبْوَيْهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: (آمِينَ)، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، فَمَاتَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَدْخِلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: (آمِينَ)، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: (آمِينَ)؛ صحيح رواه الطبراني^(٢)، وروي نحوه من حديث أبي هريرة، ومالك بن الحويرث، عند ابن حبان^(٣)، وعن كعب بن عجرة عند الحاكم^(٤)؛ وكلُّها معلومة.

ورُوِيَّ من حديث أنس بنحوه، ولكنَّ فيه: (رَغْمَ أَنْفُ امْرَئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٥).

و جاء من حديث حسين بن عليٍّ بن أبي طالب عند أحمد والترمذى مرفوعاً: (البخيل: مَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٦).

(١) انظر: «نتائج الأفكار» (١/٢٧٥ - ٢٧٧).

(٢) «المعجم الكبير» (٢/٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ٢٠٢٢).

(٣) في «صحيحة» ٤٠٩ و٩٠٧ و٩٠٨. (٤) في «المستدرك» (٤/١٥٣ - ١٥٤).

(٥) البزار (٦٢٥٢).

(٦) أحمد (١/٢٠١ رقم ١٧٣٦)، والترمذى (٣٥٤٦) من حديث حسين بن علي.

حكم الصلاة على غير النبي ﷺ:
الصلاه على غير النبي ﷺ من آلـه وأصحابـه، مع الصلاه عليهـ:
جائزـهـ.

وأمامـاً أن يفرد أحـدـ منهم بـصلـاهـ منـ غيرـ النـبـيـ ﷺـ، فـفـيـ ذـلـكـ قـولـانـ
مشهورـانـ للـعـلـمـاءـ: المـنـعـ، وـالـجـواـزـ:

وـمـنـ أـجـازـ، اـحـتـاجـ بـأـنـ عـلـيـاـ قـالـ لـعـمـرـ: «صـلـىـ اللهـ عـلـيـكـ»^(١).
وـمـنـ مـنـعـ، اـحـتـاجـ بـمـاـ جـاءـ عنـ اـبـنـ عـبـاسـ: «لـاـ أـعـلـمـ الصـلـاهـ تـبـغـيـ
مـنـ أـحـدـ عـلـىـ أـحـدـ إـلـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ»^(٢)؛ رـوـاهـ اـبـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ، عـنـ
عـثـرـةـ، عـنـهـ.

ويـكـرـهـ تـخـصـيـصـ أـحـدـ بـالـصـلـاهـ دـوـنـ غـيرـهـ؛ عـلـىـ وـجـهـ يـفـهـمـ مـنـهـ
الـغـلـوـ.

ويـذـلـلـ عـلـىـ جـواـزـ الصـلـاهـ عـلـىـ غـيرـ النـبـيـ ﷺـ مـنـ غـيرـ تـخـصـيـصـهـ،
وـاتـخـادـهـ شـعـارـاـ لـمـعـيـنـ: جـمـلـةـ مـنـ الـأـدـلـةـ:
مـنـهـاـ: قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «هـوـ الـذـيـ يـصـلـىـ عـلـيـكـمـ وـمـلـكـتـهـ»ـ [الـاحـزـابـ: ٤٣ـ].
وـمـنـهـاـ: قـوـلـ النـبـيـ ﷺـ: «إـنـ الـمـلـائـكـةـ تـصـلـىـ عـلـىـ أـحـدـكـمـ؛ مـاـ دـامـ فـيـ
مـصـلـاهـ الـذـيـ صـلـىـ فـيـهـ؛ مـاـ لـمـ يـحـدـثـ»ـ؛ رـوـاهـ الـبـخـارـيـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ^(٣)ـ.
وـمـنـهـاـ: حـدـيـثـ قـبـضـ الرـوـحـ؛ يـقـولـ أـهـلـ السـمـاءـ: (صـلـىـ اللهـ عـلـيـكـ،
وـعـلـىـ جـسـدـ كـنـتـ تـعـمـرـيـنـهـ)ـ؛ رـوـاهـ مـسـلـمـ مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ^(٤)ـ.

(١) مـسـائـلـ أـحـمـدـ؛ رـوـاـيـةـ أـبـيـ دـاـوـدـ (صـ ١١٣ـ).

(٢) اـبـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ (٨٨٠ـ٨ـ).

(٣) الـبـخـارـيـ (٤٤٥ـ وـ٦٥٩ـ وـ٢١١٩ـ)، وـمـسـلـمـ (٦٤٩ـ).

(٤) مـسـلـمـ (٢٨٧٢ـ).

﴿مُجَمِّلُ اعتقاد أهل السنة في الله تعالى﴾

قال ابن أبي زيد في مقدمة «الرسالة»: «باب ما تُنطق به الألسنة، وتعتقدُه الأفئدة؛ من واجب أمور الديانات؛ من ذلك: الإيمان بالقلب، والنطق باللسان: أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له؛ ليس لأولئك ابتداء، ولا لآخر لهم انقضاء».

أراد ابن أبي زيد: الكلام على أصول الدين وفروعه في «رسالته»، ولمّا كانت الأصول محلًّا اتفاقاً، ولا تقبلُ الرأي والنظر، كانت مختصرة بسيرة؛ يكفي فيها الإجمال، والإمساكُ عمّا لم يرد فيه نصٌّ، والمعتقدُ الذي كتبه ابن أبي زيد: هو ما أجمعَت عليه الأمة، وقد وصفَ معتقدَه في كتابه «الجامع» بأنه: «مِمَّا أجمعَت عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنَ السُّنَّةِ الَّتِي خَلَافُهَا بِذَعَّةٍ وَضَلَالَةٍ»^(١).

وقد ابتدأ بذكر وحدانية الله وصمديّته، ونفي الشريك عنه والنّد والنظير، والزوجة والولد والوالد؛ كما قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعًا أَحَدٌ» [الإخلاص: ٤ - ١].

وأنَّه سبحانه: الأوَّلُ فليس قبْلَه شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدهُ شيءٌ؛ كما قال تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ» [الحديد: ٣]، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: (اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

شيء، وأنت الباطئ؛ فلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنَ الدِّينِ، وَأَغْنِنَا مِنَ
الْفَقْرِ^(١).

وروى عَمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا قَالَ: (كَانَ اللَّهُ
وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،
وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ)^(٢).

حكم التفكير في ذات الله:

قال ابن أبي زيد: «لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ
الْمُتَفَكِّرُونَ»^(٣):

الْكُنْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَنِهايَتُهُ؛ فَيُقَالُ:
هَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ كُنْهُهُ: إِذَا كَانَ عَصِيًّا عَلَى إِدْرَاكِ كِيفِيَّتِهِ^(٤).

وإثبات صفات الباري إنما هو إثبات للوجود والحقيقة والكيفية
اللائقة به التي لا نَعْلَمُها، لا إثبات للكيفية في أذهان المثبتين؛ لأنَّ اللَّهَ
سبحانه ليس له مثيلٌ يُكَيَّفُ عليه، ولا شبيهٌ له حتى يقاس عليه؛ فالله
يقولُ عن نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]،
وَلَا أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ.

والواجب على العقول: أن تَتَوَقَّفَ عند إثبات حقيقة الصفات
ومعانيها الثابتة، ولا تتجاوز ذلك إلى الكيفية تفكيراً أو بحثاً؛ فلا تشبُّهُ
ولا تؤوِّل، ولا تفْرُضُ ولا تحرُّك؛ فكلُّ مجاوزة للعقل عن الحدِّ
المأذون به شرعاً في صفات الله تعالى، فلا بدَّ أن ينتهي بصاحبِه إلى

(٢) البخاري (٣١٩١ و٧٤١٨).

(١) مسلم (٢٧١٣).

(٣) «تهليل اللغة» (٦/٢٣).

تشبيه أو تمثيل، أو تحريف و تعطيل ، والخوض فيما نهى الله عنه يؤدي إلى هلاك صاحبه، وهو من أسباب دخول النار؛ فقد ذكر الله قول أهل النار في سبب دخولهم فيها: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الظَّاهِرِينَ» [المذتر: ٤٥].

إنما نهى الله عن الخوض فيما لا يدركه العقل: لأنه باب للشيطان لاغواء الناس؛ فيستدرجهم إلى الخوض في غير لا يحسونه، ويغرهم بقولهم، وربما ابتدأ بهم بالمشروع، تطمئنا لنفسهم حتى يجرؤهم إلى الممنوع؛ كما في قوله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ خَلَقَنِي، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا أَخْسَى أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ، فَلَيَقُولُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ) ^(١) وفي رواية: (فَلَيَسْتَعِدْ بِاللَّهِ وَلَبِنْتِهِ) ^(٢)، والنهاي ليس للبدء بالتفكير المشروع، وإنما للحد أن يكون طريقة للممنوع .

ويجب إمساك العقول والأذهان عن استرسالها بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأن الأذهان تشبة وتمثل وتكيف؛ فلا يمكن لعقل أن يتذكر وصفاً جديداً لذات لم يرها من قبل، ولو ابتكر جديداً، فإنما هي صفات مركبة من عدة ذوات جمعها لذات واحدة، فكل عقل يصور الغائب عنه على ما يرى؛ حتى تختلف الصور في العقول للذات الواحدة؛ لاختلاف المشاهدين في كل عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجداول في الله وأسمائه وصفاته .

وقد قال ابن عبد البر: «نهينا عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في

(١) أحمد (٣٣١/٢) رقم (٨٣٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/٢١٤).

حَلْقِه الدَّالُّ عَلَيْهِ^(١)؛ لَأَنَّ التَّفْكِيرَ فِي الْأَسْمَاءِ يُؤْدِي لِمَعْرِفَةِ آثَارِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْنَصَاهَا، وَهُوَ الْإِحْصَاءُ الْمُقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَسْعَهُ
وَتَسْعَيْنَ اسْمًا؛ مَنْ أَخْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

وقد قال سُحْنُونُ: «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخِرِّبْ بِهِ اللَّهُ عَنْ
نَفْسِهِ».

وبنحوه قال ابن أبي زَمِينَ.

﴿أَنْوَاعُ ظَاهِرِ الصَّفَاتِ﴾

وَظَاهِرُ الصَّفَاتِ عِنْدَ السَّلِيفِ تَوْعِانِ:

النوع الأول: ظَاهِرٌ يُلْيِقُ بِالْمُخْلوقِينَ؛ فَهَذَا يَنْفُونَهُ وَلَا يُشْتُونَهُ،
لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمِيلٌ، شَفِيعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

النوع الثاني: ظَاهِرٌ يُلْيِقُ بِالْخَالِقِ، وَهَذَا الَّذِي يُشْتُونَهُ وَلَا يَنْفُونَهُ.

وَابْنَاهُمْ لِهَذَا النَّوْعِ مِنْ ظَاهِرِ الصَّفَاتِ، لَا يَعْنِي مِشَابَهَةُ الْخَالِقِ
لِلْمُخْلوقِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ: أَنْ يَجْعَلُوا لِلصَّفَةِ حَقِيقَةً تَلْيِقُ بِاللَّهِ، لَا تَفْسِيرًا
غَيْرَ الظَّاهِرِ بِنَأْوِيلِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ؛ كَتَفْسِيرِ الْوِجْهِ بِالذَّاتِ، وَالْيَدِ بِالْقُدْرَةِ؛
فَهُمْ يَجْعَلُونَ صَفَةَ الْوِجْهِ صَفَةً حَقِيقَيَّةً تَلْيِقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابِهُ الْمُخْلوقَ،
وَالْيَدَ صَفَةً حَقِيقَيَّةً تَلْيِقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابِهُ الْمُخْلوقَ، وَيَنْفُونَ عِلْمَهُمْ بِالْكِيْفِيَّةِ،
وَيَقُولُونَ: إِنَّ نَفْيَ الْكِيْفِيَّةِ لَا يَعْنِي عَدَمَ وُجُودِهَا، وَلَكِنْ عَدَمَ عِلْمِهَا؛
فَلَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وَظَنَّ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ الصَّفَاتِ الْلَّائِقَةِ بِاللَّهِ،

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩). (٢) سبق تخرجه.

وعَدَم تأويلها، هو أَخْذُ بِلوازِمِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْتَّحِيزِ، ثُمَّ فَرَّعُوا عَنْ ذَلِكَ إِحاطَةً بِالْمُخْلوقِ بِالْخَالِقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّصْوِرَاتِ.

وَإِنَّمَا حَمَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَوَازِمُ التَّشْبِيهِ؛ فَالْمُخْلوقُ حِينَما تُثِبَتُ لَهُ صَفَةً حَقِيقَيَّةً، فَأَنْتَ تُثِبُّ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَاللَّوَازِمَ، فَأَرَادُوا نَفْيَ حَقِيقَةِ الصَّفَاتِ وَتَعْطِيلَهَا؛ هَرُوْبًا مِنْ تَشْبِيهِ انْقَدَحَ فِي أَذْهَانِهِمْ، فَوَقَعُوا فِيمَا أَنْكَرُوهُ عَلَى مَنْ أَبَتَ الْحَقِيقَةَ الْلَّائِقَةَ بِاللهِ؛ حِيثُ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَشْبُهُونَ الْمُخْلوقَ بِالْخَالِقِ لِلَاشْتِراكِ فِي الْحَقِيقَةِ وَاللَّوَازِمِ.

وَالسَّلْفُ حِينَما يَقُولُونَ: إِنَّ لِصَفَاتِ اللهِ حَقِيقَةً لَا تَشَابِهُ حَقِيقَةَ صَفَاتِ الْمُخْلوقِينَ، فَإِنَّهُمْ تَبِعًا لِذَلِكَ لَا يَلْتَرِمُونَ بِشَيْءٍ غَيْرِ مَا وَرَدَ، وَإِنْ صَحَّ لَازْمُ عِنْدِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ اللَّوَازِمَ لَا تَشَابِهُ لَوَازِمَ الْمُخْلوقِ؛ فَلَا يُحَمِّلُ قُولُهُمْ مَا لَا يَحْتَمِلُونَهُ، وَهُمْ جَعَلُوهُمْ يَقُولُونَ بِلَوَازِمَ تَشَابِهِ الْمُخْلوقَ، فَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِيقَةِ بِالنَّفِيِّ النَّامِ.

* * *

قالَ أَبُنُ أبي زَيْدٍ: **لَا يَعْتَبِرُ الْمُنَفَّكِرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذاتِهِمْ :**

ماَيِّهَةُ الشَّيْءِ: كِيفِيَّةُ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ أَحْيَانًا: مَاهِيَّةُ، وَماَهِيَّةُ^(١)، وللْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ: كِتَابُ «ماَهِيَّةِ الْعَقْلِ»، وَيُسَمَّى أَحْيَانًا: «ماَيِّهَةُ الْعَقْلِ»؛ يَعْنِي: حَقِيقَتُهُ وَكِيفَيَّتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَفِي بَعْضِ نَسْخِ «الرِّسَالَةِ»: «ماَيِّهَةُ»، بَدَلٌ: «ماَهِيَّةُ»؛ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَيْسَ مَضَافَةً لِللهِ فِي كَلَامِ الصَّدِيرِ الْأَوَّلِ، فَضْلًا عَنْ نَصْوُصِ الْوَحَيَّينِ.

(١) «التعريفات» (ص ١٩٥).

﴿مَرِفْهُ اللَّهِ بِآيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ﴾

والتفكر في آيات الله م مشروع؛ فإنها تدل على عظيم صفاته، وحسن أسمائه، وكل عظيم له آيات، ولا أعظم من آيات الله ولا أكبر؛ لأنَّه لا أعظم من الله ولا أكبر، ومن لم ير آيات الله، ضعفت عظمة الله في قلبه؛ لأنَّ عظمة الشيء تعرف برؤيته، أو برؤية آياته، أو بهما.

وقد أمر الله بالتفكير في آياته الدالة عليه؛ حتى يعرف العبد عظمة الله وقوته وضعف غيره؛ فيعرف المستحق للتعظيم والعبادة ممن لا يستحقها، فقد أمر الله بالنظر إليها، والتفكير فيها:

- فأمر بالنظر في السماء والأرض وما فيهما؛ فقال تعالى: ﴿فَقُلْ أَنْظُرْنَا
مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْأَيَّتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].
- وأمر بنظر الإنسان إلى أصله؛ فقال: ﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْهِ إِنَّهُ كَوْنٌ حَلْقٌ﴾ [الطارق: ٥].

- وأمره أن ينظر إلى معاشه؛ فقال: ﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْهِ إِنَّهُ طَعَامٌ
صَبَّاتٍ...﴾ الآيات [عبس: ٢٤ - ٢٥].

- وأمره بالنظر في خصائص بعض المخلوقات؛ فقال: ﴿فَلَا
يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيَّلِ حَيْثَ مُحْكَمٌ ﴿٦﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفَعَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

- وأمر الله بأن يتذكر الإنسان في نفسه؛ فقال: ﴿وَرَبِّكَمْ أَنْتُمْ
بُصَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

﴿سُبُّ الْوَقْعِ فِي الشُّرُكِ﴾

ولأنَّما وقع الشرك في الناس بسبب جهلهم بربهم، وعدم معرفة قدره؛ فقد يتوهُّم الإنسان عظمة ضعيف عاجز؛ فيبذل له من العبودية ما يناسب ما

توهّمه من عَظَمَةٍ؛ ولذا يقرُّنَ اللَّهُ الْجَهْلَ بِقَدْرِهِ بِعِبُودِيَّةِ غَيْرِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَلَمَّا ذَكَرَ الشَّرَكَ ذَكَرَ جَهْلَهُمْ بِقَدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَنْعَوْكُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَلَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدِمُهُ مِنْهُ ضَعْفُ الْطَّالِبِ وَالظَّلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقًّا قَدَرْهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِّ عَرِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]؛ فَيَبْيَّنُ أَنَّ سَبَبَ شِرْكِهِمْ هُوَ جَهْلُهُمْ بِقَدْرِ رِبِّهِمْ، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقًّا قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقَضَاهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ فَذَكَرَ عَظَمَةً ذَاتِهِ؛ لِتَدْلُّ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شِرْكِ الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرُوهُ حَقًّا قَدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَعَلَ التَّفْكِيرَ فِي الْمَلَكُوتِ مُوجِبًا لِتَنْزِيهِ اللَّهِ عَمَّا يَظْهِرُهُ الْمُبْطِلُونَ وَسُؤَالِهِ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِنَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَذِينَ لَا يَذْكُرُونَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْتَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ الْأَنْتَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيًّا، وَعَظَمَهُ بِمَا يَتَضَمَّنُ النَّفَصُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَتَسْوِيَتْهُ بِالرَّسُولِ ﷺ، عَرَفَهُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَظَمَتْهَا، وَفَصَّلَ فِيهَا؛ لِيُدْرِكَ الْأَعْرَابِيُّ مَا ضَيَّعَهُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ؛ كَمَا رَوَى جُبَيْرُ بْنُ مُطَعْمٍ؛ قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيًّا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَهَدْتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنَهَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِي اللَّهَ ﷺ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيَحْكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟)، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَاحِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَيَحْكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَى

أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، شَاءَ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحْكُمُ أَنْ تَدْرِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ إِنْ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهُكَذَا - وَقَالَ يَأْصِبُونِي مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيُعْطِي بِهِ أَطْيَطَ الرَّحْلِ بِالرَّاهِبِ»^(١).

وإنما عرف النبي ﷺ الأعرابيًّا بآيات الله؛ لأنَّها أعظمُ بابٍ مشاهدٍ ومعلوم في تلك الحال يُدركُ به الأعرابيًّا عَظَمَةَ حالِقهِ.

﴿ عِقِيدَةُ التَّفَوِيقِ : ﴾

ولا يعني ابنُ أبي زَيْدٍ مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ»: التَّفَوِيقُ، وإنما مرادُهُ: نفيُ تشبُّهِ الصَّفَاتِ ونفيُ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّتِهَا، لا نفيُ حَقِيقَتِهَا؛ فإنَّ التَّفَكُّرَ فِي الذَّاتِ قَدْرُ زَائِدٍ عَنِ إِثْبَاتِ الْحَقِيقَةِ؛ فِي إِثْبَاتِ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ مَعْرِفَةُ الْكَيْفِيَّةِ.

ومن هُنَّا: قولُ الْحَسَنِ لَمَّا سُئِلَ: هل تَصِفُ رَبَّكَ؟ قالَ: نَعَمْ، بغيرِ مِثالٍ^(٢). فنَفَى التَّفَوِيقَ بِإِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصَّفَةِ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْقُدْرَ المَنْفَعِيَّ هو الْمِثَالُ الَّذِي هُو التَّشْبِيهُ وَالتَّكْيِيفُ، فَالإِيمَانُ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّتِهِ صَحِيحٌ شَرِيعًا وَعَقْلًا، فَتُؤْمِنُ بِحَقِيقَةِ صَفَاتِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنُ رَأَتْ، وَلَا أَذْنُ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)^(٣).

وعقبَةُ السَّلْفِ: إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ الصَّفَاتِ، وَتَفَوِيقُ كَيْفِيَّتِهَا، وَلَا يَلْزَمُ فِي الْعُقْلِ - مِنْ إِثْبَاتِ الْحَقِيقَةِ: التَّشْبِيهُ؛ فَأَنْتَ مَثَلًا تُثِبُّ صَفَةَ الْحَيَاةِ حَقِيقَةً لِعَدَدِ ذَوَاتٍ؛ كَحَيَاةِ الْأَرْضِ، وَحَيَاةِ الشَّجَرِ، وَحَيَاةِ الإِنْسَانِ،

(١) أبو داود (٤٧٢٦).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (٢٩)، و«الستة» لعبد الله (٤٩٩ و١١٣٢).

(٣) البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

والحياة في هذه الذوات صفة حقيقة؛ فتقول: حَيَّتِ الْأَرْضُ وَمَا تُ، وَحَيَّتِ الشَّجَرَةُ وَمَا تُ، وَحَيَّيَ الْإِنْسَانُ وَمَا تُ، وإثبات الحقيقة لهذه الذوات لا يعني تشبيها؛ فحياة كل ذات تختلف عن الأخرى، وكذلك في بقية الصفات اللازمـة للذات، والصفات الفعلـية المتعلقة بالمشيـة.

وتوهمـون أن إثباتـ الحقيقة يلزمـ منه التشـيبةـ، هو الذي حـملـ بعضـ الطـوائفـ على القـولـ بالتفـويضـ والـتعـطـيلـ؛ فـفـرـواـ منـ باـطـلـ إـلـىـ باـطـلـ، وـفـهـمـواـ آـيـةـ نـفـيـ التـشـيبـ وـالـتمـثـيلـ عـلـىـ غـيرـ وـجـهـهـاـ؛ فـغـلـوـاـ فـيـ معـناـهاـ غـلـوـاـ حـمـلـهـمـ عـلـىـ القـولـ بـالـبـدـعـةـ؛ فـنـفـوـاـ أـصـلـ الـحـقـيقـةـ لـلـصـفـاتـ؛ خـوـفـاـ مـنـ إـثـبـاتـ الـحـقـيقـةـ الـمـشـابـهـةـ؛ حـتـىـ قـالـ أـحـمـدـ فـيـ «ـالـرـدـ عـلـىـ الزـنـادـقـةـ»ـ: «ـقـالـوـاـ هـوـ شـيـءـ لـاـ كـالـأـشـيـاءـ»ـ فـقـلـنـاـ: إـنـ الشـيـءـ الـذـيـ لـاـ كـالـأـشـيـاءـ، قـدـ عـرـفـ العـقـلـ أـنـهـ لـاـ شـيـءـ؛ فـعـنـدـ ذـلـكـ: تـبـيـنـ أـنـهـمـ لـاـ يـشـتـونـ شـيـءـ، وـلـكـنـهـمـ يـدـفـعـونـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ الشـنـعـةـ بـمـاـ يـقـرـؤـونـ مـنـ الـعـلـانـيـةـ»ـ^(١)ـ؛ وـالـلـازـمـ لـنـفـيـ حـقـيقـةـ الصـفـاتـ: تعـطـيلـ الذـاتـ وـالـتـشـيبـ بـالـمـعـدـومـاتـ، وـلـاـ يـلـزـمـ إـثـبـاتـ الـحـقـيقـةـ: التـشـيبةـ، كـمـاـ قـالـ مـحـمـدـ الـكـرـجـيـ الـقـصـابـ فـيـ «ـنـكـتـ الـقـرـآنـ»ـ^(٢)ـ.

تـارـيخـ مـذـهـبـ التـفـويـضـ :

وـلـاـ يـعـرـفـ فـيـ أـقـوـالـ أـحـدـ مـنـ الصـحـابـةـ وـلـاـ التـابـعـينـ وـلـاـ أـنـبـاعـهـمـ تـفـويـضـ حـقـيقـةـ الصـفـاتـ، إـنـ أـخـدـ مـنـ لـمـ يـعـرـفـ مـنـاهـجـهـمـ بـعـضـ إـطـلاـقـاتـهـمـ، فـحـمـلـهـاـ عـلـىـ التـفـويـضـ، فـهـؤـلـاءـ إـنـماـ أـخـذـوـاـ الـلـفـظـ الـمـحـتـمـلـ، وـلـمـ يـعـرـفـوـاـ سـيـاقـهـ، وـلـاـ مـوـاضـعـ الـأـخـرـىـ الـقـاطـعـةـ بـتـفـسـيرـهـ.

وـإـنـ كـانـ بـعـضـ الـأـئـمـةـ مـنـ أـهـلـ السـنـنـ يـشـيرـ إـلـىـ اـعـتـقـادـ بـعـضـ النـاسـ

(١) «ـالـرـدـ عـلـىـ الجـهـمـيـةـ وـالـزـنـادـقـةـ»ـ (صـ ٩٩ـ).

(٢) (٤/٦٨ـ).

في القرن الثالث للتفويض؛ كما أشار إليه الدارمي في «رده على بشر المرسي»، وإنما اشتهر التفويض في قول الكلابية؛ يريدون التوسط بين المعطلة والمشبهة؛ فيسلمون من الطائفتين: بتفسير حقائق الصفات ومعانيها، مع أن المفوضة في الحقيقة معطلة؛ مما سلّموا بالتفويض من التعطيل، وظهر التفويض في قول أبي منصور الماتريدي في حرسان، وأبي الحسن الأشعري في العراق في «رسالته إلى أهل الشّرّ»، وقد كتبها قبل كتابة «الإبانة».

والله تعالى أنزل كتابه ليتذرّر وهو معلوم المعنى، ولم يذكر أحدٌ من الصحابة والتابعين وأتباعهم من المفسرين وغيرهم: أن آيات الصفات من المتشابه الذي لا يجوز الكلام في تفسيره وبيان معانيه، بل صحيح عن ابن عباس: أنه جعلها من المحكمات؛ وذلك لما سمعَ رجلٍ بحديث في الصفات، فانتقضَ، فقال ابن عباس: «مَا فَرَقْ هَؤُلَاءِ! يَجِدُونَ عِنْدَ مُحَكَّمٍ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُشَابِهٍ!»^(١)؛ و«يَجِدُونَ»؛ يعني: يغضبون^(٢).

ومن فوّض الصفات، ولم يثبت لها حقيقتها، وجعل غاية الإيمان بآيات الصفات الإيمان بحروفها - فقد خالفَ المقصود من التنزيل، وجعلَ عربية القرآن لا معنى لها؛ فالإيمان بالحروف لا يختلف في العربية والأعجمي.

والله سئى كتابه مبيناً مفضلاً، وأمرَ بتذرّره، وجعل لعربته ميزة وخصوصية، وهي معرفة المعاني وحقائقها؛ فقال: ﴿فَرَأَنَا عَرَبِيًّا لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وقال: ﴿فَرَأَنَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]،

(١) «جامع معمر» (٢٠٨٩٥)، و«السّنة» لابن أبي عاصم (٤٨٥)، و«ذم الكلام» للهروي (١٩٣).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (١٥٥/٥).

وسمى كتابه بالفصل والبيان؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ٧٥]، وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ مَا يَتَّهِدُ فِرْمَاتٌ عَرِيشًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢]، وأمرَ كثيراً بتدبره؛ قال: ﴿إِذْبَرُوا مَا يَتَّهِدُ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ الْقُرْمَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

والقول بأن آيات الصفات من المتشابهات، وعلى هذا تُنفي حقائقها وتفوّضُ، لم يُسبّق قائله بهذا؛ لا من الصحابة، ولا من التابعين.

نسبة التفويض للسلف:

ويُنسب جماعة التفويض إلى السلف؛ وذلك لأنّ في بعض كلام بعضهم ما يُتوهّم منه التفويض؛ كقول بعضهم في آيات الصفات وأحاديثها، كالزهري، ومكحول: «أَمْرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ»^(١)، أو قول بعضهم؛ كالأوزاعي، والثوري، ومالك، والليث، وأحمد: «أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ»^(٢)، أو قول بعضهم؛ كالوليد بن مسلم: «أَمْرُوهَا بِلَا كَيْفٍ»^(٣)، أو قول بعضهم؛ كابن عيّنة: «هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ نُقْرِبُ إِلَيْهَا، وَنُحَدِّثُ إِلَيْهَا بِلَا كَيْفٍ»^(٤)، أو قول بعضهم؛ كوركيع: «نُسَلِّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟»^(٥)، ونحو ذلك من الأقوال.

ويحملون إرار آيات الصفات وأحاديثها بمعنى تركها حروفًا

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٥)، و«الرسالة الواقية» (١٩).

(٢) «الشريعة» (٧٢٠)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٩٣٠)، و«الأسماء والصفات» (٩٥٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٥)؛ نقلًا عن جماعة من الأئمة.

(٤) «الصفات» للدارقطني (٦٣).

(٥) «الستة» لعبد الله (٤٩٥)، و«الصفات» للدارقطني (٦٢).

كالإعلمية غير المفهومة، أو كما يرى القارئ خطوط الأمم السابقة الأثرية من أصحاب اللغات البائدة، إلا أن حروف القرآن مقدسة، ولكن الجهل بالمعنى واحد.

وهذا غلط شنيع، وقدح في بيان القرآن ومصادره، وفي الحكمة الإلهية من التنزيل؛ وفي هذا قال الإمام المدائني عبد العزيز الماجشون قريئن مالك - لما نظر مرأة في شيء من سلب الصفات - : «هذا الكلام هدم بلا بناء، وصفة بلا معنى»^(١).

ويدل على أن الأئمة لا يريدون بقولهم: «أمروها كما جاءت» تفويض إثبات الحقيقة: أن مالكا سئل عن رؤية الله؟ فقال: «يرؤونه بأعينهم»^(٢)، ثم سئل عن أحاديث رؤية الله؟ فقال: «أمروها كما جاءت»^(٣).

وهذا كله ليس تناقضًا من مالك، بل إن الإمام لا ينافي الإقرار بالحقيقة، بل تفويض كيفية إثباتها إلى الله لا تفويض إثباتها.

وقراءة القرآن والبيان فيه يقتضي إثبات حقيقة الصفات ومعانيها الصحيحة، وما زاد عن ذلك، فهو منفي من التكيف والتشبيه والتمثيل، والتأويل والتعطيل؛ فالمفسرون يعلمون أن الحقيقة معنى مقصود في الآية، ويستقر في نفس القارئ؛ كما قال يزيد بن هارون: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة، فهو جهنمي»^(٤).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣١٢/٧).

(٢) «الشريعة» (٥٧٤)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٠).

(٣) سبق قبل قليل.

(٤) «السنة» لعبد الله (١١١٠).

ومراؤه بالعامّة: أهلُ السليقة، والفطرة الصالحة؛ الذين يقرؤونَ آية الاستواء، ويقرؤونَ قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١]؛ فـيرونَ أنَّ لا تناقضَ ولا تضادَ بين إثباتِ الحقيقة، ونفي التمثيل.

وهذه العبارات لم يكن يعبرُ بها الصحابةُ ولا كبارُ التابعينَ؛ لأنَّ أقوالَ التعطيلِ أو التمثيل لم تكن قد ظهرَت في زمانِهم؛ ولما ظهرَت بعد ذلك أراد أولئك الأئمَّةُ دفعَ تلك الْبِدْعَةَ، لا نفي معانِي الصفاتِ وحقائقها من الأخبار؛ فهذا قَدْرٌ يُقْرُونَ به؛ ويفسُّرُ ذلك نصوصُهُمُ الآخرِ.

والإمْرَأُ في قوله: **﴿أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ﴾**؛ يعني: الإثبات والإقرار بحقائقها؛ لأنَّ هذا مما جاءَت به، والمنفيُ في الشريعة: التشبيه والتَّمثيلُ في قوله: **﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١]، وما كان سوى التمثيل من إثباتِ الحقائقِ والمعانِي الصالحةِ، فليس منفيًّا، بل هو مقصودُ في نصوصِ الْوَحِيِّ.

ولهذا يقولُ مالكُ بنُ أنسٍ: «الاستواء معلوم»^(١)؛ يعني: ليس حروفاً، وإنما هو حقيقة، وإثباتُ حقائقِه لا يعني تشبيهه بغيره.

ولما ضعَّفَ اللسانُ العربيُّ، وراجَتْ مقولَةُ التشبيهِ، والمقالاتُ ضَدَّها، وفسَدَتِ السليقةُ بإثباتِ الحقيقةِ، والمعانِي الصالحةِ - ما أراد بعضُهم: إلى مذهبِ التفويض؛ للخلاصِ مِن تلك الْبِدْعَةِ، وبعضُهم: أراد للعوامِ السلامةَ مِن تلك الآفَاتِ؛ كما قالَه العَزَّالِيُّ^(٢).

حتى شاعتُ تلك المقالةُ بسببِ أخذِ بعضِ فضلاءِ أهلِ الحديثِ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٦٤)، بمعناه.

(٢) كما قرَّره في كتابه «إلحاد العوام».

بها؛ كالخطابي في بعض شروحه عند تعليقه على بعض الصفات^(١)، وكذلك: البهقي في كتابه: «الأسماء والصفات»^(٢)، و«الاعتقاد»^(٣)، وكذلك: جماعة من أهل الفقه والنظر من الشافعية؛ كالجوياني في «الرسالة النظامية» التي آت رأيه إليها^(٤)، والغرالي في «إلجام العوام»^(٥)، ومن الحنابلة؛ كالتميمي، وابن عقيل^(٦)، ومراجع الكرمي^(٧)، ومن هؤلاء: من يضطرب؛ فيؤول في موضع تارةً، ويقوس في موضع آخر تارةً.

وليس من السلامа: ترك مراد الله في كلامه؛ كما يزعمه المفوضة؛ فإن ترك حقائق النصوص ومعاناتها الصحيحة: هلاك، لا سلاماً؛ لأن التفويض مبني على التعطيل.

والمعتزلة الذين هم أسبق في علم الكلام من الأشاعرة يعرفون الفرق بين مذهب السلف وبين مذهب الكلابية في الصفات الخبرية؛ فالأشاعرة يجعلون السلف مفوضة؛ تمسّكاً ببعض الإطلاقات المشتبهة من أقوالهم، والمعتزلة يفرقون بين مذهب الكلابية في التفويض، وبين مذهب السلف أهل الحديث في إثبات حقيقة الصفات الخبرية بل والعقلية.

الغلو في التزريه يؤدي إلى توهم التعظيم في التفويض والتعطيل:
لما كثرت المذاهب البدعية في التشبيه والتأويل والتحريف، كان التفويض عند بعضهم مخلصاً منها؛ فتوهم تعظيم الله بتفويض معاني نصوص الصفات إليه أو تعطيلها؛ وهذا الدافع قديم؛ فقد ذكر عند

(١) «معالم السنّة» (٣/٢) (١٦٥).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/٣٠٣).

(٣) «الاعتقاد» (ص ١٢٠ - ١١٨).

(٤) «المقيدة النظامية» (ص ٣٤ - ٣٢).

(٥) «إلجام العوام» (ص ٤٧ - ٤٢).

(٦) انظر: درء التعارض (١/١٥).

(٧) كما في رسالته «أغوايل الثقات» (ص ٦٥ - ٦١).

ابن مهدي الجهمي، وأنهم ينفون الصفات، ويقولون: «الله أعظم من أن يُوصَف بشيء!»، فقال ابن مهدي: «قد هلك قومٌ من هذا الوجه»^(١).

ووَجَدَ أهْلُ التَّفَوِيْضِ مِنْ مُتَشَابِهِ كَلَامَ بَعْضِ الْأَئْمَةِ؛ مِنْ إِمْرَارِ أَخْبَارِ الصَّفَاتِ كَمَا جَاءَتْ: مَا يَؤْيِدُ ذَلِكَ الْمَذَهَبَ، حَتَّى شَاعَ التَّفَوِيْضُ فِي الْمَغْرِبِ؛ حَتَّى عَدَهُ ابْنُ خَلْدُونَ فِي «مِقْدَمَتِهِ» مَذَهَبًا لِلسلفِ، وَالْأَقوالُ الْبَاطِلَةُ مَهْمَا بَلَغَتْ شَنَاعَةً، لَا يَجُوزُ حَمْلُ النَّاسِ عَلَى باطِلٍ آخَرَ لِأَجْلِهَا؛ فَلَا يُفَرِّغُ مِنْ باطِلٍ إِلَى باطِلٍ، وَلَوْ كَانَ أَفْلَى مِنْهُ، مَعَ إِمْكَانِ بَيَانِهِ؛ وَلَهُذَا يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «لَا تُزِيلُ عَنْهُ صَفَّةً مِنْ صَفَاتِهِ؛ لِشَنَاعَةٍ شُنِعَتْ»^(٢).

وَالْأَئْمَةُ حِينَما يَقُولُونَ: «نُمَرِّهَا لَا نُفَسِّرُهَا»، لَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ: نَفِيَ الْحَقِيقَةِ، فَالْتَّفَسِيرُ الْمَرَادُ بِهِ: التَّكِييفُ؛ كَمَا قَالَ أَبُو عَبْيَدٍ: «إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَرَحَكَ؟ قِيلَ: لَا يُفَسِّرُ هَذَا، وَلَا سَمِعْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهُ»^(٣)؛ فَجَعَلَ السُّؤَالَ عَنْ كِيفِيَةِ الصَّفَةِ سُؤَالًا عَنْ تَفَسِيرِهَا.

وَمِثْلُ ذَلِكَ: قَوْلُ بَعْضِ الْأَئْمَةِ؛ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: «لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى»^(٤)، وَلَيْسَ مَرَادُهُ بِذَلِكَ: نَفِيَ وَجُودُ الْكِيْفِ، وَلَكِنْ نَفِيَ الْعِلْمُ بِهِ، وَكَذَلِكَ فِي نَفِيِ الْمَعْانِي: لَيْسَ مَرَادُهُ نَفِيَ وَجُودُ الْمَعْانِي، وَلَكِنْ نَفِيَ التَّأْوِيلَاتُ الْبَاطِلَةُ؛ لَأَنَّهَا كَانَتْ شَائِعَةً ذَائِعَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْمَجَالِسِ فِي زَمَانِهِ.

وَمِنْ هَذَا: قَوْلُ أَبِي عَبْيَدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ؛ قَاصِدًا الْمَعْانِي الْفَاسِدَةَ خَاصَّةً: «نَحْنُ نَرَوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا نُرِيْغُ لَهَا الْمَعْانِي»^(٥).

(١) «إبطال التأويلات» (٧). (٢) «ذم التأويل» (٢٧).

(٣) «الصفات» للدارقطني (٥٧).

(٤) «ذم التأويل» (٣٣).

(٥) «الأسماء والصفات» (١٩٢/٢)، و«أقاويل الثقات» (ص ١٧٨).

ومن أئمّة السلف: مَن يرِيدُ بالمعنى: التكثيف؛ فينفيه؛ كما سُئلَ يزيدُ بنُ هارونَ عن معنى حديثِ في الصفاتِ، فَغَضِبَ وَحَرَدَ، وَقالَ: «وَيْلَكَ مَن يَدْرِي كَيْفَ هَذَا»^(١).

فجعلَ سؤالَهُ عن المعنى سؤالاً عن الكَيْفِ؛ لأنَّه فَهُم مقصودُ السائلِ على ذلك، وَمَعْرِفَةُ سِيَاقَاتِ كلامِ الأئمّة مُفسِّرةٌ لِألفاظِهِمُ المُتَبَاينَةِ في الاستعمالِ؛ بحسبِ مَوْضِعِها، وَحَمِلُّها عَلَى معنَى وَاحِدٍ مُتَطابِقٍ باطِلٍ، والسلفُ كانوا يَسْكُنُونَ عن آياتِ الصفاتِ؛ لأنَّ إثباتَ الحقيقةِ مستقرٌ في نفوسِهم؛ وقد قالَ مالكُ واصفاً أهْلَ الْبَدْعِ: «وَلَا يَسْكُنُونَ عَمَّا سَكَّتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ».

وَلَا يَلْزَمُ مِن تَنْزِيهِ الله عن التَّشْبِيهِ نَفِيَ الحقيقةِ في صفاتِ الله تعالى؛ كما لا يَلْزَمُ مِن إثباتِ الحقيقةِ التَّشْبِيهُ، وَمَا زَالَ الْعُلَمَاءُ يَحْتَرِزُونَ مِنْ هَذَا الفهِمِ كُلُّ بحسبِ تعبيرِهِ، وَلِمَا أَثَبَتَ عَبْدُ الغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ الْأَسْتَوَاءُ، قَالَ: «بِلَا تَنْزِيهٍ يَنْفِي حَقِيقَةَ النَّزُولِ»^(٢)؛ دفعاً لِتوهُمِ التعطيلِ والتَّفويضِ.

وَالْمَفْوَضَةُ سَكَّتُوا عَمَّا سَكَّتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ مِن التَّكَيِّفِ وَالتَّأْوِيلِ الْمُخَالِفِ لظَاهِرِ الْلُّفْظِ، وَنَفَّوْا مَعَ السُّكُوتِ: مَا أَثَبَتَهُ الصَّحَابَةُ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِيِّ.

روايةُ الأئمّة لأحاديثِ الصِّفَاتِ، واحتراؤُهُم مِنْ سوءِ فهِمِها:
والسلفُ يُسْتَوْنَ حِقَائِقَ الصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا الصَّحِيحَةَ بِالْإِجْمَاعِ؛ وَهَذَا مَا جَاءَتْ بِهِ النَّصُوصُ، وَيُفَرَّقُونَ بَيْنَ سِيَاقَاتِ الْأَقْوَالِ، وَالزَّمِنِ الَّذِي تَشَيَّرُ فِيهِ الْبَدْعُ عَنْ غَيْرِهِ:

(١) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٦٥). (٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١٠٠).

فريما منعوا رواية حديث صحيح؛ خشية فهمه على غير وجهه، وربما حظروا إطلاق لفظة واردة؛ لأن فهم الناس قد تغير، ولم يكونوا على السليقة الأولى؛ فتعاملوا مع فهم، لا مع مجرد النص؛ وهذا من الفقه والحكمة، وربما جاء مزيد توضيح بإشارة أو عبارة تناسب أذهان السامعين عند الحديث.

ومن ذلك: أنه جاء في الإشارة باليد إلى عضو في الإنسان أو غيره؛ لإثبات صفة من الصفات الإلهية؛ وذلك لإثبات حقيقتها، لا للتشبيه؛ كما جاء من حديث أبي هريرة؛ أنه قرأ قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنْ تُؤْذُوا الْأَكْنَمَتِ إِلَّا أَعْلَمُهَا...» [النساء: ٥٨]، إلى قوله تعالى: «سَمِيعًا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨]، ثم قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَكْلُبُ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أَذْنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»، قال أبو هريرة: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَكْلُبُ يَقْرُؤُهَا، وَيَضَعُ إِضْبَاعَهُ»^(١).

ومراد النبي ﷺ: إثبات حقيقة السمع والبصر، لا التشبيه. وهكذا فهم السلف؛ كما قال ابن يونس: «قال المقرئ^(٢)، يعني: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ يعني: أَنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَبَصَرًا^(٣)».

وجعله أبو داود ردًا على المعطلة، فقال: «هذا رد على الجهمية»^(٤).

ولم يجعلوه حججًا للمتشبهة، بل هم ينقضون قولهم ويردونه؛ فهم يعرفون سياقات الأدلة، والمراد منها، والجمع بينها وبين بقية النصوص في الباب.

(٢) هو: عبد الله بن يزيد المقرئ.

(١) أبو داود (٤٧٢٨).

(٤) الموضع السابق.

(٣) أبو داود (٤٧٢٨).

وجاء في معنى ذلك: حديث في صفة التجلي؛ من حديث أنسٍ عند الترمذى^(١)، وفي صفة القبض للأرض والطى للسموات؛ من حديث ابن عمرٍ عند أحمد^(٢)، وأصله في مسلم^(٣)، وفي وضع الأرض على إصبع، والسماء على إصبع؛ من حديث ابن عباسٍ عند أحمد والترمذى^(٤)، وينحوه من حديث ابن مسعود^(٥)، وأصله في البخارى^(٦)، وقد حدث به يحيى بن سعيدٍ أحمد بن حنبل وأشار بإصبعه، وحدث به أحمدُ ابْنَه عبد الله وأشار بإصبعه^(٧).

وهذه الأحاديث لا تخفي على الأئمة؛ كمالك، وأحمد؛ كيف وقد رأوا بعضها، ويعلمون المقصود منها.

ومع ذلك: فإنهم نهوا عن الإشارة باليد عند الحديث عن صفاتِ رب؛ لاختلاف الفهم، وضعف اللسان؛ فتبعها ضعفُ إدراكِ المعنى المراد، وربما اختلف قولهم من حال إلى حال، ومن سياق إلى سياق؛ وقد قال مالك: «من وصف شيئاً من ذات الله؛ مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ أَلَّا يَرَى بَعْصَيْرٍ﴾ [الشورى: ١١]، فأشار إلى عينيه وأذنيه، [أو شيئاً] من يديه -: قطع ذلك منه؛ لأنَّ شَبَهَ الله بِنفسه»^(٨).

وقد قرأ رجلٌ عند أحمد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

(١) الترمذى (٣٠٧٤).
(٢) أحمد (٢/٧٢) رقم (٥٤١٤).

(٣) مسلم (٢٧٨٨).

(٤) أحمد (١/٢٥١ و ٣٢٤) رقم (٢٢٦٧ و ٢٩٨٨)، والترمذى (٣٢٤٠).

(٥) أحمد (١/٣٧٨ و ٤٢٩ و ٤٥٧) رقم (٣٥٩٠ و ٤٠٨٧ و ٤٣٦٨)، والترمذى (٣٢٣٨) و (٣٢٣٩).

(٦) البخارى (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٧) «الستة» لعبد الله (٤٨٩).

(٨) «التمهيد» (٧/١٤٥).

جَمِيعًا فَبَصَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِعِينِهِ» [الزمر: ٦٧]، ثُمَّ أَوْمًا بِيَدِهِ، فَقَالَ لِهِ أَحْمَدُ: «فَطَعَهَا اللَّهُ! فَطَعَهَا اللَّهُ!»، ثُمَّ حَرَّدَ وَقَامَ^(١).

مع أَنَّه قد روى الحلال في «كتاب السنة»، عن أبي بكر المروزي، عن أَحْمَد؛ أَنَّه روى حديث وضع السماء والأرض وغيرها، كُلَّ واحدٍ على إِصْبَعٍ، وَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أبا عَبْدِ اللَّهِ يُشَيرُ بِإِصْبَعٍ إِصْبَعَ»^(٢).

وَمِثْلَهُ فَعَلَ الأَعْمَشُ^(٣)، وَسُفِيَانُ التَّوْرِيُّ، عِنْدَ حِدِيثٍ وَضَعِيفِ الْقُلُوبِ بَيْنَ إِصْبَاعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ الرَّحْمَنِ^(٤)، وَجَاءَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي «الصِّفَاتِ»^(٥).

وَفِصْدُ الْأَئْمَةِ - كَمَالِكَ، وَأَحْمَدَ - فِي نَهِيِّهِمْ عَنِ التَّحْدِيدِ بِبعضِ الْحَدِيثِ، وَالتَّحْدِيدُ مَعَ الإِشَارَةِ، وَلَوْ كَانَ وَارِدًا وَصَحِيحًا - خَوفُ تغْرِيرِ الْعَامَّةِ؛ وَعَلَيْهِ نَصَّ مَالِكٍ لِمَا سُئِلَ عَنِ حِدِيثٍ: (إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَزَ لِمَوْتِ سَعْدٍ)^(٦)، قَالَ: «لَا يُتَحَدَّثُ بِهِ، وَمَا يَدْعُونَ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنْ التَّغْرِيرِ!»^(٧).

وَحِدِيثُ اهْتَزاْرِ الْعَرْشِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَلَكِنَّ صِحَّتَهُ بَابٌ، وَفَهَمَهُ بَابٌ آخَرٌ؛ فَمَا كُلُّ صَحِيحٍ يَصْبُحُ التَّحْدِيدُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكُ رَبِّاً وَصَافَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَمِ الْفَقْهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ عَمَّنْ تَحَدَّثَ بِالْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدمَ عَلَى صُورَتِهِ)^(٨)، وَ(إِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٩٧/١٣). (٢) «فتح الباري» (٧٣٩).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٣٨٣٤).

(٤) «حديث سفيان» (٢٩٧).

(٥) «الصفات» (٤١) من حديث جابر، و(٤٢) من حديث أنس.

(٦) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر.

(٧) «المتنقي» (٣٥٧/١).

(٨) البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة.

القيامة^(١)، و«إِنَّهُ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرُجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ»^(٢)؟ فأنكَرَ ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحدَّث به، قيل: قد تَحدَّث به ابن عَجلان؟ قال: لم يكن من الفُقهاء^(٣).

و ربّما امتنع أَحْمَدُ عن التحدِيث ببعض الحديث الصحيح، بل: ما تلقَّته العلَماء بالقُبُول - كحدِيث جابر مرفوعاً، وفيه: (فَضَحِكَ حَتَّى
بَدَأْتُ...)^(٤) - كان أَحْمَدُ يَصِفُه بأن العلَماء تلقَّته بالقبول، ومع هذا يقول:
«ما أَعْلَمُ أني حَدَّثْتُ به إِلا لِمُحَمَّدٍ بْنَ دَاؤِدَ الْمَصْبِصِي»^(٥)؛ وسبب ذلك
- كما قال أَحْمَد - أنه شُنِعَ به.

والآئمَّةُ عند إِرادة الإثبات يختلفون في طرِيقَتهم عند النفي؛ فربّما تجوَّزوا بعبارة وإشارة لإثباتِ الحقيقة، وإيصال المراد من النص
للسامع، وليس مرادُهُم التشييه؛ فسياقاتُ الكلام لا بدَّ من معرفتها لتمييز
الألفاظ؛ وقد سُئلَ ابن إِذْرِيسَ عن قومٍ يقولون: «القرآنُ مخلوقٌ؟»
فاستشنع ذلك، وقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ! شَيْءٌ مِّنْهُ مخلوقٌ!»، وأشار بيده
إلى فيه^(٦).

وأراد بهذا: إثباتُ الحقيقة، لا إثباتَ الْفَمِ والشفتينِ، واللسانِ
واللَّهَاءُ، والحاجةُ إلى الهواءِ، وغير ذلك.

(١) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) «التمهيد» (٧/١٥٠)، و«ترتيب المدارك» (٢/٤٤).

(٤) «تفسير الطبرى» (١٥/٦٠٤)، و«الإيمان» لابن منه (٢/٨٢٣)، و«إبطال التأويلات» (٢٠٢ - ٢٠٤).

(٥) «إبطال التأويلات» (٢١٢).

(٦) «الستة» لعبد الله (٣٠).

﴿ تَوْهُمُ الْلَّوَازِمِ الْبَاطِلَةِ يُفْضِي إِلَى التَّفْوِيْضِ وَالتَّأْوِيلِ وَالْتَّعْطِيلِ :

وربما توهّم السامّ لأنّ خبر الصفات لازماً يلزم من إثباتها، فحملة ذلك على تأويتها وتفسيرها، وإذا كان الله تعالى لا يُشِّبهه شيء في كيفية صفاتـه؛ فإنّ نفي التشبيه باللوازـم من بـاب أولـى، واستحضار لوازـم بـعـينـها تدفع صاحبـها إلى الرجـوع إلى الصـفةـ وتعـطـيلـها أو تـأـويـلـها أو تـفـويـضـها.

وقد سمع الإمام أـحمدـ قـاصـا يـروـي حـدـيـثـ النـزـولـ، وـيـقـولـ:

«بـلا زـوـانـ، وـلا اـنـتـقـالـ، وـلا تـغـيـرـ حـائـلـ»، فـارـتـعـدـ أـحـمـدـ، وـاصـفـرـ لـونـهـ، وـقـالـ لـابـنـهـ عـبـدـ اللـهـ: «فـقـفـ بـنا عـلـى هـذـا المـتـخـرـصـ»، فـلـمـا حـادـاهـ، قـالـ:

«يـا هـذـا؛ رـسـوـلـ اللـهـ أـغـيـرـ عـلـى رـبـهـ مـنـكـ؟ فـلـ كـمـا قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ»، وـانـصـرـفـ^(١).

* * *

قال ابن أبي زيد: «**﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِنَّ وَمَنْ عَلِمَهُ إِلَّا بِمَا شَاءَ كُرْبَيْلَةُ وَسَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَنْوِي حَقْنَهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْغَلِيْلِيُّ »** [البفرة: ٢٥٥]، العالم الحـيـرـ، المـدـيـرـ القـدـيرـ، السـمـعـ البـصـيرـ، الـعـلـيـ الـكـبـيرـ»:

﴿ عُلُوُّ اللَّهِ :

يـجـبـ الإـيمـانـ بـعـلوـ اللـهـ عـلـى خـلـقـهـ، وـأـنـهـ تـعـالـى فـوقـ السـمـاءـ عـلـى عـرـشـهـ، وـالـدـلـائـلـ عـلـى عـلوـ اللـهـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـحـصـىـ؛ فـطـرـيـةـ وـعـقـلـيـةـ وـنـقلـيـةـ، وـهـذـا لـا يـقـتـصـرـ عـلـى عـقـولـ، بل فـطـرـ الـحـيـوانـ الـتـي لـا عـقـلـ لـهـ تـعـرـفـ عـلوـ رـبـهـ؛ فـإـنـهـ إـنـ شـكـتـ، سـمـتـ وـرـفـعـتـ بـصـرـهـ إـلـى السـمـاءـ، حتـىـ إـنـ فـرـعـونـ - مع عـنـادـهـ وـكـفـرـهـ وـاسـتـهـزـائـهـ - تـوـجـهـ إـلـى الـعـلوـ؛ يـرـيـدـ الـاطـلـاعـ

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص. ١١٠).

إلى إله موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ أَنِّي لِي صَرِحًا لَعَلِيَّ أَتَلْعَبُ الْأَسْبَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧-٣٦]. أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى ولما لاحظ ذلك قال له ﴿كَذَّابًا﴾ [غافر: ٣٦]. وما يكون هذا إلا لأنَّه يُؤْمِنُ أنَّ الإله الذي يَجْحَدُه: إنْ وُجِدَ، فلن يكون إلا في السماء، وأنَّ موسى قال له ذلك، وما أنكَرَ على موسى مكانَه، ولكنَّه أنكَرَ وجودَه؛ لأنَّه لو كان موجوداً، فلن يكون في غير العلو.

وما من إنسانٍ مهما كان دينُه اشتكيَ الظلم والقهر، إلَّا وجَدَ في فطرته رغبة بيت شکواه إلى السماء، ومناجاة مَنْ فيها، ولو كان قد تدين بخلاف ذلك.

وقد توالت نصوص الوحيَّين عدداً بالدليل على ذلك؛ سواءً بذكر أسماء الله: ﴿الْعَلِيُّ﴾ [غافر: ١٢]، و﴿الْأَعْلَمُ﴾ [النحل: ٦٠]، و﴿الْمُتَعَالُ﴾ [الرعد: ٩]، أو ذكر بعض صفاتِه الدائمة على علوه؛ كالاستواء، والتزول، وارتفاع الأعمال إليه، وذكر عرشه وكُرسيِّه، وحملة العرش، ونزلوِيُّ الوحي منه، وعدوته إليه، ونزل الملائكة وعروجهما، وتجلِّيه سبحانه، وأطلاعه على عباده، وإنزالِ الأمِّ والعقوبات، والمراجِع بالأرواح وبالنبي ﷺ، ورفع عيسى ونزله، وغير ذلك مما يدلُّ صراحةً على علو الله تعالى على خلقه، ولو أراد أحد أن يتبع أدلة العلو من الوحيَّين تصريحاً أو تصميماً، لمَا وسَعَه ذلك، ولو فعلَ، ثم أعادَ، لَوْجَدَ أنَّ الذي فاتهُ فوق ما جمَع.

وقد دَلَّ القرآن على علو الله بذاته، وعلوته بقُدرِه، وعلوته بقدرِه؛ كما في قوله: ﴿وَهُوَ الْفَاعِرُ فَوْقَ عِبَادِه﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿يَمْنَاهُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وهو أمرٌ لم ينأَعَ الصَّحَابَةَ فِي فَهْمِهِ مِنْ أَحَدٍ فِي زَمَانِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مَحَالٌ بَخْتَهُمْ لِقَطْعِيَّتِهِ، وَلِمَا ظَهَرَ الْقَوْلُ بِخَلَافِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْصَّلَالِ، أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ إِبْرَادِ الْأَدَلَّةِ وَحِكَايَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى عَلوِّ اللَّهِ؛ كَمَا حَكَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ^(١)، وَفَقِيْهُ بْنُ سَعِيدٍ^(٢)، وَخَلَقُ.

وَمَنْ نَفَى عَلوِّ اللَّهِ، فَقَدْ كَابَرَ الْفِطْرَةَ وَالْعُقْلَ وَالنَّقلَ!

وَمَعْ تَضَافُرِ الْأَدَلَّةِ مِنْ الْحُسْنِ وَالنَّصْرِ، فَقَدْ كَابَرَتْ طَوَائِفُ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَفَتِ الْعَلوُّ، وَمَعْ صَرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ الشَّرِيعَةُ التَّمَسُوا مِنَ الْأَدَلَّةِ مَا يُوَافِقُ تِلْكَ الْضَّلَالَةَ:

وَذَلِكَ كَاسْتَدَلَالٍ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِقَوْلِ يُوسُفَ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ}، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبِّحَنَّكَ إِنِّي كَنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنبياء: ٨٧]، وَأَنَّ خَطَابَهُ بـ«أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِي بَطْنِ الْحُوتِ»، وَاحِدٌ!

وَهَذَا الذِّكْرُ مِنْ يُوسُفَ اسْتِغْاثَةً وَتَذَلُّلًا، وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَاءُ، لَا يَحُولُ دُونَهُ شَيْءٌ، وَالْيَوْمَ يُهَايِفُ الرَّجُلُ رَجُلًا مِنْ أَفْصَى الْأَرْضِ بِالاتِّصَالِ، وَيَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ»؛ لَأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَتِ النُّفُوسُ التَّمَاسَ شَاهِدًا لِمَا تَرَاهُ، وَجَدَتْ، وَلَوْ كَانَ أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَعَمِيَّتْ عَنْ صَرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ النَّبِيَّةِ؛ كَالشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ.

﴿الْعَلوُّ وَالْمَعِيَّةُ﴾:

يَجْبُ إِثْبَاتُ عَلوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَعَ خَلْقِهِ بِعِلْمِهِ وَإِحْاطَتِهِ؛ فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَعَلِمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ قَالَ مَالِكٌ: «اللَّهُ

(١) «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ» (٤٧٠).

(٢) «الْعَلوُّ» (٨٦٥).

في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان»؛ كما نقله عنه أبو القاسم المقرئ^(١)، وأبو عمر الطالمنكي^(٢)، وأبن عبد البر^(٣).

وأبابل العلو على الحقيقة هو ما يقرر أهل السنة في المغرب؛ كابن أبي زمیني في «أصول السنة»^(٤)، ونحوه أبو المطرف القناعي^(٥) القرطبي في «تفسير الموطأ»^(٦): أن الله فوق عرشه، وهو في كل مكان بعلمه، وبنحوه يقرر أبو القاسم المقرئ كما في «شرح الملخص لمسند الموطأ»؛ لأبي الحسن القابسي^(٧)، وهكذا المتأخرون؛ كابن عزوزي المالكي التونسي^(٨): يقرر أن الله مستو على عرشه، باثن من خلقه، قريب لهم بعلمه.

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القيروان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(٩).

وربما كان السبب للقول ببني العلو: الجهل بلسان العرب، وتبعاً لذلك تفهم بعض نصوص القرآن على غير وجهها:

ومن ذلك: استدلال بعض المعطلة القائلين بأنه في كل مكان بذاته؛ بقوله تعالى: **«وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»** [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: **«مَا يَحْكُمُونَ مِنْ شَعْرَىٰ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَأِيهِمْ»** [المجادلة: ٧].

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/١٥٧ - ١٥٨).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/١٤٢).

(٣) في «التمهيد» (٧/١٣٨). (٤) «أصول السنة» (ص ٨٨).

(٥) «تفسير الموطأ» (١/٤٠١).

(٦) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/١٥٧).

(٧) «عقيدة التوحيد الكبرى» (ص ١٠).

(٨) «ترتيب المدارك» (٤/٢١٤).

وهذا فهمٌ فاسدٌ:

فَأَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى: فَالمرادُ مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ مَعْبُودٌ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ أَهْلِهَا، وَمَعْبُودٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِهَا؛ وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ^(١)؛ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٢)، وَقَالَ: «وَمَا خَالَفُهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ»^(٣).

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ: فَالمرادُ بِهَا: مَعِيَّةُ اللَّهِ وَعِلْمُهُ بِعِبَادِهِ؛ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: «فَمَنْ يَتَشَبَّهُ بِنَا عَمَلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ» [الْمَجَادِلَةُ: ٧]؛ فَالْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ الَّذِي يَتَبَعُهُ إِنْبَاءُ، وَقَدْ أَنْكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَلَى مَنْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَحَدَ أَوْلَاهَا، وَتَرَكَ آخِرَهَا الَّذِي يُتَمِّمُ الْمَعْنَى وَيَدُلُّ عَلَيْهِ^(٤).

وَمِنْ شُبُهَاتِ بَعْضِ الْمَعْتَلَةِ لِلْعُلُوِّ وَالْإِسْتِوَاءِ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الْمَغْرِبِ: مَا اسْتَشْكَلَهُ سَلِيمَانُ الْفَرَاءُ بِقَوْلِهِ: «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا إِذَا لَا مَكَانَ؟»^(٥):

وَهَذَا السُّؤَالُ يُجِيبُ عَنْ نَفْسِهِ بِالْبَطْلَانِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُسَأَلُ بِـ«أَيْنَ» إِلَّا عَنْدَ وُجُودِ الْمَكَانِ، وَعِنْدَ عَدَمِ وُجُودِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ بِـ«أَيْنَ» غَيْرَ مُوجُودٍ، وَلَا يُسَأَلُ بِـ«مَتَى» إِلَّا عَنْدَ وُجُودِ الزَّمَانِ، وَأَمَّا عَنْدَ عَدَمِ وُجُودِهِ، فَالسُّؤَالُ يَجِبُ عَدَمُ وُجُودِهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ الْحَدَادِ عَلَى الْفَرَاءِ بِنْفِي سُؤَالِهِ وَبِطُلَانِهِ، وَأَنَّ الصَّوابَ

(١) انظر: «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» (٢٠/٦٥٩ - ٦٦٠).

(٢) فِي «الْتَّهَيِّدِ» (٧/١٣٤).

(٣) فِي «الْتَّهَيِّدِ» (٧/١٣٩).

(٤) «الرَّدُّ عَلَى الْجَهَمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ» (ص١٥٤).

(٥) «طَبِيعَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيقِيَّةٍ» (ص١٩٩).

القول: «كيف كان ربنا إذ لا مكان؟»، وقد أجاب ابن الحداد: «إنه الآن على ما كان عليه، ولا مكان»^(١).

وهذا كله لا ينفي أصل خلق الزمان والمكان، ووجودهما تعاقباً؛ فوجودهما جنساً شيء، وجودهما آحاداً شيء ثانٍ، ومشاهداتهما والعلم بهما شيء ثالث.

والشُبهاتُ الْكَلَامِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ التي تَسْتَجِلُّ بِهَا العَقُولُ، وَتَضَعُّ بِهَا فِي سِيَاقَاتٍ غَيْرِ سِيَاقَاتِهَا، ثُمَّ تَخْرُجُ بِتَبْيَانِهَا كَامِلَةً، وَتَضَعُّ بِهَا فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ لَهَا -: يَقْعُدُ بِسَبَبِهَا الضَّلَالُ، وَيُنْفَيُ الْحَقُّ، وَيُبَيَّثُ الْبَاطِلُ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ وَأَعْظَمُهُ: مَا كَانَ مَتَّعْلِقاً بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَذَارَهُ.

وَالْجَهْمِيَّةُ الْقَائِلُونَ بِنَفْيِ عَلَوْ اللَّهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ: يَتَنَاقْصُونَ مَعَ أَصْوَلِهِمُ الْعُقْلِيَّةِ، وَالْأَدَلَّةِ النَّقْلِيَّةِ؛ فَهُمْ يُقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَلَكِنْ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ خَلَقَهُمْ^{١٩} فَإِنَّمَا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ دَاخِلَ نَفْسِهِ سَبَّاحَهُ، أَوْ خَلَقَهُمْ خَارِجًا عَنْهَا:

فَالْأَوَّلُ: كُفْرٌ؛ إِذْ كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقَهُ فِي نَفْسِهِ؛ فَنَكُونُ مَحَلًا لِلحوادِثِ الَّتِي يَنْفُونَهَا فِيهِ، وَمَحَلًا لِخَلْقِ اللَّهِ مِنَ الشَّرُورِ وَالْخُبُثِ وَالشَّيَاطِينِ؟! تَعَالَى اللَّهُ

وَإِنْ قَالُوا: بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ خَارِجَ نَفْسِهِ، ثُمَّ دَخَلَ فِيهِمْ، أَوْ دَخَلُوا فِيهِ، فَقَدْ أَفَرُوا بِمَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ اللَّهُ عِنْدَ الْخَلْقِ.

(١) «طبقات علماء إفريقيا» للخشنبي (ص ١٩٨ - ١٩٩).

ولأن قالوا: بأنه خلق الخلق خارج نفسه، وهم على ذلك، فقد سلموا بالحق عقلاً.

والله تعالى تجلّى للجبل، ويَظْلِمُ على خلقه، وباهي بهم يوم عرفة، وإذا كان تجلّى للجبل - وعرفة فيه، وهو فيها - فكيف يَصْحُّ التجلّى لشيء هو فيه؟! ولكن الله فوق عرشه ويتجلّى لشيء ليس فيه سبحانه.

والآيات التي يستدلّون بها على أنّ الله في كُلّ مكان هي دالة بتنفسها على خلاف ذلك، وأنّ الله على عرشه، وهو مع الناس بعلمه؛ فقوله تعالى: **﴿وَهُنَّ أَفَرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِيلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: ١٦]؛ يعني: بالعلم؛ فليس هو في الوريد؛ فقد قال: **﴿وَتَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ يَدَهُ فَقَسْمَةٌ وَهُنَّ أَفَرَبُ إِلَيْهِ﴾** [ق: ١٦]، فبدأ بالعلم؛ ليبيّن أنّه هو المقصود بالقرب.

وكذلك قوله تعالى: **﴿هُوَ مَعْهُدٌ أَنَّ مَا كَانُوا بِهِ بِرِيدُ﴾** [المجادلة: ٧]؛ يزيد: بعلمه، وبهذا استفتح الله الآية، وختّمها؛ ففي أولها قال: **﴿إِنَّمَا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** [المجادلة: ٧]، وفي آخرها قال: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُ شَفَعَةَ عَلَيْهِ﴾** [المجادلة: ٧]، ولم يَقُلْ: إنّه في كُلّ مكان بذاته، وإنما بعلمه.

﴿نَفَى بَعْضُ الصَّفَاتِ لِأَجْلِ تَوْهُمِ إِحاطَةِ الْمَخْلوقَاتِ بِالْخَالِقِ﴾:
 لا يلزم من إثبات العلو والاستواء والنزول للإحاطة مخلوقاته به، واحتواها له، لا منفردة ولا مجتمعة؛ لأنّه **أَكْبَرُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ**، ويتوهّم من ينفي تلك الصفات أن في إثباتها لزوم إحاطة المخلوقات به، وهذا باطل عقلاً وشرعًا:

- أمّا بطلانه عقلاً: فإنّه لا يَصْحُ أن يَحْوِي الشيءَ وَيُحيطُ بما هو أكْبَرُ منه، وهذا معلوم في كل المحسوسات، فلا يُمْكِن أن تُتَصَوَّر إِحاطة الأرض بالسموات، ولا إِحاطة النّملة بالجبل، ولا إِحاطة الذرّة بِكُفِّ الرجل يَقْبِضُها، فإذا كان دافع التّفّاقَ تَوْهُم الإِحاطة كما في المخلوقات فهذا غير لازم حتّى فيها، مع أنَّ الله ليس كمثيله شيءٌ، والسموات تُحيط بالأرضِ ولكنَّ الأرضَ لا تُحيط بها، فإذا كان الله تعالى أكْبَرَ من كل المخلوقات مجتمعةً، فكيف يُقَالُ بإِحاطتها به عقلاً، ويُروى في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَأَةٍ بِأَرْضٍ فَلَاءَ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلٍ تِلْكَ الْفَلَاءَ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ)^(١)، ويُروى في بعض الفاظه: (وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ إِلَّا كَالْحَبَّةِ وَأَصْفَرُ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِ أَحَدِكُمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمةِ» [الزمر: ٦٧]^(٢)، وللحديث طرق وألفاظ تدلُّ أنَّ له أصلًا.

- وأما بطلانه شرعاً: فلأنَّ الله ليس كمثيله شيءٌ في ذاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكلُّ ما أخْبَرَ اللَّهُ به عن نَفْسِهِ فَيُجْبِي إِبَانَهُ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالتَّوْقُّفُ عَنْ لوازِمهِ الَّتِي تقتضي التَّشْبِيهِ، فإذا لم يُشَهِّدْهُ أَحَدٌ فِي ذاتِهِ فَكَيْفَ يُشَهِّدْهُ أَحَدٌ فِي صَفَاتِهِ وَلَوْ أَنَّ أَذْهَانَ الْمَعْتَلَةِ خَلَّتْ مِنَ الْقِيَاسِ لَخَلَّتْ مِنَ التَّعْطِيلِ.

(١) ابن حبان (٢/٧٦).

(٢) «العظمة» لأبي الشيخ (٢/٦٣٥).

﴿الاستواء على العرش﴾

﴿قَالَ أَبْنُ إِبْرَاهِيمَ: هُوَ أَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يُعْلَمُ بِهِ﴾

يجب إثبات استواء الله على عرشه، وذكر ابن أبي زيد لاستواء الذات في قوله: «بذاته» دفع لمقالة التأويل التي تنفي إثبات الاستواءحقيقة بلا تشبيه ولا تكييف، ومن يتوهم أن إثبات الحقيقة لازم للتشبيه والتكييف.

وقد قرر إثبات الاستواء على العرش حقيقة المصنف في «الجامع»، فقال: «وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ»^(١).

وقد نص على استواء الله بذاته السلف، وجاء عن مالك النص على «الذات»؛ حكاه غير واحد؛ قال أبو نصر السجزي في كتابه «الإبانة»: «فَأَئَمَّتُنَا - كُسْفِيَّانَ الثُّورِيَّ، وَمَالِكَ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَحَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَادَ بْنَ رَيْدَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَبَارِكَ، وَفُضَيْلَ بْنَ عَيَاضِ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلِ، وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ - مُتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يَنْزَلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ؛ فَمَنْ خَالَفَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ»^(٢).

وقال أبو عمر الطَّلَمَنْكِيُّ في كتابه «الأصول»: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنْنَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ»^(٣).

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٢) «درء التعارض» (٦/٢٥٠)، و«مجموع الفتاوى» (٢/٢٢٢ و٢٦٢).

(٣) «اجتماع الجيوش» (٢/١٤٢).

والأئمة يذكرون بعض الألفاظ غير الواردة بنصها في الوحي، لا لعدم كفاية الوحي في الإفهام، وإنما لورود معنى باطل جديد بعد انقطاع الوحي، فأرادوا دفعه بلفظ جديد، من غير أن يؤثر على مقصود الشارع ومراده، ولو لم يوجد المعنى الجديد الباطل، لم يوجد اللفظ الجديد؛ لأنه لا حاجة إليه.

وقد ذكر لفظة «بذانه» غير ابن أبي زيد من الأئمة؛ لـما شاعت مقالة التأويل والتعطيل، ممن يعيث لفظ «الاستواء»، ويتأول أو يعطل معناه؛ فكان إثبات اللفظ القرآني للناس، من غير زيادة تدفع الباطل الجديد في الآذان، موجبة لهذه اللفظة عندهم، وقد ذكر أبو بكر المرادي القيراني في «الإيماء، في مسألة الاستواء»^(١) جماعةً ممن نصوا على ذكر استواء الذات، ونسبة إلى ابن جرير، والقاضي عبد الوهاب، وظاهر كلام أبي الحسن الأشعري، والباقيانبي.

وقد انتصر ابن عبد البر وغيره لابن أبي زيد^(٢): بأن الله أثبت الفوقيَّة لنفسه بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْهَمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْفَاعِرُ فَوْقَ عَبَادَوْهُ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ فدلَّ على علو ذاته واستوارتها على العرش على الحقيقة التي تليق به، لا كما تليق بالملحوظ.

والإتيان بألفاظ مطابقة لم ترد في الشرع لإثبات حقيقة الصفات بلا تشبيه عند من تعسف بتأويلها لفهمه: شيء، ومقابلة الإفراط بالتأويل بالإفراط بالتشبيه: شيء آخر غير جائز.

(١) حكاه عنه القرطبي في «الأسمى شرح أسماء الله الحسنى» (١٢٣/٢).

(٢) انظر: «التمهيد» (٧/١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٩).

وهذه اللفظة التي أوردها ابن أبي زيد: «فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَايَهِ» أخطأ في التعامل مع قوله: «بِذَايَهِ» كثير من المتكلمين من الشرّاح وغيرهم؛ لأنّها تثبت الاستواء حقيقة، وكان خطأهم فيها على وجهين:

الوجه الأول: شكّوا في ثبوتها عنه، وزعم بعضهم إفحامها في كتابه، منهم: أبو علي البجائي؛ كما ذكره الفاكهاني عنه^(١)، وزعم إفحامها عسير؛ فهي في كتب الشروح قديمها وحديثها، حتى شروح المتكلمين، ورد ذلك الداعي المتكلمون أنفسهم؛ كابن ناجي الشنوخي^(٢)، وهذه اللفظة: «بِذَايَهِ» في الأصول الخطبية لكتاب «الرسالة»، وعليها سمات الأئمة، وكثير من المتكلمين استنكرها على المؤلف، وتأولها، ولم يقل: بأنّها مدسوسه؛ لاستحالة ذلك، ولو كان ثمة باب مُحتمل لكونها مدسوسه، لأظهره المحققون منهم؛ فإنه أيسر من تكليف التأويل.

وقد أثبّتها طلاب ابن أبي زيد والقرييون منه زماناً في شرحهم لها؛ كأبي بكر محمد بن موهب، وأبي عمر الطلماني، وعبد الوهاب البعدادي، ومن جاء بعدهم^(٣)، وهي عبارة مستعملة في زمان ابن أبي زيد وقبله.

وقد رأيتها في نسخة خطية عتيقة من «الرسالة»، لابن أبي زيد القيرواني، عليها سماع البقاعي عن ابن حجر العسقلاني بإسناده المتصل

(١) «شرح الرسالة» لابن ناجي (٢٤/١).

(٢) «شرح رسالة ابن أبي زيد» له (٢٤/١).

(٣) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (١٢٣/٢).

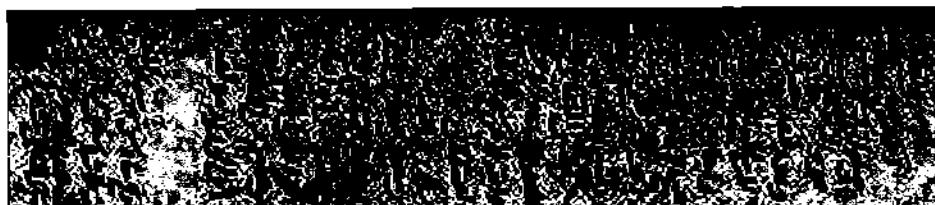
بالأئمَّةِ إِلَى الْمُؤْلِفِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زِيدِ الْقَيْرَوَانِيِّ^(١).

الوجهُ الثاني: تأوَّلوا معناها بتأوِيلٍ إِعْرَابِها، والمقصودُ منها، فجعلُوا عُلُوًّا للهُ: عُلُوًّا فَهِيَ وَقَدْرُهُ، وتأوَّلوا عُلُوًّا لِذَاتِهِ فِي كَلَامِ ابْنِ أَبِي زِيدٍ بِتَأوِيلَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِفَظَةَ «الْمَجِيدِ» صَفَّةً لِللهِ، لَا لِلْعَرْشِ؛ فَرَأَوْا أَنَّهُ قدْ تَمَّ الْكَلَامُ بِقَوْلِهِ: «فَوْقَ عَرْشِهِ»، وَقَوْلُهُ: «الْمَجِيدُ بِذَاتِهِ» كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ؛ فجعلُوا المعنى: أَنَّ اللَّهَ مَجِيدٌ بِذَاتِهِ، لَا مُسْتَحْقٌ لِلمَجِيدِ بِغَيْرِهِ؛ فَكَانَ الْكَلَامُ يَتَضَمَّنُ صَفَّيْنِ: صَفَّةَ الْإِسْتَوَاءِ، وَصَفَّةَ الْمَاجِيدِ لِللهِ، وَلَكِنَّهُمْ تأوَّلُوا قَوْلَهُ: «بِذَاتِهِ»: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِسْتَوَى بِذَاتِهِ بِلَا مُعِينٍ مِنْ مَالٍ وَأَغْوَانِي.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ جَعَلُوا اسْمَ «الْمَجِيدِ» بِالْكَسْرِ صَفَّةً لِلْعَرْشِ، وَلَكِنْ جَعَلُوا الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ: «بِذَاتِهِ» بِمَعْنَى «فِي»؛ يَعْنِي: فِي ذَاتِهِ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْعَرْشَ عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ.

(١) صورة للمخطوط عليه سماع مسلسل بالأئمة وفيه إثبات قول ابن أبي زيد: (بذاته).



الْمَدْحُودُ الْمَدْحُودُ الْمَدْحُودُ الْمَدْحُودُ الْمَدْحُودُ الْمَدْحُودُ
كَاتِبُهُمْ مُعَذِّبٌ فَكَارَ سُلْطَانٌ سُلْطَانٌ لِلْمُكَافَرِ وَلِلْمُكَافَرِ مُسْتَحْقٌ الْمَجِيدُ مُسْتَحْقٌ

وهذا كُلُّهُ غَلَطٌ، ونَكْلٌ، وتحْرِيفٌ للنَّصوصِ وتأوِيلٌ لها لا حَدَّ له؛ فَإِنَّ التَّحْرِيفَ الْمَتَوَهَّمَ بَلَغَ الْقُرْآنَ وَعَلَى أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ زَمْنَ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ؛ حَيْثُ كُتِّبَ عَلَيْهَا: «الْيَسَرَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ»! فَأَبَدَلَهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «الْأَسَيْمُ الْبَصِيرُ» [الشُّورى: ١١]؛ كُلُّ هَذَا لِيَنْفَعِي صَفَّةَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ عَنِ اللَّهِ؛ فَكِيفَ بِكَلَامِ عَالِمٍ فِي مَذْهِبٍ مُتَبَعٍ^(١)

وَالَّذِي فَهِمَهُ تَلَامِذَةُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: هُوَ اسْتَوَاءُ اللَّهِ بِذَاتِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرُ بْنُ مَوْهِبٍ مُبَيِّنًا مَرَادَهُ: «ثُمَّ بَيْنَ أَنَّ عُلُوًّا فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّمَا هُوَ بِذَاتِهِ؛ لَأَنَّهُ تَعَالَى بِأَيْنَ عَنِ جَمِيعِ خَلْقِهِ...»^(٢)، وَكَانَ الظَّلْمَنْكِيُّ عَلَى هَذَا الاعْتِقَادِ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَلَامِ شَيْخِهِ يَقُولُ: «وَأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بِذَاتِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، كَيْفَ شَاءَ»^(٣)؛ فَقَدْ لَفَظَ الذَّاتِ عَلَى ذِكْرِ العَرْشِ؛ لَأَنَّهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ، بَلْ هَذَا هُوَ قَوْلُ مَالِكِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ؛ كَمَا نَقَلَهُ أَبُو نَصِيرُ السُّجْزِيُّ عَنْهُ؛ أَنَّهُ وَغَيْرَهُ مَتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فَوْقَ العَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَهَذَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ حَمْلِ اسْتَوَاءِ الذَّاتِ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلَا تَشْبِيهٍ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى حَمَلَهُ جَمِيلٌ مِنَ الْأَئمَّةِ فِي الْمَغْرِبِ وَغَيْرِهِ؛ كَابِنُ جُزَّيٍّ فِي «التسهيل»^(٤).

وَقَدْ كَانَ جَمِيلٌ مِنَ الْمُخَالِفِينَ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ مِنَ الْأَئمَّةِ، لَمْ يَتَأَوَّلُوا

(١) «العلو» (٥٩٢).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (١/١٨٦ و٣/٢٩٨)، و«العلو» (٥٦٦)، و«اجتماع الجيوش» (٢/١٤٢).

(٣) «التسهيل» (١/٢٩٠).

قوله؛ لأنصافهم من هذا الوجه، وحملوا قوله على ظاهره بلا تكليف؛ كأبي بكر بن العربي^(١)، والعز بن عبد السلام^(٢)، والسبكي^(٣)، وابن جماعة^(٤)، وأبي عبد الله العكّري^(٥).

وقد استعمل لفظة الذات لله عند استواه جماعة قبل ابن أبي زيد؛ كالمرزني صاحب الشافعي^(٦)، وابن جرير الطبراني^(٧)، وأبي أحمد الكرجي القصّاب^(٨)، ويحيى بن عمّار السجستاني^(٩)، وغيرهم.

الكرسي:

ويشّت أَنَّهُ كرسياً، كما قال عَلَيْهِ: «وَسَعَ كُرْسِيَّةَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [البقرة: ٢٥٥]، وفهم ذلك على ما تفهمه العرب الأولى من كلامها من أهل الصدر الأول، وقد قال ابن عباس: «الكرسي موضع القدمين»^(١٠).

وصحّ هذا القول عن وهب بن منبه^(١١)، ويروى عن أبي موسى^(١٢)،

(١) «العواصم» (٢٩٠/٢).

(٢) «النوازل» للبرزالي (٢٠/٦).

(٣) «طبقات الشافعية» (١٤٣/٦).

(٤) «إيضاح الدليل» (ص ١٠٧).

(٥) «أزهار الرياض»، في أخبار عياض» للمقرئي (٥٨/٣).

(٦) «شرح السنة» له (ص ٧٥).

(٧) تقدم.

(٨) «العلو» (ص ٢٣٦).

(٩) «الحجّة في بيان المحجّة» (١٠٩/٢)، و«العلو» (٥٦٤).

(١٠) «السنة» لعبد الله (٥٨٦ و ١٠٢٠ و ١٠٢١)، و«التوحيد» لابن خزيمة (١/٢٤٨ و ٢٤٩).

(١١) «السنة» لعبد الله (١٠٩٢)، و«العظمة» (٤/١٣٩٩).

(١٢) «السنة» لعبد الله (٥٨٨ و ١٠٢٢)، و«تفسير الطبرى» (٤/٥٣٨).

وأبي مالك^(١)، وبهذا فسره ابن أبي زمین الأندلسي في «أصول السنة»^(٢).
ولا يجوز تكييف فعل الله فيه، ولا تشبيهه؛ فالله ليس كمثله شيء،
وقد ورد في بيان حجم الكرسي في الحديث: (ما السموات السبع مع
الكرسي إلا كحلقة ملقة بأرض فلة، وفضل العرش على الكرسي كفضل
الفلة على الحلقة)^(٣).

وروي: أنَّ الكرسي: هو عِلْمُ الله^(٤)، وقيل: قدرته^(٥)، وقيل: هو
العرش^(٦).

والأشد: أنه موضع القدَّمين على ما يليق بالله، لا على ما يليق
بالمخلوق.

وأما القول بأنَّ الكرسي: عِلْمُ الله؛ فقد رُويَ هذا عن ابن عباس،
وفيه عن ابن عباس لين، واستدلَّ بعضهم عليه بقول الشاعر:
ما لي بآمرك كرسى أكائمه ولا يكرسى عِلْمَ الله مخلوق^(٧)
وهذا مخالف لوضع العرب عند إطلاق الكرسي، والكرسي
لا يُهمز^(٨).

(١) «السنة» لعبد الله (٥٨٩ و١٠٢٣). (٢) «أصول السنة» (ص ٩٦).

(٣) «العرش وما روي فيه» (٥٨)، و« الصحيح ابن حبان» (٣٦١).

(٤) رُوي ذلك عن ابن عباس. انظر: «السنة» لعبد الله (١١٥٦ و١١٨٤)، و«تفسير الطبرى» (٤/٥٣٧).

(٥) «معانى القرآن» للنحاس (١/٢٦٤)، و«تفسير الفرطى» (٤/٢٧٦).

(٦) رُوي ذلك عن الحسن. انظر: «تفسير الطبرى» (٤/٥٣٩).

(٧) لا يُعرف قائلُ هذا البيت. انظر: «تأویل مختلف الحديث» (ص ١١٩)، و«معانى القرآن» للنحاس (١/٢٦٣)، و«البحر المحيط» (٢/٢٩٠)، و«اللباب في علوم الكتاب» (٤/٣٢٢).

(٨) انظر: «تأویل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص ١١٩ ط. المكتب الإسلامي).

وأما القول بأنه: قدرة الله، فيروى عن ابن عباس؛ وفيه ضعف.
واما القول بأن الكرسي: هو العرش، فمرorio عن الحسن،
والضحاك، وغيرهما.

وهذا ليس فيه شيء يصح عن الصحابة والتابعين، وأصح ما جاء
فيه: أنه موضع القدمين على ما قاله ابن عباس فيما سبق، ولم يخالفه
أحد من الصحابة.

وند كان ابن مسعود يُعد الكرسي غير العرش؛ كما روى ابن خزيمة
في «التوحيد» عنه؛ قال: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ،
وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْبَيْنِ خَمْسُ مِائَةٍ
عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْبَيْنِ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَالله
فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»^(١).
وهذا لا يقوله الصحابي من رأيه.

وائما حمل بعض المتكلمين الكرسي على علم الله، أو قدرته؛
لإنكارهم الصفات الخبرية، والأفعال الإلهية؛ لأن العرش والكرسي لا بد
أن يكونا محلًا لل فعل.

والحق: أن العرش: للارتفاع، والكرسي: موضع القدمين، والله
أعلم بالكيفية التي لا تُشَهِّدُ المخلوق.

إحاطة علم الله بكل شيء:

قال ابن أبي زيد: **﴿لَهُ خَلْقُ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ**
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي**
ثُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] [ج]:

(١) «التوحيد» (٢/٨٨٥).

كُلُّ مَا فِي الْوِجْدَةِ خَلْقُ اللَّهِ، وَهُوَ عَالِمٌ مُحِيطٌ بِهِمْ، لَا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ جَلِيلُهُ وَعَظِيمُهُ، كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النَّمَل: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿لَا يَعْنِي عَيْنَهُ شَيْءٌ﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عُمَرَانَ: ٥]، وَقَالَ: ﴿يَسْأَلُ إِنَّهَا إِنْ تَكُونَ مِنَ الْأَنْجَوْنَ مِنْ حَرَدَلٍ فَتَكُونُ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السُّكُونَ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي إِلَيْهَا اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ لطِيفٌ خَيْرٌ﴾ [الْفَمَان: ١٦]، وَقَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُئُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْنِي فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سَبَا: ٢].

وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ضَلَالٍ بَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي نَفِيِّ عِلْمِ اللَّهِ لِلْجُزَئِيَّاتِ.

﴿عُودَةُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾

قالَ أَبُنَابِي زَيْنِدٍ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى﴾:

وَيَجْبُ إِثْبَاثُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ اسْتِوَاءَهُ فِي كِتَابِهِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَرْجَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَدْ تواتَرَتْ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ وَالآثارُ؛ أَنَّ اللَّهَ: «فَوْقَ الْعَرْشِ». وَيُبَيَّنُ اسْتِوَاءُ يَلْبِقُ بِجَلَالِهِ، وَيَنْزَهُ عَمَّا يَلْبِقُ بِالْمَخْلوقِ؛ لِأَنَّهُ ﴿لَيَسَ كَشِلُّهُ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورِيَّ: ١١]؛ وَكَانَ السَّلْفُ عَلَى ذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ.

وَلِمَا ظَهَرَتِ الْبَدْعَ الْكَلَامِيَّةُ الَّتِي أَدَدَتْ إِلَى إِنْكَارِ حَقِيقَةِ الْاسْتِوَاءِ وَتَأْوِيلِهِ، ضَلَّلُوا مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ سُخْنُونُ يُلْقِنُ ابْنَ الْقَصَّارِ فِي مَرَضِ مُوتِيهِ: «أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(١).

(١) «السِّير» (١٢/٦٧).

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القبروان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(١)، وإنما لهم للاستواء على الحقيقة، لا يحملهم على القول بالتشبيه، وتوهم لزوم إثبات الحقيقة للتشبيه لا يحملهم على التفويض؛ ولهذا يقول القرطبي: «لم ينكِر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جهلو كيفية الاستواء»^(٢).

والعرب تطلق العرش على السرير؛ كما قال تعالى: «وَرَفِعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ» [يوسف: ١٠٠]، وقال أمية بن أبي الصلت:

مَجَدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
إِلَيْنَا أَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا سَوْسَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا^(٣)

وإنما هذا التعبير لا يعني إثبات التشبيه بين عرش الخالق وعرش المخلوق، ولا بين استواهما، ومثل ذلك السرير؛ فإن المخلوق عرضاً، وورود المشابهة في الاسم لا تعني المشابهة في الحقيقة؛ فضلاً عن المشابهة بين الخالق والمخلوق في الفعل.

الحلُّ من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام:

ويقتصر على اللفظ الوارد في الوحي؛ وهو: «الاستواء»، ولو تقارب مع اللفظ غيره بالمعنى أو اتحاده؛ التزاماً باللفظ المشروع الذي اختاره الله لنفسه، ودفعاً لتوهم اللبس الذي قد يقع في قلوب الناس من

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٢١٤). (٢) «تفسير القرطبي» (٩/٢٣٩).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩ و ٣٩٦).

الألفاظ المجملة غير المحكمة، وقد كان مالك بن أنس يكره التحديث بعض أحاديث الصفات للعامّة؛ وذلك حتى لا يسبّ إلى أذهانهم معنى محظور من التشبيه؛ كما قاله يحيى بن مزيّن^(١)، وابن عبد البر القطبيان^(٢).

فإذا كان هذا عند مالك في اللفظ الوارد في الحديث، فكيف بالفاظ لم ترد تقع في ذهن السامع موقعاً لا يليق بالله، وكان مالك يشدد في إشارة الإنسان بيده عند ذكره لصفات الله بما يوهم تشبيهاً؛ قال مالك: «من وصف شيئاً من ذات الله؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوْلَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأشار بيده إلى عقيقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأشار إلى عينيه وأذنيه، أو شيءٍ من بيته - قطع ذلك منه؛ لأنّه شبّه الله بنفسه».

وهذا من مالك فيمن قصد التشبيه، أو فهم منه ذلك، وأماماً عند الأمن من ذلك عند من صاح معتقده، وسلم لسانه، لإثبات حقيقة الصفة لا تکيفها - فذلك ورد في الحديث؛ كما في حديث أبي هريرة؛ أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْرَاتِ إِلَيْهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُدْلَ كَمَا يُحِبُّ بِصِيرَاتِه﴾ [النساء: ٥٨]، ووضع إيمانه على أذنه، وسبّاباته على عينيه؛ رواه أبو داود^(٣).

وريماً أجاز بعض السلف التعبير بلفظ آخر طابق المعنى في موضع، فيظنونه بعض الناس جائزًا في غيره، فيقع التشبيه والتعطيل؛ ولهذا

(١) انظر: «التمهيد» (٧/١٥٠).

(٢) «التمهيد» (٧/١٥١).

(٣) سبق تخرجه.

يقول ابن عبد البر: «نقول: استوى مِنْ لَا مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، ولا نقول: انتَقلَ؛ وإنْ كانَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ وَاحِدًا؛ أَلَا تَرَى أَنَا نَقُولُ: لَهُ عَرْشٌ، وَلَا نَقُولُ: لَهُ سَرِيرٌ؛ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ؟! وَنَقُولُ: هُوَ الْحَكِيمُ، وَلَا نَقُولُ: هُوَ الْعَالِقُ، وَنَقُولُ: خَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَا نَقُولُ: صَدِيقُ إِبْرَاهِيمَ؛ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ كُلُّهُ وَاحِدًا! لَا نَسْمِيهُ، وَلَا نَصِفُهُ، وَلَا نُطْلِقُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَا سَمِيَّ بِهِ نَفْسَهُ»^(١).

وقد كان بعض السلف يعبر عن الاستواء بغيره، كما صَحَّ عن خارجة بن مصعب^(٢)، والحسن البصري^(٣)، وعُكرمة: أنهم عبروا عن الاستواء بالجلوس^(٤)، وجاء عن الشعبي^(٥)، عن ابن مسعود أيضًا؛ وفيه انقطاع^(٦)، وتبعهم وكبيع^(٧)، وأحمد^(٨)؛ كما نقله ابن عبد الله في «السنن»^(٩)، والدارمي في «رَدُّهُ عَلَى بِشَرٍ»^(١٠)، والدارقطني في بعض كتبه^(١١)، وهذا الذي أراده النسائي في «سننه» في باب **﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾**^(١٢) [فصلت: ١١]؛ حيث أورده حديث ابن عمر في استواء المسافر، وقد عبر عن الاستواء عبد الوهاب الوراق بالقعود^(١٣)، وجاء عن مجاهد تفسير قوله: **﴿عَسَّقَ أَنَّ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٩]: **﴿يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾**^(١٤)،

(١) «التمهيد» (٧/١٣٦ - ١٣٧).

(٢) «السنن» لعبد الله (١٠)، وعنه الخلال (١٦٩١).

(٣) الرواية للحكم بن عبد الله، انظر: *فتح المجيد* (٤/١٦٧٥).

(٤) انظر: كتاب «إثبات الحد» لأبي محمد بن بدران الدشتي (ص ١٧٠).

(٥) (٣٠٢/١). وانظر: *الرَّدُّ عَلَى الجَهَمِيَّةِ* (ص ٣٠٠).

(٦) (٢١٥/١).

(٧) «الصفات» (ص ١٠)، وانظر: *إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ* (ص ٤٩٢).

(٨) «السنن الكبرى» (١٠/٢٤٥)، حديث رقم (١١٤٠٢).

(٩) *بِيَانِ تَلِيسِ الْجَهَمِيَّةِ* (٣/١٤).

(١٠) ابن أبي شيبة (٣٢٣٠٩)، والأجرى في «الشريعة» (١١٠١ - ١١٠٥).

وبهذا عبر ابن العربي في سورة الأحزاب من «أحكام القرآن»، وهو على طريقة المتكلمين.

والثابت في الحديث المرفوع: أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة العظمى^(١).

وكثيرٌ من الأئمَّة: يذكُرُونَ الاستواء، ويدُلِّلُونَ معناه في اللغة؛ كالجلوس، والاستقرار، والتمكُّن في الشيء؛ كما فعلَ ابن عبد البر^(٢)، وغيره^(٣)، ويريدونَ من ذلك: بيانُ الحقائق، والإبعاد عن المجاز؛ وليس التمثيل؛ تعالى الله^٤!

وربما نَفَى بعضُ الأئمَّة مثلَ هذه الالتفاظِ؛ كالجلوس؛ لِمَا يرى لها من لوازِم تليقُ بالمخلوق؛ كابن رشيد في «البيان والتحصيل»^(٤)؛ فقد جعلَ الجلوسَ عليه، والتعْظِيز فيه، والمماسة، مستحِيلاً في صفاتِ الله تعالى؛ لأنَّه من التكيفِ الذي هو من صفاتِ المخلوق، مع أنَّ ابن رشيد لم يمنعَ أن يكونَ الاستواء من صفاتِ الله الفعلية.

وهذه اللوازِم والأعراضُ التي ذكرَها لم ترُد في الشريعة، وإنما لِمَا لزمَت للجواهِرِ، نفاهَا عن الخالق، ولو تركَت تلك اللوازِم، وسُكِّت عنها لسكتِ الشارعِ، وأثَيَت ما جاء في الوحي وفسْرَه السلفُ - لكان أسلم وأعلم وأحَكَم.

وتعبِّر بعضُ السَّلَف بالجلوسِ والقعودِ^(٥): من بابِ إثباتِ

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) «التمهيد» (١٣١/٧).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٢٧١).

(٤) «البيان والتحصيل» (٦/١٦ - ٣٦٨ - ٣٦٩).

(٥) انظر: «إثبات الحدُّ لله عزَّ وجلَّ، وأنَّه قاعِدٌ وجالِسٌ على عرشه» للدَّشتني.

الحقيقة، ونفي التأويل عن الظاهر، لا لقرير لفظ مغاير، وتجويز مثله في كلّ موضع؛ فهو لا يعيرون عن الاستواء بغيره، لا يجعلون تعبيرهم تشبيهاً؛ فهم يُتبنون اللفظ الآخر بلا تشبيه ولا تمثيل؛ فيذكرون دفعاً للتعطيل والتأويل، وإثباتاً للحقيقة التي تليق بالخلق، ونفياً لما يليق بالخلق؛ فكما أنّهم ينفون التشبيه عند التعبير بالاستواء، فكذلك ينفونه عند التعبير بالجلوس والقعود.

ولمّا كان بعض المفوّضة الذين يتوقفون في إثبات حقيقة الاستواء التي تليق بالله، وبعض المتأوله الذين يحملونه على معنى غير الحقيقة، يستنكرون على بعض السلف إطلاق مثل هذه التعبير؛ لأنّهم يفوضون أو يتأولون اللفظ الوارد، فيستنقلوه اللفظ غير الوارد -: فهم فوضوا وتأولوا؛ فراراً من التشبيه المتهوم؛ فتاوياً لهم للتعبير بغير الوارد ثقيل على ما يعتقدون؛ لأنّه يرسخ إثبات الحقيقة، وهم يفرّون منها؛ وإنّ السلف الذين يعبرون بما لم يرِد، لا يُريدون التشبيه به؛ فهم إذا لم يشبهوا باللفظ الوارد في النصّ، فغير الوارد من باب أولى.

وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب: «إذا جلسَ الرَّبُّ عَلَى الْكُرْسِيِّ»^(١)؛ رواه عنه عبد الله بن خليفة، أخرجه الدارمي، وعبد الله بن أحمد في «الستة».

وريماً عبر بعض السلف عن الاستواء ببعض لوازمه؛ كالعلوّ، والارتفاع؛ لأنّه لا يُستوي إلا مرتفعٌ وعاليٌ على غيره، ويظهر هذا في قوله تعالى: «عَلَى الْعَرْشِ» [طه: ٥]؛ فـ«على» تدلّ على العلوّ والفوقيّة.

ولا يلزم من إثبات حقيقة الاستواء: القول بالتشبيه؛ وهذا اللازم

(١) «نقض الدارمي» (١/٤٢٥ - ٤٢٦)، وـ«الستة» (٥٨٥ و٥٨٧ و١٠١٩).

المتوهم هو الذي دفع إلى تعطيل الصفات وتأويلها، والجهل بكيفية الشيء لا يُجيز تأويله أو نفيه؛ كما قال ابن عبد البر: «لقد أدركتنا بحواسنا: أنَّ لنا أرواحاً بأبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يُوجب أنَّ ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استواه] على عرشه، يُوجب أنه ليس على عرشه»^(١).

فيجب إثبات الاستواء حقيقة، وتقويض كيافته؛ لأنَّ الله ﷺ ليس كمثله شئ^٢ [الشوري: ١١]، وقد قال رجلٌ لمالك: «يا أبا عبد الله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» [طه: ٥]؛ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بذلة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بذلة؛ أخرجوه!^(٣)

فقد نفى مالك معرفة الكيفية وفوضها، ولم يفويض الحقيقة؛ ولذا قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولا يكون الكيف إلا لما له حقيقة، وما لا حقيقة له لا يحتاج إلى تفويض تكيافه؛ لأنه ليس صفة للذات التي ليس كمثلها شيء.

وقد نفت المعتزلة الاستواء، وفسروه بالاستيلاء؛ وهذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في كلامها؛ كما قاله الخليل بن أحمد^(٤).

وكل ما لا مجال للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه، ومن ذلك: ذات الله وصفاته، وإنما يكتفى بالقليل الوارد في السمع، ولا يزداد عليه؛ فما دلَّ السياق على حقيقته ثبت حقيقته؛ لأنَّ هذا مقتضى اللسان العربي الأول بلا تكليف، وتقويض كيافته.

(١) «التمهيد» (١٣٧/٧).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (٤١٠)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤).

(٣) «العرش وما روی فيه» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

وقد كان غير واحدٍ من الأئمَّةِ المغاريِّة على هذا؛ كما قال ابنُ رُشدٍ في «المقدمات»: «وأماماً ما وصفَ به نفسهُ تعالى في كتابِه: أنَّ له وجهاً ويدَيْنَ وعيَيْنَ، فلا مَجَالٌ للعقلِ في ذلك، وإنَّما يُفهَمُ ذلك من جهةِ السمعِ؛ فيجبُ اعتقادُ ذلك والإيمانُ به من غيرِ تكييفٍ ولا تحديدٍ»^(١).

وقد كان بعضُ أهلِ المَغَرِبِ يتأوّلونَ ما ثبَّتَ من الصفاتِ بالسمعِ، ويصفونَ المُثبِّتَ بـ«المجسّمة»، وـ«المشبِّهة»، وـ«الحَشَوَيَّة»؛ توهُّماً أنَّ مَنْ يُثبِّتُ الحقيقةَ يأخذُ بلوازِمِها التي يستحضرُها الذهنُ عند التفكُّرِ.

وهذه لوازِمٌ لا يجوزُ الإلزامُ بها؛ لأنَّ مَنْ كانت ذاتُه لا شبيَّةٌ لها، صفاتُه لا شبيَّةٌ لها كذلك، ومنْ كانت لوازِمُ ذاتِه لا شبيَّةٌ لها، فلوازِمُ صفاتِه لا شبيَّةٌ لها كذلك.

وقد تَعَقَّبَ الإلبيَّيُّ ابنَ رُشدٍ في إثباتِه ما ثبَّتَ بالسمعِ من الصفات^(٢)، وقد أخطأَ لأجلِ تلك المقدماتِ والإلزاماتِ والتوهُّماتِ.

وأصلُ تأویلِ الاستواءِ: توهُّمُ التشبيهِ بالمخلوقِ: إما بذاتِ الصفةِ، وإما بلوازِمِها من الحَدَّ وغيرِه؛ وهذا يردُ على المخلوقِ، ولا يردُ على الخالقِ؛ لأنَّه: **﴿لَيْسَ كَمِنْهُ، شَقَّهُ﴾** [الشورى: ١١]؛ كما سمعَت امرأة جهنمِ بنِ صفوانَ رجلاً يقولُ: اللهُ على عَرْشِهِ، فقالَتْ: محدودٌ على محدودٍ؛ فقالَ الأصمُّيُّ: «هي كافِرَةٌ بهذهِ المَقَالَةِ»^(٣)؛ فقد توهُّمت تشبيهَها؛ فصارت إلى التعطيلِ، ولو سلِّمَتْ من التشبيهِ، لم تعطِّلْ.

(١) «المقدمات» (١/٢٠).

(٢) له رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء.

(٣) «الأربعين في صفات رب العالمين» (١٢)، وـ«العلو» (٤٣٦)، وـ«اجتماع الجيوش» (٢٢٥/٢).

الأسماء والصفات:

قال ابن أبي زيد: **لَوْلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعَلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛** **تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاءُهُ مَخْدَثَةٌ** **مِنْ**

قول ابن أبي زيد هنا في مقدمة «الرسالة»، وفي «الجامع»^(١): **لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛** أي: أنه سبحانه على كماله، لا يغيرة الرمان، لا يحتاج إلى علم يكتسبه، ولا ينفعه شيء فنيمه، ولا فيه شيء زائد في نفسه.

وقد أخذ بعض المتكلمين من قول ابن أبي زيد: **لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ؛** نفي الصفات الفعلية كالاستواء، لأن الله لم يكن مستويًا قبل خلق العرش؛ وهذا باطل؛ فمن صفات الله: أنه **فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ** [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، وأنه **يَقْعُلُ مَا يَشَاءُ** [آل عمران: ٤٠، والحج: ١٨]؛ فلم يزل على ذلك، فلا يجوز نفي صفة الخلق؛ لأن الله لم يكن خالقا قبلهم؛ على قولهم بعدم تسلسل الحوادث:

فإذ كان من صفاته: أنه يفعل ما يريد، فهذا دليل على أن أفعاله تكون منه في زمان دون زمان؛ كالاستواء، والنزول، كما تكون منه في مكان دون مكان؛ كتجليه سبحانه للجبل، وهم يعرضون على الصفات الفعلية تزيها الله عن الحوادث، وأن الحوادث لم تكون موجودة، فحدثت، فهي مخلوقة، وينزه الله عن أن يكون شيء منه مخلوقا.

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

وهذا كُلُّهُ تأصيلٌ لقاعدة الجوهر والعرض والحوادث، وانضباطها على الإنسان لا يُحيِّز تزييلها على الله؛ فالله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فمن ليس كمُثُلِهِ شيءٌ في ذاته، ليس كمُثُلِهِ شيءٌ في صفاتِهِ.

والسلف يُثبِّتونَ للأسماء والصفات؛ كما أثبَّتها الله لنفسه، وأثبَّها له نبيه ﷺ؛ من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكيف ولا تأويل، والذي عليه السلف: إثبات ما أثبَّته الله لنفسه، وما أثبَّه له نبيه ﷺ، والإيمان بذلك، وأنه على الحقيقة؛ فلا يُؤْوَلُ، ولا يُلزَمُ من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ كما أنه لا يُلزَمُ من إثبات ذات الله على الحقيقة: إثبات الشبيه لها، ومن جعل ذلك لازماً، فيلزِمه إنكار حقيقة الذات؛ كما يُنكر حقيقة الصفات؛ فالعملة التي تستوجب نفي الحقيقتين واحدة.

﴿مَا وَرَدَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ﴾
الأصل: ألا ثبَّتَ الأسماء والصفات لله إلا بما ثبَّت في الوحيين؟ لأنَّ مسائل الغيب مردها إلى علم الله، لا مجال فيها للاجتهاد والنظر؛ فالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ حتى يُقاسَ على غيره، أو يُقاسَ غيره عليه.

وأمَّا ما يُثبِّتهُ الصحابة مِنَ الصَّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ لله؛ فهم لا يقولونَ على الله بلا عِلْمٍ، وليس العقائد مِن موارِد النَّزَاعِ عندَهم؛ ولهذا لا يُحفظُ عنهم خلافٌ في الأسماء والصفات وتَوْحِيدِ الله؛ فقولُ الواحدِ في ذلك هو قولُ الْبَقِيَّةِ، ولَمَّا أَذَنَ الشَّرْعُ لِهِمْ بِالْحَدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا لَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَلَا حَرَجَ^(١)، كان الصحابة في الأسماء والصفات على قسمين: القسم الأول: الذين لا يُعرِفُونَ بالنقل عن بنى إسرائيل؛ وهم الأصل والأغلب؛ فهو لا يُجزمُ أنَّهم لا يترَكُونَ على الله بالعقل، وأنَّ نَقْلَهُم إنما هو عن وَحْيٍ.

إثبات ذلك صحيح؛ كما جاء عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى: إثبات الْقَدَمِيْنَ اللَّهُ^(٢)؛ فهذا يقوِّيه إثبات صفة الْقَدَمَ اللَّهُ تعالى في «الصحيحيْنِ»؛ من حديث أنس وأبي هريرة مرفوعاً^(٣)، وفي «المستند»، وعند ابن حزم في «التوحيد»؛ من حديث ابن عباس^(٤)، وله ما يعضُّه من مرفوع عن ابن عباس في «المستند»، وغيره^(٥).

ونقل الآجرى في «الشريعة»^(٦): «أَنَّ عَمَلَ مَذَهِّبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعُلَمَاءِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ». (٦)

ولأنَّ مجرَّدَ كلامَ الصَّاحِبِيْ في الأسماء والصفاتِ وفيما لا يجوز له أن يتكلَّمَ به إلا بالوَحْيِ، فذلك كائناً أَسْنَدَهُ ورَفَعَهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ؛ ويؤكِّدُ ذلك: أنَّ الصَّحَابَةَ لم يَقْعُ بِيَهُمْ اخْتِلَافٌ وَنِزَاعٌ فِي هَذَا الْبَابِ؛ كَمَا وَقَعَ بِيَهُمْ فِي الْفَرْوَعِ؛ لَأَنَّ الْفَرْوَعَ مَحَلُّ رَأِيٍ وَاجْتِهادٍ.

(١) أبو داود (٣٦٦٢) من حديث أبي هريرة. والنمساني في «الكبير» (٥٨١٧) من حديث أبي سعيد.

(٢) سبق عند الكلام على الكرسي.

(٣) البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس. والبخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) «التوحيد» (٢٤٨/١) من حديث ابن عباس؛ موقوفاً.

(٥) أحمد (١/٢٥٦) رقم (٢٣١٤)، والدارمي (٢٧٤٥).

(٦) «الشريعة» (٢/١٠٥١).

وكان أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ^(١) يَجْعَلُونَ مِنْ أَصْوِلِ السُّنَّةِ: التَّمْسِكَ بِمَا عَلَيْهِ الصَّاحِبَةُ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ عَرَفَ بِالْأَخْذِ وَالرَّوَايَةِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَذَلِكَ مَا يُتَوَقَّفُ فِيهِ، وَلَا يُثْرِبُ عَلَى مَنْ حَكَى الْمَرْوِيَّ كَمَا حَكَاهُ الصَّحَابِيُّ؛ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ شُبْهَةٌ عَلَى سَامِعٍ.

وَأَمَّا التَّابِعُونَ: فَمَا جَاءَ عَنْهُمْ مِنْ مَرْوِيَّاتٍ فِي الصَّفَاتِ؛ كَصْفَةِ الرُّكْبَةِ - رَوَاهَا مَجَاهِدُّ عَبْدِ بْنِ عَمِيرٍ^(٢) - فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَابِ مَا يَعْضُدُهَا مِنْ مَرْفُوعٍ أَوْ مَقْطُوعٍ، فَالْأَصْلُ عَدُمُ الْاِحْتِجاجِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ التَّابِعِينَ - خَاصَّةً الْحِجَازِيُّينَ - وَإِنْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَا يَقُولُونَ بِرَأِيهِمْ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسَلَاتِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَالْأَصْلُ التَّوْقُفُ، حَتَّى يَصْبَحَ مَرْوِيَّهُمْ إِلَى صَحَابِيٍّ.

وَالْأَئْمَةُ - كَمَالِكٌ وَأَحْمَدٌ وَغَيْرُهُمَا - لَا يَجْعَلُونَ قَوْلَ التَّابِعِيِّ حُجَّةً مَقْطُوعَةً فِي الْفَرْوَعِ وَالْأَصْوِلِ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَأْسِفُ بِهِ وَيُحْتَاجُ بِهِ؛ لِعَضْدِ أَصْلٍ قَدْ ثَبَّتَ بِدَلِيلٍ آخَرَ.

﴿أَسْمَاءُ اللَّهِ﴾:

لِلْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّ الْأَسْمَاءِ الْمُسْكِنُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٠]، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يُشَابِهُ فِي أَسْمَائِهِ: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ لَهُ سَيِّئَاتٍ﴾ [مَرِيمٍ: ٦٥]، وَكُلُّ اسْمٍ لَهُ مَعْنَى؛ فَيُبَيَّنُ الْاسْمُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ إِحْصَائِهَا مَعْرِفَةٌ مَعَانِيهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْتضَاها؛ كَمَا قَالَ ﷺ:

(١) «شِرْحُ أَصْوِلِ الْاعْتِقَادِ» (٣١٧).

(٢) «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (١٠٨٥ - ١٠٨٧ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٨٠ و ١١٨٣).

إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَخْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١).

وَلَا يُقَالُ بِنَفِي الْأَسْمَاءِ؛ كَمَا تَقُولُ الْجَهَمَيَّهُ، وَلَا بِإِثْبَاتِهَا مُجَرَّدَهُ
عَنْ مَعَانِيهَا؛ كَمَا تَقُولُ الْمَعْتَزِلَهُ، بَلْ بِإِثْبَاتِهَا مَعَ مَعَانِيهَا.

وَأَسْمَاءُ اللَّهِ: عَلَمٌ لِلْمَسَمَّ، وَدَالَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا ذَائِهُ، فَالْأَسْمُ
هُوَ الْمَسَمَّ، وَلَا يَجُوزُ القُولُ بِأَنَّ الْأَسْمَاءَ غَيْرَ الْمَسَمَّ، مَا لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ
اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ لَا كَلَامُ اللَّهِ، أَوْ كَانَ فِي سِيَاقِ الْإِعْرَابِ؛ فَهُنَّا يُرَادُ الْأَسْمُ
لَا الْمَسَمَّ ذَائِهُ.

وَقَدْ أَظَهَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ إِطْلَاقَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مُخْلُوقَهُ، لِيُخْرِجُوهَا عَنْ
ذَائِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا يَلْتَزِمُوا بِمَا تَضَمِّنُهُ الْأَسْمَاءُ مِنَ الصَّفَاتِ؛ وَهَذَا قُولُ
الْجَهَمَيَّهُ وَالْمَعْتَزِلَهُ^(٢).

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّهُ مِنَ الصَّدِّرِ الْأَوَّلِ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ: «إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الْأَسْمُ غَيْرُ الْمَسَمَّ، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ
بِالْزَّنَدَقَهُ»^(٣).

﴿ حَقِيقَهُ الصَّفَاتِ ﴾

وَالصَّفَاتِ حَقِيقَهُ ظَاهِرَهُ؛ وَهِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: حَقِيقَهُ ظَاهِرَهُ تَلِيقُ بِالْخَالقِ، وَهِيَ تَظَاهَرُ عِنْدَ إِضَافَهِ
الصَّفَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ يَجِبُ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/١٨٥ - ١٨٦).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٤٦ و ٣٤٧).

النوع الثاني: حقيقة ظاِهِرَة تليق بالمخلوق، وهي تَظَاهِرُ عند إضافة الصفة إلى المخلوق؛ وهذه ثبَتَتْ لصفة المخلوق، ويجب نفيها عن صفة الخالق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وهذه الحقيقة اللاحقة بالمخلوق لا تَظَاهِرُ من إضافة الصفة إلى الله تعالى، إِلَّا عند المعطلة والمشبهة؛ وهو ما أَدَى بهما إلى نفي الصفة بحقيقة اللاحقة بالله تعالى وتعطيلها.

وقد كان السلف ينفون أن يكون إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه؛ ولذا يقول إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال - كما قال الله تعالى - : يد وسمع وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا: كسمع، فهذا لا يكون تشبيها»^(١).

وقد أراد إسحاق أن يدفع التوهم الذي يقع في بعض النقوس؛ أن إثبات الحقائق يلزم منه القول بتشبيهها.

فقد كان المعطلة ينفون حقائق الصفات خوفاً مما يليق بالمخلوق؛ فحملُّهم ذلك على تأويلِ الصفات، ثُمَّ هم تأولوا الصفات على معانٍ لا تخرج عما فرُوا منه من حقائق الصفات؛ فالذى انتهوا إليه من تأويلها تضمّن محظوظين:

الأَوَّلُ: أن قولهم هذا هو تعطيلٌ في صورة تأويل؛ فصرفوا الصفة عن الحقيقة المراده إلى غيرها؛ فتعطّلت عن المقصود.

(١) الترمذى بعد حديث (٦٦٢).

الثاني: أنَّ المعنى الذي أثبتُوه بعدَ تأويلاً لهم، هو نفسُ المعنى الذي يكونُ من المخلوق عند صرفِ حقيقةِ صفتِه عن ظاهرها:

فمثلاً: الاستواءُ والنَّزولُ: فمن يُثبتُهما على الحقيقةِ التي تليقُ بالخالقِ، ويترَكُهما عن الحقيقةِ التي تليقُ بالمخلوقِ، لم يُشَبِّهْ حالَهَا بِمخلوقٍ، ولم يتأوَّلْ، ومن نفي الحقيقةِ التي تليقُ بالخالقِ، فتأوَّلَ الاستواءَ بالعلوِّ، والنَّزولَ بالرحمةِ، استعملَ لغةَ العَرَبِ في هذا الموضعِ على المعنى الذي يَصِحُّ مِن المخلوقِ والخالقِ جمِيعاً كذلك، وإنْ اختلفَ علوُّ الخالقِ ونَزولُه عن علوِّ المخلوقِ ونَزولِه، فليسَ رحمةُ الله كرحمةِ المخلوقِ، ولا علوُّه كعلوِّه؛ فلماذا لا يُثبِّتونَ الصفاتِ على الحقيقةِ، ويَنفُونَ ما يليقُ بالمخلوقِ؛ كما يُثبِّتونَ المعانِي بالتأوِيلِ، ويَنفُونَ ما يليقُ بالمخلوقِ؟!

﴿الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض﴾:

والله عَزَّلَ لا يُنزلُ شيئاً في كتابِه، ويريدُ أن يتعلَّم الناسُ العِرْوفَ، ولا يَفهمُونَ شيئاً من المعانِي بِإطلاقِه، والذين يقولونَ بتفويضِ الصفاتِ، وأنه لا يُعلَمُ معناها، يَتَناقضُونَ؛ وذلك لأنَّهم يسمُّونها صفةً، ثم يفُوضُونَ معناها كُلَّهُ، ويَنفُونَ حقيقَتها؛ فكيف عرَفُوا أنها صفةٌ إذن؟ فالحكمُ على المعنى بكونِه صفةً إثباتُ للعلمِ بقدْرِ من معناه؛ فإنَّ مجردَ إضافةِ الشيءِ للربِّ ليس دليلاً وحده لكونِ المضافِ صفةً للمضافِ إليه؛ فالإضافةُ لله قد تكونُ إضافةً تشريفاً، وقد تكونُ إضافةً صفةً، وتحديدُ إحدى الإضافتينِ إقراراً بالمعنى حقيقةً.

وقد صنَّفَ جماعةٌ من المغارِبةِ كُتبًا في إثباتِ حقيقةِ الصفاتِ، والردُّ على المتكلَّمينَ والمعطلةِ؛ كسعِيدِ بنِ الحَدَّادِ في كتابِ «الاستواء»،

وقد قال: «قصَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى النَّافِيَةِ لِلَّهِ بَنْفِيهِمْ لِصَفَاتِهِ»^(١).

وعلى هذا المحققون منهم؛ كما نقلَ ذلك ابنُ رشدٍ في «البيان والتحصيل»؛ قال: «بَأَنَّ اللَّهَ يَدِينِ وَوَجْهَهَا وَعَيْنَيْهِ»^(٢)، ثم عزا لبعضِ الشيوخِ تأويلاً ذلك، وأنَّ المرادُ بالوجهِ: الذاتُ، وبالعيينَ: إدراكُ المرئياتُ، والمرادُ باليدينِ: النعمتانُ، ثم قال: «وَالصَّوَابُ: قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ أَثْبَتُوهَا؛ وَهُوَ الَّذِي قَالَهُ مَالِكٌ»^(٣).

وهذا ما فَرَرَهُ أبو القاسم السُّهِيْلِيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ في كتابِه «نتائجِ الْفِكْرِ»، عند كلامِه على صفةِ الْيَدِ، وأنها لا تؤولُ بالّتَّعْمَةِ ولا بالقُدرةِ، بل على الحقيقةِ، وقال: «كَانَ مَعْنَاهَا مَفْهُومًا عَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَتِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَفِتْ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَاهَا، وَلَا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ تَوْهِمُ التَّشْبِيْهِ، وَلَا احْتَاجَ مَعْ فَهْمِهِ إِلَى شَرِحٍ وَتَبْيَةٍ»^(٤).

وذلك أنَّ إثباتَ حقيقةِ الصفةِ لله، لا يعني القولَ بِمَشَابِهَتِها لِحقيقةِ صفةِ المخلوقِ؛ فلكلُّ حقيقةٍ تليقُ بِهِ، واللهُ **«لَيْسَ كَعِثْلِهِ شَقَّةٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»** [الشورى: ١١].

وقد كان متقدمو الأشاعرة؛ كالباقلانيُّ، يُشَبِّهُونَ لله تعالى الوجهَ واليَدَ على الحقيقةِ، بل عَدَ الباقلانيُّ في «التمهيد»^(٥) نفيَ ذلك مِنْ مَخَازِيِّ المعتزلةِ، وضلالِّهم وقبيلِ مذهبِهم، وعدَ الفخرُ الرازيُّ إثباتَ

(١) نَشَرَ قطعةً من هذا الكتاب عبدُ المجيد حمدة، ضمن كتاب المدارس الكلامية بأفريقية (ص ٣٠٩).

(٢) «البيان والتحصيل» (٤٠١/١٦).

(٣) الموضع السابق.

(٤) «نتائج الفكر» (ص ٢٢٩ - ٢٨٧).

(٥) «التمهيد» (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

الأشعرى للبيد، وأنها غير القدرة، وللوجه، وأنه غير الوجود: أن ذلك إثبات، لا توقف فيه؛ كما في كتابه «المحصل»^(١)؛ حيث خالف فيه رأي الأشعري، وتوقف وفوض.

ومن شبهات المعطلة: قولهم بحدوث الأسماء والصفات؛ وبهذا استدل بعض متكلمي المغرب؛ وهو سليمان الفراء؛ «فقد سأله ابن سخنون يستدرجه: يا أبا عبد الله، الله سمى نفسه؟ فقال ابن سخنون: الله سمى نفسه، ولم ينزل له الأسماء الحسنة»^(٢).

﴿كَلَامُ اللَّهِ﴾

قال ابن أبي زيد: ﴿كَلَمْ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاةٍ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ﴾:

والله متكلّم متى شاء بما شاء، والقرآن كلامه، وكلامه بائن من خلقه، وخلقه خلق، ولا يكون كلامه مخلوقاً؛ لكونه مسماعاً ومقوواً، ومحفوظاً ومكتوباً ومتديراً، بل المخلوق الأداة، وهي: أدن الإنسان ولسانه وشفتاه، وريقه ولهاوته، وقلبه وعقله، والورق والجبر؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلْمَةُ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد أكّد الكلام بالمصدر: «تكليمًا»؛ ليعلم أنه كلام على الحقيقة.

والعرب تسمى ما يصل من القول إلى الإنسان كلاماً، بأي طريق وصل إليه؛ كتابة أو غيرها، ولكن لا تتحققه بالمصدر، فإذا أكّد الفعل بالمصدر،

(١) (ص ٤٣٧).

(٢) «طبقات علماء إفريقيا» للخشني (ص ١٩٨).

لم يُحَمَّلْ إِلَى عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ، وَقَدْ قَالَ ثَعْلَبُ فِي قَوْلِهِ: **«تَكَلِّيمًا»** [السَّاءَ: ١٦٤]: «خَرَجَ الشَّكُّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ»^(١).
وَهَذَا إِجْمَاعُ النَّحْوَيْنَ؛ كَمَا حَكَاهُ عَنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ التَّحَاجَّسُ^(٢).
وَالْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ بِدُعْةٍ، لَمْ يَقُلْ بِهَا مَعْرُوفٌ بِصَلَاحٍ، فَضْلًا عَنْ مَعْرُوفٍ بِعِلْمٍ فِي الصَّدِيرِ الْأَوَّلِ.

شِدَّةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ:

قَالَ مَالِكُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ»^(٣).

وَقَالَ أَيْضًا: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِدُّ وَلَا يَنْفَدُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»^(٤).

وَكَانَ يَصُفُّ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ كَلَامِ اللَّهِ بِالزَّنْدَقَةِ، وَيَأْمُرُ بِقَتْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا مِنْ أَصْحَابِهِمْ: مَنْ يُخَالِفُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهُوَ إِجْمَاعُ الْقَرْوَنِ الْمُفَضَّلَةِ وَمَنْ تَبَعَّهُمْ.

وَقَدْ بَلَغَتْ فَتْنَةُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَصْحَابَ مَالِكٍ فِي الْمَدِينَةِ وَإِفْرِيقِيَّةِ، وَثَبَّتُوا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا؛ يَقُولُ مُوسَى بْنُ الْحَسَنِ: «سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي أُوْيِسٍ، وَمَطْرَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَى الْمَحْنَةِ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمَا

(١) «تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ» (١٠/٢٦٥). (٢) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ» (١/٥٠٧).

(٣) «السَّيْنَةُ» لعبد الله (١٤٥)، و«السَّيْنَةُ» للخلال (١٩٩٩ و٢٠٢١)، و«الشَّرِيعَةُ» (١٦٥).

(٤) «الْجَامِعُ» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

الكتاب، قال أبو بكر: أكُفُّ بالله بعد نِيَّفْ وتسعينَ سَنَةً، ومجالسة مالك، ورجاً مِنْ أهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ؟ فقيل له: لَيْكُنْ بِيْتَكَ سِجْنَكَ^(١).

وقد قال أبو محمد يحيى بن خَلَفَ الْمُقْرِئُ: «كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين، فأناه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: كافر زنديق؛ اقتلوه، قال: إنما أحكي كلاما سمعته، قال: لم أسمعه من أحد؛ إنما سمعته منك.

قال أبو محمد: فَعَلِظَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقَدِمْتُ مِصْرَ، فَلَقِيَتِ الْبَيْتَ بْنَ سَعْدٍ، فقلت: يا أبا الحارث، ما تقول فيمن قال: القرآن مخلوق، وحَكَيْتُ له الكلام الذي كان عند مالك؟ فقال: كافر، فلَقِيَتِ ابْنَ لَهِيَعَةَ، فقلت له مثل ما قلت لِلْبَيْتِ بْنَ سَعْدٍ، وحَكَيْتُ له الكلام؟ فقال: كافر.

فأتت مَكَّةَ، فلَقِيَتِ سُفْيَانَ بْنَ عَيَّنَةَ، فحَكَيْتُ له الكلام الرجل؟ فقال: كافر، ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فلَقِيَتِ أبا بكر بن عياش، فقلت له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق، وحَكَيْتُ له الكلام الرجل؟ فقال: كافر، ومن لم يُقْلِ: إنه كافر، فهو كافر، فلَقِيَتِ عَلَيَّ بْنَ عَاصِمَ، وَهُشَيْمَ، فقلت لهما، وحَكَيْتُ لهما الكلام الرجل؟ فقالا: كافر، فلَقِيَتِ عَبْدَ اللهِ بْنَ إدْرِيسَ، وأبا أَسَامَةَ، وَعَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكِلَابِيَّ، ويحيى بن زَكْرِيَا، وَوَكِيعًا، فحَكَيْتُ لهم؟ فقالوا: كافر، فلَقِيَتِ ابْنَ الْمَبَارِكَ، وأبا إسحاق الْفَزَارِيَّ، وَالْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ، فحَكَيْتُ لهم الكلام؟ فقالوا كُلُّهم: كافر^(٢).

(١) «المِحَن» (ص ٣٤٩).

(٢) «الإِبَانَة» (٢٥١/أَرْدَ على الجهمية)، و«شُرَحُ أَصْوَلِ الاعْقَاد» (٤١١ و٤١٢).

وقد ذكر الله القرآن في أربعة وخمسين موضعًا منه؛ فلم يُشير في شيء منها إلى خلقه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعًا ثلث ذلك العدد؛ فصرّح في جميعها بخلقه؛ كما ذكره ابن عطية، وقال: «وهذا يدل على أنه غير مخلوق»^(١).

ظهور القول بخلق القرآن في المغرب:

ولما ظهر القول بخلق القرآن في المغرب من بعض المنكّلّمين؛ كسليمان الفراء، ومحمد بن الكلاعي، رده أئمّة السنّة، وكتبوا فيه، وقد كتب ابن الحداد وإبراهيم الضبي كتباً في ردّ بدعة القول بخلق القرآن.

ولم يكن المسلمون في المغرب يعرّفون القول بخلق القرآن في القرون الأولى، حتى ظهرت فتنّة في المشرق، وقد همّوا بقتل سليمان الفراء، حينما قال بخلق القرآن؛ كما ذكره ابن عذاري المراكشي في «البيان»^(٢).

وكان أهل الإسلام في المغرب يصفون القائل بخلق القرآن من المغاربة بأنّهم: «أهل العراق»؛ لأنّهم ساروا على نهجهم، وأخذوا بقولهم؛ أي: أنّ هذا القول لا يُعرف من قبل في بلادهم عند المسلمين، وإنّما يقول به بعض فلاسفة أهل الكتاب المغاربة في التوراة والإنجيل، الذين أدخلوا الفلسفة وعلم الكلام في دينهم على الطريقة التي سلّكّتها بعض الطوائف الإسلامية، وقد كان الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي اليهودي يقول: «بإجماع أمّتنا أنّ التوراة مخلوقة»!^(٣)، وأصلٌ فلاسفة

(١) «المحرر الوجيز» (٥/٢٢٣).

(٢) «البيان المغرب» (١/١١٩).

(٣) «دلالة العائرين» (١/١٦٢).

أهل الكتاب الذي دعاهم للقول بهذا الكلام هو أصل الفلسفه المتسبيـن للإسلام، الذين قالوا: إن القرآن مخلوقاً

﴿أَصْلُ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَالْكَلَامِ النَّفْسِيِّ﴾

وكان أصل الفتنة في القول بخلق القرآن في المشرقي والمغارب: إنما هو في المسموع والممروء والمكتوب، والمحفوظ والمتدبر؛ وبهذا يقول الجهمية والمعتزلة.

حتى جاء ابن كلاب، وأثبتَ الكلام النفسي، وقال بخلق ما عداه من المسموع والممروء والمحفوظ، والمكتوب والمتدبر، وظنَّ هو ومن قال بقوله: أنهم يُشْتُونَ الكلام، وأنَّ قولَهم خارجٌ عن محل النزاع؛ توهُّماً أنَّ النزاع إنما هو في الكلام النفسي مع الجهمية والمعتزلة فحسب، وإنما النزاع في الكلام كله، وجَرَى مع ابن كلاب الأشاعرة؛ فأخذُوا يُشْتُونَ الكلام لله، ويريدونَ به: ما قام في النفس، لا ما أدركه الإنسان بسمعه وبصره، وقلبه وعقله، ويبلغه الإنسان بصوته ولسانه.

وهذا التفريق لا يُعرفُ قبلَ ابنِ كلاب، وكان الأئمة عند ظهورِ فتنة القول بخلق القرآن لا يفرقون، ويعرفون أنَّ فتنة القول بخلق القرآن، كانت لشُبهاتِ من أعظمها: شُبهةُ أنَّ المسموع والممروء منفصلٌ عن الذات؛ فلا يكونُ منها؛ ولهذا قال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ في «عقيدتيه» التي رواها عنه قاضي قُرْطُبَةُ أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو الْجَعْدِ: «أَشَهُدُ أَنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، خَلْقُهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَايْنَ مِنْ خَلْقِهِ هَذِهِكُلُّهُ» **«إِنَّ مَثَلَّهُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِّ إِادَمَ حَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ كُنْ فَيَكُونُ»**

[آل عمران: ٥٩]؛ فقوله: **«كُنْ»** ليس بمحلوـق^(١).

(١) «أخبار الفقهاء والمحدثين» (ص ٤٥ - ٤٦).

فانظر كيف ذكر أَحْمَدُ بَيْنُونَةَ كلامَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَبِرِيدُ بِذَلِكَ: المسموع والممروء وبقيّة جهاته؛ لأنَّ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ لَا حاجَةَ لِلقولِ بِبَيْنُونَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

وهذا الكلامُ عن أَحْمَدَ مِمَّا انفرَدَ بِهِ الْمَغَارِبَةُ عَنْهُ؛ ذَكْرُهُ الْخَشْنَى فِي «أَخْبَارِ الْفَقَهَاءِ وَالْمَحْدُثِينَ»^(١)؛ مَسْنَدًا.

وَعَلَى هَذَا جَرَى تَقْرِيرُ أَئمَّةِ السُّنَّةِ فِي الْقَيْرَوَانِ وَمَا وَرَاهَا، وَمِنْهُمْ: ابْنُ أَبِي زَيْدٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسْمَعَ مُوسَى عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْقَائِمُ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِعِيْرَةٍ»؛ نَقْلَهُ عَنِ الْقَرَافِيِّ فِي «الذِّخِيرَةِ»^(٢)، وَبِنَحْوِهِ قَالَهُ هُوَ فِي «الْجَامِعِ»^(٣).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْحَدَّادَ: «كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَوَّعَ الْكَلَامَ مِنْ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لَأَنَّهُ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُلِّمْ مُوسَى، وَلَمْ يَفْضُلْ بِكَلَامِهِ»^(٤)، وَقَوْلُهُ هُنَا: «مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُ يَقْصِدُ الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمُ بِهِ، وَأَسْمَعَهُ مُوسَى حَقِيقَةً، وَلَمْ يَخْلُقْهُ فِي الشَّجَرَةِ، أَوْ أَمَرَهَا فَتَكَلَّمَتْ بِهِ حَقِيقَةً.

وَيُخْطِئُ طَوَافُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ حِيثُ يَظْنُونَ أَنَّ خَلَافَ السَّلْفِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْعِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَحْدَهُ، وَيَظْنُونَ أَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ النَّزَاعِ بِثِبَاتِهِمْ لَهُ، وَقَوْلِهِمْ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ الْمَسْمُوعَ وَالْمَمْرُوءَ وَالْمَحْفُوظَ مَخْلُوقٌ، وَيُسَمُّونَهُ كَلَامَ اللَّهِ مَجَازًا؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْكَلَامِ؛ كَالْأَشَاعِرَةِ.

(١) «أَخْبَارِ الْفَقَهَاءِ وَالْمَحْدُثِينَ» (ص ٤٦).

(٢) «الذِّخِيرَةِ» (١٣/٢٣٥).

(٣) «الْجَامِعِ» (ص ١٠٧).

(٤) «رِياضِ التَّفَوُسِ» (٢/٧٢).

الحَرْفُ وَالصَّوْتُ :

وَمِنْ هَنَا نَشَأَ الْكَلَامُ عَلَى مَسَأَةِ «الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ»، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمُ بِكَلَامٍ حَرْفًا وَصَوْتًا؛ لَأَنَّ الْكَلَامَ فِي الْلُّغَةِ فِي الْأَصْلِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَأَمَّا غَيْرُهُ، فَيُحْتَاجُ إِلَى تَقْيِيدٍ؛ كَأَنْ يُقَالُ: «كَلَامٌ مَكْتُوبٌ»، و«كَلَامٌ فِي النَّفْسِ»، وَاللَّهُ أَثْبَتَ الصَّوْتَ لِنَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿هُمْ لَكُمْ حَدِيثٌ مُوَعِّدٌ﴾ [إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ] (النَّازِعَاتِ: ١٥ - ١٦)، وَالنَّدَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِصَوْتٍ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) ^(١)، وَقَالَ ﷺ: (مَنْ قَرَأْ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) ^(٢)، وَيَقُولُ كَمَا فِي «الصَّحِيفَ»: (يَنَادِي بِصَوْتٍ): إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ) ^(٣)، وَفِي السُّنْنِ أَنَّ الْمَنَادِيَ هُوَ اللَّهُ ^(٤).

وَقَدْ سَمِّيَ اللَّهُ الْمَسْمُوعُ كَلَامًا وَوَحْيَهُ: (وَإِنَّا أَخْرَنَاكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) [طه: ١٣]، وَقَالَ: (وَحْيٌ يَسْمَعُ كَلْمَ اللَّهِ) [التُّورَةِ: ٦]، وَلَا يَكُونُ السَّمْعُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ إِلَّا بِصَوْتٍ.

وَهَذَا مَا يَقْرِرُهُ السَّلْفُ صَحَابَةً وَتَابِعِينَ، وَأَتَبَاعَهُمْ وَأَتَبَاعَهُمْ؛ قَالَ ابْنُ مُسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ» ^(٥)؛ وَهَذَا مَا يُتَبَيَّنُهُ الْأَئْمَةُ؛ كَأَحْمَدَ وَالْبَخَارِيُّ، وَصَنَّفَ فِيهِ أَئْمَةُ مَصَنَّفَاتٍ؛ كَابْنِ مَنْدَهُ، وَأَبِي نَضِيرِ السُّجْزِيِّ، وَالنُّوْرِيُّ، وَكَانَ الْأَئْمَةُ يَشَدُّدُونَ عَلَى الْمُخَالِفِ فِي

(١) البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٢) الترمذى (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) البخاري (٤٧٤١ و٧٤٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) الترمذى (٣١٦٩).

(٥) «الْسُّنْنَةُ» لعبد الله (٥٣٦)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦/الرد على الجهمية)، وعلقه البخاري (١٤١/٩) بنحوه.

ذلك، وحُكِيَ إِجْمَاعُ الْخُلُقِ وَالْعُقُولِ عَلَى إِثْبَاتِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ بِنَفِيِّهِ لَا يُعْرَفُ قَبْلَ أَبْنِ كُلَّابِ وَالْقَلَانِسِيِّ، وَالصَّالِحِيِّ وَالْأَشْعَرِيِّ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مِنْ تَفْهِيمِ لِكَلَامِ اللَّهِ كُلُّهُ.

قال أَحْمَدُ بْنُ حِنْبَلٍ: «إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ»؛ فَكَانَ يُبَطِّلُ الْحَكَايَةَ، وَيُضِلُّ الْقَائِلَ بِذَلِكَ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْحَارِبِ التَّمِيميُّ فِي «اعْتِقَادِ أَحْمَدٍ»^(١)، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»^(٢)؛ فَقَالَ: «صَوْتُ اللَّهِ لَا يُشَبِّهُ صَوْتَ الْخُلُقِ؛ لَأَنَّ صَوْتَ اللَّهِ يُسْمَعُ مِنْ بَعْدِهِ، كَمَا يُسْمَعُ مِنْ قُرْبِهِ».

وَلَا يَمْنَعُ صَوْتُ اللَّهِ حِواجِزَ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي إِبْلَاغِهِ إِلَى هَوَاءٍ، وَإِنَّمَا يُسْمِعُهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَحِجِّرُ عَنْهُ مَنْ يَشَاءُ.

وَكَانَ أَحْمَدُ يَجْعَلُ نَفِيَ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ؛ لَأَنَّ يَؤْدِي إِلَى أَصْلِ وَاحِدِ، وَهُوَ التَّعْطِيلُ^(٣).

وَقَدْ نَقَلَ عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ حِنْبَلٍ: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: لَمَّا كَلَمَ اللَّهُ مُوسَى، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، فَقَالَ أَبِي: بَلْ تَكَلَّمْ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَى كَمَا جَاءَتْ»^(٤)، وَنَقَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ وَالْمَرْوَزِيُّ وَصَفَّهُ مَنْ يَنْفِي الصَّوْتَ بِالْجَهْمِيَّةِ^(٥).

﴿مِنْ حُجَّجِ نُفَاهَةِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ اللَّهُ﴾

وَأَعْظَمُ مَا جَعَلَ طَوَافَ الْمُتَكَلِّمِينَ يَقُولُونَ بِنَفِيِّ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ: أَنَّهُمْ أَصْلَوْا قَوْاعِدَ كَلَامِيَّةً تَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَأَرَادُوا إِجْرَاءَهَا عَلَى

(١) «اعْتِقَادُ أَحْمَدٍ» (ص ٣٣ و ٣٦). (٢) «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ» (٢/ ٢٤٠).

(٣) «الْسُّنْنَةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (٥٣٤).

(٤)

(٥) «الْسُّنْنَةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (٥٣٤)، و«شُرُحُ الْعِقِيدَةِ الْأَصْفَهَانِيَّةِ» (ص ٦٨).

الخالق وصفاته؛ فعطلوا صفات الخالق، وأظهروا حجتهم في هذا الباب هي:
الأولى: أنَّ الحروف والأصوات متعاقبة، وأنَّ الكلمة لا تكونُ كلمةٌ
 إلا وحروفها متواالية، وهذا التعلق يعني حدوثها، والله منزهٌ عن
 الحوادث؛ وهذا يطربون فيه، فيتصورون التعلق في صفة الاستواء
 والنزول، والقبض والبسط، فينفون تلك؛ لأنها حوادث، والله منزهٌ عنها،
 ولو أطربوا، لنفوا تعلق السمع والبصر؛ لأنَّه على أصلهم فالنظر يقتضي
 سماع الله لكلام خلقه متواлиًا؛ فقولُ العبد: «يا رب» يلزمُ منه أنَّ السمعَ
 يسمعُ الباء قبلَ الألفِ والراء والباء؛ وهذا حدوثٌ في السمع، كما هو
 حدوثٌ في المسموع؛ وسماع الله منزهٌ عن الحوادث، ومثله البصر؛ فصلاةُ
 العبد ركعتين؛ يبصرُ الله ببصره تكبيرة الإحرام قبل التسليمتين؛ وهذا
 حدوثٌ في البصر، كما هو حدوثٌ في المبصر؛ والله منزهٌ عن الحوادث.
 ويلزمُ من هذا التأصيل: نفي السمع والبصر، وجعلُ السمع والبصر
 هو العلمُ فقط! ولكنَّ الله يعلم بالفعل قبل حدوثه، ويرأه عند حدوثه،
 ويعلم بدعاء العبد له قبل حدوثه، ويسمعه عند حدوثه.

وذلك التأصيل الفاسد يرجع إلى أنَّهم اتخذوا قواعدًا تجري على
 حوادث المخلوقين؛ فجعلوها تجري على الله وصفاته، والله يفعلُ ما
 يشاء، كيما شاء، متى شاء، ومن ذلك كلامه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فعلَ الله الكلام
 بالمشيئة، وقال: ﴿إِذَا﴾ الدالة على المستقبل.

الثانية: أنَّ إثبات الحرف والصوت يلزمُ منه إثباتُ الحلق واللسان،
 وال حاجة للهواء؛ وهذا عين التشبيه الذي يستقرُ في نفوسهم؛ والحقُّ أنه
 لا يلزمُ من إثبات الصوت والحرف حتميةً لإثبات تلك اللوازم، فالله أثبتَ

للمخلوقاتِ الكلامَ والنطقَ والإسماعَ بلا حاجةٍ لذلك، وهي جماداتٌ؛ كما قال تعالى عن السمواتِ والأرضِ: ﴿فَالَّتِي أَنْبَأْنَا طَاغِيْنَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال عن الجبالِ: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاؤُدَ الْجِبَالَ يُسَيْحَنَ وَالظَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عن الجوارحِ إنها تقولُ: ﴿أَنْفَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]؛ وهذا في مخلوقٍ؛ فكيف بخالقٍ ليس كمثلِه شيءٌ؟!

ثُمَّ إنَّ هذا التأصيلَ ينسحبُ على جميعِ الصفاتِ؛ كالبصر؛ فهل يصحُّ أن يقالَ: إنَّ البصرَ يحتاجُ إلى حَدَقَةٍ ونُورٍ؛ كما يحتاجُ الكلامُ لخلقٍ وهواءٍ؟

وهؤلاء يتوهّمون أنهم إنْ نَفُوا الصوتَ والحرفَ، وأثبّتوا الكلامَ النفسيَّ؛ أنهم يُثبتُونَ صفةَ الكلامِ لله، وكما قال أَحْمَدُ عن الجهميَّةِ: «قالوا: إنَّ اللهَ لم يتكلّمْ ولا يتكلّمْ، إنما كَوَنَ شيئاً، فعبرَ عن اللهِ، وخلقَ صوتاً، فأسمَعَ»^(١).

وكلامُ متقدّمي المالكية يجري مجرى السلفِ؛ فكلامُهم جارٍ في إثباتِ أنَّ كلامَ اللهِ كلهُ غيرُ مخلوقٍ، وقد سأَلَ مُحَمَّدُ بنُ سُحْنُونَ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ: «أَرَأَيْتَ كُلَّ مخلوقٍ: هل يَذَلُّ لخالقِهِ؟ فسَكَّ الرَّجُلُ ثُمَّ قالَ ابْنُ سُحْنُونَ: إِنْ قَالَ: كُلُّ مخلوقٍ يَذَلُّ لخالقِهِ، فقد كَفَرَ؛ لأنَّه جعلَ القرآنَ ذليلاً على مذهبِه الذي يَرَى القرآنَ مخلوقًا، واللهُ يقولُ: ﴿وَإِنَّهُ لِكَتَبَ عَزِيزٌ﴾^(٢) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيلٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، وإنْ قالَ: إنه لا يَذَلُّ، فقد رجعَ إلى مذهبِ أهلِ الحقِّ^(٣).

(١) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) «رياض النقوس» (٤٤٨/١ - ٤٤٩).

وكلامه هذا كله لا يجري على الكلام التفسيري فحسب؛ لأنه استدل بالكلام المكتوب المنزلي؛ كما في الآية: «وَإِنَّهُ لِكَتَبٌ»، «تَنْزِيلٌ»، والمكتوب والمنزلي على قولهم، ليس هو الكلام المعنى القائم بالنفس. وهكذا في كلام أبي عمرو الداني في «منظومته»:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَضَّلِ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقٍ
مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ أَوْ مُخْدَثٌ فَقَوْلُهُ مُرْوُفٌ
وَالْوَقْفُ فِيهِ إِذْعَةٌ مُضِلَّةٌ وَمِثْلُ ذَاكَ الْلَّفْظُ عِنْدَ الْجِلَّةِ^(١)

وكلامه: في الكلام المنزلي أنه غير مخلوق، بل بداع القائل بالوقف

فيه.

وكلام الله الذي كلمه لجبريل ولنبينا ﷺ، هو ما نسمعه ونقرؤه، وهو غير مخلوق، ولو كانت أصوات المخلوقين وأفواههم وألسنتهم مخلوقةً؛ كما هم مخلوقون.

وقد كان الأئمة ينكرون القول بخلق القرآن لعلة كونه مسموعاً في الأرض، ومنزلًا إليها؛ كما قال أسد بن الفرات، وهو من تلاميذ مالك: «وَيَحْ أَهْلِ الْبَدْعِ؛ هَلَكَتْ هَوَالْكَوْهُمْ؛ يَرْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا؛ يَقُولُ ذَلِكَ الْكَلَامُ الْمُخْلُوقُ»؛ «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّا فَاعْبُدُنَّ» [طه: ١٤-١٩]^(٢).

وأهل اللسان العربي يعلمون أن المقصود بكلام الله غير المخلوق: هو المنزلي والمقرؤ والمسموع؛ ولهذا ذكر غير واحد منهم؛ كأبي غبيط القاسم بن سلام: «أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ حَلَفَ أَلَا يَنْكَلِمْ بِشَيْءٍ، فَقَرَأَ

(١) «الأرجوزة المنبهة» (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) «طبقات علماء إفريقيا» (ص ٨٢).

القرآن، لم يحيّنْ؛ لأنَّ القرآن كلامُ الله»^(١).

ومن الجهل بالعربية: التفريق بين كلام الله لفظه ومعناه، وزعم أنَّ هذا مخلوقٌ، وهذا غيرُ مخلوق؛ كما قال ابن الأعرابيُّ اللُّغويُّ: «ما رأيْتَ قوماً أكَدَّبَ على اللغةِ من قومٍ يزعمُونَ أنَّ القرآنَ مخلوق»^(٢).

﴿الواقفةُ في خلقِ القرآنِ، وسبُّ التشديدِ عليهم﴾:

ولا يجوزُ الوقوفُ في مسألةِ القرآنِ بزعمِ التوسيطِ والإمساكِ عن قولِ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوق؛ لأنَّ هذا شكٌ في صفاتِ الله، والواقيفُونَ في مسألةِ كلامِ الله يُسمُّونَ: واقفةً؛ لأنَّهم لا قاموا بالحقّ، ولا ناموا عن الباطلِ، وقد قالَ أَحْمَدُ عَمْنَ يَقُولُ بقولِ الواقفةِ: «لا يكونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةً!»^(٣)، وكانَ عبدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الضعيفُ يقولُ: «فَعَدُّ الْخَوَارِجَ أَخْبَثُ الْخَوَارِجَ، وَفَعَدُ الْجَهْمِيَّةَ هُمُ الْوَاقِفَةُ»^(٤).

وسبُّ تشديدِ الأئمَّةِ على الواقفةِ: أنَّ ظاهراً الحالِ أنَّهم أهونُ من الخُلُقِيَّةِ؛ لأنَّ القولَ بالوقفِ يُغري ضعفاءَ أهلِ الحقِّ به؛ توهمًا للسلامةِ والتَّوسيطِ، فهو يُخرجُ أهلَ الحقِّ إلى الباطلِ، ويُخرجُ أهلَ الباطلِ إلى باطلٍ آخرٍ؛ ولهذا يقولُ إسحاقُ بْنُ راهويه: الواقفةُ شرٌّ عندي ممن يقولُ: القرآنُ مخلوقٌ؛ لأنَّه يقتدي به غيرُه^(٥).

(١) «السُّنَّةُ» للخلال (١٨٥١ و١٨٥٢).

(٢) «شرح أصول الامتناد» (٦٢٣)، و«معجم الأدباء» (٢٥٣٣/٦).

(٣) «مسائل حرب» (١٨٠٤).

(٤) «مسائل أحمد؛ رواية أبي داود» (١٧٤٩).

(٥) «مسائل حرب» (١٨٠١)؛ وعنه الخلال في «السُّنَّة» (١٨٠١).

● من أدلة القائلين بخلق القرآن:
هذا، ويستدل الجهمية والمعتزلة على خلق القرآن بعمومات القرآن
وأطلاقاته:

- وذلك: بإدخال القرآن في عموم خلق الله لكل شيء في قوله:
﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرَّغْد: ٦٢]، والزمر: ١٦؛ لأنهم يرون كلام الله شيئاً
غير الله، فيدخلونه في غيره.

لكن كلامه منه، ثم إنَّه قد جاء في القرآن والحديث: أنَّ الله شيء؟
كت قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ لِّأَيِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْهُ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فهل يجوز أن
يقال: إنَّ الله تعالى خلق نفسه؟ ومثله: القرآن، فيسمى شيئاً، كما في
قوله تعالى: ﴿أَوَ قَالَ أُوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وفي
 الحديث سهل؛ قال عليه السلام: (أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟)^(١)، فإذا لم يدخل الله
في الشيء المخلوق، فكذلك كلامه؛ لأنَّه منه.

وكذلك: فإنَ العموم يطلق في القرآن، وله ما يخصُّه من الحسن
وغيره؛ كقوله تعالى عن ريح قوم عاد: ﴿ثَدَرَرَ كُلُّ شَيْءٍ يَا قَرْ رَهَبًا﴾
[الأحقاف: ٢٥]، وقول الله تعالى عن بليقيس: ﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾
[النَّئَل: ٢٣]؛ وهذا لا يمكن القول بعمومه.

- ومن الأخذ بالعمومات عند الجهمية والمعتزلة: استدلالهم على
خلق القرآن بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَتَّهِمُ مِنْ سَيِّئَاتِ أَبَاهِ﴾
[الفرقان: ٥٩]، والسجدة: ٤؛ لأنَ القرآن موجود بينهما.

ولو قيل بالعموم، للزم القول بأنَ ما كان فوق السموات غير

(١) البخاري (١٤٢٥ و ٥١٣٥ و ٥١٤٩ و ٧٤١٧)، ومسلم (١٤٢٥)، والله للفظ للبخاري.

مخلوق؛ لأنَّ الآيةَ جعلت خَلْقَ اللهِ هو السموات والأرض وما بينهما، ومعلوم أنَّه فوق السموات أشياء مخلوقة، فإذا جاز أن يكون فوق السموات شيءٌ مخلوق، فيجوز كذلك أن يكون بينهما شيءٌ غير مخلوق.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَرَقَ بَيْنَ كَلَامِهِ، وَهُوَ (أَمْرُهُ)، وَبَيْنَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَشْرُقَ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ فوصَفَ الْأَمْرَ بِالتَّنْزِيلِ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْخَلْقِ، وَأَمْرُ اللَّهِ: كَلَامُهُ وَقَوْلُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

- وكذلك: فإنَّ استدلالَهُم بِمَجِيءِ الْبَقَرَةِ وَأَكِيلِ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُونِهِم مُخْلُوقَيْنَ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(١) - لَا زِمْنٌ لِلْقَوْلِ بِذَلِكَ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ [النَّجْرُونَ: ٢٢]، وَكَلَامُهُ مِنْهُ تَعَالَى.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذُكْرٍ فَنَرَيْهُمْ تُحَدِّثُ﴾ [الأنبياء: ٢]، يَرَادُ بِهِ: مُحَدَّثٌ مِنَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ آخِرٌ مَا نَزَّلَ مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَّهُ^(٢).

وَالنَّزْلُ قد يَتَكَرَّرُ، فَيُسَمَّى آخِرُهُ: أَخْدَثَهَا؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةً نَزْلًا يَلِيقُ بِهِ وَحْدَهُ، وَنَزْلُهُ اللَّيْلَةِ أَحَدُثُ مِنْ نَزْلِهِ لَيْلَةً أَمْسِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بَعْضَ كَلَامِهِ بِالسَّبْقِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ١٩]، وَهُودٌ: ١١٠، وَطهٌ: ١٢٩، وَفُصُلَّتْ: ٤٥، وَالثُّورِيُّ: ١٤]، وَقَالَ سَبِّحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتَنَا﴾ [الصَّافَاتٌ: ١٧١].

(١) مسلم (٨٠٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ.

(٢) «مسائل حرب» (١٨٠٥).

ويقابلُهُ قولهُ تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مَا جَاءَكَ مِنْ أَوْلَمْ﴾** [البقرة: ١٤٥]، **وآل عمران: ٦١]**; فهنا حدوث المجيء لكلام الله وهو علمه، وهكذا يكون في الصفات الفعلية؛ من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط، ثم إن غضب الله على فرعون سابق لغضبه على أبي لهب.

وكلمة: **«محدث»** [الأنبياء: ٢، والشعراء: ٥] في الآية: لا يراد بها المعنى الاصطلاحي عند المتكلمين الذي أصلوه على المخلوقات؛ فنزلوه على الخالي، فغلب هذا المعنى لديهم؛ ولهذا كان بعض السلف ينهى عن وصف القرآن بـ: «محدث»؛ كقيصة؛ فقد كان يقول: «من قال: «محدث»، فهو يقول: إنه مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر بالله»^(١).

ومهما كان القرآن على جهة أو تصرف - مسموع أو مكتوب، أو مفروء أو محفوظ أو متديراً - فهو كلام الله غير مخلوق، ومن الله، وربما يت Hibي الإنسان لأجل خيال المماثلة والتشبّه من قول ذلك، فيستبشر الكلام بما ورد بالنص؛ ولهذا كان أئمّة يقولون لبعض أصحابه: «لا تجزع أن تقول: ذلك كلام الله من الله، ومن ذات الله»^(٢).

وفي خبر ابن عباس: **(أول ما خلق الله القلم)**^(٣): دليل على أن كلامه غير مخلوق؛ لأن الله لم يخل من الكلام والعلم؛ فلا يقال: إن الله لم يتكلّم إلا بعد خلق القلم، ولكن كلامه غير مخلوق، وهو من ذات الله؛ ولهذا لا يذكر في مخلوقاته.

(٢) **«الستة للخلال** (١٩٤١).

(١) **«الستة للخلال** (١٨٤٥).

(٣) ابن أبي شيبة (٢٣٧٠ و٢٤٣٧).

﴿ صفة التَّجْلِي لِلَّهِ تَعَالَى : ﴾

قال ابن أبي زيد: «وَتَجَلَّ لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًا مِنْ جَلَالِهِ»:

تجلى الله للجبيل: حقيقة تليق به، لا كتجلى المخلوقين؛ قال تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا» [الأعراف: ١٤٣]، والتجلّي: صفة فعليةٌ خبريةٌ، وهي بمعنى الظهور والبيان^(١)، ومقتضى اللسان العربي: حمله على ذلك؛ فالقرآن نزل به، وقد جاء إثبات التجلّي على الحقيقة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في «المستد»^(٢).

وعلى هذا المعنى من الإثبات يجري السلف وأهل السنة؛ فلا يتأولون ما وردَ على معنى يتكلّفونه ليخرجوا به عن المعنى المتوجه الذي يحدّرون.

وقد قال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: (يَنْزُلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)، عندهم مثل قول الله عز وجل: (فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) [الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّاً صَفَّاً) [الفجر: ٤]؛ كلهم يقولون: ينزل ويتجلى ويجيء، بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلّى؟ وكيف ينزل؟ ولا: من أين جاء؟ ولا: من أين تجلّى؟ ولا: من أين ينزل؟ لأنّه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له.

وفي قول الله عز وجل: «فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلّياً للجبيل، وفي ذلك ما يفسّر معنى حديث التنزيل.

(١) «معاني القرآن» للراجاج (٢/٣٧٣).

(٢) أحمد (٣/١٢٥ و ٢٠٩) رقم ١٢٢٦٠ و ١٣١٧٨.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ **كَذَّكَ**: «فَلَمَّا تَجَلَّ
رَبِّهُ، لِلْحَكِيلِ» [الأعراف: ١٤٣]؛ فَلَيَنْظُرْ فِي تَفْسِيرِ بَقِيٍّ بْنِ مَحْلِدٍ، وَمُحَمَّدٍ بْنِ
جَرِيرٍ، وَلِيَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرَاهُ مِنْ ذَكَرٍ، فَفِيمَا ذَكَرَاهُ مِنْ كَفَايَةٍ^(١).

صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى:

وَيُثَبَّتُ النُّزُولُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلَا نَأْوِيلٍ
وَلَا تَشْبِيهٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ النُّزُولَ أَوْ يَعْطُلُهُ يَسْتَحْضُرُ
أَحْوَالًا تُشَابِهُ الْمُخْلوقَ، وَالْحَرَكَةُ وَالْإِنْتِقَالُ لَمْ يَرِدْ بِهَا النَّصُّ، فَتُنْكَرُ،
وَلَا تُثَبَّتُ وَلَا تُنْفَى؛ وَقَوْفًا عَلَى النَّصْ، كَمَا كَانَ الْإِمامُ أَحْمَدُ يَأْمُرُ
بِذَلِكَ، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعْ
قَاصِدًا يَقُصُّ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ؛ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لِلَّهِ النُّصُفُ مِنْ شَعْبَانَ،
يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا زَوَالٍ، وَلَا اِنْتِقَالٍ، وَلَا تَغْيِيرٍ حَالٍ»؛ فَارْتَدَ
أَبِي وَاصْفَرَ لَوْنَهُ، وَلَزَمَ يَدِي، فَأَمْسَكَتْهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: قِفْ بِنَا عَلَى
هَذَا الْمُتَخَرِّصِ، فَلَمَّا حَادَاهُ، قَالَ: يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرَ عَلَى رِبِّكَ
مِنْكَ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **كَذَّكَ**، وَانْصَرَفَ^(٢).

وَمِنَ الْأَئْمَةِ: مَنْ يُثِبِّتُ ذَلِكَ؛ كَحْرِبُ الْكِرْمَانِيُّ^(٣)، وَعُثْمَانُ
الْدَارِمِيُّ^(٤).

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَنْفِيهِ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ التَّمِيميُّ^(٥)، وَأَبِي مُحَمَّدِ مَكْيَيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ «الْهِدَايَا»، إِلَى بَلوغِ النَّهَايَا^(٦)، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٧).

(١) «الْتَّهِيدُ» (٧/ ١٥٣).

(٢) «الْاِقْتَصَادُ فِي الاعْتِقادِ» (ص ١١٠).

(٣) «الْمَسَائلُ حَرْبٌ» (١٥٦/ ٢٦).

(٤) «الْنَّفْضُ» (١/ ٢١٥ و ٣٥٥ - ٣٥٦).

(٥) «مَجْمُوعُ الْفَتاوِيِّ» (٥/ ٤٠٢).

(٦) «الْهِدَايَا» (١/ ٢٠٩ و ٦٩٠)، و (١٢/ ٧٦٧٧ - ٧٦٧٨).

(٧) «الْتَّهِيدُ» (٧/ ١٣٦ - ١٣٧).

وطائفه ثلاثة: ثبّت المعنى، وتتوّقّف عن اللفظ؛ لعدم وروده^(١).
و والإمساك عن الزيادة على النص أحواطه؛ كما فعله أَحْمَد؛ وهذا
لا يُنافي الحقيقة بإثبات النزول والتجلّي لله حقيقة؛ بلا تأويل ولا تشبيه
ولا تكيف.

والزيادة على النص قد تدفع صاحبها إلى تأويل صفات أخرى عن
حقيقةتها أو القول بما لم يرد فيه النص؛ كمسألة خلو المكان عند
النزول؛ فلما سُئلَ ابن المبارك؛ فقيل له: «كيف يَنْزِلُ الله؟ أليس يخلو
ذلك المكان؟» فقال: يَنْزِلُ كيف شاء^(٢)؛ فلم تدفع ابن المبارك زيادة
السائل على النص إلى تأويل الصفة، بل أثبتتها، وأرجع السائل إلى
مشيئة الله، بما تضمّن تخطئة السائل.

ومَنْ أَثَبَ صفة الاستواء والنزول على حقيقة تَلِيق بالله لا كما يُلْبِقُ
بالمخلوق، لا يُدْعِ لتفادي الحركة والانتقال، وإنْ كانت السُّنة الوقف
على النص؛ وقد سأَلَ عبد الله بن طاھر إسحاقَ مستنكراً عن الأحاديث
التي فيها: يَصْعَدُ، ويَنْزِلُ؟ فقال إسحاق: «تقول: إنَّ الله يَقْدِرُ على أن
يَنْزِلَ ويَصْعَدَ ولا يَتَحرَّك؟» قال: نَعَمْ، قال: فِيمَ تُنْكِرُ؟!^(٣).

والمتكلّمون يتأوّلون النزول والمجيء وغيرهما لاستحضار ما
لا يَرَوْنَ صحة نسيئه للخلق، ولو سَلَمُوا من هذا الاستحضار المبني على
القياس لصَحَّ لهم الاعتقاد، وكثيرٌ منهم يُظْهِرُون التأويل ويَكْثُرُون
التوهّمات، وهي أصلٌ ما ظَهَرَ مِنْ تأویلهم، وكان الأئمّة يُشْتَون النزول
حقيقةً ويُنْصُون على بُطلانِ تأویلهم له؛ كما قال عبدُ القادر الجيلاني في

(١) الموضع السابق.

(٢) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٥١).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٧٤)، وإيطال التأويلات» (٢٢).

أصول الدين - لَمَّا أثَبَتَ النَّزُولَ حَقِيقَةً - : لَا بِمَعْنَى نَزُولِ رَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ عَلَى مَا ادَّعَتِ الْمُعَتَزِّلَةُ وَالْأَشْعُرِيَّةُ^(١) .

القرآن كلام الله غير مخلوق:

قال ابن أبي زيد: **لَوْاَنَ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِّدُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُهُ :**

أراد ابن أبي زيد أن يبيّن: أن المراد بكلام الله: هو ما بين أيدينا من المسموع والممتنع، والمكتوب والمحفوظ، وليس قصره على ما في النفس؛ فإن هذا القصر ليس بمعلوم في كلام السلف، وكلامه هذا مأخوذ من كلام مالك؛ كما نقله عنه في «الجامع»: «القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا ينقذ، وليس بمخلوق»^(٢).

لأن الله باق، فيبقى كلامه، وليس بمخلوق، حتى يخلق كلامه، وحكم الصفة حكم الذات، ومن قال بخلق الصفة، فيلزم القول بخلق الذات؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والسلف يعلمون: أن كلام الله هو هذا الخارج منه المسموع والممدوح، والمكتوب والمحفوظ، وليس الكلام النفسي في الذات؛ كما يقول بعض المتكلمين^(٣)؛ ولهذا نقل عمرو بن دينار ما أدرك عليه الصحابة؛ وهو: «أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ، وَمَا سَوَاءَ مَخْلُوقٌ؛ إِلَّا الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ خَرَجَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ»^(٤)، ونحو هذا قال ابن عيينة: «القرآن

(١) «أصول الدين» (ص ١٢١).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣).

(٣) «الإنصاف» للباقلي (ص ١، ١٠٣، ١٠٣)، و«غاية المرام» للأمدي (ص ٨٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للدارمي (ص ٣٤٤)، و«مسائل حرب» (ص ١٨٢١).

خرج من الله^(١)، وينحوي قال أَحْمَدُ^(٢)، وكُوْنُه مسْمُوعًا ومُقْرُوءًا لا يعني: أَنَّه ليس منه، أو أَنَّه بائِنٌ عَنْه؛ كما قال أَحْمَدُ^(٣): «كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَا يَسِيرُ مِنْهُ بَيْانٌ مِنْهُ، وَلَا يَسِيرُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ».

ويقول يَشْرُبُ بْنُ الْحَارِبِ الْحَافِي: «نَشَهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَيْنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقُهُ بَيْنٌ مِنْ قَوْلِهِ»^(٤).

وقُولُهُمْ هَذَا دُفْعًا لِتُوَهُمْ أَنَّ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوءَ وَالْمَكْتُوبَ يَجْعَلُهُ سَمْعُهُ وَقِرَاءَتُهُ وَكِتَابَتُهُ مَخْلُوقًا؛ بَلْ هُوَ مَبَايِنٌ لِلْخَلْقِ، وَهَذَا لَا يَقُولُ لِمَا قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ؛ كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَوَهُمْ بِيَنْوَنَتِهِ.

﴿إِيمَانٌ بِالْقَدْرِ﴾

قال أَبُنَيْ رَبِيعَةَ: حَلُوا إِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلْوٌ وَمُرْرٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضِيرُهَا عَنْ قَصَائِهِمْ: وَإِيمَانٌ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَاجِبٌ؛ كَمْلَ عِلْمُ اللَّهِ، فَكَمْلَ تَقْدِيرُهُ؛ قال تَعَالَى: ﴿وَتَحْكَمُ كُلُّ شَيْءٍ فِي قَدْرِهِ نَقْدِرُهُ﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ بِحَكْمَتِهِ يُقدِّرُ﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وَعِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ وَكْتُهُ وَرُسُلُهُ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ)^(٥)، وَقَالَ ﷺ: (كُلُّ شَيْءٍ يُقْدِرُ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ)^(٦).

(١) «الستة» للخلال (١٩١٣).

(٢) «الستة» للخلال (١٨٥٩).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧).

(٤) «العرش» (٢١٦)، و«العلو» (٤٦٥)، و«الأربعين في صفات رب العالمين» (١٦).

(٥) مسلم (٨) من حديث عمر.

(٦) مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر.

ولا يختلف السلف أهل السنة في ذلك؛ كما قاله ابن عبد البر، وغيره^(١)، وقد كان ابن عباس يسمى القدر: «نظام التوحيد»^(٢).

وفطرة الإنسان قاطعة بالإيمان بالقدر؛ لأنَّ من كمال الخالق كمال عِلْمِه، ومن كُملَ علمُه، كُملَ تقديره وتدبره لِمَا خلق، وقد كانت العرب حتى في الجاهلية تؤمن بالقدر، ولا تكذبه؛ وقد قال عمرو بن كلثوم: **وَأَنَا سَوْفَ تُذْرِكُنَا الْمَنَابَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَا**^(٣)

ويقول ليبدُّ بن ربيعة:

..... إنَّ الْمَنَابَا لَا تَطْبِشُ سِهَامَهَا^(٤)

ويقول عترة:

يَا عَبْلَ أَيْنَ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَهْرَبِي إِنْ كَانَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا^(٥)
ويقول هاني بن مسعود الشيباني لما خطب في الجاهلية في يوم ذي قار: «إِنَّ الْحَدَرَ، لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدْرِ»^(٦).

ويروى فيه حديث مرفوع: (لا يُغْنِي حَدَرٌ مِنْ قَدْرٍ)^(٧)؛ وهذا نظير ما جاء عن ابن عباس: «إِذَا جَاءَ الْقَدْرُ، حَالَ دُونَ الْبَصَرِ»^(٨).

(١) «الاستذكار» (١٨/٢١٠ و٩٥/٢٦)، و«شرح النووي» (١/١٥٥ و١٩٥/١٦ - ١٩٦)، و«فتح الباري» (١١/٤٧٨).

(٢) «القدر» للفريابي (٢٠٥)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٢٢٤).

(٣) «شرح القضايا المشهورات» (٢/٦١٧)، و«شرح المعلمات السبع» للزومني (ص ٢١٦)، و«شرح القضايا العشر» للتبريزي (ص ٢١٩).

(٤) «ديوان ليبد» (ص ١٧١ / دار صادر). (٥) «ديوان عترة» (ص ٩٢).

(٦) «أمالى الفالى» (١/١٦٩).

(٧) «الدعا» للطبراني (٣٣)، و«المستدرك» للحاكم (١/٤٩٢) من حديث عائشة.

(٨) ابن أبي شيبة (٣٢٥/١٣)، والحاكم (٢/٤٠٥).

وكل من صَحَّ له العُقْلُ، أَمِنَ أَنَّ مَنْ ثَبَّتْ لَه كَمَالُ الْعِلْمِ، فَإِنَّه يُشَبِّهُ
لَه كَمَالُ التَّقْدِيرِ، وَهَذَا الْكَوْنُ وَالخَلْقُ بِنَظَامِهِ وَدِقَّتِهِ وَثَبَاتِهِ، وَتَلَازِمُ أَسْبَابِهِ
بِمَسْبَبَاتِهِ، أَمَادًا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَمَامِ عِلْمٍ، وَاحِكَامٍ
خَلْقٍ، وَدِقَّةٍ تَقْدِيرٍ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ مُتَلَازِمًا مَعَ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ قَالَ تَعَالَى:
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ أَلْأَمْرَ بِمَا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَذَلِكَ يُشَبِّهُ لَهُ التَّقْدِيرَ؛ لِأَنَّهُ
لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَالَمٌ قَادِرٌ، وَمَنْ نَفَى التَّقْدِيرَ، فَيُلَزِّمُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؛
فَالْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَعْلَمُ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْحَمِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وَقَالَ: ﴿وَغَفَقَ كُلُّ شَيْءٌ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ وَالْعَالَمُ وَالْقَادِرُ هُوَ الْمَقْدِرُ لَهَا أَفْعَالَهَا، وَالْمَدِيرُ لَهَا
أَرْزَاقَهَا، وَنَظَامَ حَيَاتِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وَقَدْ كَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئْمَةِ؛ كَأَحْمَدَ، يُسَمِّي الْقَدَرَ: «قُدْرَةُ اللَّهِ»^(١).
وَكَانَ مَالِكُ يَشْدُّدُ عَلَى مُنْكِرِي الْقَدَرِ، وَيَرِى أَنَّهُمْ يُسْتَتابُونَ: فَإِنْ
تَابُوا، وَإِلَّا قُتِلُوا، وَكَانَ لَا يَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ، وَلَا يَرَى تَزْوِيجَهُمْ؛
وَيُسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَبَدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

تقديرُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ:

وَكُلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ؛ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ؛

(١) «السَّنَةُ» للخلال (٩٠٤).

قال ﷺ: (وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٍ وَشَرًّا) ^(١)، ويروى في حديث جابر؛

قال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٍ وَشَرًّا) ^(٢).

والله لا يقدر لعباده شرًا محضًا، كما أنه لا يخلق شرًا محضًا ولا راجحًا على الخير ولا مساويا له، إلّا وهو يُؤول إلى خير في عمومه، وقد يرى العباد وجها من وجوه التقدير، فيرون شرًا محضًا أو غالباً أو مساوياً، ويخفى عنهم ما لؤ رأوه، لعلّموا عظيم خلق الله وتقديره وحكمته.

وقد شرع الله الاستعاذه من الشر النسبي الذي يراه العبد من القضاء عليه؛ كما في «الصحابتين»؛ قال ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهَدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّفَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَائِنَةِ الْأَعْدَاءِ) ^(٣).

والعقل قبل النقل دال على أن الخالق لا يخلق شرًا محضًا، بل يقر بهذا فلسفه؛ كباروخ سبينوزا؛ كما في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان»، وكان من أصل يهودي، فيرى بذو الشر في الدنيا؛ لأن إدراك الناس ضعيف محدود؛ لكونه ينظر من ناحية؛ فينقص نظره للأحداث؛ حيث يتلقى الشر من ناحيته التي يرى فحسب.

ومن لم يسلم للنقل، لم يستقر له رأي على قدم؛ فالعقل مهما بلغت، تباين نتائجها في الأمر الواحد:

فَأَفَلَا طُونُ يَرَى الشَّرَّ مِنَ الْجَهَلِ، لَيْسَ مِنَ الْآلَهَةِ وَتَقْدِيرِهَا، وَسُقْرَاطٌ يَنْفِي الْقَدْرَ كُلَّهُ.

(١) مسلم (٨) من حديث عمر. (٢) الترمذى (٢١٤٤).

(٣) البخارى (٦٦١٦ و ٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

﴿لا يُنْسَبُ الشَّرُّ إِلَى اللَّهِ﴾

وليس من الأدب مع الله نسبةُ الشرِّ إليه على سبيل التخصيص؛ وقد قال النبي ﷺ، كما في «مسلم»: (وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدِكُّ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكُ).^(١)
ومن أدب إبراهيمَ الخليلِ مع ربه: قوله: **﴿فَإِذَا مَرِضْتَ فَهُوَ يَشْفِينَ﴾** [الشعراء: ٨٠]؛ فنسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله، مع أنَّ كلَّ شيءٍ من الله.

وكذلك في قولِ الخَضِيرِ لما كان يُخرقُ السفينَةَ، وظاهرُهُ شرٌّ؛ قال: **﴿أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيَهَا﴾** [الكهف: ٧٩]؛ فنسب عيَّتها إلى نفسهِ، ولكنَّه لِمَا ذَكَرَ الخيرَ الحاصلَ للغلامينِ، نسبةً إلى الله؛ فقال: **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنَزَهُمَا﴾** [الكهف: ٨٢]، مع أنه هو الذي خرقَ السفينَةَ، وهو الذي أقامَ الجِدارَ، ولكنَّ اللهَ جعلَهُ سبباً، واللهُ لا يُقدرُ شرًا ماحضًا؛ فنسب الخبرَ إلى الله، ونسب الشرَّ الظاهرَ إلى غيرِه.

والشبهةُ التي جعلَتْ قدماءَ الفلسفَةَ من أربابِ المِللِ، يُنفونَ علمَ اللهِ بخلقهِ، هي وجودُ الشرِّ في الكونِ، وقد بينَ مذهبهم وشرَحةُ ابنِ ميمونِ القرطبيِّ الفيلسوفِ اليهوديِّ^(٢).

وقد فرَّ بعضُ الفلسفَةِ والمتكلِّمينَ إلى نفي نسبة تقديرِ الشرِّ إلى اللهِ، وأراد تنزيهَ اللهِ، فوقعَ فيما هو أعظمُ من ذلك، وهو: أن يجعلَ في الكونِ مدبرًا وخالقاً غيرَ اللهِ، وأنه يكونُ في كونِه ما لا يُريدُه؛ فيعصيَ وهو لا يُريدُ العصيانَ قدرًا؛ تعالى اللهُ عن ذلك.

(١) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) «دلالةُ الحائرين» (٣/٥١٨ - ٥٢٠).

ولم تكن العرب تعرف إنكار القدر حتى دخلت فيهم العلوم الفلسفية والكلامية، اليونانية والفارسية والهندية؛ فظهر نفي القدر في العراق والشام قبل غيرهما.

وكان أول من أشهَرَ القدر: مَعْبُدُ الجُهْنَى، وقد أخذَهُ من نَصْرَانِي يقال له: سَوْسَنُ^(١)، ولم تكن النصارى على قول واحدٍ في القدر:

فمنهم: جَبْرِيَّةٌ؛ كالنُّسْطَرِيُّينَ.

ومنهم: قَدْرِيَّةٌ؛ كالبَعَاكِيَّةِ.

ومنهم: متوسطون؛ كأوْغُسْطِينِ.

ومن كذب بالقدر، لزمه زوال أشياء عظيمة لا يصح بزوالها إيمان؛ فلا يصح من نافي القدر توكل على الله، ولا رجاء، ولا دعاء له، ولا رضا بما ينزل من البلاء؛ إذ كيف يسأل من لا يقدر على العطاء والاختيار في الكون؟! وكيف يتوكل عليه ويرجى ويرضى على تقديره، وهو لم يقدر؟!

﴿الجدال في القدر﴾

والقدر: من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير ما ورد في الشرع؛ فلا مجال للعقل أن يصل إلى غايتها و نتيجتها التي ينتهي إليها، والعقول إنما تبحث في ممكناًت الإدراك العقلي، لا في محالاته، فبحثها في حالاته ليس لها؛ فالله نهى عن الخوض في كل ما لا سبيل لإدراكه، ولا العلم به؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُثْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

[الإسراء: ٣٦].

(١) «القدر» للفريابي (٢٤٨)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٩٨).

والنهي عن بحث غيب القدر إنما هو لعجز العقل عن إدراكه، لا لكونه في ذاته لا يدرك؛ فالله يعلم؛ لأنه مقدرة، وقدر سبحانه أن يجعل من شاء من خلقه مدركا له، ولكنه جعل ذلك في دينه سيراً يؤمن به، ولا يبحث عنه.

ولهذا جاء الوحي بالإيمان بالقدر فقط، وجاء في الأدلة ما يقتضي الإمساك، بل ويأمر به؛ فقد كان النبي ﷺ يسأل عن العمل والقضاء، فيقول: (أَعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُبْسَرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ)^(١)، وقد دخل على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فاحمر وجهه، وقال: (أَبْهَدَا أَمْرِتُمْ أَمْ بِهَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ)^(٢)، ويروى عن ابن مسعود: «إِذَا ذُكِرَ القدر، فَامْسِكُوا»^(٣)، وهو كما قال ابن عبد البر: «لا يدرك بجدال، ولا يشفي منه مقال»^(٤).

﴿أفعال العباد وخلقها﴾

وأفعال العباد مخلوقةٌ كدوافعهم؛ كما قال تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٦]، وأفعالهم شيء، و«اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» [الزمر: ٦٦]، ولكن دوافعهم خلقت بلا اختيار منهم، وأماماً لأفعالهم، فخلقت باختيارهم، والقرآن مليء بالدلالة على ذلك، وتلك الآيات الدالة على خلق أفعال العباد، هي أثقل الآيات على المعتزلة؛ حتى كتب القاضي عبد الجبار كتاين؛ تعسفًا وتكلفاً في تأويلها وتحريفها^(٥).

(١) البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي.

(٢) الترمذى (٢١٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) الطبراني في «الكبير» (١٠/١٩٨ رقم ١٠٤٤٨) من حديث ابن مسعود؛ مرفوعاً.

(٤) «التمهيد» (٣/١٣٩ و١٣٩/٦ - ١٤).

(٥) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٢٣)، و«المغني في أبواب العدل» (٣/٨).

ولم يكن السلف وأئمَّةُ الصَّدِّرِ الأوَّلِ يُشْكِونَ في خلقِ أفعالِ العبادِ، حتى قيلَ ببنيِ القدرِ؛ فتَبَعَهُ القولُ بخلقِ العبادِ لأفعالِهم، وقد قالَ رسولُ الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ)^(١)، وَقَالَ حُذَيْفَةُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنْعَتَهُ»^(٢).

وقد نَشَأَ القولُ ببنفيِ القدرِ في المشرقِ، ولم يكن معروفاً في المغربِ، حتى انتَقلَتْ أقوالُ المعتزلةِ إلى المغربِ، وكان الأئمَّةُ يُنكِرُونَهُ على مَنْ أَظْهَرَهُ فِيهِمْ، وقد كان مُحَمَّدُ بْنُ سُحْنُونَ يَقُولُ في رَدِّ قولِ بعضِ أهْلِ الاعْتِزَالِ: «الإِقْرَارُ غَيْرُ مُخْلوقٍ، وَمَا سُوِيَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ مُخْلوقَة»^(٣).

وَجَعَلَ اللَّهُ لِلْمَكْلُفِينَ مُشَيَّةً يَخْتَارُونَ بِهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا اخْتَارُوهُ، فَإِذَا ارْتَقَعَ الْاِخْتِيَارُ مِنْهُمْ، ارْتَقَعَ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِمْ؛ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْقَائِمِ وَالنَّائِمِ، وَالْعَاقِلِ وَالْمَجْنُونِ، وَالْعَامِدِ وَالْمَخْطُوعِ، وَالْذَّاكِرِ وَالنَّاسِيِّ، وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ؛ فَهُؤُلَاءِ قَدْ يَتَسَاوَى تَصْرُّفُهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِالذِّنْبِ بِفَعْلِ الْمُحَظَّورِ، وَتَرْكِ الْمَأْمُورِ؛ فَيُحَاسَبُ الْأَوَّلُ، وَلَا يُحَاسَبُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْاِخْتِيَارَ فِي الْأَوَّلِ وُجِدَ، وَفِي الثَّانِي فُقِدَ؛ فَتَبَعَهُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ، وَجُودًا وَعَدَمًا.

أَمْرُ اللَّهِ وَنَهِيُّهُ وَقَدْرُهُ، وَتَوْهُمُ بَعْضِ النُّفُوسِ الظُّلْمَ:
وقد تَوَهَّمَتِ الْقَدَرِيَّةُ - مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ - أَنَّ القولَ بِإِنَّ الْقَوْلَ بِإِنَّ الْبَاتِلَاتِ الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ القولُ بظُلْمِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ؛ فَيُكَوِّنُ ذَلِكَ حُجَّةً لِلْعِبَادِ عَلَى

(١) «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ» (١٢٤)، و«السَّنَّةُ» لابن أبي عاصم (٣٥٧ و٣٥٨) من حديث حُذَيْفَةَ مرفوعاً.

(٢) «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ» (١٢٥).

(٣) «رِيَاضُ النُّفُوسِ» (١/٤٥٤).

ربّهم؛ فيريدون تزية الله عن فعل القبيح من الظلم والتعسُّف؛ فنفوا القدر بشيء متوهّم دخلوا فيه؛ فشبّهوا قدر الله بياكراه المخلوق للمخلوق.

والتشبيه المتوهّم: أصل ضلال الفرق في الله، وفي أسمائه وصفاته؛ قال الله مثبّتاً لقدرِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ يَقْدِرُ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال مثبّتاً لحجّته التامة على الخلق: ﴿فَلَوْ أَلْجَأْتَ الْبَلْعَةَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال نافياً الظلم عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ يُظْلِمُ لِلْعَيْدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولا يلزم من إثبات ما في هذه الآيات القول بالتناقض، وقد كان توهّم الظلم يقع في بعض النقوص حتى في الصدر الأوّل؛ وذلك لضعف العقل وقصوره عن فهم دقائق القدر وسرّه:

ففي «صحيح مسلم»، عن أبي الأسود الدّيللي؛ قال: «قال لي عمّار بن الحُصين: أرأيْتَ ما يعمّلُ النّاسُ الْيَوْمَ، ويكتُحونَ فيه؛ أشيءٌ قُضيَّ عليهم، ومَضَى عليهم من قدرٍ مَا سبقَ، أو فيما يَستقْبِلُونَ به مما آتاهُمْ به نِيَّهم، وثبتتِ الحُجَّةُ عليهم؟

فقلتُ: بل شيءٌ قُضيَّ عليهم، ومَضَى عليهم.

قال: فقال: أفلَ يكُونُ ظُلْمًا؟

قال: فَزَرِعْتُ فَرْعَاعًا شديداً، وقلتُ: كُلُّ شيءٍ خَلْقُ اللهِ، وملْكُ يَدِهِ؛ فَلَا يَسْكُلُ عَنَّا يَفْعُلُ وَمَمْ يُسْتَلُوكَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فقال لي: يَرْحَمُكَ اللهُ؛ إني لم أرِدْ بما سأَلْتُكَ إلَّا لِأَحْرِزَ عَقْلَكَ»^(١).

وكان الأئمّة من السلف - ومن تبعهم من أهل الحديث والفقه والعربية - يدركون أن لا تناقض بين الإيمان بالقدر، وبين إيجاب العمل

(١) مسلم (٢٦٥٠).

والحساب عليه؛ يقول أبو عمرو بن العلاء: «أشهدُ أنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ، وَالله عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَمَن قَالَ: تَعَالَ أَخَاهِصُكَ، قَلْتُ لَهُ: أَعْنَّ عَنِّي نَفْسَكَ»^(١)؛ فَيُشَيِّطُ القدرَ، وَيُمْسِكُ عَنِ الْجَدَالِ فِيهِ.

وكان ابن العلاء - وهو من أهل القرن الثاني - من أعلم أهل العربية باللسان، وحجته وعلمه العربي عامته من كلام وبيان الجاهليين وقصاصتهم؛ قال الأصمي: «جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج، فلم أسمعه يحتاج بيت إسلامي»^(٢).

وبنحو هذا قال يونس بن حبيب لما سُئلَ عن القدر؟ قال: «لا فِكْرٌ لي فيه»^(٣).

﴿الْعِلْمُ بِالْأَسْبَابِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ﴾

ولا يُمْكِنُ أَن يُخْرِجَ الْخَلْقَ عَنْ مَرَادِ اللَّهِ وَمَشِيقَتِهِ، حَتَّى لو عَلِمَ الْأَسْبَابَ التِّي تُخْرِجُهُ عَنْهَا، فَلَنْ يَتَمَكَّنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْلِقُهَا عَلَيْهِ؛ لِبَيْنَ لَهُ ضَعْفَةً وَعِجْزَةً أَمَّا قَدْرَ اللَّهِ وَمَشِيقَتِهِ.

وقد جاءَ رَجُلٌ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدْرِ؛ فَبَيْنَ لَيْ ذَلِكَ، قَالَ الْخَلِيلُ: تُبَصِّرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرُجُ الْحَاءِ؟ قَالَ: مِنْ أَصْلِ الْلِّسَانِ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرُجُ الثَّاءِ؟ قَالَ: مِنْ طَرَفِ الْلِّسَانِ، قَالَ: اجْعَلْ هَذَا مَكَانًا هَذَا، وَهَذَا مَكَانًا هَذَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدُ مَدِيرٍ»^(٤).

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣٩) / (١/ ٣٢١).

(٢) «البيان والتبين» (٧٦/ ٤).

(٣) «إنابة الرواة» (٧٦/ ٤).

(٤) «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

﴿عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

قال ابن زيد: «عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنَتِهِ، فَجَرَى عَلَى قَدْرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ، إِلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْحَمِيرُ» [الملك: ١٤] أهـ:

كُلُّ ما في الوجود خلق الله، وهو عالم محبوط بهم، لا يعزُّ عنه شيءٌ من ذلك؛ جليله وعظيمه، كثيره وقليله، كلّياته مهما كثُرت، وجزئياته مهما دقُّت، يرى الذرّة، كما يرى المجرّة، لا يزيد علمه في النور، ولا ينقص في الظلام، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَنَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ
وَلَا يَأْسِنُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» [الأنعام: ٥٩]، وقال: «وَمَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» [النمل: ٧٥]، وقال: «لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَقٌّ» في الأرض
وَلَا فِي السَّمَاءِ» [آل عمران: ٥]، وقال: «يَبْيَقُ إِنَّهَا إِنْ تَكُونَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُونُ فِي صَحْرَاءٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
خَيْرٌ» [القمان: ١٦]، وقال: «يَعْلَمُ مَا يَلْجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْتَرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْجُلُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ» [سيا: ٢].

ويعلم الله ما لم يكن من العباد لو كان: كيف كان يكون، وكيف
يؤول إليه أمره؛ فقد قال الله عن الكافرين الذين يمتنون الرجوع إلى الدنيا
بعد معاينة النار: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُنَّا عَنْهُ» [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى
عن حال المعاذين: «وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْعَهُمْ وَلَوْ أَسْعَهُمْ لَتَوَلَّوْ
وَهُمْ مُعْرِضُونَ» [الأنفال: ٢٣].

وزعم بعض الفلاسفة والمتكلمين عدم علم الله بالجزئيات؛ فيرون أن الله يعلم الأشياء على وجوه ثابت كلٍّ، لكنه لا يدخل تحت عجلة الزمان؛ فلا يعلم الجزئيات التي يكون حدوثها يوجب تجدد الإحاطة بها؛ فيحدث تغييراً في ذات العالم.

وقد أشار إلى هذا الجوهري في «البرهان»^(١)؛ وهذا ضلال مبين؛ فكل ما في الوجود خلق الله، وإذا كان خلقه، فهو عالم به، وقد استنكر الله على من فصل بين العلم والخلق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقد ردّ أئمَّةُ السُّنَّةِ هذه الضلالَةَ، ووُجِدَتْ في بعض مقالات المغاربة، وردَّ عليهم أئمَّتها؛ كابن العَرَبِيِّ^(٢)، بل قال المازري لشدة فسادها: «وبُودِي لو مَحْوَتْ هذَا مِنْ هذَا الْكِتَابِ بِمَا يَصْرِي»^(٣)؛ يعني: من كتاب الجوهري.

﴿مَشِيقَةُ اللَّهِ وَقْدَرَتُهُ عَلَى خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ﴾

قال ابن أبي زيد: **﴿لَا يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فِيْوَقْهِ بِفَضْلِهِ؛ فَكُلُّ مُسِّرٍ بِتِيسِيرٍ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ؛ مَنْ شَقِّيْ أوْ سَعِيْدِيْهِ﴾**

لا يخرج الناس عن تقدير الله لهم، وتقديره لهم لا يعني: أنه سبحانه لا يريد من الكافرين شرعاً بالإيمان، ولا يرضاه لهم، ولكن سبق في علمه ما هم فاعلون؛ فمن أرادَ الخيرَ، هداهُ، ومن أرادَ الشرَّ أضلَّهُ؛

(١) «البرهان» (١٤٥ / ١ - ١٤٦).

(٢) «العواصم» (ص ١٣٨).

(٣) «إيضاح المحسول» (ص ١٢٥).

فَاللَّهُ لَا يَحِرُّ مِرِيدَ الْخَيْرِ مِنْهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَكُلُّ
يَنْتَهِي إِلَى سَابِقٍ عِلْمَهُ؛ لَا مَحِيصٌ لِأَخْدِ عَنْهُ»^(١)، وَقَالَ: «وَخَذَلَ مَنْ
عَصَاهُ وَكَفَرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَيَسَّرَهُ لِذَلِكَ فَحَجَّبَهُ وَأَضَلَّهُ؛ هُوَ مَنْ يُضْلِلُ فَلَنْ
يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» [الكَهْفَ: ١٧]^(٢)، وَقَالَ هُنَّا: «يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ
بِعَذْلِهِ، وَيَهْلِكُ مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِقَضِيلِهِ».

وَأَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ بِالإِمْسَاكِ عَمَّا سَكَّتَ عَنْهُ الشَّرْعُ فِي
الْقَدْرِ، وَوِجْوَبِ الإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ؛ لِعَجَزِ الْعُقُولِ عَنِ الْإِدْرَاكِ؛ فَمَنْ
دَخَلَهُ، بَحَثَ فِيمَا تَعْجَزُ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَتَتْحِيرُ وَتَضْلِلُ وَتَزْيِغُ، وَقَدْ
دَخَلَ فِي هَذَا الْبَابِ طَوَافَتْ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى ضَلَالٍ.

﴿الْمُخَالَفُونَ فِي الْقَدْرِ﴾

وَقَدْ خَالَفَ فِي الْقَدْرِ طَوَافَتْ: جُفَاهُ، وَغُلَاهُ، وَأَشْبَاهُ غُلَاهٍ فَائِلُونَ
بِالْكَسْبِ:

• أَمَّا الْجُفَاهُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدْرَ: فَيَجْعَلُونَ تَصْرُّفَ الْمُخْلُوقِ مُنْفِرًا
كَتَصْرُّفِ الْخَالقِ، وَلَا مُشَيْئَةً لِلْخَالِقِ فَوْقَ مُشَيْئَةِ الْمُخْلُوقِ بَعْدَ خَلْقِهِ،
وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَسَبَبَ لَهُمْ وَتَرَكَهُمْ.

وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْقَدْرِيَّةُ، وَقَدْ أَظَهَرَ هَذَا الْقَوْلُ مَعْبُدُ الْجَهَنَّمِ، وَعَيْلَانُ
الدَّمْسَقِيُّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْاعْتَزَالِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكُ: «وَالْقَدْرِيَّ أَشَرُّ النَّاسِ، وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ طَيْشٍ وَسَخَافَةٍ
عُقُولٍ وَبَدْعٍ، بَأَيِّ كَثِيرٍ عَلَيْهِمْ؛ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ: «لَا يَرَأُلُّ بَيْتَنَهُمْ
الَّذِي بَنَوْا رِبَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ» [التَّوْبَةَ: ١١٠]، وَمِنْهَا: «وَأُوحِيَ إِلَى نُوحَ أَنَّهُ لَنْ

(٢) الموضع السابق.

(١) «الجامع» (ص ١١٠).

يُؤْمِنُونَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَمَنَ» [هود: ٣٦]، وَقَالَ: «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» [نوح: ٢٧]، وَقَالَ: «مَا أَشَرَّ عَلَيْهِ يَقْتَنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ لِجَنَاحِنَ» [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]، وَقَالَ: «وَلَكِنَّ كَبَرَةَ اللَّهِ أَنْعَانُهُمْ فَثَبَطُهُمْ» [التوبه: ٤٦]، فِي آيٍ كَثِيرَةٍ»^(١).

وَالْقَدَرِيَّةُ أَصَلُوا لِقُولِهِمْ بِالْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلُوا بِأَدَلَّةٍ مُتَشَابِهَةٍ فِي قُلُوبِهِمْ، تَوَهَّمُوهَا حُجَّةً لِقُولِهِمْ: وَذَلِكَ كَالآيَاتِ الَّتِي تَبَيَّنَ أَنَّ الْعِبَادَ يَفْعَلُونَ وَيَتَرُكُونَ، فَيُؤْمِنُونَ وَيَكْفُرُونَ وَيَفْسُقُونَ، وَيَطِيعُونَ وَيَعْصُونَ.

وَهَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي مُشَيَّةِ الْعَبْدِ، وَلَا يُخْرِجُ مُشَيَّةَ اللَّهِ النَّافِذَةَ عَلَيْهِ. وَكَاسْتَدَلَ لَهُمْ بِأَدَلَّةٍ إِتْقَانِ اللَّهِ لِخَلْقِهِ وَصَنْعِهِ؛ كَقُولِهِ تَعَالَى: «مُصْنَعُ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» [النَّمَل: ٨٨]؛ فَجَعَلُوا لَازِمَ ذَلِكَ نَفْيَ نِسْبَةِ تَصْرِفَاتِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ عَدَمِ إِتْقَانٍ وَإِخْلَالٍ، وَضَلَالٍ وَكُفْرَ.

وَاللَّهُ سَيِّحَانَهُ يُرِيدُ أَصْلَ خَلْقِهِ حِيثُ أَبْدَعَهُ وَأَنْقَنَهُ، وَأَمَّا فَسَادُ أَعْمَالِ النَّاسِ: فَمِنْ مُشَيَّتِهِمُ الَّتِي أَذِنَ اللَّهُ بِهَا لِحِكْمَةٍ، فَلَمْ يَخْرُجُوا عَنْ إِرَادَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَالآيَةُ نَفْسُهَا دَالَّةٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْفَعْلِ لِلنَّاسِ؛ فَاللَّهُ قَالَ: «مُصْنَعُ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» [النَّمَل: ٨٨]، فَلَمَّا ذَكَرَ صُنْعَ الْخَالِقِ، أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ: «مُصْنَعُ اللَّهِ»؛ لِأَنَّهُ لَا مُشَيَّةَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ، وَلَمَّا ذَكَرَ فَعْلَ النَّاسِ، أَضَافَهُ إِلَيْهِمْ: «بِمَا تَفْعَلُونَ»؛ لِمَا لَهُمْ مِنْ اخْتِيَارٍ وَمُشَيَّةٍ بَعْدَ مُشَيَّتِهِ.

وَلَيْسَ مَا يَسْتَقِبِحُهُ النَّاسُ مِنْ ذُوَاتٍ وَأَفْعَالٍ دَلِيلًا عَلَى نِسْبَتِهَا

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١).

لغير الله؛ فالله يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهناك من الناس من يُولَدُ مشوّهاً مريضاً خارجياً؛ كالمبتوّر والمسلول، ومن يُولَدُ بِرَجْلٍ أَوْ بِيَدٍ أَوْ عَيْنٍ، أو بأكثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أصَابِعَ، أو بِرَأْسَيْنِ؛ وهذا كُلُّهُ لا يُجِيزُ نِسْبَةَ تلك الأَجْسَادِ لخالقِ غيرِ الله؛ وإنما جعلَها الله كذلك لِحِكْمَةٍ.

وقد كان لازمُ قولهم: أنَّ الْعِبَادَ يَخْلُقُونَ مَا يَفْعَلُونَ؛ فجعلُوا إِلَهَيْنِ وَخَالِقَاهُمْ غَيْرَ اللهِ؛ فشَابُوهُمْ بِذَلِكَ الْمَجْوُسَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ إِلَهَيْنِ: إِلَهَ الْخَيْرِ، وَهُوَ النُّورُ، وَإِلَهُ الشَّرِّ، وَهُوَ الظُّلْمَةُ.

• وأمّا الغُلَامُ: فهم الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْجَيْرِ؛ أي: أَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لِلْمَكْلُفِينَ، وَلَا مُشَيْئَةَ، وَحَالُ الْمَكْلُفِ كحالِ الْجَمَادَاتِ؛ فَالْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسَانُ وَالْجَانُ؛ كَالْكَوَاكِبِ وَالْأَجْرَامِ؛ فَالْإِنْسَانُ مُسِيرٌ بِلَا اخْتِيَارٍ: يَقُومُ وَيَقْعُدُ وَيَتَكَلَّمُ، كَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ.

وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَرَيْةُ، وَفَابْلُوا نَفَاءَ الْقَدْرِ بِعُلُوٍّ، وَأَوْلُ مَنْ أَشَهَرَهُ: الْجَهَنَّمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَقَدْ كَانَ شِيخُ الْجَهَنَّمَ بْنُ دُرْهَمٍ يَقُولُ بِهِ.

وَهُمْ كَسَابِيقِهِمْ قَالُوا بِالْجَبَرِ، أَرَادُوا تَنْزِيهَ اللهِ مِنْ وِجْهِ مُقَابِلٍ لِلنَّفَاءِ بِالْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلُوا بِأَدَلَّةِ الْوَحْيِ:

- وذلك؛ كالأَيَّاتِ الدَّالِلَةِ عَلَى أَنَّ اللهَ خَالقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَعَلَى نَفِي خَالقِ غَيْرِهِ؛ كَفَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وَقُولِهِ: ﴿هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

- وكذلك الأَدَلَلَةُ الَّتِي تَجْعَلُ تَصْرُفَ الْإِنْسَانَ تَحْتَ مُشَيْئَةِ اللهِ وَتَدْبِيرِهِ؛ كَفَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإِنْسَان: ٣٠]، وَجَعَلُوا ذَلِكَ سَلْبًا لِإِرَادَةِ الْإِنْسَانِ.

وَحَمَلُوا الْأَدَلَّةَ مَا لَا تَحْتَمِلُ، وَهِيَ أَدَلَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ، أَدَلَّةٌ لِلْحَقِّ
الَّذِي يَقُولُ بِهِ السَّلْفُ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ وَأَفْعَالَهُمْ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ، وَجَعَلَ لَهُمْ مُشَيْئَةً تَدْلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِمْ وَتَصْرِفُهُمْ، وَلَكِنْ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ
وَمُشَيْئَتِهِ، فَلَوْ كَانَ لِلْكَوَاكِبِ مُشَيْئَةً كَمُشَيْئَةِ النَّاسِ، لَذَكَرَهَا، وَهُمْ يَجْعَلُونَ
النَّاسَ كَالْكَوَاكِبِ وَسَائِرِ الْجَمَادَاتِ؛ فَلِمَاذَا خَصَّ اللَّهُ النَّاسَ بِالْمُشَيْئَةِ،
وَلَمْ يَخْصُّ الْكَوَاكِبَ بِمُشَيْئَتِهِ إِلَّا لِتَمَايُزِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ مُضِيقًا فَعَلَّ
النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّمِيِّ إِلَيْهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْكَرَ اللَّهُ رَمَيْهِ﴾ [الأنفال:
١٧]؛ فَأَثَبَتَ لِنَبِيِّهِ رَمِيًّا وَاخْتِيَارًا: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وَأَثَبَتَ لِنَفْسِهِ الْقُدْرَةَ
وَالْمُشَيْئَةَ الْمُمْضِيَّةَ لِذَلِكَ: ﴿وَلَنْكَرَ اللَّهُ رَمَيْهِ﴾.

وَلَازِمُ قَوْلِهِمْ: أَنَّ التَّكَالِيفَ الشَّرِعِيَّةَ جَبْرٌ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمُعْصِيَةَ مِنَ
الْعِبَادِ جَبْرٌ.

وَقَدْ أَثَبَتَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مُشَيْئَةً بَعْدَ مُشَيْئَتِهِ، وَإِرَادَةً بَعْدَ إِرَادَتِهِ؛
قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٢٨ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٩ - ٢٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَتَحْدَدَ إِلَّا
رَبِّهِ سَيِّلَا﴾ ٢٩ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإِنْسَان: ٣٠ - ٢٩]، وَقَالَ:
﴿كُلَا إِنَّمَا تَذْكِرَةٌ﴾ ٣١ فَمَنْ شَاءَ ذَكْرُهُ﴾ [غُيَّس: ١١ - ١٢].

فَقُولُهُ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٨] إِبْطَالُ لِقَوْلِ الْجَبْرِيَّةِ،
وَقُولُهُ: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التَّكْوِير: ٢٩] إِبْطَالُ لِقَوْلِ الْقَدْرِيَّةِ؛
فَكِفْ لِعِبْدٍ أَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ؟! لَا يَفْعَلُ أَحَدٌ فِي الْكَوْنِ شَيْئًا بِغَيْرِ
عِلْمِهِ وَإِذْنِهِ.

وَأَدَلَّةُ الْجَبْرِيَّةِ هِيَ أَدَلَّةٌ يُعْرَفُ بِهَا فَسَادُ قَوْلِ الْقَدْرِيَّةِ، وَأَدَلَّةُ الْقَدْرِيَّةِ
هِيَ أَدَلَّةٌ يُعْرَفُ بِهَا فَسَادُ قَوْلِ الْجَبْرِيَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يُعْرَفُ فَسَادُ قَوْلِ طَائِفَةٍ

بأدلةٍ خصوّها عليها، وفي طوائفِ الضلالِ مِنَ المجادلةِ والنقضِ بعضها البعضِ ما لا يوجدُ عندَ غيرِهم، خاصةً في الطوائفِ التي تتفاَلُ في قولِ باطلٍ: واحدةٌ في أقصاءِ يميناً، وثانيةٌ في أقصاءِ شمالاً.

وكان أئمَّةُ السُّنَّةِ في المغَرِبِ يَرْدُونَ قولَ الْقَدَرِيَّةِ والجَبْرِيَّةِ، ويُحاجِّونَ مَنْ قَالَ بِهِ؛ يَقُولُ عَوْنَ بْنُ يُوسُفَ الْخَزَاعِيُّ - وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ سُخْنُونَ، وَمِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ - «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْفُرَ الْقَدَرِيَّ، فَقُلْ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ بِكَ مِنْ حَلْقَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَرَادَ مِنْهُمُ الطَّاعَةَ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَصَى؛ وَكُلُّ إِلَهٍ لَا تَتَّمِّمُ إِرَادَتُهُ، فَلِيُسْ بِإِلَهٍ، وَإِنْ قَالَ: أَرَادَ مِنْهُمُ الْمُعْصِيَةَ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَطَاعَ؛ وَكُلُّ إِلَهٍ لَا تَتَّمِّمُ إِرَادَتُهُ، فَلِيُسْ بِإِلَهٍ»^(١).

• وَأَمَّا القائلُونَ بالكَسْبِ: فَجُمْهُورُ الأَشَاعِرَةِ وَمُتَأْخِرُوهُمْ؛ يُشْتُرِّونَ اللَّهَ الْخَلْقَ وَالْمُشَيْتَةَ، وَلَكُنْهُمْ يَجْعَلُونَ أَفْعَالَ الْعَبَادِ الْأَخْتِيَارِيَّةَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَحْدَهُ، لَا بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ وَلَا قُدْرَتِهِ، وَلَا أَثْرَ لَهُ فِي ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ كَاسِبٌ لَهَا، وَكَسْبُ الْعَبْدِ عِنْدَهُمْ هُوَ مَقَارِنَتُهُ لِقُدْرَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِنْ تَأْثِيرٍ أَوْ مَدْخَلٍ فِي وِجْودِهِ سُوَى كَوْنِهِ مَحَلًا لَهُ؛ كَمَا يَقُولُهُ صاحبُ «الْمَوَاقِفِ»^(٢).

وقد تأثرَ الأشاعِرَةُ القائلُونَ بالكَسْبِ بالضَّرَارَيَّةِ وَالنَّجَارَيَّةِ قَبْلَهُمْ.

وَهَذَا القَوْلُ يُشَابِهُ قَوْلَ الْجَبْرِيَّةِ، وَمِنْ أَشَدَّ مَا شَنَعَ بِهِ الْمُعْتَزِلَةُ عَلَيْهِمْ؛ فَهُمْ يَنْفُونَ أَيَّ قَدْرَةٍ لِلْعَبْدِ أَوْ تَأْثِيرٍ فِي أَفْعَالِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِيجَادِ الْحَوَادِثِ التِّي يُرِيدُهَا الْإِنْسَانُ بِدُونِ فَعْلَيْهِ، فَهُوَ مُوجِدُهَا وَحْدَهُ، وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ مُشَارِكًا مُفْتَرِّنًا فِي إِحْدَائِهَا فِي الظَّاهِرِ، فَلَا أَثْرَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ.

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٣٨٦ - ٢١٤).

(٢) «الْمَوَاقِفِ» (٣/٢٠٨ - ٢١٤).

وقولهم هذا قريبٌ من حملِ رجلٍ كبيرٍ قويٍّ حجارةً ثقيلةً يقدرُ عليها وحده، فُيشارِكُه فيها طفلٌ صغيرٌ - بيدٍ ضعيفةٍ - لا يقوى على تحريك الحجارة، فضلاً عن حملِها؛ فَيُدْ الطفلي مفترِنٌ بالفعلِ، لكنَّها غير مؤثرة في الحملِ.

وهذا القولُ من الأقوالِ التي لا يقبلُها النصُّ، ولا يعضُّها العقلُ، ولا يؤيدُها الحسن؛ فالعاقلُ يفرقُ بين الرَّغْشِ التي تغلبُ بَدْنه بلا اختيار، وبين فعلِه باختيارهِ.

وقد كان جماعةً من فضلاءِ الأشاعرة لا يقولونَ بذلك؛ كالباقلاني^(١)، وغيرهِ.

الختميةُ السَّبَبِيَّةُ:

ونشأ قولُ القائلينَ بالختميةِ السَّبَبِيَّةِ؛ وهم الذين يجعلُونَ الكونَ منتظمًا بنظامٍ محاكمٌ لا يخرجُ عنه، وكلُّ واقعةٍ لا يمكنُ أن تكونَ إلا كذلك، ولا شأنَ لأحدٍ فيها؛ فإنَّ اختيارَ اللهِ إنما كان في أصلِ الإيجادِ، لا في تشريعِ المعادلاتِ ونتائجِها؛ فلا يرونَ أنَّ للإلهِ إرادةً تتعرَّضُ لذلك النظامِ بالتبديلِ والتغييرِ.

وهو لاءٌ جبريةٌ في المبدأِ، وقدريَّةٌ في المنتهى؛ وبهذا يقولُ كثيرٌ من الفلاسفةِ الغربيِّينَ مثلِ سِينُوزَا، وكائِنُ، وهِيَجلُ، ومنهم من يستثنى الروح؛ فيرى أنَّ كلَّ جَسَدٍ محاكمٌ بقوانينِ الطبيعةِ، إلا الروح؛ فهي طليقةٌ من هذهِ القوانينِ، ويَرَى أنَّ عليها أنْ تُجاهِدَ الجَسَدَ، وتَلتَمِسَ العَوْنَ من اللهِ بالمعرفةِ في جِهادِها.

(١) «الإنصاف» (ص ٤٣ - ٤٤).

﴿نَفِيَ الْقَدْرُ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ﴾

قال ابن أبي زيد: هو تعالى أن يكون في ملکه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو، رب العباد ورب أعمالهم، والمقدّر لحرماتهم وأجالهم، الباعث الرسل إليهم؛ لإقامة الحجّة عليهم به:

ذكر المؤلف ذلك؛ لأنّ مقتضى نفي القدر: أنه يكون في ملک الله ما لا يريد الله؛ فاما أن تكون حوادث الكون بتقديره؛ فهو أرادها قدرًا، وإنما أن تكون من غيره؛ فلا شكّ أنه لا يتوافق أحدٌ مع غيره في كلّ مراد؛ فلا بدّ أن يكون أحدهما يريد ما لا يريد الآخر؛ فلازم نفي القدر: أن يتصرّف في كونه بما لا يريد، وبعجز عن دفعه؛ تعالى الله علوًا كبيرًا؛ فلا يكون في ملک الله إلا ما يريد الله، ويقدّره من خير أو شرّ، محظوظ أو مكرور؛ ولهذا جاء في الحديث القدسي في «مسلم»: (ولكني على ما أشاء قادر)^(١)، وفي «المستد» بلفظ: (ولكني على ما أشاء قادر)^(٢).

وبعضهم^(٣): يكره إطلاق قول: «والله على ما يشاء قادر»؛ لأنّ قدرة الله أوسع:

وفي هذا التعليل نظر؛ فالحديث فيه ثابت، وهو يتضمّن إثبات الله، وتزييه لها:

○ فاما الإثبات: فهو إثبات القدر والحكمة له.

(١) مسلم (١٨٧) من حديث ابن مسعود. (٢) «المستد» (١/٤١٠) رقم ٣٨٩٩.

(٣) «المناهي اللغوية» (ص ٥٥٥).

○ وأما النزية: فإنَّ الله لا يشاءُ من الأقدارِ إِلَّا مَا هو خيرٌ كاملاً أو غالباً، وله حكمةٌ فيه كله، وما لا يشأهُ الله، لم يُذكَرْ في الحديث؛ لأنَّ الله ينْزَهُ عن العَبَثِ؛ فما اختارَ اللهُ مِن التقديرِ إِلَّا مَا هو أَحْسَنُ مِن غيرِهِ، وأَتَمُ وأَحْكَمُ، وما لم يَشأهُ دونَ مَا شاءَهُ حُسْنَا وَتَمَاماً وَجِحْمَةً، ويختلفُ التبَاعُونَ في ذلك بحسبِ اختلافِ الأعيانِ والأفعالِ والأحوالِ، والأزمانِ والأمكنةِ.

وقد جعلَ الله خلقةً على نوعينِ في بابِ الاختيارِ والمشيئةِ:

□ خلقٌ: لا اختياراً لهم ولا مشيئةً؛ كالجماداتِ من الكواكبِ والنجوم، والجَبَرِ والثَّرَابِ؛ فهذه غيرُ مكلفةٍ؛ لأنَّها غيرُ مختارَة.

□ وخلقٌ: لهم اختيارٌ ومشيئةٌ؛ وهم على قسمينِ:

أولاً: مكلفونَ بالدِّينِ والدنيا؛ وهم العُقَلاءُ؛ كالملائكةُ والإنسِ والجِنْ؛ فهؤلاء يُمدحونَ بحسبِ ما يختارونَهُ مِن الامتناعِ لله، ويُحسَبُ ما يجدونَهُ مِن صَبَرٍ عَلَى ذَلِكَ ومشقةٍ وشدةً:

وقد جعلَ الله في بعضِهم: شَهْوَاتٍ ورَغَباتٍ يَبْتَلِيهِمْ بِهَا، ويختبرُهُمْ في اتباعِ أمرِهِ، وتقديمهِ على شَهْوَاتِهِمْ ورَغَباتِهِمْ؛ وهذا كالإِنسِ والجِنْ.

ولم يجعلَ في خلقةِ بعضِهم شيئاً مِن الشَّهْوَاتِ والغرائزِ تُنَازِعُهُمُ الحقَّ؛ ولهذا فهؤلاء الملائكةُ لا يَخْرُجُونَ عن أمرِ اللهِ؛ كما قالَ تعالى:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومن هنا: فضلُ أَكْثَرِ العلماءِ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ: الصَّالِحِينَ مِن بَنِي آدَمَ على الملائكةِ.

ثانياً: مكلفونَ بالدنيا بلا عَقْلٍ؛ وهي البهائمُ؛ فالله خلقَها، وجعلَ فيها إدراكاً، ولم يجعلَ فيها عَقلاً؛ فتدركُ دنياهَا، ولا تَفْهُمُ تكاليفَ

العبادة كما يَفْهَمُهُ البَشَرُ، وَعِبَادَتُهَا تَسْخِيرَيَّةٌ مِنْ جَنْسِ عِبَادَةِ الْجَمَادَاتِ، وَلَكِنْ لَهَا اخْتِيَارٌ وَمُشَبَّهَةٌ دِينِيَّةٌ، تَعْمَلُ وَتَدْبِرُ بِاخْتِيَارِهَا، وَتُحَاسَبُ عَلَى خَطَائِهَا الَّذِي تَفَهَّمُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: (لَيَقْتَصَنَ اللَّهُ لِلشَّاءِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاءِ الْقَرْنَاءِ) ^(١)، وَفِي «الصَّحِيفَيْنِ»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَ أُمَّ شَرِيكٍ يُقْتَلُ الْأَوْزَاغَ، وَقَالَ: (كَانَ يَنْفَخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) ^(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ: إِدْرَاكُ الْفَأَرِ لِبَعْضِ مَا تَفْعَلُهُ مِنْ شَيْءٍ؛ كَمَا رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رض، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل: (أَطْفَعُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُوَيْسَقَةَ رُبَّمَا جَرَتِ الْفَتِيلَةَ؛ فَأَخْرَقْتُ أَهْلَ الْبَيْتِ) ^(٣).

وَإِدْرَاكُ الْبَهَائِمِ لِلأَوَامِرِ الدِّينِيَّةِ مُفَطُورَةٌ عَلَيْهِ بَطْبُعُهَا؛ وَلَهُذَا فَهِيَ تَخْتِلُفُ وَتَتَبَاينُ بِحَسْبِ جِنْسِهَا وَنَوْعِهَا؛ فَبِهِمَةِ الْأَنْعَامِ لَيْسَ كَالسَّبَاعِ؛ فَالشَّبَّاهُ إِنْ تَنَاطَحَتْ، تَحَاسَبَتْ، وَلَوْ أَكَلَ السَّبْعُ الشَّاءَ، لَمْ يُحَاسَبْ؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقَ السَّبْعِ فِيهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ رِزْقَ الشَّيْءِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

رسالة النبي ﷺ، وكتابه:

قال أَنَّبَيْزَنِيدَ: حَتَّمَ حَتَّمَ الرِّسَالَةَ وَالنُّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا صل؛ فَجَعَلَهُ أَخِرَ الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا هـ:

بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً؛ لِتَبْلِيغِ عِبَادَتِهِ وَحْقَهُ عَلَيْهِمْ؛ لَأَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنَ الْخَلْقِ: (وَمَا حَلَقْتُ لِلْجَنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْلَمُونَ) [الذاريات: ٥٦]، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أُمَّةً مِنَ الْأَمْمِ إِلَّا وَقَدْ أَفَمَ عَلَيْهِمْ

(١) مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧). (٣) البخاري (٣٣١٦ و٦٢٩٥).

حُجَّتَهُ، ويلَّغُهم رسالتَهُ؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْ أَتَهُ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]؛ فكانت الرَّسُولُ تَتَابَعُ لِلْبَلَاغِ، نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ؛ حتَّى لا يَغِيبَ الْحُجَّةُ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَلِبَةِ؛ قال تعالى عن تَتَابَعِ رُسُولِهِ: ﴿فَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِنَا تَتَابَعُوا﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وتَتَابَعُ الرَّسُولُ حتَّى تَقُومُ الْحُجَّةُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَتَنْقِطُعَ أَعْذَارُهُمْ؛ كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ أَرْسَلْنَا﴾ [النَّسَاءَ: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ يَشْهِدُونَا بِمَا عَلَى هُنُولَاهُ شَهِيدًا﴾ [النَّسَاءَ: ٤١].

وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرَّسُولِ وَاجِبٌ، وَالْكَافِرُ بِواحِدٍ مِنْهُمْ كَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمَانٍ بِاللَّهِ وَمَلِكِكُوهُ وَكُلُّهُ وَرَسُولُهُ لَا تَفِيقُ بَيْكَ أَحَدٌ مِنْ رُسُولِهِ﴾ [البَقْرَةَ: ٢٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النَّسَاءَ: ١٥٠]؛ فجَعَلَ الْكَفَرَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَاحِدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَسُولِي اتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، بل إِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ يَقتضي تَصْدِيقَ الْخَبَرِ، وَالْإِقْرَارُ بِالْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ، وَأَمَّا الاتِّبَاعُ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعَ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿خَتَامُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرِّسَالَاتِ﴾

وَكُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُهُ اللَّهُ لِأَمَّتِهِ وَقَوْمِهِ، وَيَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مَقْبَدَةً بِزَمَانٍ تَنْهَى بِهِ، إِلَّا رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ عَامَّةً لِلْعَالَمِينَ جِنًّا وَإِنْسَانًا، وَجَعَلَهَا دَائِمَةً وَخَاتِمَةً لِلرِّسَالَاتِ السَّابِقَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ التَّدِينُ بِأَيِّ رِسَالَةٍ سَماوِيَّةٍ سَابِقَةٍ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا عُمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمِيعِ الْأَمَمِ، فَلِقولِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ يَنَاهُمْ

النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَلَّا يَرَى اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [الأعراف: ١٥٨]، قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ» [الأنبياء: ١٠٧]، قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِّلنَّاسِ بِشَيْرًا وَنِسَرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [سبا: ٢٨]، وفي الحديث: قال عليه السلام: (كانَ النَّبِيُّ يُبَعِّثُ إِلَى قَوْمٍ خَاصَّةً، وَيَبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً) ^(١).

وأوجب الله على جميع الأنبياء أتباع محمد لو بعث لهم أحياء، وأخذ الميثاق عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: «وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا هَاجَتِكُمْ فَنَّ حَكَمَتِ رَبِّكُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ تَؤْمِنُ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» [آل عمران: ٨١]؛ وهذا في الرسل، وهو في العالمين من باب أولى؛ قال ابن عباس عليه السلام: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئنْ بعث محمد، وهو حيٌّ؛ ليؤمن به ولينصره، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق: لئنْ بعث محمد، وهم أحياء؛ ليؤمن به ولينصره» ^(٢).

وقد كان النبي عليه السلام يكتب الناس برسالته، ويأمرهم بإجابتها؛ فيبعث إلى اليهود والنصارى، والصابئة والمرشكين، ويبعث إلى العرب والعجم، والأحرار والأبيض والأسود، ولم يفرق بينهم في الخطاب إلا بما يوجب ترك ما كانوا عليه من دين سابق؛ فكل داخلي في الإسلام، فإنه يجب عليه أن يدع ما كان عليه قبل ذلك.

فالله أَمَرَ اليهود والنصارى باتباع النبي عليه السلام، وهم أقرب الأمم إلى أمة محمد، وكتبهم أقرب الكتب المنزلة إلى القرآن؛ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (٣٣٥ و٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/١٠٠ و١٣/٥٤٦)، وعزاه الحافظ في «فتح الباري» (٦/٤٣٤) للبخاري.

الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِيمَانًا مَّا نَرَزَنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ» [النساء: ٤٧]، وقد خاطبهم الله في القرآن كثيراً بـ: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ»، وبـ «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

حكم اتباع دين غير الإسلام:

ومن زعم: أنَّ أحداً من الناس بعد النبي ﷺ، يجوز له اتباع ما شاء من الشرائع والكتب الأخرى، وأنْ يندين الله بغير الإسلام، وأنه ناج في الآخرة، مع علمه بالرسالة المحمدية -: فهو كافر بالله؛ قال ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَلِيهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصَارَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَاحِ الْأَنْوَارِ) ^(١).

وعَدَم تجويز بقاء اليهودي والنصراني على ملته، لا يعني تعين قتله، بل عدم الجواز: لبيان كفره، وعدم صحة عمله، وأنَّ من قامت عليه الحجَّةُ، فهو من أهل النار إنْ مات على ملته، ولا ينفعه إيمانه برسالة محمد ﷺ؛ إذا كان لم يتبعها وينقاد لها؛ كمن يرى أنها خاصة بالعرب، أو أنَّ الناس يُخَيِّرونَ بين الملل، وكلُّها تؤدي إلى الجنة؛ فقد بين الله نسخ جميع الشرائع السابقة، وأخبر بتحريف ما سبق من الكتب مما بأيدي أهل الكتاب.

والكافر - حيثُ - جاء من جهاتِ، أعظمُها:

الأولى: عدم اتباع النبي ﷺ، وتجويز الخروج عن رسالته، وأنَّ الأوامر المتواترة في الكتاب والسنَّة باتباعه لا معنى لها عندَهم.

الثانية: الإيمان بصحة كتب أخبر الله بتحريفها، ونسخها بالقرآن؛

(١) مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة.

وهذا تكذيب لله ولرسوله، وروي أن النبي ﷺ وجد قطعة من التوراة مع عمر بن الخطاب، فقال له: (لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، مَا حَلَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَبَعَّنِي) ^(١)، حتى إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقضي إلا بشرعية محمد عليه السلام ^(٢).

الثالثة: أن كل جهاد النبي ﷺ للأمم الكافرة يهودا ونصارى، وشركيين ومجوسا: أنه عدوان، وأن قتالهم كان سفك الدم معصوم، وغنايمهم سلب لمالي معصوم، وسيئهم استبعاد لأنفس حرة؛ إذ إنه قاتلهم وهو غير ملزمين برسالته؛ وهذا كفر عظيم، وضلال مبين.

الرابعة: أن جميع الأحكام في الشريعة التي تدل على تماثيل المسلمين عن الكفار - أو بعضهم - باطلة؛ كأبواب الموالاة والمعاداة، والنكاح والذبائح، والديات والمواريث، وأحكام الردة ودخول البيت الحرام، والقرار بجزيرة العرب، وغير ذلك.

وأما كون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده: فلقوله تعالى: **هُنَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَكْثَرُ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ** ^(٣) [الأحزاب: ٤٠]، قوله ﷺ في «الصحيحين»: (أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّنَ) ^(٤)، وفيهما من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال لعلي: (ما ترضى أن تكون مثني بمنزلة هارون من موسى، إلَّا اللَّهُ لَا نَبِيَ بَعْدِي) ^(٥).

وكل دعوة للنبيّة بعده، فهي كذب، ومدعىها كافر؛ يُحكم بقتله ولو زعم أنه لا يخرج عن هدي الأنبياء وأنه لا جديد لدّيه عنهم؛ لأن وحي

(١) ابن أبي شيبة (٢٦٩٤٩)، وأحمد (٣٨٧/٣) رقم ١٥١٥٦.

(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

السماء انقطع بموت النبي ﷺ إلى قيام الساعة، ولم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة.

ومن زعم أنه يأتيه وحيٌ؛ فإنْ كان صادقاً، فهو من الشياطين يسُولُونَ له؛ فالله سَمِّيَ وَسَوَاسُهُمْ وَحِيَا وَمَنْزَلًا: ﴿هَلْ أُنَشِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ
تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكِ أَثْيَرٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، وقال: ﴿وَرَأَنَّ الشَّيْطَانَ
لَيُوْحُونَ إِلَيْنَا أَوْلَيَّاً لَهُمْ لِيُجَذِّلُوكُمْ وَلَنْ أَطْعُنُهُمْ لِأَنَّكُمْ لَمْ تُرْكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿الإسلام وحرمة الدين﴾:

ولم يجعل الله لأحدٍ خياراً غير الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ
يَتَبَعْ عَدَّ الْإِسْلَامِ دِينَكَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمَغْسِرِينَ﴾ [آل عمران:
٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي كُنْتَ عَنِ الدِّينِ إِلَاسْكُنْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وأما حرمة الدين: فالله تعالى كما أمر الناس كافة باتباع نبيه ﷺ، وعدم الخروج عنه، إلا أنه خصّ أهل الكتاب اليهود والنصارى بعدم القتال على الدخول في الإسلام؛ وإنما خيرهم عند قدرة المسلمين وقوتهم عليهم: بين الإسلام، أو الجريمة، أو القتال، وتجوز المهانة والموادة والمسالمة - بينهم وغيرهم من المشركيين، وبين المسلمين - بشروطها المعروفة؛ كما يبيّنها في «التفسير»^(١).

ومن دخل الإسلام من أي ملة كانت، فلا يسعه الخروج من الإسلام بحال، ولا يأخذ حكامه السابقة قبل دخول الإسلام لو كان يهودياً أو نصرايناً، ويجب على إمام المسلمين إقامة حد الردة عليه، وقد استفاضت في ذلك الأحاديث، وبه قضى معاذ وأبو موسى في البمن؛

(١) سورة البقرة آية (٢٠٨)، وسورة التوبة آية (٢٩)، ومواقع من سورة الأنفال.

فيمن ارتدَّ مِن اليهود^(١)، وفيه قال ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاقْتُلُوهُ)^(٢)، وقد قاتَلَ أبو بكر الصديقُ والصحابةُ المرتدينَ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ شُوْكَةٌ وَقُوَّةٌ مِنَ الْمُرْتَدِينَ، وَلَا قَبْلَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَتَجُوزُ مَهَادِنَتُهُ وَمَسَالِمَتُهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَحَفَاظًا عَلَى شُوْكَتِهِمْ؛ كَمَا كَانَ طَوَافُ مِنَ الْفِرَقِ تَقْيِيمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي مَكْفُرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَرُكُونَهُمْ وَيُهَادِنُهُمْ، وَرِبَّمَا عَامَلُوهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ وَذَلِكَ لِكُثْرَةِ الطَّوَافِ وَانشغالِ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرِ جَمَاعَتِهِمْ، وَرِبَّمَا بَعْدُ مِنْ خَارِجِهِمْ يَخْشَوْنَ تَرْبُصَةً بِهِمْ.

﴿شُبهَاتٌ في حُرْيَّةِ تَرْكِ الإِسْلَامِ﴾

وَأَمَّا الْإِسْتِدَلَالُ بِبَعْضِ الْأَدَلَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا قَبْوُلُ الرَّدَّةِ، أَوْ زَعْمُ بَعْضِهِمْ مِنْهَا مَسَاوَاةُ الإِسْلَامِ بِغَيْرِهِ؛ كَقُولِ اللَّهِ تَعَالَى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» [البقرة: ٢٥٦]، وَقُولِهِ تَعَالَى: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَوْمَنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ» [الكهف: ٢٩] - فَهَذِهِ لَيْسَ أَدَلَّةً لِمَسَائِلَنَا هَذِهِ:

• أَمَّا قُولُهُ تَعَالَى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» [البقرة: ٢٥٦]: فَقَدْ نَزَّلَتْ فِي الْيَهُودِ الَّذِينَ يَقُولُوا عَلَى يَهُودِيَّتِهِمْ، وَأَرَادَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِكْرَاهَهُمْ عَلَى الدُّخُولِ ابْتِدَاءً فِي الإِسْلَامِ.

وَهَذَا لَا إِشْكَالٌ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِكْرَاهُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَيْهِ ابْتِدَاءٌ؛ كَمَا تَقْدَمَ بِبَيَانِهِ؛ وَهَذَا - مَعَ كَوْنِهِ لَا يَعْنِي الْإِفْرَارَ بِصَحَّةِ دِينِهِمْ، وَلَا أَنَّهُمْ لَوْ دَخَلُوا الإِسْلَامَ، جَازَ لَهُمُ الْخُرُوجُ مِنْهُ - فَتَلْكَ مَسَائلٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ كَمَا

(١) البخاري (٤٣٤١ و ٤٣٤٢ و ٤٣٤٤ و ٤٣٤٥ و ٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) البخاري (٣٠١٧ و ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس.

روى أبو داود من حديث ابن عباس؛ قال: «كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجلت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَ الرَّشْدَ مِنَ الْغَيْرِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»^(١).

والقائل بأن هذه الآية تدل على جواز الخروج من الإسلام، أو أنه مساوٍ لغيره، ضرب بفهم ظاهر آية ألف آية وحديث وأبطلها؛ وهذا لا ي قوله من جهة الشرع عالمٌ، ولا من جهة النظر صاحب فکر؛ فالدليل لا يضرّ به دليل آخر يخالفه من وجہ ویقارفه من وجہ؛ فكيف بإبطال ألف دليل، بظاهر دليل؟!

• وأما قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ» [الكهف: ٢٩]: فقد حمل بعضهم^(٢) هذه الآية على التخيير بين الإسلام وغيره، والمساواة بينهما؛ وهذا لا تدل عليه الآية؛ لا في ظاهرها، ولا في باطنها:

□ أثأ المساواة: فالآية تنفيها؛ فقد سمت الإيمان بالنبي ﷺ إيماناً، وسمت الإيمان بغيره كفراً.

□ وأما القول بأنها تفيد التخيير بين الإيمان والكفر: فهذا كلام من لا يفهم لسان العرب؛ فالآية هي تهديدٌ ووعيدٌ، وهو أسلوب معروفٌ عند وضوح الحجّة وإقامتها على أحدٍ يَتَم تهديده وتحذيه بقولهم: «إِنْ شِئْتَ افْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأْتُرُكْ»؛ يعني: ستُسجد ثوابك وعقابك.

وهذا يدل عليه كمال الآية؛ فإن الله لما قال: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أبو داود (٢٦٨٢).

(٢) انظر: «الكتشاف» (٢/٦٧٢).

وَمَنْ شَاءَ فَلِكُفْرٍ» [الكهف: ٢٩]، قال بعد ذلك متوعّداً: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا» [الكهف: ٢٩]؛ وبهذا فسّرها الصحابة والتابعون، ولا خلاف بينهم في ذلك^(١).

ولكن من نظر في هذه الآية، نظر إلى الكلمة منها؛ وهي قوله: «فَمَنْ شَاءَ» [الكهف: ٢٩]، ولم ينظر إلى السياق؛ فتوهم أن الم Shi'a تعي حرية الاختيار، والم Shi'a هنا هي قوله تعالى: «فَإِنَّ يَلْقَى فِي الْأَنَارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَءِ الْأَوْمَانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّمَا تَعْمَلُونَ بِصَيْرٍ» [فصلت: ٤٠].

ولم يختلف المفسرون من السلف على صحة هذا المعنى؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وأبي زيد^(٢).

وجاء بمعناه الحديث؛ كما في قوله ﷺ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظُ عَلَى وَالدَّيْنِ أَوْ أَتْرُكُ)^(٣)؛ وليس هذا تخييراً بين العقوبة والبر؛ وهو معروف في لسان العرب؛ فتأمر بالشيء وتخير فيه، والمراد: الوعيد والتهديد؛ ومن ذلك قوله تعالى: «لَيَكْفُرُوا يَمَّا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فِي سُوقِ الْمَلَمُونَ» [التحل: ٥٥]؛ وليس في هذا أمر بالكفر، ولكنه تهديد.

وكما يكون في التهديد والوعيد يكون في الرجاء؛ لكنه لا يفهم من مثل هذا السياق التخيير؛ كما في قول النبي ﷺ: (لَعَلَّ اللَّهُ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ)^(٤)؛ فلا يقول عاقل: «إِنَّهُ يَحُوزُ لِأَهْلِ بَدْرِ الْكُفْرِ وَالْفَسُوقِ وَالْعَضِيَانِ»، ولكن الآية السابقة

(١) «تفسير الطبرى» (١٥/٢٤٤ - ٢٤٥)، و«الدر المستور» (٥٢٩/٩).

(٢) الموضوع السابق.

(٣) الترمذى (١٩٠٠)، وأبا مجاه (٢٠٨٩ و٣٦٦٣) من حديث أبي الدرداء.

(٤) البخارى (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب.

تهديداً ووعيداً، والحديث رجاء، وليس فيها جميعاً تخيراً وإبطالاً لأوامر الله.

الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل:

قال ابن أبي زيد: هو أنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم.

الإيمان بالكتب السماوية من أركان الإيمان؛ فيجب الإيمان بها جميعها؛ كما قال تعالى: «فَوْلُوا مَاءِنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَاهُمْ وَلَا تَكُونَ قَرْبَةً وَلَا سُخْنَةً وَلَا أَسْطَابَةً وَمَا أُوتِقَ مُوتَنِي وَعِسَى وَمَا أُوتِقَ الظَّيْوَنُ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُنْ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٦].

والمكذب بواحد منها مكذب بها جميعها؛ لأنها جميعاً كلام الله وخبره، وحكمه وتشريعه، وقد وصف الله الكافر بها بالضلال البعيد؛ كما قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» [النساء: ١٣٦].

وكل الكتب تدعوا إلى أصل واحد؛ وهو توحيد الله، وإفراده بالعبودية؛ قال تعالى: «وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء: ٢٥]، وقال: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْبَأْنَاهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ» [آل عمران: ٢٦]، وقد قال الله عن القرآن: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَمِّشًا عَلَيْهِ» [المائدah: ٤٨].

والإيمان بالكتب لا يلزم منه الاختيار من شرائعها ما يشاء الناس؛

فإنَّ هذا لا يجوزُ في شريعةِ محمدٍ ﷺ، وهو خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين؛ فإنَّ في شريعته الناصحةِ، وفيها المنسوخُ؛ فلا يجوزُ العملُ بالمنسوخِ؛ فالإيمانُ بالكتابِ وتعظيمُه شيءٌ، والعملُ به شيءٌ آخرُ، والقرآنُ نسخٌ ما قبلَه من تريعاتِ الكتبِ السابقةِ؛ فالقرآنُ قاضٌ على شرائعِ ما سبقَ، وحاكمٌ عليها؛ كما قال تعالى: **﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِيجِنَا عَلَيْهِ﴾** [المائدة: ٤٨].

* * *

﴿وَقَوْلُ أَبْنَىٰ بْنَ رَبِيدٍ: حَوْشَرَحْ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمُ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

بيانٌ لمنزلةِ القرآنِ والحكمةِ منه؛ فقد جعلَه اللهُ حجَّةً على عباده؛ فجعلَه بينَ محكماً، وأضيقاً مفصلاً؛ كلُّ من أرادَ الحقَّ فيه، وجده، ومن في قلبه زيفٌ، زاغ، وأمَّا القرآنُ، فكلُّه حقٌّ؛ كما قال تعالى: **﴿لَا يَأْنِي الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَزَرِّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت: ٤٢].

﴿مَصْدُرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ﴾:

ومن الله إنزاله، وعليه بيانه؛ فليس لأحدٍ أن يجتهدَ فيه برأيه وهواء؛ قال تعالى: **﴿وَأَنَّا إِلَيْكَ أَذْكَرْ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]؛ وهذا البيانُ من الله، لا من غيره؛ كما قال تعالى: **﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَالْيَعْ قُرَأَنَهُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾** [القيامة: ١٩ - ١٨]، ولكنَّ البيانَ يُسَبَّ إلى النبيِّ ﷺ باعتبارِ بلاغِه له؛ وإنَّ النبيَّ ﷺ مأمُورٌ بالاتِّباعِ لأمرِ اللهِ؛ كما قال اللهُ: **﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ قَاتَ مَعَكَ﴾** [هود: ١١٢].

ومن صَحَّ لسانُه العربيُّ، وفيهم لغاتُ العربِ، لم يَحْتَجْ إلى تكليفِ

وتنطع في تأويل القرآن؛ فالالأصل فيه: أن يفهمه العربي عند نزوله، ولكن لما بعَدَ الزمانُ، وضَعُفتُ اللسانُ، احتاج الناسُ إلى الرجوع إلى تأويل السلفِ من الصحابة والتابعين؛ حتى لا يحملوا القرآن على غير مراد الله.

وقد عصَمَ اللهُ نبِيَّهُ ﷺ؛ فكان مفسِّرًا للقرآن بقوله وفعله، ومتراجماً لمعانيه ب حياته، وقد كان يخلقُ به، ويقوم بما أَمَرَ اللهُ فيه؛ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن»^(١)، وقد أَمَرَهُ اللهُ بتلاوة كلامِه ويتعلمه الناس: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ مَا يَتَوَلَّهُ وَيَرْكِعُهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْعِصْمَةَ» [آل عمران: ١٦٤]، والحكمة هي سُنة؛ فإنَّها لا تتعارض مع القرآن لعصمتِه ﷺ، وإنما هي مبينةٌ مفسِّرةٌ له.

وكلُّ ما استقرَّ عليه فهم الصَّدِّرُ الأوَّلُ من القرآن، فهو مرادُ اللهِ فيه؛ لأنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ بِلِسَانِهِمْ لِيَفْهُمُوهُ، ولا يُسْكُنُ النبِيَّ ﷺ على معنى باطلٍ استقرَّ في نفوسِهم؛ فهذا يُخالِفُ مقتضى الرسالة، واللهُ مُظْلِعٌ على ما في نفوسِهم مِنْ فَهْمٍ.

ولو عَلِمَ اللهُ أنَّ عَامَتِهِمْ أو أَكْثَرَهُمْ فَهِمُوا القرآنَ على غير مراد اللهِ، لَأَنْزَلَ اللهُ البِيَانَ في ذلك؛ لأنَّ هذا مقتضى حفظ دينه وتمامه وكماله؛ فكمالُ القرآنِ وتمامُ الدِّينِ هو للمعاني كما هو للحرروف؛ قال تعالى: «إِلَيْهِمْ أَكْلَمْتُ لَكُمْ وَيَشْكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً» [المائدَة: ٣].

ويجبُ الإيمانُ بكلٍّ ما جاء في كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه؛ فكلُّ ذلك وحْيٌ من اللهِ، وقد فَرَأَ اللهُ طاعته بطاعةِ نبِيِّهِ، ومعصيته بمعصيته؛ لأنَّ

(١) مسلم (٧٤٦).

النَّبِيُّ ﷺ الْأَمْرُ بِأَمْرِ اللَّهِ، النَّاهِي بِنَهْيِهِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَلَمْ يُطِعْ نَبِيَّهُ، فَدُعْوَاهُ كَاذِبَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُونَ اللَّهَ فَلَا تَبْغُونِي يَخْبِتُكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ عَنْ مَرَادِ اللَّهِ عِنْدِهِ مَنْ يَعْلَمُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي رَبِيعٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَنُصَدِّقُ بِمَا جَاءَنَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَخْبَارِهِ: بُوْجُبُ الْعَمَلِ بِمُحْكَمَةٍ، وَنُقْرِبُ بِنَصْشِ مُشْكِلِهِ وَمُتَشَابِهِ، وَنَكِلُّ مَا غَابَ عَنَّا مِنْ حَقِيقَةِ تَفْسِيرِهِ، إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّمَا يَهُدِي كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِيعًا﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ الرَّاسِخِينَ يَعْلَمُونَ مُشْكِلَهُ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ وَعَلَيْهِ يَدْلِلُ الْكِتَابُ»^(١).

﴿الإِيمَانُ بِالْقِيَامَةِ وَمَا فِيهَا﴾

قَالَ أَنْبَأَ رَبِيعٍ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ لَا رَبِيبٌ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ﴾:

الإِيمَانُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، وَلَا يَصْحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا بِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لِمَا سَأَلَهُ جَبَرِيلُ عَنِ الْإِيمَانِ -: (الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)^(٢).

وَلِعَظَمَةِ الْبَعْثِ وَالإِيمَانِ بِهِ أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعِ ثَلَاثَةَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّنَا لَنَّا نَنْهَاكُمْ﴾ [سَأْ: ٣]،

(١) «الْجَامِعِ» (ص ١١٤ - ١١٥).

(٢) سبق تخرجه.

وقال تعالى: «زَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يَعْلَمُ قُلْ بِكَ وَرَبِّكَ تَعْلَمُ ثُمَّ لَنْ يَعْلَمُ بِمَا عَلِمْتُمْ وَرَبُّكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» [التغابن: ٧]، وقال تعالى: «وَسَتَأْتِيُكُمْ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي
وَرَبِّ إِنَّمَا لَهُ حُكْمٌ» [يوس: ٥٣]؛ وتكرار الإقسام من الله على وعد واحد،
يُدلُّ على شدة عظمته، وشدة كفر المكذب به.

وقد فرَّ الله الكفر بالاليوم الآخر بالكفر به سبحانه؛ كما قال تعالى:
«فَلَنَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» [آل عمران: ٢٩].

وكلما كان الإنسان أكثر يقيناً بالبعث والحساب، والثواب والعقاب، كان أكثر عملاً في الدنيا، وأشد خشية الله؛ فإنَّ من علم حساباً، خافه، ومن رجا لقاءه، استعد له، وطول الأمل يضعف ذلك في القلوب؛ قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَا يَنْتَهِنَا غَافِلُونَ» [يوس: ٧].

ولمَّا ذَكَرَ الله كفر الكافرين وعنادهم، ذَكَرَ سبب ذلك؛ فقال:
«إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٧﴾ وَكَذَّبُوا بِمَا يَنْتَهِنَا كِذَابًا» [آل نبأ: ٢٨ - ٢٧]
وقال: «هَارَبَتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْكَافِرَةِ
وَلَا يَحْصُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» [الماعون: ١ - ٣].

وكمِّ ما يذَكُرُ الله بالاليوم الآخر؛ ليستقيم الناس على أمر الله؛ قال تعالى: «وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» [آل بقرة: ٢٨١]، وقال: «وَأَنَّكُمْ
يَوْمًا لَا يَهْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» [آل بقرة: ٤٨، ١٢٣]، وقال: «وَأَنْخَسُوا يَوْمًا لَا
يَهْزِي وَالَّذِي عَنْ وَلَدِيهِ» [لقمان: ٣٣].

النَّفْخُ فِي الصُّورِ:

وقد أخْبَرَ الله بالنَّفْخِ في الصُّورِ في القرآنِ نَفَخَاتٍ: للفرَعِ،
للصَّعْقِ، وللقيام؛ كما قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَرِعَ مَنِ فِي

السموات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنْوَهٍ دَاخِرِينَ» [النمل: ٨٧]، وقال تعالى: «وَتَفَعَّلَ فِي الصُّورِ فَصَاعِقٌ مَّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ تَفَعَّلَ فِيهِ أُخْرَى إِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» [الزمر: ٦٨].

واختلف في التفخات:

وفيل: إنها اثنتان.

وفيل: إنها ثلاث.

وفيل: إنها أربع.

وقد بيّنت ذلك في «الحراسانية»^(١).

بعث الأجساد وجزاؤها:

والله يُعيد أجساد الناس التي كانت في الدنيا، لا غيرها، ويُحيي العظام التي كانت في الدنيا، لا غيرها؛ كما قال تعالى: «أَولَئِمْ يَرَوُا كَيْفَ يُبَدِّي اللَّهُ الْحَقَّ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» [العنكبوت: ١٩]، وقال تعالى: «كَمَا بَدَأْتُمْ تَوَدُّونَ» [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: «فَلَمْ كُوُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلَقْنَا مِنَاهُ بَشَّرًا فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرْقَدًا» [الإسراء: ٥١ - ٥٠]، ولكن الله يزيد في أحجامهم وحالهم من جنس ما يزيد الله فيهم في الدنيا؛ فيكبّر الصغير، وبهزل العظيم، ويسمّن الضعيف، ويضعف السمين، والزيادة فيهم لا تعني: أنّ الأبدان ليست الأبدان، ولا أنّ الجلود ليست الجلود، ولا أنّ العظام ليست العظام.

وقد قال ابن أبي زيد في عقباته في «الجامع»: «وَأَنَّ الَّتِي أَطَاعَتْ

(١) «الحراسانية» (ص ٤٤٤).

وَعَصَتْ هِيَ الَّتِي تُبَعَّثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتُجَارَى، وَالْجُلُودُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي تَشَهَّدُ، وَالْأَلْسُنَةُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ هِيَ الَّتِي تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ تَشَهَّدُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ»^(١).

وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الْدَّهْرِيِّينَ مُمِنْ يُؤْمِنُ بِالْخَلْقِ، لَمْ يَكُفِّرْ بِالْبَعْثِ إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ ذَاهِهِ كَمَا هِيَ؛ فَهُوَ يُحِيلُّ هَذَا، وَأَمَّا خَلْقُ غَيْرِهِ مِنْ جَدِيدٍ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ ضَلُّوا وَكَفَرُوا.

﴿أَشْرَاطُ السَّاعَةِ﴾:

وَيَجْبُ الإِيمَانُ بِمَا قَبْلَ السَّاعَةِ مِنْ عَلَامَاتٍ وَآمَارَاتٍ وَأَشْرَاطٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهُنَّ لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ بِعْتَدٌ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [مُحَمَّد: ١٨]، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ كَخْرُوجِ الدَّجَالِ، وَالدَّابَّةِ، وَبِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنَزْوَلِ عِيسَى، وَخَرْوَجِ الشَّمْسِ مِنْ مَعْرِبِهَا.

وَلِلسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ، وَعَامَّةُ الصَّغْرِيِّ سَابِقَةُ لِلْكَبِيرِ، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الصَّحِيحُ الْمُتَوَاتِرُ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا الْمُضَعِّفُ يُسِيرُ الْضَّعْفُ، يُسْتَأْسِسُ بِهِ وَلَا يُجَزِّمُ بِهِ، وَمِنْهَا الْوَاهِي وَالْمَطْرُوحُ وَالْمَكْذُوبُ؛ وَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ رِوَايَتُهُ إِلَّا لِبَيَانِ نَكَارَتِهِ.

﴿تَنْزِيلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ﴾:

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَوْامِرِ الشَّرِعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَجْلِ ظَنِّ فِي أَنَّ نَازِلَةً أَوْ شَخْصًا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي حَدِيثِ يَسِيقُ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْأَوْامِرَ قَطْعِيَّةُ، وَتَطْبِيقُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ ظَلِيلٌ؛ فَلَا يُتَرَكُ قَطْعِيٌّ

(١) «الْجَامِعُ» (ص ١١٢).

لظني؛ وهذا من الأمور التي يغفلُ فيها العوامُ، وربما بعض المتعلمينَ يأنزال أشراط الساعة على حوادث وأعيانٍ، ثم يعمّلونَ بمقتضى تزيلهم، ويظنّونَ أنّهم يعمّلونَ بالنصّ الثابتِ، وهم يعمّلونَ بظنّهم، لا بالنصّ، وكثيراً ما سُفكَتْ دماءُ، ووقعتِ فتنٌ في الناسِ، واستُبيحتْ حُرماتُ، بسببِ ذلك.

وتجويزُ السلفِ لتنزيلِ أشراطِ الساعةِ، بابُ غيرِ البابِ الذي يتبعُه عملٌ وتشريعٌ؛ فإنّهم كانوا ينزلُونَ ذلك على بعضِ الحوادثِ والأشخاصِ؛ لأنَّ ذلك مِنْ بابِ الاحتياطِ، ثُمَّ إنّهم يجعلُونَ ذلك استثناساً، لا أصلًا يستقلُّ به العملُ والتَّرَكُ.

وقد جعلَ اللهُ للساعةِ أماراتٍ؛ رحمةً بالناسِ ليعتبرَ من أرادَ له الاعتبارِ، ويرجعَ من كتبَ له العَوْدَةِ؛ حتى لا تقومَ الساعةُ إلا وقد انقطعتْ أذارُ الناسِ، وفamt المُحجِّجُ الشرعيُّ والكونيُّ عليهم.

وعلمُ الساعةِ عند اللهِ لا يجلّها لوقتها إلا هو؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ طَمْ أَسَاعَةٌ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ [القمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومن زعمَ علمَهُ أو ادعى لغيرِه العلمَ ب يومٍ معينٍ محدودٍ تقومُ فيه الساعةُ، فقد كفرَ باللهِ، وكذبَ خبرَهِ.

﴿الحسابُ والعقابُ﴾

قالَ ابنُ أبي زيدٍ: ﴿لَوْأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ صَاعِفَ لِعَبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَسَائِرُ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّعَائِرُ، يَاجْتِنَابِ الْكَبَائِرُ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتَبَّعْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيقَتِهِ﴾ [النساء: ٤٨] فهو:

يُحصي الله على عباده كل أعمالهم، دقائقها وجليلها، صغيرها وكبیرها، لا يترك من أعمالهم دقيق حسنة ولا سبعة؛ قال تعالى: ﴿وَوَيَعْثِمُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَتَّهُم بِمَا عَمِلُوا أَخْصَنَهُ اللَّهُ وَسُوءُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَنَا مَا لَهُنَا إِلَّا كِتَابٌ لَا يَعْدُرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَخْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقد جعل الله الحسنة التي يكسبها العبد تكتب له بعشرة، والسيئة لا تكتب عليه إلا بمثلها؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ أَتْنَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلَا يُبْرِزُ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الانعام: ١٦٠]، وقد ثبت الحديث في ذلك عن جماعة من الصحابة؛ من حديث ابن عباس^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وأنس^(٣)، وأبي ذر^(٤)، وغيرهم^(٥).

ومن لطيفه: أن فتح باب التوبة لمن تاب؛ فمن تاب وأناب، تاب الله عليه، مهما كان ذنبه ولو كان كفرا؛ فالله لا يتعاظمه ذنب؛ فمحفرته تعم جميع الذنوب صغيرها وكبیرها؛ قال تعالى: ﴿فَقُلْ يَعْبُدُوا إِلَّذِينَ أَشْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّمَا هُوَ الْغَافُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

بل إن الله يفرح بتوبة عبده؛ قال ﷺ: (الله أفرح بستبة عبده من أحدوكم؛ سقط على بعيرو، وقد أضلَّه في أرض فلاد...)^(٦)، وقال:

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٢ و ٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠).

(٣) مسلم (١٦٢).

(٤) مسلم (٢٦٨٧).

(٥) كثرين بن فاتك عند أحمد (٤/٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٤٦ رقم ١٨٩٠ و ١٩٠٣٥ و ١٩٠٣٩)، وابن حبان (٦١٧١).

(٦) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس، واللفظ للبخاري.

(وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ، وَلَجَاءَ إِلَيْكُمْ
يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ) ^(١)؛ لأنَّ اللَّهَ جَبَلَهُمْ عَلَى الْخَطَاةِ؛ فِي الْحَدِيثِ:
كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ ^(٢).

حكم من مات ولم يتب من ذنبه:

وَمَنِ ارتكَبَ الصَّغَائِرَ، وَاجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ، كَفَرَ اللَّهُ صِغَائِرَهُ عَنْهُ، وَلَمْ
يُؤَاخِذْهُ بِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ
صِغَائِرَكُمْ وَنَذْهَلُكُمْ مُذَخَّلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وَجَعَلَ لِذَلِكَ أَسْبَابًا كَثِيرَةً:
مِنْهَا: عَمَلُهُ الصَّالِحُ؛ كَالصَّلواتِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ،
وَرَمَضَانُ إِلَى رَمْضَانَ، وَالْحِجُّ الْمُبَرُورُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.
وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ ذَنْبَهُ بِمُشَيَّتِهِ وَلُظْفِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْعَبْدُ سَبِيلًا؛
وَهَذَا مَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ، وَسَبِيقِ رَحْمَتِهِ لِغَضِيَّهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْكَبَائِرِ، إِنْ لَمْ يَتَوبُوا، فَهُمْ تَحْتَ مُشَيَّتِهِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ
عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نَصْوَصُ الْوَحْيِ، وَأَجْمَعَ
عَلَيْهِ السَّلْفُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكَبَائِرِ غَيْرَ التَّائِبِينَ عَلَى فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَبِمَا يَهْبِتُهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ خَارِجَةٍ عَنِ
الْعَاصِي؛ كَدُعَاءِ وَلَدِيهِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ عَمَلٍ لَهُ صَالِحٌ آخَرٌ، عَظَمَهُ اللَّهُ فَغَلَبَ
عَمَلُهُ السَّيِّئُ، أَوْ أَنْ يَقْبَلَ شَفاعةً غَيْرِهِ لَهُ مِنْ زَوْجٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ
أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ فِيهِ، يَكْفُرُ بِهَا مِنْ مَعَاصِيهِ؛ كَالْمَصَائِبِ
وَالْهَمُومِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ كَرِبٍ وَشَدَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَالْمَوْقِفِ

(١) مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) الترمذى (٢٤٩٩)، وأبي ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس.

والعرض على الله وهو الصراط، وغير ذلك^(١).
 وفريق: لا يغفر الله له كبرته؛ فيعدّه بما يطهّر الله به في النار،
 ثم مآلُه إلى الجنة.
 والأصل: أنَّ الفريق الأول أكثر من الفريق الثاني؛ لسعة رحمة الله
 وبقيها لغضبه.

﴿مَصِيرُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عُصَابَةِ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن أبي زيد: لِوَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارَةً، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخِلَهُ
 بِهِ جَنَّةً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَسْرُهُ﴾ [الزلزال: ٧] فهو
 مَنْ شاءَ اللَّهُ عَقَابَهُ مِنْ عُصَابَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا خَلَافٌ فِي أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ
 فِيهَا كَالْكَافِرِينَ؛ لَأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِالإِتَابَةِ عَلَى ذَرَّةِ الإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ؛ فَفِي
 «الصَّحِيحَيْنِ»، قال ﷺ: (أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ
 مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ)^(٢)، وفيهما قال: (حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ
 مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ
 فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرُ
 السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ؛ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرُ السُّجُودِ؛
 فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَسُوا)^(٣)، وفيهما قال ﷺ: (يُخْرُجُ مِنَ النَّارِ
 مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)^(٤)، وفي «الصَّحِيحَيْنِ» أو أحدهما، من هذا
 المعنى أحاديث كثيرةٌ من حديث أبي هريرة، وأنسٍ، وأبي سعيدٍ،

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٧ - ٥٠١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٤٥١).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

وجابر^(١)، وعبد الله^(٢).

﴿ وَخَالَفَ فِي هَذَا الْخُوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، وَالْمَرْجِئَةُ : فَذَهَبَتِ الْخُوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ : إِلَى سُلْبِ الْإِيمَانِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيَخْلُدُ فِي النَّارِ .

وَذَهَبَتْ طَوَافُ مِنَ الْمَرْجِئَةِ : إِلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَهْمَا بَلَغَ ذَنْبُهُ .

وقد دلَّ الدليلُ في «الصحيحيْن»^(٣) على تعذيب أقوامٍ في النارِ مِنْ عصاةٍ بني آدمَ، وإخراجِ أقوامٍ من النارِ قد امْتَحَنُوكُوا واحترقُوكُوا، إلا مواضعَ السجدةِ فيهم، وأنه يخرجُ مِنَ النارِ مَنْ كَانَ فِي قلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إيمانٍ.

وهذه الأحاديث تشهدُ لصحةِ ما ذهبَ إِلَيْهِ أهْلُ السُّنْنَةِ في حكمِ مرتَكِبِ الكبيرةِ، وفيها ردٌّ على مذاهبِ هذه الطوائفِ المخالفةِ.

﴿ الشفاعةُ وأحكامُها : ﴾

﴿ قَالَ أَبْنَى إِلَيْ رَبِّيْدٍ : لَهُوَ يُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّيْبِيِّ رَبِّيْدٍ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ : ﴾

الشفاعةُ ثابتةٌ؛ وهي حقٌّ قطعيٌ لا يُنكرُ أصلها مسلمٌ، والشفعُ ضدُّ الْوَقْرَ؛ وهو: ضمُّ واحدٍ أو أكثرَ إلى واحدٍ أو أكثرَ؛ ليصلَ إلى حاجةٍ يعجزُ عنها بنفسِه.

(١) البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١). (٢) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٣) سبق تخرجهما قبل قليل.

وهذا من رحمة الله، وسعة فضيله: أن جعل الأسباب المُنْجِية من النار والمدخلة للجنة متعددة.

والشفاعة تكون للنجاة والسلامة من العذاب أو الكرب، وتكون تخفيف العذاب، وتكون لزوال العذاب، وتكون لدخول الجنة، وتكون للارتفاع فيها درجة فوق ما يستحقه العبد من غير الشفاعة:

■ أَمَّا الشفاعة التي تكون للنجاة والسلامة: فكالشفاعة لأهل الموقف بتخفيف الكرب عليهم: بأن يعجل الله في حسابهم^(١)، وكالشفاعة للنجاة من العذاب لمن كتب الله عليه النار، فينجيه الله منها بشفاعة غيره^(٢).

■ وأَمَّا الشفاعة التي تكون لتخفيف العذاب: فكشفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب^(٣)، وشفاعته وشفاعة غيره للعصاة من المؤمنين التخفيف عنهم^(٤).

■ وأَمَّا الشفاعة التي تكون لزوال العذاب: فكالشفاعة في أهل النار من عصاة الموحدين بخروجهم من النار؛ فإن الأدلة استفاضت أنَّ أقواماً من أهل الكبائر الموحدين يُعذبون في النار؛ إذا لم يرحمهم الله قبل ذلك^(٥).

■ وأَمَّا الشفاعة التي تكون لدخول الجنة: فكشفاعة النبي ﷺ للأمم أن تدخل الجنة بعد ما يجاوزون الصراط^(٦).

(١) البخاري (٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) «البداية والنهاية» (٢٠/١٨٩ - ١٩٢).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس.

(٤) البخاري (٦٥٦٠، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).

(٥) سبق قليل من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم.

(٦) كما عند مسلم (١٩٦ و ١٩٧) من حديث أنس، و(١٩٥) من حديث أبي هريرة وحلبيقة.

■ وأما الشفاعة التي تكون للارتفاع في الجنة: فهي شفاعة النبي ﷺ وغيره من الملائكة والأنبياء والصالحين لغيرهم: بأن يلحقوا بهم، أو من دونهم ممن قصر عملهم عن بلوغ تلك المرتبة^(١)، وكشفاعة الأزواج والأباء والأبناء والأرحام بعضهم البعض^(٢).
ولا يشفع إلا مؤمن، ولا تقبل الشفاعة من غيره؛ لأن الله لا يرضى عن الكافر:

وكلما ضعف إيمان العبد، ضعف احتمال شفاعته؛ حتى يكون أضعف الأمة إيماناً لا يشفع لأحد؛ لأنه لن يشفع لمن فوقه؛ لأنه أقوى إيماناً منه، وليس تحته أحد يشفع له.

وكلما علت مرتبة المؤمن، قل الشافعون له؛ لعلوه عليهم، وبلغوا مرتبة تمام الرضا أو مقاريئها؛ ولهذا لم يثبت أن النبي ﷺ يشفع له أحد؛ لأنه أفضل الأنبياء والناس أجمعين؛ فكان أعظمهم شفاعة لغيره، وغيره عديم الشفاعة له.

ولا يأذن بالشفاعة إلا الله، وليس الإذن لأحد من الخلق؛ مهما علت منزلته وارتفع شأنه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْكَفِيلُ عِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال: ﴿وَعَبَدُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُنَّ لَاءُ شُفَعَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة لا تكون من أحد حتى يكون فيها أمران:
- إذن الله للشافع أن يشفع.
- ورضاه عن المشفوع له.

(١) كما في حديث أبي موسى عند البخاري (٤٣٢٣ و٦٣٨٣)، ومسلم (٢٤٩٨). وحديث أم سلمة عند مسلم (٩٢٠).

(٢) كما عند مسلم (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة. وهو في شفاعة الأباء للأباء.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ مَلِكٌ فِي السَّمَاوَاتِ لَا يَعْنِي مَفْعُولَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَّقَ﴾** [النَّجَم: ٢٦]؛ فالكافر لا يشفع، ولا يُشفع له؛ لأنَّ الله لا يرضى عن الكافرين؛ كما قال تعالى: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الظَّفِيقِينَ﴾** [التُّورَة: ٩٦]، والشفاعة لا بدَّ فيها من رضاه سبحانه، والكافر لا ينتفع بالشفاعة؛ كما قال تعالى: **﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةٌ لِّلشَّفِيقِينَ﴾** [المدثر: ٤٨].

وقد أنكَرَ بعضُ الطوائف الشفاعة بحسبِ أصولِهم، وفرَّعوا على ذلك نقضها وإبطالها، ومنهم: من يُنكِرُها عامَّةً، ومنهم: من يُنكِرُ بعضَها :

فالخوارجُ والمعتزلةُ لا يَرَوْنَ صاحبَ الكبيرة مؤمناً؛ وعلى هذا: فلا شفاعة عندَهم للعصاة من المسلمين؛ لأنَّهم سُلْبُوا هم اسم الإيمان، ويُقايلُهم المرجحُون الذين لا يَرَوْنَ الشفاعة للعصاة أيضاً؛ لأنَّ المعصية لا تؤثِّرُ على الإيمان عندَهم؛ وعلى هذا: فلا يدخلُونَ النارَ بها أصلاً، فضلاً عن تخفيف العذاب عليهم؛ فلا يدخلُ النارَ عندَ الخوارج والمعتزلة والمُرجحَة إلا نفسُ كافِرٍ.

فالخوارجُ والمعتزلةُ والمُرجحَةُ أنكَرُوا باعتبارِ ما فرَّروا.

وإطلاقُ أنَّ الخوارجَ والمعتزلةَ والمُرجحَةَ يقولونَ بإنكارِ جميعِ أنواعِ الشفاعةِ غلطٌ عليهم.

﴿رَؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ﴾

قال ابن أبي زيد: **﴿لَوْأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعْدَدَهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَاءِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ﴾**

استفاضت النصوص على رؤية الله في الآخرة، ولم يختلف الصحابة والتابعون ولا معروف بعلم من أتباعهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِيرْ نَاظِرَةً إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] أي: تنظر إلى ربها يعني رأسها؛ وهذا ما فرره السلف في تأويلها.

وقد سأله شهاب مالك بن أنس عنها؟ فقال: «أينظرُون إلى الله؟» قال: نعم؛ بأعينهم هاتين، قال شهاب: فإن قوما يقولون: ناظرة، بمعنى: منتظرة إلى الشواب، قال: كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ أَرْقِنْ أَنْظَرْ إِلَيَّكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أترأه سأله محالا... وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِلَّهَمَّ عَنْ يَوْمِ يَوْمَئِيرْ لَمْحُجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فإذا كان هناك محجوبون، فهناك ناظرون؛ وهذا لازم القول، وقد استدل بهذه الآية على الرؤية: مالك^(١)، والشافعي^(٢)، وجماعة من أهل العربية؛ كثعلب^(٣)، وغيره^(٤).

وقد جاء اللقاء بالله يوم القيمة في مواضع من الوحي؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَصِّتُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ولازم اللقاء: الرؤية عند العرب^(٥)، وحكي الإجماع على ذلك؛ كما حكاه ثعلب^(٦).

وقد كان سخنون يلقن ابن القصار في مرض موته: «أَلَّا يُرَى يوم القيمة»^(٧)، وكان أبو العباس بن طالب يستفتح خطبة الجمعة على

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧١)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨). (٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٩).

(٤) «ياقوتة الصراط» (ص ٥٦١).

(٥) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٠١ - ٣٠٠)، و«الرد على الجهمية» للدارمي (١٦٦) و(١٦٧).

(٦) «الشريعة للأجرى» (٩٨١/٢). (٧) «الإبانة» لابن بطة (٦٢/٧).

(٨) «رياض النور» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)، وقد سبق.

منبر القَيْرَوَانِ يَأْثِبُتْ رُؤْيَاهُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ^(١).

وَمِنَ الْأَدْلَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُنْ تَرْبَقِي وَلَكُنْ أَنْظَرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَكِرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرْبَقِي﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٤٣]؛ فَاللَّهُ مَنَعَ مُوسَى مِنْ رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَازَمُ ذَلِكَ تَمْكِينَهُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى لَا يَسْأَلُ إِلَّا الْمُمْكِنَ، لَا يَسْأَلُ الْمُحَالَ.

وَكَذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّ لِلْجَبَلِ بِنَفْسِهِ؛ لِيُرِيَ مُوسَى أَنَّ لَا طَاقَةَ فِي خَلْقِهِ - الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا - عَلَى رُؤْيَاهُ اللَّهِ؛ لَأَنَّ الْجَبَلَ - وَهُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَشَدُّ خَلْقًا - لَمْ يَتَحَمَّلْ؛ فَأَصْبَحَ دَعَّاً.

وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ دَلَالَةَ الْأَيَّةِ وَاضْحَاهَ عَلَى رُؤْيَاهُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ^(٢)؛ وَبِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى التَّجَلِّيِّ؛ كَالْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ؛ قَالُوا: «تَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ»^(٣).

وَمِنْ يُعَارِضُ هَذِهِ الْأَيَّةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٣]، فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لَأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُنَّا؛ بِمَعْنَى: الْإِحْاطَةِ، وَعَدْمِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِحْاطَةِ لَا يَنْفِي الرُّؤْيَا؛ فَقَدْ تَرَى مَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ، وَالْإِدْرَاكُ فِي الْأَيَّةِ الْإِحْاطَةِ، وَهِيَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَنْ مَجْرِدِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ مُمْتَنَعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَاللَّهُ فَرَقَ بَيْنَ الرُّؤْيَا وَالْإِدْرَاكِ بِقَوْلِهِ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَفِرْغَوْنَ: ﴿فَلَمَّا تَرَأَهَا الْجَمِيعُانِ قَالَ أَنْسَخْتُ مُوْمَئَ إِنَّا لَمُذْرِكُونَ﴾ [الشَّعْرَاءُ: ٦٦]؛ رَأَوْهُمْ أَوْلَاءِ، ثُمَّ خَافُوا إِدْرَاكَهُمْ ثَانِيًّا.

وَكَانَ مَالِكُ وَأَصْحَابُهُ يَشَدِّدُونَ عَلَى مُنْكِرِ رُؤْيَاهُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ،

(١) «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ» (٤/٢١٤). (٢) «الْتَّمَهِيدُ» (٧/١٥٣).

(٣) «الْعَبْنُ» (٦/١٨٠)، وَ«مَعْنَى الْقُرْآنِ» لِلزَّجَاجِ (٢/٣٧٣)، وَ«تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ» (١١/١٨٥) - (١٨٦).

قيل لمالك: «إنهم يزعمون أنَّ الله لا يُرى!»، فقال مالك: «السيف السيف»^(١).

وقد ضرب أسدُ بنُ الفراتِ في مجلسِه بالمسجدِ بنَعلَيْهِ رجلاً أنكرَ رؤيةَ اللهِ في الآخرة، وكان يقولُ: «والله، لو أدخلتُ الجنة، فمحجِّبُ عن رؤيةِ الله، لشكُّتُ، ولأنَا أسرُّ برؤيهِ ربِّي مبنيٌ بالجنة»^(٢). وللشافعيٍ كلامٌ قرِيبٌ من هذا^(٣).

وقال ابنُ الماجثُون: «من زعمَ أنَّ الله لا يُرى يومَ القيمة، استُبِّنَ»^(٤).

وصنفَ غيرُ واحدٍ من المغاربة في رؤيةِ الله ردًا على المُنكريَن لها من المتكلَّمين؛ فكتبَ يحيى بنُ عمرَ كتابَ «الرؤيا»، وكتبَ ابنُ وضاحٍ كتابَ «ما جاءَ في الحديثِ في النظرِ إلى الله تعالى»، وأكثرَ من روایةِ الحديثِ والأثرِ في الرؤيا؛ حتى كان عمدَةً للمغاربة في هذا الباب؛ حتى قال أبو موسى الأنصاريُّ: «كان المغاربة يرُونَ أقوالَ رؤيةِ الله عن محمدٍ بنِ وضاحِ الأندلسيِّ».

قال ابنُ أبي زيدٍ في «الجامع»: «وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَرَاهُ أُولَيَّاؤُهُ فِي الْمَعَادِ بِأَبْصَارٍ وُجُوهَهُمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَايَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ؛ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقْرَى وَزِيَادَةُ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: (الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالْزِيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى

(١) «شرح أصول الاعتقاد» ٨٠٨ و ٨٧٢.

(٢) «رياض النفوس» ١/٢٦٤.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ٣/٥٦٠.

(٤) نسخةٌ وغيره من آثارِ للسلف والأئمَّةِ محمدٌ بنِ وضاحٍ في كتابِ «الرؤيا».

وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى^(١)، قَبْلَ لِمَالِكَ: أَيُرَى اللَّهُ بَعْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛
يَقُولُ اللَّهُ بَعْدَكَ: «وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ» ﴿٦﴾ إِلَيْهَا نَاطَرَةً» [القيامة: ٢٢ - ٢٣]،
وَقَالَ بَعْدَكَ فِي أَخْرَى: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَحْجُوْنَ» [المطففين: ١٥]،
قَالَ مَالِكُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: دُونَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ
أَلْفَ حِجَابٍ»^(٢).

﴿الجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعْدَهُمَا اللَّهُ﴾

﴿قَالَ أَبْنَى لِيَزَنِيدَ: هُوَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيًّا وَخَلِيقَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ،
بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْدَهَا دَارَ حُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ،
وَالْحَدَّ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَايَتِهِمْ :
ذَكَرَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَدْخَلَهَا آدَمَ وَزَوْجَهُ، وَلَمْ يَقِيدْ: «وَقَاتَنَا يَقَادُمُ أَشْكَنْ
أَنَّتْ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» [البقرة: ٣٥].

وَالْأَصْلُ: كُوْنُهَا جَنَّةُ الْخَلْدِ الَّتِي يَؤْوِلُ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا،
وَقَدْ كَانَ آدَمُ وَحْوَاءُ - وَمَعْهُمْ عَدُوُهُمْ إِبْلِيسُ - فِي جَنَّةِ السَّمَاءِ؛ وَلَهُذَا
أَهْبَطَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: «وَقَاتَنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَهِيْنًا» [البقرة: ٣٨]،
وَقَالَ: «وَقَاتَنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفِرُونَ وَمَنْتَعُ إِلَى جَهِيْنِ»
[البقرة: ٣٦]، وَقَدْ ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيفَةِ»: أَنَّ آدَمَ تُطَلَّبُ مِنْهُ الشَّفَاعَةُ فِي
الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَعْتَذِرُ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: (وَهَلْ أَخْرَجْتُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ
إِلَّا خَطِيْئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ)^(٣)؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا هِيَ الَّتِي
سَيَعُودُونَ إِلَيْهَا.

(١) «الجامع» (ص ١٠٩ - ١٢٤).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) مسلم (١٩٥).

وقد جاء ذكر الجنة التي دخلها آدم في القرآن معرفةً بلا متعريف، ولم يذكرها منكرة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمَنْ يَرَى إِلَّا جَنَّةً﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال: ﴿فَلَا يُخْرِجُنَّا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّقُ﴾ [طه: ١١٧]، ولا جنة يعهدُها المخاطبون ويعرفونها عند سماعها إلا جنة الخلد.

وقول ابن أبي زيد: «وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْدَهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ»، لا يريد به: أن بعض عصاة الموحدين لا يدخلون النار، وإنما هذا ذكره بقيمة الخلود، والمؤمن لا يخلد في النار ولو عذب فيها؛ ولهذا قيد، فقال: «دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ».

ولا يرى الكفار ربهم يوم القيمة؛ لأن رؤيته نعيم، ولا نعيم لهم؛ وقد قال تعالى: ﴿كَلَّا لِإِنْتُمْ عَنْ رَيْتِمْ يَوْمَ الْحِجَّوْنَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال رجل لمالك: يا أبا عبد الله، هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيمة؟ فقال مالك: «لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيمة، لم يعيّر الله الكفار بالحجاب»؛ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لِإِنْتُمْ عَنْ رَيْتِمْ يَوْمَ الْحِجَّوْنَ﴾ [المطففين: ١٥]^(١). وبهذا استدل الشافعي وأحمد^(٢).

﴿خَلْقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ﴾

قال في «الجامع»: «وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقْتَا، أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ، لَا تَقْنِيَانِ وَلَا تَبِيَانِ»^(٣):

أخبر الله بخلق الجنة والنار، وأنه أعدّهما قبل يوم القيمة لأهلهما؛ كما قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]،

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨). (٢) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٣).

(٣) «الجامع» (ص ١١٠).

وقال عن النار: «أَعْذَّتِ الْكُفَّارِ» [البقرة: ٢٤، والآل عمران: ١٣١]; فِي أَعْدَادِهَا سَابِقٌ لِعَمَلِ الْعَامِلِينَ، وَأَعْذَّهَا اللَّهُ لِسَابِقِ عِلْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلِمَا عَرَجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، أَرَى الْجَنَّةَ؛ قَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى» [١٦ - ١٥]، عِنْدَ سَدْرَةِ الْمُثَنَّى [١٦] عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأَوَّلِيَّةِ» [النَّجْم: ١٣ - ١٥]، وَقَدْ أَرَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ^(١).

وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي الْمَنَامِ، وَرَؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ، لَيْسَ كَأَحْلَامِ النَّاسِ؛ وَبِهَذَا يَسْتَدِلُّ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقْتَا؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ حَنْبَلَ^(٢)، وَأَدَلَّهُ خَلْقُ اللَّهِ لِلْجَنَّةِ وَالنَّارِ صَرِيقَةً مُتَوَاتِرَةً، وَقَدْ حَجَّمَ أَحْمَدُ بِكُفَّرٍ مُنْكِرٍ ذَلِكَ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْأَنْدَرَانِيِّ وَغَيْرُهُ^(٣).

وَكُلُّ مَنْ نَفَى الْقَدَرَ، لَزِمَّهُ الْقَوْلُ بِنَفْيِ سَبْقِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

﴿خُلُودُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ﴾

وَقَدْ قَالَتْ بَعْضُ الطَّوَافِيفِ: إِنَّ أَفْعَالَ اللَّهِ لَهَا آخِرٌ، وَمِنْهَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَعَلَى هَذَا تَفْنِيَانٌ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْجَهَنِّمِ بْنِ صَفْوَانَ^(٤).

وَرَبِّمَا اسْتَدَلَّ بِعَصْبِهِمْ بِبَعْضِ عُمُومَاتِ الْقُرْآنِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» [الْفَصَص: ٨٨].

وَيُجْمِعُ السَّلْفُ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا تَفْنِيَانٌ، وَإِنَّمَا ثَمَّةَ كَلامٌ قَلِيلٌ لِبَعْضِهِمْ فِي فَنَاءِ النَّارِ^(٥)، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَبْدِيَّةَ النَّارِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ

(١) كَمَا فِي حَدِيثِ أَسْمَاءِ عَنْدَ الْبَخَارِيِّ (٨٦)، وَمُسْلِمَ (٩٠٥). وَحَدِيثِ أَنْسٍ أَيْضًا عَنْ الْبَخَارِيِّ (٥٤٠)، وَمُسْلِمَ (٤٢٦).

(٢) «طَبِقاتُ الْحَنَابَلَة» (٣٣٩/٢).

(٣) «مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ» (٣٩٦/٢)، وَ«دَرْءُ التَّعَارُض» (٣٥٨/٢).

(٤) انْظُرْ: رِسَالَةُ «رُفعُ الأَسْتَارِ»، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

كتابه **بَيْنَ**؛ قال تعالى: **«خَلِيلِنَّ فِيهَا أَبَدًا»** [النساء: ١٦٩]، والأحزاب: ٦٥ والجن: ٢٣]، وقال تعالى: **«إِنَّمَا مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُحْرِمًا فَإِنَّ رَبَّهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَبْعَثُ**» [طه: ٧٤]، وقد صحَ الحديثُ بالإثبات بالموت في صورة ك بشِ أملَحَ، فَيُدَبَّغُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ^(١)، والقولُ بفناءِ الجنةِ أعظمُ من القول بفناءِ النار، وقد جزمَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ بِكُفْرِ مَن قَالَ بفناءِ الجنةِ خاصةً؛ كما في رسالته إلى مسدد^(٢).

وقد تكلَّمنَا على ذلك بالتفصيل في «الحراسانية»^(٣).

﴿صَفَةُ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: لَوْأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لعرضِ الأُمُمِ وَحَسَابِهَا، وَعُقُوبَهَا وَثَوابَهَا^(٤)؛ ثُبَّتَ صفةُ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ تَعَالَى حَقْيَةً كَمَا يليقُ بِهِ، لَا كَمَا يليقُ بالمخلوقِ، وإثباتُها كإثباتِ سائرِ أفعالِه الاختيارية؛ كالاستواء والنزول وغيرهما، وقد ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إثباتَها حقيقةً بقولِه في «الجامع»: «بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ جَائِيَا»^(٤).

و والإثباتُ والمجيءُ: من الصفات الفعليةُ الخبرية؟ وقد قال تعالى: **«هَلْ يَظْرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْعَمَاءِ وَالْمَلِئَكَةُ وَقُضَى الْأَمْرُ**» [البقرة: ٢١٠]، وقال: **«هَلْ يَظْرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلِئَكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ مَا يَكْتَبُ رَبِّكُ**» [الأنعام: ١٥٨]، وقال: **«وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا**» [الفجر: ٢٢].

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد.

(٢) «طبقات الحنابلة» (٤٢٦/٢). (٣) «الحراسانية» (ص ٣٥٠).

(٤) «الجامع» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

وقد حكى أبو الحسن الأشعري الإجماع على إثبات المجيء لله يوم القيمة؛ كما في «رسالته إلى أهل الغرب»^(١).

وقد روى حنبل عن أحمد: أنه تأول المجيء بمجيء قدرته، وأن الإثبات إثبات أمره.

ولم يرُو ذلك عن أحمد أحد غيره، وقد أنكره عليه بعض الأصحاب؛ لأنَّه لا يجري على أصوله؛ قال أبو إسحاق بن شاقلة: «هذا غلط من حنبل، لا شئ فيه»، وأراد أبو إسحاق بذلك: أنَّ مذهبَ حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذات؛ هذا ظاهر كلامه^(٢).

وهذا لو صَحَّ عن أحمد، فليس هو يجري على أصولِ أهل التأويل؛ لأنَّ أصولَ أحمد: الإثبات لأفعال الله الاختيارية على وجوهِ الحقيقة.

وربما استحضر نفاء الأفعال الاختيارية لله كافية معينة؛ فحملُّهم ذلك على التأويل أو التعطيل.

وقد سمع الإمامُ أحمدُ فاصًا يروي حديث النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغير حال، فارتعدَّ أحمدُ، واصفرَ لونُه، وقال لابنه عبد الله: قفتُ بما على هذا المترخص، فلما حاذأه، قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على زيهِ منك؛ قُلْ كما قال رسول الله ﷺ، وانصرف^(٣).

والإثبات والمجيء لله يثبت حقيقة تلبيه، بلا تأويل ولا تكييف

(١) «رسالة إلى أهل الغرب» (ص ٢٢٧).

(٢) «إبطال التأويلات» (١٣٢/١)، و«مجموع الفتاوى» (٤٠٤/١٦ - ٤٠٦).

(٣) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

ولا تمثيل، وقد بين ابن أبي زيد ثبوت ذلك حقيقة؛ كما هو ظاهر كلامه في «الجامع»؛ حيث قال: «وممّا جاءت به الأحاديث: أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَضَعُ كُرْسِيَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ»^(١).

وإثبات المجيء والإتيان، والنزول لله، حقيقة تليق به، لا يلزم منه التشبيه.

ورئما جرى بعض أهل السنة على الأصول الكلامية؛ فجعلوا لوازماً لا دليل عليها إثباتاً ونفيها، عند إثبات المجيء والإتيان والنزول؛ كالحركة والانتقال وخلو العرش؛ فأرادوا تنزيه الله عن تلك اللوازم؛ فرجعوا إلى ما أثبته الشرع، فتأولوه.

والحق: الإمساك عن تلك اللوازم؛ فكونها لازمة للمخلوق، لا يجوز الخوض فيها في حق الخالق؛ فمن لا يُشِّهِهُ شيءٌ في صفاتيه لا يُشِّهِهُ شيءٌ في لوازمه.

واستنكار ابن عبد البر للفظة: «إنه ينزل بذاته» في «الاستذكار»، من هذا الباب؛ قال: «وقد قالت فرقةٌ متنسبةٌ إلى السنة: إنه ينزل بذاته؛ وهذا قولٌ مهجورٌ؛ لأنَّه تعالى ذكره ليس بمحلٍ للحركات، ولا فيه شيءٌ من علامات المخلوقات»^(٢).

ومثله: قوله في «المجيء» في كتابه «التمهيد»: «وليس مجيبة حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً؛ لأنَّ ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا»^(٣)؛ وهذا من ابن عبد البر هو قول أبي الحسن في «الرسالة إلى أهل الغر»^(٤).

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٢) «رسالة إلى أهل الغر» (ص ٢٢٧).

(٣) «التمهيد» (٧/١٣٧).

وقد كان الإمام أحمد ينكر من يورّد هذه اللوازم: «الزوال، والانتقال، وتغيير الحال»؛ بحجّة نفيها عند إثبات النزول، وقد سمعَ أحمد قاصداً يروي حديث النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيير حال، فارتعدَّ أَحْمَدُ، واصفَرَ لونُهُ، وقال لابنه عبد الله: قفْ بنا على هذا المترخصِ، فلما حاذاهُ، قال: يا هذا! رسول الله أَغْيَرَ على ربِّهِ مِنْكَ، قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وانصرفَ^(١).

وابن عبد البر مثبت للاستواء على ظاهره؛ وهو على طريقة السلف في الصفات، وإن جرى في مواضع قليلة من كلامه التقرير على ما يُشَائِهُ في الظاهر طريقة أهل الكلام؛ وهذا لا يخرجُ عن أصله الذي هو عليه؛ في عامة تقريره المجمل والمفصل.

﴿الْمِيزَانُ وَالوَزْنُ﴾:

قال ابن أبي زيد: **﴿لَوْتُوَضَعُ الْمَوَازِينُ لَوَزِنَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ﴾**; **﴿فَنَكَّتْ مَوَازِيْسَهُ، فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف: ٨] فهو الميزان حقّ؛ كما قال مالك بن أنس وغيره^(٢)، وقد عده أَحْمَدُ وأبنِي المدينيِّ مِنْ أصولِ الْسُّنَّة^(٣)، وقد جاء ذلك في الكتاب، وتواتر في الْسُّنَّة، وأجمعَتْ عليه الأُمَّة؛ قال الله تعالى: **﴿وَنَصَّبَ الْمَوَزِنَ الْقَسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلِمُنَّ نَفْسٌ شَيْئًا﴾** [الأنبياء: ٤٧].

ويضع الله الميزان؛ ليُقيِّمَ الْحُجَّةَ على عباده، فيَرَوْا أَعْمَالَهُمْ، ويُقْرَؤُوا صُحْقَهُمْ، ويُبَصِّرُوا مَوَازِينَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ؛ ليَعْرِفُوا مَا يَسْتَحْفُونَ، من

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٢) «أصول الْسُّنَّة» لابن أبي زمین (ص ١٦٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧ و ٣١٨).

النعم والعقاب، ويعرفوا مقدار ذلك، وإذا جاءتهم رحمة من الله، عرفوا قدرها؛ قال تعالى: **﴿فَمَا مَنْ نَقْلَتْ مَوَزِّيَّتُهُ ﴾** فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ **﴿وَمَا مَنْ خَفَّتْ مَوَزِّيَّتُهُ ﴾** فَأَمْمَهُ هَاوِيَّةٌ **﴿وَمَا أَدْرَكَ مَا هِيَةٌ نَارٌ حَامِيَّةٌ﴾** [القارعة: ٦ - ١١].

وَتُوزَّنُ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ؛ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ عَمَلٍ وَزَنًا بِالْعَدْلِ، وَفِي «الصحيح» قال عليه السلام: (الظُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلًا الْمِيزَانِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلًا إِنَّمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(١).

وَتُوزَّنُ كُلُّكُلُّ الْأَبْدَانِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْوضَةٍ)، ثُمَّ قَرَأَ: **﴿فَلَا تُقْسِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزِنَّا﴾** [الكهف: ١٠٥] ^(٢)، وَفِي فَضْلِ ابْنِ مُسْعُودٍ قَالَ عليه السلام: (أَتَعْجَبُونَ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيَّهِ؟ فَوَالَّذِي نَفَسَ بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَخْدِي) ^(٣).

وَكَذَلِكَ تُوزَّنُ الْكُتُبُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ الْبَطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَطَاشَتِ السُّحْلَاتُ، وَنَقْلَتِ الْإِطَافَةُ) ^(٤).

وَلَا يَبْثُثُ فِي حَجْمِ الْمِيزَانِ حَدِيثٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ لَهُ كِفَيْتَينِ؛ لَظَاهِرِ حَدِيثِ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ حَدِيثُ الْبَطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَتُوَضَّعُ السُّحْلَاتُ فِي كِفَيَّةٍ، وَالْإِطَافَةُ فِي كِفَيَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السُّحْلَاتُ) ^(٥)؛ وَبِهَذَا يَقُولُ الْأَكْثَرُ، وَحَكَى أَبُو إِسْحَاقُ الرَّجَاجُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ ^(٦).

(١) مسلم (٢٢٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكِ الْأَشْعَرِ.

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هَرِيرَةَ.

(٣) أحمد (٤٢٠ / ١) رقم (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

(٤) الترمذى (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

(٥) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

(٦) «فتح البارى» (١٣ / ٥٣٨).

ومنهم: من أنكر الكفتين؛ كابن حزم^(١).
وروي عن بعض الصحابة؛ كسلمان، وابن عباس^(٢)، وبعض التابعين؛ كالحسن^(٣): أن له لسانا؛ يعني: ما بين الكفتين مما يبين الرجحان، والله أعلم بصفته.

صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيمة:

قال ابن أبي زيد: **﴿وَيُؤْتَوْنَ صَحَافَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ﴾** فـ **﴿فَإِنَّمَا مَنْ أَوْفَى كِتَبَهُ بِيمِينِهِ﴾** فـ **﴿فَسَوْفَ يُحَاسَّبُ جَسَابًا سَيِّئًا﴾** [الإنشقاق: ٧ - ٨]، ومنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ ظَهِيرَهُ (في «الجامع»: بِشَمَالِهِ) **﴿فَأُولَئِكَ يَضْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**: يكتب الملائكة ما يعمله العباد من حسنات وسيئات، ويحصرون عليهم ذلك في كتاب؛ حتى يرى العبد ما كتب عليه يوم القيمة بعيشه، ويقرأه؛ سواء كان قارئا في الدنيا، أو لم يكن قارئا؛ قال تعالى: **﴿وَكُلُّ إِنْسَنٍ أَرْمَنَهُ طَهِيرٌ فِي عُنُوقِهِ وَنَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَنُهُ مَنْ شُرِّاً﴾** **﴿أَفَرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وطائرة: عمله؛ قاله ابن عباس وغيره^(٥).

والمؤمن يُؤتى كتابه بيمينه إكراما وإشارة له؛ فهذا ظاهر؛ حيث إنَّه يبُشِّرُ بكتابه، ويريدُ أن يقرأ الناس معه؛ لما بُشِّرَ بما فيه من خير؛ كما قال تعالى: **﴿فَإِنَّمَا مَنْ أَوْفَى كِتَبَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَامُوا أَفَرَءُوا كِتَبَهُ﴾** [الحاقة: ١٩].

(١) «الفصل في المل والنحل» (٤/٥٥). (٢) «شعب الإيمان» (٢٧٨).

(٣) «مسائل حرب» (١٧٤٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١٠).

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

(٥) «تفسير عبد الرزاق» (١/٣٧٤)، و«تفسير ابن جرير» (١٤/٥١٩ و٥٢٠ و٥٢٣ و٥٢٤).

وأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُؤْتَى كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهَرِهِ، لَا يُؤْتَى بِهِ مِنْ أَمَامِهِ؛ لِأَنَّ الْأَمَامَ إِكْرَامٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَبَهُ بِشَمَالِهِ فَقُولُ يَلْتَئِنِي لَمْ أُوتِ كِتَبِي﴾ [الحاقة: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَبَهُ وَرَاءَ ظَهَرِهِ﴾ [الإِنْشَاقَ: ١٠].

وَاحْتَلَفَ فِي صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ الَّذِي لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ عَذَابَهُ؛ هُلْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ أَوْ بِشَمَالِهِ، عَلَى قَوْلَيْنِ:

- فَمِنْهُمْ^(١) مَنْ قَالَ: بِشَمَالِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ فِي النَّارِ إِلَى أَمْدِهِ؛ وَهَذَا يَنْفِي اسْتِبْشَارَهُ بِالنَّجَاهَةِ، وَمِثْلُهُ لَا يَقُولُ فِيهِ: إِنَّ حِسَابَهُ يَسِيرُ؛ كَمَا فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَوفَ كِتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْقٌ يَحْسَبُهُ حَسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقُلِبُ إِلَيْهِ أَهْلُهُ مَسْرُورًا﴾ [الإِنْشَاقَ: ٧-٩]؛ فَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ مِنْ عَصَمَةِ الْمُوْحَدِينَ، لَا يَنْقُلِبُ مَسْرُورًا إِلَى أَهْلِهِ.

- وَذَهَبَ آخَرُونَ^(٢): إِلَى أَنَّهُ يَأْخُذُهُ بِيَمِينِهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَبِشُ اسْتِبْشَارَ النَّاجِينَ، وَلَا يُسْرُ كَسْرُوْرِهِمْ؛ فَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبٍ فِي هَذَا.

- وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ ثَالِثٍ: أَنَّ الْعَصَمَةَ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ وَرَاءَ ظَهُورِهِمْ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ: فَيَأْخُذُونَهَا بِيَمِينِهِمْ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فِي شَمَالِهِمْ؛ وَبِهَذَا قَالَ ابْنُ حَزْمَ^(٣)؛ وَفِيهِ نَظَرٌ.

﴿الصِّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ﴾ فِيهِ:

قال ابن زيد: لو أنَّ الصِّرَاطَ حَقًّا، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَتَاجُونَ مُتَفَاقِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاهَةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أُوبَتُهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ^(٤):

(١) «لِوَاعِمُ الْأَنْوَارِ» (١٨٣/٢).

(٢) «لِوَاعِمُ الْأَنْوَارِ» (١٨٣/٢).

(٣) «المحطى» (١٧/١).

والصراطُ حَقٌّ باتفاقِ السلفِ، وهو جَسْرٌ مورودٌ على متنِ جَهَنَّمَ، وهو المرادُ بقولِه تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْكُثُ إِلَّا وَأَرِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؛ يعني: جَهَنَّمَ، والورودُ يكونُ على الصراطِ، لا يَصِلُّ أحدٌ إلى مکانِه من الجَنَّةِ إِلا مِنْ فَوْقِه إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، وإنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، فَيُسْقَطُ وَيَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ، وفي «الصَّحِيفَيْنِ» مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ، فِيهِ: (وَيُضَرِّبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُعِيَّزُ، وَدُعَاءُ الرَّسُولِ يُؤْمَلُ: اللَّهُمَّ، سَلَّمَ سَلَّمَ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ أَمَّا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟！ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرُ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَتَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ الْمُوْبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخْرَدُلُ، ثُمَّ يَنْجُو...)^(١)؛ الحَدِيثُ.

وَيَمْرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِحَسْبِ إِيمَانِهِمْ، وَسُرْعَةُ سُقُوطِهِمْ بِمَقْدَارِ كُفْرِهِمْ وَفِجُورِهِمْ، وَأَتَبَتُ النَّاسُ عَلَى صِرَاطِ الدُّنْيَا أَبْتَهُمْ وَأَسْرَعُهُمْ عَلَى صِرَاطِ الْآخِرَةِ؛ كَمَا في «الصَّحِيفَيْنِ» فِي الْحَدِيثِ؛ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالْطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَاجْأَوِيدِ الْغَبْلِ وَالرَّكَابِ؛ فَنَاجَ مُسْلِمٌ، وَنَاجَ مَخْدُوشٌ، وَمَكْلُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى يَمْرُّ آخِرُهُمْ بِسُحْبَ سَجَّبَهُ^(٢)).

وَهُوَ دَقِيقُ مَرِلَّةٍ قَدَمٌ إِلَّا لَمَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخْضُ مَرِلَّةٍ»^(٣)، وَقَالَ سَلْمَانُ: «إِنَّهُ كَحَدِّ الْمُوسَى»^(٤).

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨). وقد روي عنه مرفوعاً.

(٤) ابن أبي شيبة (٣٥٣٥)، وابن الأعرابي (١٨٢٧). وقد روي عنه مرفوعاً.

وِدَقَّةُ الصِّرَاطِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلْفِ، وَلِيْسَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مَرْفُوعٌ، وَمَا لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ السَّلْفُ، فَالْأَصْلُ: أَنَّ لَهُ أَصْلًا.
وَلَا يَجُوزُ إِنْكَارُ الصِّرَاطِ لِمَجْرِدِ الْإِسْتِنْكَارِ الْعُقْلِيِّ؛ كَمَا يَقْعُلُ ذَلِكَ طَوَافَفُ مِنَ الْمَادِيْنَ وَالْمُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّ الْعُقْلَ لَوْ كَانَ حَكَمًا عَلَى النَّصْ، لَكَانَ إِنْكَارُهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ الْقِيَامَةِ أَوْلَى مِنْ إِنْكَارِ الصِّرَاطِ؛ وَلَكِنْ مَا ثَبَّتَ بِهِ النَّصْ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ إِنْكَارُهُ بِالْعَقْلِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي صَرِيعِ الْعُقْلِ مَا يُجَحِّلُ ذَلِكَ.

الْحَوْضُ الْمُورُودُ:

فَقَالَ أَبْنَى بْنَ زَيْدٍ: لَهُوا إِلِيمَانٌ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُّهُ أَمْتُهُ؛
لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيَذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرَهُ:

حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ حَقٌّ، وَقَدْ اسْتَفَاضَ فِيهِ الْحَدِيثُ وَاشْتَهَرَ، بَلْ تواتَرَ حَتَّى رَوَاهُ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا، بِاسْمِهِ وَمَعْنَاهُ، وَكَانَ يَعْرِفُهُ عِوَامُ أَهْلِ الصَّدِيرِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ رَجَاءُ الْجَمِيعِ وَدُعَاؤُهُمْ؛ قَالَ ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَائَةُ أَبْيَضٍ مِنَ الْلَّبَنِ، وَرِيحَهُ أَطْيَبٌ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَبِيزَاهُ كَنْجُومُ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا) ^(١).

وَلَا يَشَرِبُ مِنَ الْحَوْضِ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا، وَمَنْ كَثَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْمَأُ، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي)، فَأَقُولُ: يَا رَبَّ، مَنْيٌ وَمَنْ أَمْتَنِي؟ فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهُ مَا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ) ^(٢).

(١) البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) عن أسماء بنت أبي بكر.

والحوضُ قبلَ الصراطِ في المَوْقِفِ عند طُولِ المَقَامِ، بعدَ الْبَعْثَةِ وَدُنُونِ الشَّمْسِ وَشَدَّةِ الْعَطْشِ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ فِي الْمُنْتَهَى، وَأَظَاهَرُ فِي النَّعِيمِ.

وَالْأَظَاهَرُ: أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضًا لَهُمْ وَلِأَمْمَهُمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ تَخْصِيصُ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِثْلُهُ، وَالْمَوْقُفُ فِي أَنْبِيَاءِ وَأُولَيَاءِ مِنْ غَيْرِ الْأَمَّةِ، وَحَوْضُ النَّبِيِّ خَاصٌ بِهِ وَبِأَمْمَهُ، وَمَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ: عُمُومُ ذَلِكَ لِأَمْثَالِهِمْ، إِنَّ اخْتِلَافَ النَّوْعِ وَالسَّعَةِ؛ فَالحاجَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ عَامَّةٌ لِهَذِهِ الْأَمَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ أَنْكَرَ الْحَوْضَ بَعْضُ الْمَادِيِّينَ وَالْمُعْتَزِلَةِ^(١)، مَعَ كُثْرَةِ الْأَدَلةِ وَنَوَائِرِهَا؛ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يُرَدَّ الدَّلِيلُ لِلنَّظَرِ.

﴿ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ: ﴾

قالَ أَبْنُ زَيْنِ الدِّينِ: **لَوْأَنَّ الإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللُّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ**:

الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ؛ وَهَذِهِ حَقِيقَتُهُ؛ فَلِلْإِيمَانِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ؛ وَهُما مُتَلَازِمانِ، الْبَاطِنُ: الْاعْتِقادُ، وَالظَّاهِرُ: قَوْلُ اللُّسَانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، إِنَّ اخْتِلَافَ عَبَاراتِ السَّلْفِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَخْتِلِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الإِيمَانِ تِلْكَ، وَقَدْ حَكَى أَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجمَاعَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وَقَدْ كَانَ مَالِكُ يَعْبُرُ عَنْ ذَلِكَ بِعَبَاراتٍ:

فَتَارَةً يَقُولُ: الإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْإِقْرَارُ، وَالْعَمَلُ^(٣).

(١) «التمهيد» لأبي عبد البر (٢٩١/٢)، و«الانتصار» للعمرياني (٣/٧٢٠).

(٢) «التمهيد» (٢/٢٩١ و٩٢٣/٢٣٨).

(٣) «مسائل حرب» (١٦١٠)، و«الستة» لعبد الله (٦١٢).

ونارة يقول: الإيمان: قول وعمل^(١).

وجميع أصحاب مالك على هذا، لا يحفظ عن واحد منهم مخالفته فيه، وكان أبو مصعب أحمد بن أبي بكر - وهو من أصحاب مالك، وفقيه المدينة - يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر»^(٢).

والطائف المخالف في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان:
الطاقة الأولى: المرجنة:

وهم على فرقاً ومذاهب؛ منهم: الغلاة، ومنهم: دون ذلك:
فأقربهم منزلة: من جعل العمل من الإيمان؛ ولكن لم يجعل له أثراً على أصله، وإنما أثره على فرعه؛ أي: أن وجود العمل ونقضه وزواله يزيد الإيمان وينقصه، ولكن فقد العمل لا يزيل الإيمان.

وهذا القول أقرب أقوال طوائف الإرجاء في الإيمان إلى السلف؛ وبهذا القول يقول جماعة من أئمة الحديث وشراحه المتأخرین^(٣)؛ فهم لم يخرجوا العمل من مسمى الإيمان تفريعاً، ولكنهم أخرجواه أصلاً؛ فوافقوا السلف في التعبير، وخالقوهم في الأثر.

ومن المرجنة: من نزل مرتبة عن أولئك^(٤)؛ فأخرج العمل كلّه من مسمى الإيمان؛ فجعل الإيمان قوله واعتقاداً؛ إذ لم يكن للعمل عندهم أثر على زوال الإيمان، فأخرجوا منه بالكلية؛ فوافقت هذه الفرقـة السلفـ

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨ و ١٥٧٠ و ١٥٧٣)، و«الستة» لعبد الله (٢١٣ و ٥٣٢ و ٦٣٦ و ٧٠٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣٤٨/٣).

(٣) «فتح الباري» (٤٦/١).

(٤) «الفقه الأكبر» (ص ٣٠٤).

بأن جعلوا للإيمان ظاهراً وباطناً، ولكنهم قصرُوا الظاهر على القول فقط، ويأتي الكلام على حقيقة الإيمان وحكم المخالفين فيه.

ومن المرجحة: من نزل مرتبة؛ فأخرج القول من الإيمان أيضاً؛ فلم يجعلوا للإيمان ظاهراً بالكلية، وجعلوه في القلب فقط، وللقلب قولٌ وعملٌ؛ وهو لاءٌ على طائفتين:

- طائفة^(١): جعلت الإيمان: قول القلب؛ وهو المعرفة والتصديق؛ وهو لاء غلاة المرجحة؛ وهم الجهمية.

- طائفة^(٢): جعلت قول القلب وعمله كليهما إيماناً؛ فقول القلب: معرفة وتصديقه، وأما عمله: فخوفه ورجاؤه، ومحبته وتوكله وإخلاصه.

وقول هذه الطائفة مع كونه أخفّ ضلالاً من الطائفة الأولى، إلا أنه ينافي نفسه؛ وذلك أنّ عمل القلب محبةً وخوفاً ورجاءً وتوكلًا، لا يمكن وجوده إلا مع قول اللسان وعمل الجوارح.

وكان الأئمة المغاربة ينكرون إخراج العمل من الإيمان، وجعله في منزلة مختلفة عن الاعتقاد والقول^(٣)، ولما نسب هذا القول إلى يحيى بن سلام بلا بينة، أنكر عليه الناس حتى بلغ ذلك ابن وهب في المشرق، ووصفه بالمرجع، ثم زالت التهمة عن يحيى ببيانه، وأنه على ما كان عليه من سلف؛ كمالك، وسفيان، وغيرهما: أنَّ الإيمان قولٌ وعمل^(٤).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨٨/٧).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (١٠١/١).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣٨/٢).

(٤) «طبقات علماء إفريقيا» (ص ٣٧ - ٣٨)، و«رياض النقوس» (١٩١ - ١٩٢).

الطاقة الثانية: الخوارج والمعتزلة؛ وهم الوعبيّة:

ولم يكن مذهب الخوارج له أصولٌ وكتب يدرُسها الناسُ في المغرب، وإنما يكفي في أهله الجهلُ، وأخذُ مطلقاتِ الشريعة وعموماتها ومتناهياتها، وتغييبُ مخصوصاتها ومقيداتها ومحكماتها.

وفتنة الخوارج: في التكفير بغير مكفرٍ من الذنوب وسائر الأعمال، وبهذا عظمت فتنتهم في المسلمين؛ فأضحوه يستطيلون شرًا، ويترصّدون بالمسلمين فسادًا، ولو تمكّنوا من المسلمين، لكان فعلهم فيهم يقربُ من فعل الرافضة، وقد فعلوا في القبروان قربًا مما فعله الرافضة، إلا أنَّهم أوعَلُ في التشتُّر باستعمالِ الشريعة؛ فسفكوا الدماء تكفيًّا، وانتهكوا الأعراض سبيلاً، وسلبوا المال غنيمة.

وقد أراد قبل ذلك علماء المغرب القتال مع أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي ضدّ الراافضة العبيدييْن، وقد أظهر أبو يزيد التنسُك، واستعظام المسلمين ما فعله الرافضة؛ فقاتلوا معه، وكان يرمي بمن تبعه من أهل السنة في وجوه خصومه ليقُنُّوه، فيكون الأمر له؛ فلا يشقى بهم من بعده؛ فكان يقول لأتباعه: «إذا التقىتم مع القوم - يعني: الرافضة - فانكشفوا عن أهل القبروان؛ حتى يتمكّن أعداؤكم من قتلهم؛ فيكونوا هم الذين قتلواهم، لا نحن؛ فنستريح منهم»^(١).

والرافضة والخوارج لا يُؤتمنون في إمرة على المسلمين؛ وخاصة في القتال؛ وكلُّهم يعمد إلى قتل العلماء قبل غيرهم.

وقد اختلف في تكفير الخوارج^(٢).

(١) «البيان المغربي» لابن عذاري المراكشي (٢١٨/١)، و«تاريخ الإسلام» (٦٣٦/٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٢٩٩ - ٣٠١).

وَالْأَكْفَرُ: عَلَى عَدَمِ كُفُّرِهِمْ؛ مَا لَمْ يَقَعُوا فِي إِنْكَارِ مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ؛ فَإِنَّهُمْ طَوَافُونَ مُتَنَوِّعَةً، وَمَشَارِبُ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهُمْ عُلَّاَةٌ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ تَوَقَّفَ مَالِكُ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا فِي تَكْفِيرِهِمْ^(١)، وَقَدْ قِيلَ لِمَالِكَ: «فَالْحَدِيثُ: (مَنْ قَالَ لِأَخْيَهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)»^(٢)؟ قَالَ: أَرَاهُ فِي الْحَرُورِيَّةِ، قِيلَ: فَتَرَاهُمْ بِذَلِكَ كُفَّارًا؟ قَالَ: مَا أَذْرِي يَا هَذَا»^(٣).

أسباب الافتتان برأي الخارج:

وَأَكْثَرُ مَنْ يَقْتَنِي بالخارجِ: فِي سَبَبِ شجاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَقَاوِلُونَ: إِمَّا أَنْ يُفْتَنُوا أَوْ يُفْتَنُوا، وَبِسَبَبِ انتصَارِهِمْ لِكُلِّ مَنْ تَسْلَطَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَلَا يَفْرُّقُونَ بَيْنَ مَظْلُومٍ وَغَيْرِ مَظْلُومٍ، كَمَا فَعَلَ الْأَزَارِقَةُ حِينَما كَسَرُوا سِجْنَ الْبَصْرَةِ، فَلَحِقَ بِهِمْ مَنْ كَانَ فِيهِ وَبِأَعْهُمْ.

وَهُمْ أَشَدُ النَّاسِ تَوْهِيْمًا لِنُصْرَةِ الدِّينِ وَالْمَظْلُومِ، وَلَا يُعْزِزُونَ دِيْنًا، وَلَا يَنْصُرُونَ مَظْلُومًا، وَرَبِّمَا أَصْرَرُوا بِالدِّينِ وَالْمَظْلُومِ؛ قَالَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي التَّجُودِ فِي خَارِجِي: «وَاللَّهُ أَعْرَى هَذَا مِنْ دِيْنِ، وَلَا دَفَعَ عَنْ مَظْلُومٍ!»^(٤).

وَكَذَلِكَ: يُفْتَنُ النَّاسُ بِشَبَابِهِمْ وَتَمْسِكِهِمْ بِرَأْيِهِمْ كَمَا لَوْ كَانَ وَحْيًا؛ فَلَمْ يَتَزَحَّزُوا وَهُمْ يَقَاوِلُونَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَلَيْسَ فِي صَفْهِهِمْ صَحَابِيٌّ وَاحِدٌ^(٥)، وَحِينَما تَوَعَّدَ أَبُو أَيُوبَ الْأَنْصَارِيَّ ظَلَّهُمْ أَحَدُهُمْ بِالنَّارِ،

(١) «السُّنْنَةُ لِلْخَالِلِ (١٤٥ - ١٤٦)، وَ«مَجْمُوعُ الْفَتاوِيَّ» (١٢/٤٨٦)، وَ«شَرْحُ الْمَوْطَأِ» لِلْزَرْقَانِيِّ (٣٧٠/١).

(٢) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر.

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥). (٤) «السُّنْنَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ (١٥٣١).

(٥) النسائي في «الكتابي» (٤٨٠/٧).

رَدَّ عَلَيْهِ: «سَتَعْلَمُ أَيْنَا أَوْلَى بِهَا»^(١)، وَكَمَا قَالَ شَيْبُ الدَّارِجِيُّ: «مِنْ دِينِنَا: قُتِلَ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا؛ مِنْ كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا»^(٢) حتَّى إِنَّهُمْ لَا يُحَابِّونَ قَرِيبًا وَلَا بُعِيدًا بِفَهْمِهِمْ؛ حَتَّى إِنَّ الْأَزْرَقَ وَالْأَذْنَافَ - وَكَانَ رَجُلًا سُنِّيًّا - لَمَا مَاتَ، لَمْ يَصُلْ عَلَيْهِ نَافِعٌ^(٣).

وَثَبَّاتُهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ بِسَبِّبِ شَدَّةِ ثَقْتِهِمْ فِي فَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنفَسَهُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ! وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا مَعَارَضَةَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُمْ فَهَمُوا بِالْخَطَأِ، فَتَعَصَّبُوا لِفَهْمِهِمْ، وَفِي الْخَوَارِجِ مِنْ صَلَابَةِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ السِّيَاسَةِ مَا يَسْتَخْلِدُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالرَّافِضَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمِنْ الصَّاحِبَةِ: مَنْ يُشْفِقُ عَلَى حَالِهِمْ؛ لِشَدَّةِ تَمْسِكِهِمْ بِبَاطِلٍ يَتَوَهَّمُونَهُ حَقًّا؛ فَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَا أَبِي أُمَّامَةَ لِمَا رَأَهُمْ قُتِلُوا؛ فَسُئِلَّ عَنِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «رَحْمَةً لَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٤).

الصَّفَةُ الْجَامِعَةُ لِلْخَوَارِجِ:

وَلَا يَجْمِعُ الْخَوَارِجُ مِنَ الصَّفَاتِ إِلَّا صِفَتَانِ:

- التَّكْفِيرُ بِغَيْرِ مُكْفِرٍ.

- وَاسْتِبَاحَةُ الدَّمِ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا يَذَكُرُهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ عَقَائِدِ الْخَوَارِجِ وَضَلَالِهِمْ، وَلَا يَذَكُرُهُ الْآخَرُ، فَلِأَنَّ كُلَّ فَقِيهٍ أَضَافَ وَصَفَّا رَأَهُ فِيهِمْ أَوْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ؛

(١) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٥/٨٧)، و«الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ» (١٠/٥٨٨).

(٢) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٦/٢٨١).

(٣) «أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ» (٧/١٥٤).

(٤) عَبْدُ الرَّزَاقَ (١٨٦٦٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٩٠٤٧).

لأنَّهم يتجلَّدونَ في الفَهْمِ، ويتنوَّعونَ في الاراءِ؛ لأنَّ إمامَهم: فَهُمُهمُمْ! ولَكِنَّهم يَتَفَقَّونَ في هذينِ الأصلَيْنِ في كُلِّ العصُورِ؛ وبِهذا استدَلَّ عليهم عَلَيْيَ بنُ أَبِي طَالِبٍ؛ إذْ لَمَّا حَدَّثَ بِحَدِيثِ الْخَوَارِجِ، قَالَ عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ: «أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَقَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ»؛ رواه مسلم^(١)؛ فَعَضَدَ رأيهُم بِكُفُرِ الْمُسْلِمِينَ بِفَعْلِهِمْ باسْتِحْلَالِ دَمِهِمْ، وَلَمْ يَحْثُ صَفَةً أُخْرَى غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَدْ يُطْلُقُ الْخَوَارِجُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُجَمَّلِ مَا يَوَافِقُ الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُم يَضْلُّونَ فِي تَفْسِيرِهِ وَتَطْبِيقِهِ، وَيَغْتَرُّ بِهِمُ الْعَامَّةُ نَظَرًا لِأَقْوَالِهِمْ، وَإِهْمَالًا لِتَفْسِيرِهِمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُو حَمْزَةَ الْمُخْتَارُ بْنُ عَوْفِ الْأَزْدِيُّ - أَحَدُ أَئِمَّةِ الْخَوَارِجِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي - يَقُولُ: «النَّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدُ وَئِنْ، أَوْ كَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ سُلْطَانًا جَائِرًا، أَوْ شَادًا عَلَى عَصْدِهِ»^(٢)؛ يَنَاؤُونَ بِذَلِكَ حَدِيثَ: (أَمْرَاءُ بَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَلُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُتْنِي؛ فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعْانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ...)^(٣).

وَمَنْ نَظَرَ لِشَيْءٍ عِبَادَةُ الْخَوَارِجِ، وَحُسْنِ كَلَامِهِمْ، تَحِيرَ فِي أَمْرِهِمْ؛ كَمَا تَحِيرَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ السَّلْفِ فَسَأَلَ أَبْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقَالَ: «لَيْسُوا بِأَشَدَّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يَضْلُّونَ»^(٤)، وَلَمَّا قُتِلَ عَلَيْيَ أَهْلَ النَّهْرَوَانَ، انْفَضَّ عَنْهُ بَعْضُ أَنْصَارِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ^(٥).

(١) مسلم (١٠٦٦).

(٢) «تَارِيخُ خَلِيفَةِ بْنِ خَيَاطٍ» (ص ٣٨٦)، و«تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٣٩٦/٧).

(٣) «جَامِعُ مَعْرِمٍ» (٢٠٧١٩).

(٤) «الْمُصَفَّفُ» لِابْنِ أَبِي شِبَّةِ (٧٣٤/٨).

(٥) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٥/٨٩ - ٩٠).

﴿ وَيُشَرِّعُ نُصُحُّهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ : ﴾

وكان بعض السلف يرى عدم قتالهم حتى يبدوا المسلمين بالقتال كما فعل علي بن أبي طالب، وبه قال الشافعي^(١)؛ فتعليمهم يرفع الجهل عن كثير منهم ويعودون، وقد بعث علي بن عباس^(٢)، وبعث عمر بن عبد العزيز عون بن عبد الله^(٣)؛ لمناظرتهم ونصحهم، وقد سئل أحمد عن إسماعيل الخارجي الحديث؟ فقال: «نعم؛ أعطوه لعل الله يفعله به!»^(٤).

وروى عن بعض السلف التفريق بين قتال الخوارج الإمام جعفر وبين قتالهم الإمام عذر؛ فرأوا اعزازه عند قتالهم الإمام جعفر على الولاية، وروى هذا عن علي بن أبي طالب أنه قال: «وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوكم» كما رواه الطبرى^(٥)، وفيه رجل لا يعرف^(٦)، وبهذا قال مالك وأحمد - في رواية - وابن القاسم^(٧).

﴿ الموقف عند اجتماع الضلالات : ﴾

وإذا اجتمع الضلالات في زمان من الأزمنة وتقابل أهلها، فلا ينتصر المسلم لطائفه دون أخرى، وإنما ينظر ما كان لصالح المسلمين،

(١) «البداية والنهاية» (١٠/٥٧٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٥٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٧/٣٥٠)، و«الستة» لعبد الله (١٥٠٢ و١٥٤٠).

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٣٠).

(٥) عزاه له الحافظ في «فتح الباري» (١٢/٣٠١). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٩٠٧١)، وأبو يعلى في «حديث بدار» (٣٥).

(٦) قال الحافظ في الموضع السابق: وقد أخرج الطبرى بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث، عن رجل من بني نضر، عن علي... فذكره. وعند ابن أبي شيبة: رجل من بني نصر بن معاوية وعند أبي يعلى: رجل من بني نصرة.

(٧) «الستة» للخلال (ص١١٣)، و«المدونة» (١/٥٣٠)، و«البيان والتحصيل» (٢/٦٠٢)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/٥٣).

وإنْ تقارَبْتَ أو شَكَّ، توَقَّفْتَ واعْتَرَلَّ؛ فهو أسلُمُ لِدِينِهِ وَنَفْسِهِ.

والخوارجُ يَجْعَلُونَ رأِيهِمْ دِيَنًا، والزنادقةُ يَجْعَلُونَ الدِّينَ رَأِيًّا، وأهلُ السُّنْنَةَ يَفْرُغُونَ بَيْنَ الدِّينِ وَالرَّأْيِ، ومواضِعُ القطْعِ ومواضِعُ الاجْتِهَادِ، وأئمَّةُ الْجَوْرِ وَالْمُرْجِحَةِ يُحْبِّونَ الإِكْثَارَ مِنْ ذَمِّ الْخَوَارِجِ، والخوارجُ يُحْبِّونَ الإِكْثَارَ مِنْ ذَمِّ أئمَّةِ الْجَوْرِ وَالْمُرْجِحَةِ.

وَكُلُّ فِتْنَةٍ تَسْحَبُ ذَمَّ الْأُخْرَى عَلَى كُلِّ مُخَالِفِهَا وَلَوْ كَانَ وَسَطًا بَيْنَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْاعْدَالِ.

وَالْعَالَمُ الْمُنْصِفُ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَا تُحْبِّبُهُ كُلُّ فِتْنَةٍ فِي خَصْمَهَا، بَلْ بِمَا يُحْبِّبُهُ اللَّهُ فِيهِمْ؛ فَكُمْ تَأْذَى الْحَقُّ، بِمُحَابَاةِ الْحَلْقِ!

﴿الْمُوازِنَةُ بَيْنَ الْمُرْجِحَةِ وَالْخَوَارِجِ﴾

وَالْمُرْجِحَةُ أَشَدُّ خَطَرًا وَأَثَرًا عَلَى الإِسْلَامِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْبَلَادِ، وَالخوارجُ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرْجِحَةِ فِي مواضِعِ الْجَهَادِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْدِمُونَ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمِنٍ شِدَّةُ الْحَاجَةِ بِصَدِّ عَادِيَّةِ الْكَافِرِينَ، وَيُعِينُونَ - إِنْ لَمْ يَشْعُرُوا - الْكُفَّارَ عَلَى الإِسْلَامِ مِنْ خَارِجِهِ، وَالْمُرْجِحَةُ عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلِهِ، وَيَفْعُلُ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ بِتَخْلُلِ الْكُفُرِ وَالْبِدُعَةِ مِنْ خَلَالِ ثُغُورِ شَغَلُوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ حِمَائِتِهَا، وَرَبِّمَا أَعْنَاهُمُ الْكُفَّارُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خَدِيعَةً بِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ غَنِيمَةً وَنَصْرًا.

﴿زِيادةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانُهُ﴾

قال ابن أبي زيد: **﴿لَا يَزِيدُ بِزِيادةِ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَنْقُصُ بِنَقْصِهَا؛ فَيَكُونُ فِيهَا التَّقْصُنُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ﴾**

وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ عَبَرَ

ابن أبي زيد بن حوي هذا في كتابه «الجامع»^(١)، ولكنَّه هنا جعلَ الزيادةَ والنقصانَ بزيادةِ الأفعالِ ونفسيها؛ ليكونَ أشملَ في المعنى؛ فإنَّ الإيمانَ ينفعُ إِنْ نَفَصَ الطاعاتُ ولو لم يرتكبِ المؤمنُ معصيةً؛ فَمَنْ كانَ يَقُولُ الليلَ وُحْشِيَّهُ، يزيدُ إيمانُهُ، فإنَّ تَرَكَ قيامَ الليلِ، لم يكنْ إيمانُهُ بدونِ القيامِ مِثْلُهُ مع القيامِ.

وقد تواترتِ الأدلةُ في زيادةِ الإيمانِ ونفسياته من الكتابِ والسنةِ؛ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ فُلُوْمُهُمْ وَلَاذَا تُلَمَّسَ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقالَ: ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ جَاهَدُوكُمْ لِكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَاتَلُوكُمْ حَسْبَنَا اللَّهُ وَرَبُّكُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقالَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزدادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي «الصحيح» من حديثِ أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ هَلَكُمْ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ قَاتِلٍ حَيَّةٍ مِنْ خَرَدٍ مِنْ إِيمَانٍ...)^(٢).

ومن ذلك: قوله صلوات الله عليه: (الْإِيمَانُ بِضُعْفٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) - وفي رواية: (بِضُعْفٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) - (أَفْضَلُهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدَنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذْى مِنَ الْطَّرِيقِ، وَالْحَيَاةُ: شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٣).

وليس في المسألة خلافٌ عند الصحابةِ والتَّابِعينَ وأَتَابِعِهِمْ؛ جاءَ

(١) «الجامع» (ص ١١٠).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

ذلك عن معاذ^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وابن عباس^(٣)، وجذب^(٤)، وعمير بن حبيب^(٥)، وسعيد بن جبير^(٦)؛ قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص»^(٧).

وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد؛ كعبد الرزاق^(٨)، وأحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، وأبي حاتم^(١١)، وأبي زععة^(١٢)، وأبي عبيد^(١٣)، وابن عبد البر^(١٤)، وغيرهم^(١٥)، ولصراحة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة جزم بعض أصحاب مالك بكفر منكر زيادة الإيمان ونقصانه؛ كأبي مصعب أحمد بن أبي بكر فقيه المدينة^(١٦).

والإيمان كما يزيد بالطاعة، فإنه ينقص بتركها، ولو لم يكن الترك حراماً؛ كما في الخبر في الحائض: «مَا نَفَّصَانِي دِينِهَا؟ قَالَ: تَمْكُثُ كَذَا

(١) علقة البخاري (١١/١) عن معاذ قال: «اجلس بنا نؤمِن ساعتها».

(٢) «الستة» للخلال (١١١٨)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١١).

(٣) ابن ماجه (٧٤)، واللالكاني (١٧١٢) عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) «الإبانة» لابن بطة (١١٣٦/كتاب الإيمان)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١٥).

(٥) ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله في «الستة» (٦٢٤ و٦٢٥ و٦٨٠).

(٦) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(٧) «مسائل أحمد؛ رواية ابن هانى» (١٨٩٨).

(٨) «شرح أصول الاعتقاد» (١٧٣٧)، و«الاستذكار» (١٣٤/٢٦).

(٩) «طبقات الحنابلة» (٣٤٩/١ - ٣٥٠)، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص ١٧٢).

(١٠) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٠)، وليس فيه لفظة: يزيد وينقص. وانظر: «فتح الباري» (٤٧/١).

(١١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢١). (١٢) الموضع السابق.

(١٣) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان). (١٤) «التمهيد» (٩/٢٣٨).

(١٥) كالفسوي، والطبرى، وأبي الحسن الأشعري. انظر: «صریح الستة» (٢٧)، ورسالة إلى أهل الشفرة (ص ٢٧٢)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٣). (١٧٥٣).

(١٦) «ترتيب المدارك» (١٨٨/١).

وَكَذَا يَوْمًا لَا تُصْلِي لِلَّهِ سَجْدَةً^(١) فصار ترك الطاعة - ولو كان بأمر خارج عن الإرادة - مؤثراً على الإيمان، فكيف بترك النوافل التي يُسْئِنُ فعلها، وقد قال أَحْمَدُ: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقْصَنَ»^(٢)، ونقل صالح عن أبيه أَحْمَدَ: «نَقْصَانُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ»^(٣).

﴿زوال الإيمان وكماله﴾

وَالإِيمَانُ يَنْقُصُ حَتَّى يَرْوَلَ كُلُّهُ، وَيَزِيدُ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ أَحَدَ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ النَّامِ، وَالْكَمَالُ مُمْكِنٌ لَكُلِّهِ لَا يَحْصُلُ فِي النَّاسِ؛ فَإِمْكَانُ الشَّيْءِ شَيْءٌ، وَحَصْولُهُ شَيْءٌ آخَرُ، وَاسْتَشْنَى إِسْحَاقُ الْأَنْبِيَاءُ؛ فَرَأَى أَنَّهُ يُشَهِّدُ لَهُمْ بِاسْتِكْمَالِ الإِيمَانِ، وَلَوْلَغَ غَايَتِهِ، وَلَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الإِيمَانِ الْمُسْتَحْبُ؛ وَلَهَذَا قَالَ مَالِكُ: «لِيَسْ لِلإِيمَانِ مُتَنَاهِيٌّ؛ هُوَ فِي زِيَادَةِ أَبْدًا»^(٤).

وقال سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: «لَوْ تَقْطَعْتَ أَعْضَاءَ، مَا بَلَغْتَ إِيمَانًا!»^(٥).

﴿نَقْصَانُ الإِيمَانِ عِنْدَ مَالِكٍ﴾

وَلَا يَخْتِلُفُ الْقَوْلُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ، وَلَهُ فِي نَقْصَانِهِ رَوَايَتَانِ:

الأولى: الْقَوْلُ بِنَقْصَانِهِ؛ وَقَدْ حَكَاهَا عَنْهُ ابْنُ نَافِعٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر، و(٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) «الستة» للخلال (١٠١٣).

(٣) «مسائل أَحْمَدَ» (٦٨١ و١٥١٩).

(٤) «الستة» لعبد الله (٦٨٧ و٧٣٧).

(٥) «تعظيم قدر الصلاة» (٨٠١)، و«الستة» للخلال (١٥٤٧).

يحيى، وغيرهما^(١).

والثانية: يُمسك فيها عن الكلام في نقصانه^(٢)؛ لا لعدم تحققه، وإنما لأن النصوص لم تُنصَّ عليه بلفظه، فأراد الامتنال.

ومَنْ نَقَلَ عَنْهُ أَنَّهُ يَقُولُ بَعْدِ نَفْسَانِ الإِيمَانِ وَالْجَزْمِ بِذَلِكَ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِي النَّقْلِ أَوْ فِي فَهْمِ قَوْلِهِ.

وكان ابن أبي زيد - كما في «الجامع»^(٣) - يَجْعَلُ تَوْقِفَ مَالِكٍ عَنِ النَّفْسَانِ خَوْفًا مِنِ الدَّرِيعَةِ أَنْ تُتَأْوِلَ أَنَّهُ يَنْفَصُّ حَتَّى يَذَهَّبَ كُلُّهُ؛ فَيَؤُولُ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْخَارِجِ الَّذِينَ يُحِيطُونَ بِالإِيمَانِ بِالذُّنُوبِ، وَيَجْعَلُ قَوْلَ مَالِكٍ فِي النَّفْسِ فِيمَا وَقَعَتْ فِيهِ الزِّيَادَةُ؛ وَهُوَ الْعَمَلُ؛ وَلِهَذَا نَقَلَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي زِيدٍ أَنَّهُ قِيلَ لِمَالِكٍ: «فِيْعُضُّهُ - يَعْنِي: الإِيمَانَ - أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِهِ». قال: نَعَمْ^(٤).

﴿الاستثناء في الإيمان﴾

ولَمَّا كَانَ الإِيمَانُ شَيْئًا وَاحِدًا عَنْدَ طَوَافَتْ مِنِ الْمَرْجِحةَ، فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْفَصُّ - تَبَعَ ذَلِكَ عِنْهُمُ الْقَوْلُ بَعْدِ الْاسْتِثنَاءِ فِي الإِيمَانِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: «أَنَا مُؤْمِنٌ»، وَلَا يَسْتَشِنِي، فَيَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَمْنَعُ مِنِ الْاسْتِثنَاءِ وَيَحْرُمُهُ.

والذي عليه عامة السلف: الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨)، و«السنة» لعبد الله (٢١٣ و٦٣٦)، و«السنة» للخلال (١٠١٤ و١٠٨٢)، و«القضاء والقدر» (٥٧٢).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١)، و«الانتقاء» (ص ٣٣)، و«التمهيد» (٢٥٢/٩)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/٢)، و«المقدمات الممهدات» (٥٧/١).

(٣) «الجامع» (ص ١٢٢). (٤) الموضع السابق.

وينقصُ، والاستثناء يقع على مقداره، لا على أصل ثبوته، وفيه دفع لزكية النفس^(١).

وأما الاستثناء شائعاً في الإيمان، فلا يجوز؛ وعلى هذا: يحمل ما جاء عن مالك، لما قيل له: «أقول: مؤمن، والله محمود، أو: إن شاء الله؟ فقال: قل: مؤمن، ولا تخلط معها غيرها»^(٢).
وينحو هذا قال سخنون^(٣).

فالاستثناء في الإيمان الذي عليه السلف، هو أن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله».

ومن أدلة ذلك: ظاهر الكتاب والسنة والأثر؛ فالله تعالى يقول لنبيه ﷺ وأصحابه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا شِئْتَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ويقول النبي ﷺ للمؤمن: (إِنَّمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حَقُولَنَّ)^(٤)، ولا بد أنهم داخلون مكة، ولا بد أنهم ميتون؛ فالاستثناء وقع على أشياء منها: الإيمان، وأنهم داخلون مكة، وأنهم لا حقول بهم على الإيمان.
وأما في الإسلام، فيقول: «أنا مسلم»، ولا يستثنى؛ كما نص عليه أحمد وغيره^(٥)؛ لأنَّ الإسلام أوسع دائرة من الإيمان.

الإيمان قول وعمل:

قال ابن أبي زيد: **لَوْلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنَيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَيَّةٌ إِلَّا بِمُوافَقَةِ السُّنَّةِ**:

(١) «الإيمان» لأبي عبيد (ص ٣٤ - ٣٨). (٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٣) الموضع السابق.

(٤) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، و(٩٧٤) من حديث عائشة، و(٩٧٥) من حديث بريدة.

(٥) «السنّة» للخلال (١٠٨٧ و١٠٨٨)، «الإبابة» لابن بطة (١٢٠١/الإيمان).

الإيمان: قولٌ وعملٌ واعتقاد؛ وبهذا يقولُ السلفُ بإجماعهم^(١)، ولا يصحُّ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر:

فمن انتهى منه العملُ كله؛ كمن انتهى منه القولُ كله، أو الاعتقادُ كله، ومن انتهى منه القولُ كله؛ كمن انتهى منه الاعتقادُ كله، أو العملُ كله، ومن انتهى منه الاعتقادُ كله؛ كمن انتهى منه القولُ كله، أو العملُ كله؛ وانتفاءُ واحدٍ من الثلاثة بجميعه كانتفاءِ الثلاثة.

ولكن ليس المرادُ من ذلك انتفاءُ أيٍّ جزءٌ من الثلاثة؛ فهذا قولٌ يواافقُ أصولَ الخوارج؛ فإنَّ السلفَ وأهلَ السنة لا يكفرونَ أحداً بتراكِ شيءٍ معينٍ من الباطنِ أو الظاهرِ، إلا بدليلٍ خاصٍ، ويفرقونَ بين التركِ الكليِّ وبين التركِ الجزئيِّ؛ كما كان يقوله أئمَّةُ السلف؛ كسعيد بن جبيرٍ، وابن عبيدة، ومالكٍ، والشافعيٍ، وأحمدَ، وإسحاقَ، والحميدِيَّ، وأبي ثور^(٢).

وقال الوليدُ بن مسلم: «سمعت الأوزاعيَّ، ومالكَ بنَ أنسٍ، وسعيدَ بنَ عبد العزيزَ، يذكرُونَ قولَ مَنْ يقولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عملٍ، ويقولُونَ: لا إيمانَ إلا بعملٍ، ولا عملَ إلا بإيمان»^(٣).

حكمُ تارِكِ العملِ كُلُّهُ:

ومَنْ آمنَ بقلِّيهِ، وأقرَّ بلسانِهِ، ولمْ يَعْمَلْ بأركانِهِ شيئاً من العملِ -: لم يَصِحْ إيمانُهُ عند السلفِ، وكانَ الأئمَّةُ يعنِّفُونَ على مَنْ يقولُ بخلافِ ذلك.

(١) سبقَ عندَ الكلامِ على مسألةِ زيادةِ الإيمانِ ونقصانِهِ.

(٢) «أصولُ الاعتقاد» (١/٥٧، ٣٤٨، ٤/٨٤٨، ٨٤٩، ٥/٨٨٦)، و«السنة» للخلال (٣/٥٧٠)، و«أصولُ السنة» للحميدي (ص٣٨)، و«السنة» لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٨)، و«فتحُ الباري» لابن رجب (١/٢١).

(٣) «شرحُ أصولِ الاعتقاد» (١٥٨٦).

وكان أَحْمَدُ لَا يَكْفُرُ مَنْ يَجْعَلُ الإِيمَانَ قَوْلًا واعتقادًا بلا عَمَلٍ،
ويَصِفُهُ بِالْبِدْعَةِ وَالْإِرْجَاءِ، ويَقُولُ: «أَدْعُوكُمْ لِهِمْ بِالصَّالِحِ»^(١).

وَعَنْ أَحْمَدَ رَوَايَةً أُخْرَى رَوَاهَا حَنْبَلٌ: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى
يَمُوتَ، وَلَا يَرَى الْعَمَلَ كُلَّهُ لَهُ أَكْثَرُ فِي ثَبَوتِ الإِيمَانِ وَلَا نَفِيَهُ: «أَنَّهُ كَافِرٌ
بِاللَّهِ»^(٢)؛ وَهُوَ قَوْلُ الْحُمَيْدِيِّ^(٣).

وَالْأَحَادِيثُ التِّي فِيهَا: أَنَّ مَنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ،
حَمَلَهَا السَّلْفُ عَلَى أَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تُحَدَّدَ الْحَدُودُ، وَتَنْزَلَ الْفَرَائِضُ؛ قَالَ ذَلِكَ
الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاجِمٍ^(٤)، وَالْزَهْرِيُّ^(٥)، وَأَحْمَدُ^(٦)، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو ثَؤْرٍ: «فَأَمَّا الطَّاغِفَةُ التِّي ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ مِنْ
الْإِيمَانِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ؛ إِذْ قَالُ لَهُمْ: «وَاقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَوَةَ» [البقرة: ٤٣]؛ الإِقْرَارُ بِذَلِكَ، أَوِ الإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ؟

فَإِنْ قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ الإِقْرَارَ، وَلَمْ يُرِدِ الْعَمَلَ، فَقَدْ كَفَرَتْ عَنِ الْأَهْلِ
الْعِلْمِ؛ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ مِنَ الْعِبَادِ أَنْ يُصْلِوَا، وَلَا يُؤْتُوا الزَّكَاةَ!

وَإِنْ قَالَتْ: أَرَادَ مِنْهُمْ الإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ، فَيَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ أَرَادَ مِنْهُمْ
الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، لَمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، وَقَدْ
أَرَادَهُمَا جَمِيعًا؟!

أَرَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: أَعْمَلُ جَمِيعَ مَا أَمْرَ بِهِ اللَّهُ، وَلَا أُفْرُ بِهِ؛
أَيْكُونُ مُؤْمِنًا؟

(١) «الْسُّنْنَةُ» لِلْخَلَالِ (٩٨٩).

(٢) «الْسُّنْنَةُ» لِلْخَلَالِ (١٠٢٧)، وَ«شَرْحُ أَصْوَلِ الْاعْتِقَادِ» (١٥٩٥).

(٣) «الْسُّنْنَةُ» لِلْخَلَالِ (١٠٢٧)، وَ«شَرْحُ أَصْوَلِ الْاعْتِقَادِ» (١٥٩٤).

(٤) «الْسُّنْنَةُ» لِلْخَلَالِ (١٢٤١)، وَ«الشَّرِيعَةُ» (٣٠٣).

(٥) «صَحِيفَ مُسْلِمٍ» (٢٦٤). (٦) «الْسُّنْنَةُ» لِلْخَلَالِ (٥٦٤/٣).

فَإِنْ قَالُوا: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِنْ قَالَ: أَقْرُ بِجُمِيعِ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ، وَلَا أَعْمَلُ بِهِ؛
أَيْكُونُ مُؤْمِنًا؟!

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: مَا الْفَرْقُ؟ فَقَدْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، فَإِنْ
جَازَ أَنْ يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا مُؤْمِنًا إِذَا تَرَكَ الْآخَرَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ بِالْآخَرِ إِذَا
عَمِلَ بِهِ وَلَمْ يُفْرِ مُؤْمِنًا، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ.

فَإِنْ احْتَاجَ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ، فَأَقْرَ بِجُمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ
النَّبِيُّ ﷺ: أَيْكُونُ مُؤْمِنًا بِهَذَا الإِقْرَارِ قَبْلَ أَنْ يَجْعِيَهُ وَقَتْ عَمَلِ؟ قِيلَ لَهُ:
إِنَّمَا يُطَلَّقُ لَهُ الْاسْمُ بِتَصْدِيقِهِ أَنَّ الْعَمَلَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَنَّ يَعْمَلَهُ فِي وَقْتِهِ إِذَا
جَاءَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الإِقْرَارُ بِجُمِيعِ مَا يَكُونُ بِهِ مُؤْمِنًا، وَلَوْ
قَالَ: أَقْرَ لَا أَعْمَلُ، لَمْ يُطَلَّقْ عَلَيْهِ اسْمُ الإِيمَانِ^(١).

﴿أَثْرُ إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنِ الإِيمَانِ﴾

وَالْأَصْلُ: أَنَّ مَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا مِنِ الإِيمَانِ؛ سُوَاءَ الْقَلْبِيُّ أَوِ الْقَوْلِيُّ
أَوِ الْعَمَلِيُّ، فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُ لِلذُّنُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَثْرًا
عَلَى الإِيمَانِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهُ أَصْلًا؛ فَمَنْ أَخْرَجَ قَوْلَ الْلِّسَانِ مِنِ
الإِيمَانِ، فَلَا يَرَى ذُنُوبَ الْلِّسَانِ وَكُفُرَةَ مُؤْثِرًا عَلَى الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ القَوْلَ
عَنْهُ لَيْسَ مِنِ الإِيمَانِ؛ فَتَبَعًا لِذَلِكَ لَا يَأْتِي مِنْهُ كُفُرٌ أَوْ ذُنُوبٌ مُؤْثِرٌ عَلَيْهِ.

وَكُلُّ طَوَافِ الإِرْجَاءِ الَّتِي تُخْرِجُ الْعَمَلَ مِنِ الإِيمَانِ بِالْكَلْبَيَّةِ،
لَا تَجْعَلُ لِأَفْعَالِ الذُّنُوبِ أَثْرًا عَلَيْهِ؛ فَتَقُولُ: «لَا تَضُرُّ الذُّنُوبُ مَعَ

(١) «شِرْحُ أَصْوَلِ الْاعْقَادِ» (١٥٩٠)، وَ«مُجْمُوعُ الْفَتاوِيَّ» (٧/ ٣٨٨ - ٣٨٩).

التوحيد»، وقد كان أئمّة المغرب يُتذكّرونَه؛ كما كان محمّد بن سحنون يقول: «لا أقول ما قالَت المُرِجِّحةُ: لا تَضُرُّ الذُّنُوبُ مَعَ التَّوْحِيدِ»^(١).

وأما تعبيّر ابن أبي زيد بالكمال في قوله: «وَلَا يَكُمِلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوافَقَةِ السُّنَّةِ»، فلا يعني من ذلك: أنَّ من ترك العمل بالكلية: أنه مؤمن، ولكنَّه عَبَرَ بالكمال، يُرِيدُ: كمال الإيمان في واحد، لا يتحقّق إلا بكمال البقيّة، لا أصل وجود الإيمان؛ فلا يمكن أن يكون الرجل كامل الإيمان بالأقوال، وهو غير كامل في العمل، ولا يمكن قوله وعمله ظاهراً، وهو بلا نية؛ فلا بدَّ أن ينقص من الثلاثة مقدار متقارب أو متطابق، وكما أنَّ واحد منها يعني كمال الاثنين.

ويُدْلُلُ على ذلك أنه قال: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ»؛ فيستحيلُ أنه يصحّح القول والعمل الصالح بلا وجود شيءٍ من النية؛ فيكون قوله أنَّ المُرَائِي مقبول العمل، ولكنَّ عمله ناقص؛ وهذا غلطٌ.

وكذلك قوله: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوافَقَةِ السُّنَّةِ»؛ فيستحيلُ أيضًا: أنه يصحّح العمل بالبدعة، وأنَّ من جاء بِدُعْيَةٍ أنَّ عمله صحيحٌ، لكنَّه ناقصٌ.

فسيّاق قوله يقتضي أنَّه أراد كمال الثلاثة جميًعاً، ونقصانها جميًعاً؛ وهذا يوافق ما سبق من قول الأئمّة: أنَّ لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

والباطنُ والظاهرُ كُلُّه مؤثّرٌ في إيمان الإنسان ولو كان دقيقاً،

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٢١٤ - ٢١٥).

وأعمال القلوب - كالخوف والرجاء والمحبة، والتوكّل والاستعانة والاستغاثة - يؤاخذ العبد عليها إذا وضعها في غير موضعها، فللمخلوق قدر يناسب ما أطاه الله، والزيادة على ذلك أخذ من حق الله، وجعله في المخلوق؛ كالخوف؛ بينما يوضع في الوهم، خطأ، وقد يائمه صاحبه؛ يقول النبي ﷺ في الحيات: (مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ شَيْئًا خِيفَتْهُنَّ، فَلَبِسَ مِنْهَا) ^(١).

﴿التکفیر بالذنوب، وأحوال الطوائف﴾

قال ابن أبي زيد: «وأنه لا يکفر أحد بذنب من أهل القبلة»:

أهل القبلة: من توجه مع المسلمين إلى قبّتهم وهي الكعبة؛ سموا بذلك للمفارقة بينهم وبين أرباب الملل الأخرى الذين لا يتوجهون إليها؛ لأن كفرهم أصلٌ ثابت؛ فلم يثبت حتى يقال برفعه؛ فإنه لا يرتفع الإيمان من العبد إلا بالکفر والشرك، مهما وقع في الذنوب والمعاصي ولو كانت كبائر أو مويقات.

وقد وقع جماعة من الناس في زمن النبي ﷺ في ذنوب؛ كالقتل والسرقة والرذى، والكذب والغيبة والنميمة، ولم يخرج هو ولا خلفاؤه واحداً منهم عن الإسلام، ولا عاملوه معاملة الكافر؛ بل كان ينهى عن لعن شارب الخمر مرات، ويتعذر له بأنه يحب الله ورسوله ^(٢).

فلا يحيط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك، لا الذنب وإن كان كبيراً؛ فإن الذنب قد تؤثر على بعض حسنات العبد إذا شاء الله ذلك،

(١) أحمد (٢/ ٥٢٠ رقم ١٠٧٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر.

ولكن لا تُحيطُها جميعها؛ قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِي جَهَنَّمَ عَلَيَّكَ﴾ [الزمر: ٦٥].
ولا يختلفُ الصحابةُ والتابعونَ وأئمةُ الإسلام في ذلك:
قال مالك: «أهُلُ الذنوبِ مُؤْمِنُونَ مُذنبُونَ»^(١).

وقال زهيرُ بنُ عبادٍ: «كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايخِ - مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ، وَفُضَيْلُ بْنُ عَيَاضٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارَكَ، وَوَكِيعُ بْنُ الْجَرَاحَ، وَغَيْرُهُمْ - لَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشَهَدُونَ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

وقد خالَفَ في هذا البابِ بعضُ الطوائف:

- كالخوارجِ والمعتزلة: فسلبوا الإيمانَ عن مرتكبِ الكبيرةِ.
- وكالمرجحة: فلم يجعلُوا الذنبَ مؤثراً على الإيمانِ.
وكُلُّ هذه الطوائفِ التزمتُ بالأصلِ الذي اتفقُوا عليه: أنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ لا يتجزأ: إنْ زالَ بعضاً، زالَ كُلُّهُ؛ ففرَطَت طائفة، وأفرَطَت أخرى.

والخوارجُ والمعتزلةُ: محجوجون بما تواترَ في النصوصِ من إيمانِ مرتكبِ الكبيرةِ، ومن هذا البابِ: أنزلَ اللهُ أحكامَ الحدودِ على السارقِ والزانيِ، والقاتلِ وشارِبِ الْحَمْرَ، ولو كانتْ كفراً، لكانَ حُدُوها واحداً؛ وهو الردة؛ لأنَّه لا فرقَ عند الخوارجِ في حقيقةِ سلبِ الإيمانِ بين مرتكبِ الكبيرةِ عندهم، وفاعلِ الكفرِ الذي يُتَّقِّدونَ فيه مع غيرِهم من أهلِ السنَّةِ.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

(٢) «أصول السنَّة» لابن أبي زمین (ص ٢٢٢).

والمرجحة: محجوجون بما تواتر من أدلة زيادة الإيمان بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي، وما يتبع ذلك من لوازم تفاوت مراتب المؤمنين في الجنة، وتعذيب بعض عصاة المؤمنين في النار، ثم إخراجهم منها برحمه الله.

﴿أَرْوَاحُ الْمَوْتَىٰ وَأَحْوَالُهَا﴾

قال ابن زيد: **لَهُوَ أَنَّ الشَّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَّةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** [١].

الأرواح كائنة قائمة بذاتها، تنعم وتُعلّب، وتشقى وتسعد بتفسيها، ولا يلزم أن يكون معها البدن في ذلك؛ لأنها مغايرة له، فليست عضوا منه كاليد والوجه، وهي مخلوقة بلا خلاف؛ فالله خالق كل شيء، وهي من أمر الله يعلم حقيقتها وكُنْهها، كما قال تعالى: **﴿وَنَسْأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِلرُّوحِ مِنْ أَنْتَ رَبِّي وَمَا أُوْتِشَرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [الإسراء: ٨٥].

وللأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها، ويعيدها الله إلى الأبدان في حياة البرزخ عند سؤال الفتان، كما يعيد الله روح النبي ﷺ إليه في قبره؛ قال ﷺ: (ما من رجل يسلّم على إلا رآه الله عليه رحيبي؛ حتى أرد عليه السلام) [١]، وقد كانت قبل ذلك في الرفيق الأعلى؛ كما قال ﷺ لما حضرته الوفاة: (اللهم، الرفيق الأعلى) [٢].

(١) أبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤٤٦٣) و٦٤٨ و٦٥٩، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة.

وقد جاءت الأدلة في مستقر الأرواح، بعد موت الأبدان:

○ أرواح الشهداء: فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحِيَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قوله: (أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافٍ طَيْرٍ خَضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُخُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ) ^(١).

○ وأما أرواح المؤمنين عامةً: فإنها تكون طيوراً تعلق في شجر الجنّة؛ كما قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ^(٢)، وإن كانت أرواح المؤمنين في الجنّة، فإن الله يعيدها إلى أبدانها متى شاء.

وكون أرواح المؤمنين في الجنّة: يشهد به ظاهر الحديث؛ وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما ^(٣).

ومنهم من قال: إن أرواحهم بأفنيّة القبور؛ باعتبار أنه يقال له: «هذا مقعدك»، وأنه يسلّم على أهل القبور؛ وبهذا قال ابن عبد البر ^(٤).

وفيه نظر؛ فالحديث صريح في أنها في الجنّة، والمقدّع إنما هو للبدن، والله يعيد الروح متى شاء؛ فتنزلها من الجنّة، ثم يرفعها.

وروي عن مالك أنه قال: «بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت» ^(٥).

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الترمذى (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٤٧/٥).

(٤) نقله ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/٦٥) عن ابن وضاح.

(٥) «الاستذكار» (٣٦١/٨).

وهذا باعتبار ما ورد من نصوص تُفيدُ حضورها في أماكن؛ منها: عند سؤال الملائكة^(١)، وعن يمين آدم في السماء^(٢)، وفي الجنة، ولكن مع صحة الحديث يُقال: إن أصلها في الجنة، والله يأذن لها بالخروج متى شاء.

○ وأما أرواح الكافرين: ففي الهاوية؛ كما في الحديث: (أنَّ المَلَائِكَةَ تَفْيِضُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْقَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَا أَطْبَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرْحًا مِنْ أَحَدِكُمْ بِعَاقِبَتِهِ يَقْدِمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟! مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟! فَيَقُولُونَ: دَعْوَةٌ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمَّ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: قَدْ مَاتَ، أَمَا أَنَا كُمْ؟ قَالُوا: ذُهَبَ بِهِ إِلَى أَمْهَـةِ الْهَاوِيَةِ)^(٣).

وفيه: أنَّ المكانَ في باطنِ الأرضِ؛ حيثُ قال: (تَخْرُجُ مِنْهُ كَائِنَ رِيحٌ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَ هَذِهِ الرِّيحُ! حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ)^(٤).

وقد جاء عن بعضِ السلف أنَّ أرواحَ الكافرينَ في بئرِ برَهُوتٍ وهو بحضورِ مَوْتٍ، كما روى عبدُ الرزاقِ بسنَدِ جيدٍ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ أنه قال: «شُرُّ وادِينِ في الناسِ: وادي الأحافافِ، ووادي بحضرموت يقال له: بَرَهُوتٌ»^(٥).

(١) كما في حديث البراء بن عازب عند أحمد (٤/ ٢٨٧ و ٢٨٨) و رقم ١٨٥٣٤ و ١٨٥٣٥ و ١٨٥٣٦).

(٢) كما في حديث أبي ذر عند البخاري (٣٤٩ و ٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) النساني (١٨٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) الموضع السابق.

(٥) «المصنف» (٩١١٨).

وينحوه رُوي عن عبد الله بن عمرو^(١) ومقاتل بن سليمان^(٢)، وليس فيه شيء مرفوع.

وقد جزم ابن أبي زيد في «الجامع»: «أَنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سُجْنِنَ»^(٣).

وقد صَحَّ الدليلُ: أَنَّ العذابَ والنعيمَ في حياة البرزخ، يكون للروح والبدن جميماً، والله أعلم بأجل كل عذاب ونعم، ومقداره ونوعه، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِي يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا عَذَابًا وَعَشِيقًا وَيَوْمَ نَقْوُمُ أَلْسَانُهُمْ أَذْخِلُوا مَاءَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما؛ قال: «وقف النبي ﷺ على قليب بذر، فَقَالَ: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟! ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ)»^(٤).

وروى أحمد من حديث عائشة مرفوعاً: (فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِيعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، أَجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرِيعاً)^(٥).

الْقَبْرُ وَفِتْنَتُهُ :

قال ابن أبي زيد: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ، هُنَّ مُبْتَدَأُهُمْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الْكَاثِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [إبراهيم: ٩٢٧]

(١) ابن حبان بعد حديث (٣٠١٣). وانظر: «الروح» (١/٣٢١ - ٣٢٢).

(٢) «تفسير مقاتل» (٣/٤٤١ و ٤٤٦).

(٣) «الجامع» (ص ١١١).

(٤) البخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢) رقم ٢٥٠٨٩.

(٥) أحمد (٦/١٣٩).

يحب الإيمان بـ «حياة البرزخ»، وهي: ما بين الدنيا وقيام الساعة؛ فالناس يمرون في ثلاب: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، والحياة الآخرة. وإنما سمي حياة البرزخ؛ لكونها بروزخاً حاجزاً بين الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُعْشَونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].
وتبدأ حياة البرزخ من خروج الروح ومفارقة الدنيا بالموت.
وقد تواترت النصوص في حياة البرزخ وفتنة القبر وعذابه، وقد جاء من حديث عمر، والبراء، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي قتادة، وغيرهم^(١).

أما فتنة القبر: فالمراد بها: ما يتعرض له الميت من امتحان وابتلاء وسؤال، وما يلحظه من كرب وشدة، وفزع وهلع، وقد قال ﷺ: (إِنَّ هَلَوِ الْأَمَّةِ تَبَلَّى فِي قُبُورِهَا)^(٢)، وقال: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)^(٣).

وتعاذ روح الميت إليه؛ كما جاء في حديث البراء^(٤)، فيحياناً حياة كحياته في الدنيا بيقظة وانتباه، وليس مناماً وخيالاً؛ قال عمر: «أَيْرَدْ إِلَيْنَا عُقُولُنَا؟ قال النبي ﷺ: (نَعَمْ؛ كَهِيَتُكُمُ الْيَوْمَ)»^(٥).

وروي في «الترمذى»: أنَّ اسم الفتائين منكرٌ ونكيرٌ، وأنهما أسودان أزرقان^(٦)، والفتنة بالسؤال عن ثلاب؛ كما جاء في حديث

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص ١١٧ - ١٣٧).

(٢) مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٣) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر.

(٤) سبق تخيجه قريباً.

(٥) أحمد (١٧٢/٢) رقم (٦٦٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) الترمذى (١٠٧١) من حديث أبي هريرة.

البراء؛ قال ﷺ: (فَيَأْتِيهِ مَلَكًا شَدِيدًا الْأَنْهَارِ، فَيُبَثِّرَ إِنْهَارَهُ وَيُجْلِسَانِيهِ، فَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبَّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ تَبِعُكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعَرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ؛ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ ذِيَّـ: «تَبَثَّتَ اللَّهُ الظَّرَبَ، أَمْنَوْا بِالْقَوْلِ الْأَثَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيَقْسِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» [إِبْرَاهِيمٌ: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيُّ إِسْلَامُ، وَتَبِعِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَيَنْادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ صَدَقَ عَبْدِي) ^(١).

وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ: فَهُوَ حَقٌّ كَذَلِكَ؛ ثَبَّتَ فِيهِ الدَّلِيلُ مِنْ وِجْوهٍ كثِيرَةً، وَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلُ، وَثَبَّتَ بِهِ النَّصُّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: «النَّارُ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا عَذَّابًا وَعَذَّابًا وَيَوْمَ تَقْوَمُ النَّاسَةُ أَذْخَلُوا إِلَيْهَا فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» [غَافِرٌ: ٤٦]، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَغُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) ^(٢).

وعَذَابُ الْقَبْرِ: يَلْحَقُ الْكَافِرِيْنَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ الْمَقْصُرِيْنَ، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرِيْنِ؛ فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ) ^(٣)، وَهَذَا مُسْلِمًا؛ فَلَوْ كَانَا كَافِرِيْنَ، لَكَانَ عَذَابُهُمَا عَلَى الْكَفَرِ أَوْلَى مِنْ عَذَابِهِمَا عَلَى الْبُؤْلِ وَالنَّوْمِيْمَةِ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمَا.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «أَنَّ النَّاسَ يُضْغَطُونَ وَيُبْلَوْنَ، وَتَبَثَّتَ اللَّهُ مَنْطَقَ مَنْ أَحَبَّ تَبَثِيْتَهُ» ^(٤).

(١) سبق تعریجه قریباً.

(٢) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩) من حديث عائشة.

(٣) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

وضمةُ القبر قد جاء فيها عدّة أحاديث من وجوه متعددة، وفيها جملة من الآثار عن الصحابة والتابعين؛ فقد جاء في «المسند» من حديث عائشة: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً, لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِبًا مِنْهَا, لَنَجَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ) ^(١)؛ وله طرق متعددة من حديث ابن عمر ^(٢)، وابن عباس ^(٣)، وغيرهما ^(٤).

وقد أنكر بعض طوائف الضلال والماديون عذاب القبر؛ باعتبار رؤيتهم للميت وليس عليه عذاب يرى، والله قادر على أن يحجب عنهم ما يشاء؛ كما حجب عنهم الروح التي بها حياتهم ولا يرونها، وكما يرى الجن الإنسان ولا يراه.

كتابة الأعمال على المكلفين

قال ابن أبي زيد: «وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ»:

يحب الإيمان بالملائكة؛ فالإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وأئمهم عباد الله مقربون، وفي حديث جبريل لما سأله النبي ﷺ عن الإيمان؟ قال: (الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ^(٥).

وقد فرَنَ الله الإيمان بالملائكة بالإيمان به سبحانه؛ فقال: «كُلُّ

(١) «المسند» (٦/٥٥ و ٩٨ رقم ٢٤٢٨٣ و ٢٤٦٦٣).

(٢) عند النسائي (٢٠٥٥).

(٣) عند الطبراني في «الكبير» (١٠/٤٠٦ رقم ١٠٨٢٧).

(٤) كأسن عند أبي يعلى؛ كما في «إتحاف الخيرة» (٢/٤٩٣).

(٥) سبق تخرجه.

عَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُلِّهِ، وَرَسُولِهِ ﷺ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُنَ الَّذِي
مَنْ عَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَيَّةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والملائكةُ كثيرون لا يُحصِّهم عدًا إِلاَّ اللَّهُ؛ ولكن قد يأتي في الوحي
بيانٌ لعددهم في عملٍ معينٍ، أو موضعٍ معينٍ، أو زمانٍ معينٍ:
منهم: الواحد؛ كالموكل بالوحي، وخازن الجنّة، وخازن النار،
وملك الجنّايل، وقابض الأرواح، ونافيخ الصور، ونافيخ الروح.
ومنهم: اثنان؛ كالموكلان بالكتابة: رقيبٌ وعبيد.
ومنهم: ثمانية؛ كحملة العرش.

ومنهم: تِسْعَةٌ عشر؛ وهم خَزَنَةُ النار، ومقدّمُهم مَالِكُ.

ومنهم: سَبْعُونَ أَلْفًا؛ وهم الذين يطوفون بالبيت المعمور؛ كما في
الحديث قال عليه السلام: (... فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ:
هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ، إِذَا خَرَجُوا،
لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ أَخِيرَ مَا عَلَيْهِمْ)؛ منفق عليه^(١).

ومن الملائكة: الحفظةُ الذين يُحصّون على العباد أفعالهم،
ويكتبونها؛ لإقامة الحجّة عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَيْنَكُمْ لَتَحْكُمُونَ﴾ [١١] كراماً
كثيرون [١٢] يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الأنفطر: ١٠ - ١٢]، وقال: ﴿إِذَا يَنْأَى الْمُلَكِيَّاتُ عَنِ
الْأَيْمَنِ وَعَنِ الْشَّمَائِلِ قَيْدٌ ﴾[١٣] مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ [اق: ١٧ - ١٨].

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَأَفْوَالَهُمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُ اللَّهُ إِلَى أَحَدٍ
يُحصِّي ذَلِكَ لَهُ لِيَعْلَمَ وَيُحَاسِبَ، وَلَكُنَّ اللَّهُ أَرَادَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى عِبَادِهِ
وَقَطْعَ أَعْذَارِهِمْ بِإِحْصَاءِ مَحْسُوسٍ.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة.

وأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ وِإِحْاطَتُهُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابَهُ وَحْفَظَتِهِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ يُسِيرٌ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَ عِلْمِهِ وَبَيْنَ الْكِتَابِ، وَأَنَّ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ يُسِيرٌ بِكِتَابٍ وَقَبْلَ الْكِتَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُثْنَيْ وَلَا تَنْصَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمَلُ مِنْ مُعْمَلٍ وَلَا يُنْفَعُشُ مِنْ غُصْرَوْهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ﴾ [فاطر: ١١].

وَكُلُّ الْمَلَائِكَةِ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لِيُسَلِّمُ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرِّبوبِيَّةِ وَالْأَلْوَهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ؛ قَالَ اللَّهُ عَنْ عِبَادِهِمْ: ﴿وَمَنْ عِنْهُمْ لَا يَسْتَكْرِهُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَهِرُونَ ﴾١٩﴿ يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْرُؤُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وَقَالَ: ﴿بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ ﴾٢٠﴿ لَا يَسْقِفُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ يَأْمُرُونَ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]، وَقَالَ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التحريم: ٦].

﴿الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا﴾:

قال ابن أبي زيد: **خَلَقَ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ** (في الجامع: كُلُّهَا) ^(١) يَأْذِنُ رَبِّهِ ^(٢):

خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ كَمَا خَلَقَ الْأَجْسَادَ، وَخَلَقَهُ لِلْأَرْوَاحِ سَابِقًا لِخَلْقِهِ لِلْأَجْسَادِ، وَقَدْ حَكِيَ الإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ إِسْحَاقُ وَغَيْرُهُ ^(٢).

وَقَدْ وَكَلَ اللَّهُ بِالْأَرْوَاحِ مَلَكًا يَبْدِأُ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي تَكْوِينِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَيَسْأَدُنُّ رَبَّهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ بِعَمْلِهِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (١٨/٨٤).

(١) «الجامع» (ص ١١١).

مالك - ورفع الحديث - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ قَدْ وَكَلَ بِالرَّحْمَمِ مَلِكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبٌّ، نُطْفَةٌ، أَيْ رَبٌّ، عَلَقَةٌ، أَيْ رَبٌّ، مُضْعَفَةٌ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِي خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلِكُ: أَيْ رَبٌّ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيقٌ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجْلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ لِي بَطْنِ أَمْوَاءِ) ^(١).

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(٢).

وَالْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِالرُّوحِ عَنْ نَفْخِهَا، غَيْرُ الْمَلِكِ الْمَوْكَلِ بِالرُّوحِ عَنْ قُبْضِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ الْمَوْكَلَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّخْلِيقِ وَبِنَفْخِ الرُّوحِ وَاحِدٌ، لِيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ فِي ظَاهِرِ النَّصْوَاتِ.

وَأَمَّا مَلِكُ قِبْضِ الرُّوحِ، فَوَاحِدٌ مَقْدَمٌ، وَمَعْهُ غَيْرُهُ: أَمَّا كُونُهُ وَاحِدًا مَقْدَمًا، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَقُلْ يَنْوَفُنَّكُمْ مَلِكُ الْمَوْتَىٰ الَّذِي تُوكِلُونِي» [السَّجْدَة: ١١].

وَأَمَّا كُونُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَكَيْفَ إِذَا تُوَفَّتُمُ الْمَلَائِكَةُ بِصَرْبَرُوكَ وَجُوْهَرَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ» [مُحَمَّد: ٢٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «حَقَّ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تُوَفَّتُهُ رُشْتَنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» [الْأَنْعَام: ٦١].

وَمَلِكُ الْمَوْتِ الْمَقْدَمُ يَقْبِضُ، وَالْبَقِيَّةُ يُعِينُونَ فِي قِبْضِ الرُّوحِ، وَتَجْهِيزِهَا، وَرَفِعِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي «الْمَسْنَدِ»؛ قَالَ الْمَلِكُ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

نزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيَضْرُبِ الْوُجُوهِ؛ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ،
مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا
مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيِيُ مَلَكُ الْمَوْتَ عَزَّلَهُ اللَّهُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ...»؛
الْحَدِيثُ^(١).

قالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخْعَنِيُّ: «لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَفَّونَ
عَنْ أَمْرِهِ»^(٢).

وَيَكُونُ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ.

﴿فَضْلُ خَبْرِ الْقُرُونِ﴾

قالَ أَبْنَى بْنَ زَيْدٍ: هُوَ أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ عَزَّلَهُ اللَّهُ،
وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ^{هُمْ} :

أَفْضَلُ الْأَزْمِنَةِ الَّذِي فِيهِ بَعْثَ النَّبِيِّ عَزَّلَهُ اللَّهُ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ
غَيْرِهِ؛ لَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ تَعَدَّ فَضْلُ النَّبِيِّ عَزَّلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا انْصَلَّ بِهِ
مِنَ الزَّمَانِ؛ فَكَانَ أَفْضَلُ الْقُرُونِ بَعْدَ قَرْنِهِ الَّذِي يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِي يَلْوَنُهُمْ؛
فَالْتَّابِعُونَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ عَزَّلَهُ اللَّهُ أَفْضَلُ مِنَ التَّابِعِينَ لِأَصْحَابِ غَيْرِهِ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهَكُذا فِي أَتْبَاعِ الْأَتْبَاعِ؛ قَالَ عَزَّلَهُ اللَّهُ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ)^(٣).

(١) سبق تخرجه.

(٢) «تفسير ابن جرير» (٩/٢٩٠ و ٢٩١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/٤٣٨ - ٤٣٩)،
و«تفسير السمعاني» (٢/١١٢).

(٣) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.

﴿ ﴿ معنى القرن :

والمراد بالقرن: الطبقة، وأولهم: الصحابة، ثم التابعون، ثم أتباع التابعين، وليس المراد بذلك: القرن الذي هو مئة سنة، والذي يورث عليه المؤرخون.

والقرن المفضل: أوله أفضل من آخره؛ لأن فضله بفضل أهله، وفضل أهله بسبفهم وفريهم من النبي ﷺ.
ويذهب فضل ذلك القرن بذهاب جمهور أهله.

وقد انتصرت عامّة القرون المفضلة بأتّباع التابعين؛ وذلك قبل تمام المئة الثانية، وليس في المئة الثالثة منهم كبير أحد، مع فضل كثير من أهليها في العلم والعمل.

والفضل المتعلق بالقرن إنما هو لجمهورهم، وجمهور الصحابة كان في زمان الخلفاء الراشدين الأربع، ومن بقي من الصحابة، فلا يُنتزع فضله؛ ففضله معه ولو تأخر بقاوته.

وهكذا في التابعين، وذهب جمهورهم قبل تمام المئة، ويشتمل أتباع التابعين؛ فذهب جمهورهم قبل منتصف المئة الثانية، ومن تأخر منهم، ففضله باقي معه؛ إلا أن فضل زمانه ضعف وقل.

والقرن يُطلق على الحقبة من الزمن التي يعيش فيها الجيل من ولادته إلى وفاته، ويُطلق كذلك على المئة عام؛ ومن ذلك: ما يُروى عند الحاكم مرفوعاً: (يعيش هذا العلام قرناً، فعاش مئة سنة)^(١)؛ يعني: عبد الله بن بشير.

(١) «المستدرك» (٤/٥٠٠).

﴿فَضْلُ الصَّحَابَةِ، وَنِفَاضُهُمْ﴾

وَلَا خَلَافٌ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ عَامَّةً، وَأَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ،
وَخَيْرُ الْأَمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، وَفَضْلُهُمْ مِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ،
وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ؛ قَالَ
تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً يَبْتَهِمُ تَرَبُّهُمْ رَكْمًا
شَجَدَكَا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّوْنَا سِيمَاهُمْ فِي دُجُونِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَنْلَاهُمْ فِي الْتُّورَةِ وَمَنْلَاهُ فِي الْإِنْجِيلِ كُلُّمَنْجِلِ أَخْرَجَ شَطَعَهُ فَتَازَهُ فَأَسْتَقْنَاطَ فَأَسْتَوْى
عَلَى سُوقِهِ، يَعِيشُ الرِّزْقَانِ لِيَفْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وَمَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً مُؤْمِنًا بِهِ، فَهُوَ صَاحِبِيُّ، وَهُوَ أَفْضَلُ
مَمْنَ جَاءَ وَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي زِيدٍ فِي «جَامِعِهِ»؛ قَالَ:
«أَوْكَلُ مَنْ صَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَأَهُ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ بِذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ
الثَّابِعِينَ»^(١).

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: مَنْ جَمَعَ مَعَ الإِيمَانِ بِهِ نُصْرَتَهُ، وَأَكْثَرُهُمْ جَمِيعًا
لِهُدَىٰنِ وَأَفْدَعُهُمْ فِيهِمَا، فَهُوَ أَفْضَلُهُمْ؛ وَلَهُذَا فَضْلُ اللَّهِ الْمَهَاجِرِينَ عَلَى
الْأَنْصَارِ، وَفَضْلُ اللَّهِ السَّابِقِينَ عَلَى الْلَّاحِقِينَ، وَفَضْلُ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ
عَلَى مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَهُ.

وَفِي هَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُلَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَتْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرِيجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَتُلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَقْنِ﴾
[الْحَدِيد: ١٠]؛ فَلِمْ يَذْكُرِ اللَّهُ سَبْقَ الإِيمَانِ فَقُطْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ مَعَهُ مَا يَدْلِلُ

(١) «الْجَامِعُ» (ص ١١٥).

على النصرة؛ فقال: «أَنْفَقَ وَقَاتَلَ»، وكلما كان إسلامُ الصحابي في زَمِنِ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ، كان أَفْضَلَ مِنْهُ، ولما كانت حَالُ الْمَهَاجِرِينَ أَشَدَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فُضِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَهَاجِرِينَ نَفَاقٌ؛ كَمَا قَالَهُ أَحْمَدُ فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ الْمَرْوُذِيِّ^(١).

وقال: «وَالسَّبِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُذُنَ رَضْوَنَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا ذِيلَكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبية: ١٠٠].

وَمِنْ هَذَا: كَانَ فَضْلُ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا عَلَى مَنْ شَهَدَ أَحَدًا فَقْطًا، وَمَنْ بَاَيَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يُبَايِعْ؛ لِتَحْقِيقِ النَّصْرَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ مَعَ الْإِيمَانِ؛ قَالَ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يُبَايِعُوكُمْ تَحْتَ السَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ الشَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَتَهُمْ فَتَحْمًا فَرِيسًا» [الفتح: ١٨].

الوقوع في الصّحابة:

حُبُّ الصّحابة ونُوقِيرُهُمْ: مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ تَعْظِيمُ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالُ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْنَى الْمُزَنِيِّ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ! اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ! لَا تَتَخِذُوهُمْ عَرَضاً بَعْدِي؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَيُحِبُّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَيُبْغِضُهُمْ أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُؤْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) ^(٢).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ: «فَبُحْبُهُمْ سُنَّةُ الدُّعَاءِ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْاِقْتِدَاءُ

(٢) الترمذى (٣٨٦٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠١/٧).

بِهِمْ وسِيلَةُ، وَالْأَخْذُ بِآثَارِهِمْ فَضِيلَةُ»^(١).
وَلَا يَقْعُ فِيهِمْ إِلَّا مِبْتَلٍ فِي دِينِهِ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي الصَّحَابَةِ أَوْ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يَخْلُو مِنَ الْوَقْوَعِ فِي
الْبِلْهَانِ: إِمَّا الْكَبْرِيَّ الْمُكَفَّرَةُ، وَإِمَّا الصَّغَرِيَّ الْمُضَلَّةُ:

إِمَّا الْبِلْهَانُ الْكَبْرِيَّ الْمُكَفَّرَةُ: فَكَمَنْ تَنَقَّصُهُمْ، أَوْ سَبَّهُمْ فِي شَيْءٍ
ثَبَّتَ بِالْتَّوَاتِرِ خَلَافُهُ؛ وَهَذَا كَمَنْ سَبَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ أَوْ عَامَّتَهُمْ؛ فَهَذَا
أَرَادَ صُنْحَبَتَهُمْ، وَلَمْ يُرِدْ أَعْيَانَهُمْ، وَلَوْ زَعَمْ خَلَافَ ذَلِكَ، وَفَضْلُهُمْ
جَمِيعُهُمْ أَوْ عَامَّهُمْ مُتَوَاتِرٌ لَا خَلَافَ فِيهِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ: مَنْ طَعَنَ فِي عِرْضِ عَائِشَةَ، وَاللَّهُ قَدْ بَرَأَهَا فِي الْقُرْآنِ،
وَنَحْوُ ذَلِكَ، أَوْ طَعَنَ فِي الْمَهَاجِرِينَ أَوِ الْأَنْصَارِ، أَوْ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ، أَوْ طَعَنَ فِي عُمُومِ أَهْلِ بَدْرٍ وَاحْدِيَّ؛ فَأُولَئِكَ تَوَاتِرُ فَضْلُهُمْ وَثَبَّتُوا؛
فَالطَّعْنُ فِي جَمِيعِهِمْ أَوْ عَامَّهُمْ كُفَّرٌ.

وَمِثْلُهُ: الطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ تَوَاتِرُ فَضْلُهُ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَائِشَةَ؛
قَالَ مَالِكٌ: «مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ، قُتِلَّ، قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ
خَالَفَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يَشْتُمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
وَعَائِشَةَ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ: «مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(٣).

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَنْ حَمَلَ غِيَظًا فِي قَلْبِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ كَافِرًا، كَمَا فِي
قُولِهِ تَعَالَى: «لِيَغِيظَ رِبُّهُمُ الْكُفَّارُ» [الْفَتْحُ: ٢٩]؛ وَبِهِذَا اسْتَدَلَّ مَالِكُ^(٤)

(١) انظر: «طبقات الحتابلة» (١/٦٤ - ٦٣).

(٢) «مسند الموطأ» (٨٧)، و«المحلبي» (١١/٤١٤ - ٤١٥).

(٣) «الستة» للخلال (٧٧٩ و٧٨٢).

(٤) «الستة» للخلال (٧٦٠).

وأبو معمر الكرخي^(١) وغيرهما.

وأئمَّا الْبِدْعَةُ الصَّغْرِيُّ الْمُضَلَّةُ: فكَمَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ فِيهِمْ لَمْ يُبْثِتْ بِالْتَّوَاتِرِ خَلَافَهُ، وَإِنْ صَحَّ فِيهِ الْخَبَرُ.

فَهَذَا مُبْتَدِعٌ؛ لِعَدُوِّيهِ عَلَى جَنَابِ الصَّحَابَةِ وَلَوْ كَانَ وَاحِدًا.

وَخَرَجَ مِنْ بِدْعَةِ الْكُفَّارِ؛ لِكُونِهِ لَمْ يُنْكِرْ مِتَوَاتِرًا مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً؛ كَمَنْ يُسْبِبُ مِنْ صَحَّ فَضْلُهِ وَلَمْ يَتَوَاتِرْ، أَوْ ذَمَّ حَصْلَةً فِيهِ لَمْ يُبْثِتْ بِالْتَّوَاتِرِ خَلَافَهَا؛ كَالْبُخْلِ وَالْكَذْبِ وَالْجُبْنِ، وَإِنَّمَا بُدْعَ لِعَدُوِّيهِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخَالَفَتِهِ لِوَصِيَّتِهِ فِيهِمْ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: (لَا تَسْبُوا أَصْحَابَنِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَخِدِ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَخِدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)^(٢)، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالترْمذِيُّ عَنْهُ ﷺ؛ قَالَ: (أُوصِبُكُمْ بِأَصْحَابِنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ)^(٣).

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(٤).

﴿التَّفَاضُلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ﴾:

قال ابن أبي زيد: ﴿وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلَيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: كَانَ الْمَدْرُّ الْأَوَّلُ يُحِلُّونَ الصَّحَابَةَ، وَيَعْظِمُونَ قَدْرَهُمْ عَلَى سَبِيلِ

(١) «الستة» للخلال (٦٦٦).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد.

(٣) أحمد (١٨/١ و ٢٦ رقم ١١٤ و ١٧٧)، والترمذى (٢١٦٥) من حديث عمر.

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

الإجماع والتفصيل، ولم يكونوا يُوَغِّلُونَ في التفضيل بينهم؛ لعدم قيام الموجب لذلك، ولأنهم على الفطرة الصحيحة، ولم تَظْهُرِ البدع في الواقع في الصحابة والطعن فيهم؛ فكانوا يَعْرِفُونَ مقاديرَهُمْ وفضلَهُمْ ويَحْكُونَهُ، ويَعْرِفُونَ تفاصيلَهُمْ في صدورِهم، وإنْ أَسْكُوا عن التعبير عن ذلك:

كما قال مالك: «إِنَّ التفاضلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الَّذِينَ مَضَوْا، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ هَذِهِمُ الْإِمْسَاكُ عَنْ مِثْلِ هَذَا»^(١).

وقولُ مالك هذا مِنْ جنسِ قولِ النَّبِيِّ ﷺ: (لَا تَخَبِّرُوا بَيْنَ الْأَتْبَاءِ)^(٢)، وقولِهِ ﷺ: (لَا تَخَبِّرُونِي عَلَى مُوسَى)^(٣)، وفي حديث ثانٍ، قال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)^(٤)؛ لأنَّ مِنَ التفضيلِ ما يَتوهَّمُ به السَّامِعُ نَقْصَ المُفْضُولِ وعِيَّا فيِهِ.

وقد كان مالك نَفْسُهُ يُفْضِّلُ أبا بكرٍ وعمرًا على غيرِهما^(٥).

وتفاضلُ الصحابة في بعضِ الْخِصَابِ، لا يعني الفَضْلَ المطلَقَ؛ فقد يُفْضِّلُ واحدُ الصحابة في حَضْرَةِ الآخرين - كالشجاعةِ والكَرَمِ والجَلْمِ - وغيرهاُ أَفْضَلُ منه؛ ومنْ هَذَا قولُ ابْنِ عُمَرَ: «مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ مِنْ معاوِيَةً!»، فقيلَ لابْنِ عُمَرَ: هو كَانَ أَسْوَدَ مِنْ أبي بَكْرٍ؟ قال ابْنُ عُمَرَ: «أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهُ أَخْيَرُ مِنْهُ، وَهُوَ وَاللَّهُ أَسْوَدُ مِنْ أبي بَكْرٍ!»^(٦)، وقال ابْنُ عُمَرَ - أيضًا -:

(١) «الاستذكار» (١٤/٢٤١ و٢٤٣)، بنحوه.

(٢) البخاري (٢٤١٢ و٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٢٤١١ و٢٤٠٨ و٦٥١٧ و٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس.

(٥) «الاستذكار» (١٤/٢٤٤)، و«الانتقاء» (ص ٣٥).

(٦) «الآحاد والثاني» (٥١٦)، و«الستة» للخلال (٦٧٩).

«إِنَّهُ أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ»^(١)، و«أَسْوَدُ»؛ بمعنى: أَسْخَى^(٢)، وفي هذا يقول أَحْمَدُ: «أَعْطَى معاوية أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَطَايَا مَا أَعْطَاهَا حَلِيفَةً كَانَ قَبْلَهُ»^(٣).

التوسيع في التفضيل بين الصحابة:

وقد بدأ التوسيع في أبواب التفضيل بين الصحابة، والتزاع فيه: في العجم، وكان مدخلًا لتنقّص المفضول؛ فبدؤوا بالتفضيل، ثم تدرّجوا والتمسوا أسباب الكمال في الفاضل، ثم تدرّجوا والتمسوا أسباب النقص في المفضول، ثم استدرّجهم الشيطان للدخول في أبواب النفائص وثلب الصحابة وعيّفهم.

وقد قال عبد الله بن أبي حسان - تلميذ مالك - لِمَّا سُئِلَ عن التفاضل بين خيار الصحابة؟ فرفع يده، وضرب السائل، وقال: «ليس هذا دين فرنسي، ولا دين العرب؛ هذا دين أهل قم»^(٤)؛ وهو يدرك تفاضل الصحابة على الحقيقة، ولكنه يعلم ما يُراد من فتح هذا الباب، ولما فتح في المشرق، وانتهى بأصحابه إلى ما انتهى إليه، كان المغاربة أول الأمر يغلقون فتح هذا الباب؛ حتى لا ينتهي في المغرب إلى ما انتهى إليه في المشرق؛ وهذا من كمال العلم والحكمة.

ومن هذا الباب: إمساك مالك وغيره في إحدى الروايتين عن التفضيل بين عثمان وعلي، وقوله: «مَا أَذْرَكْتُ أَحَدًا أَفْتَدِي بِهِ يَفْضُلُ أَحَدَهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ»^(٥).

ولا يختلف المسلمين في فضل الصحابة، وأن فضلهم فرع عن

(١) الموضع السابق.

(٢) انظر: «النهاية» لأبي الأثير (٤١٨/٢). (٣) كما في رواية الخلال السابقة.

(٤) «رياض الفوس» (١/٢٨٧).

(٥) «المدونة» (٤/٦٧٠)، و«الاستذكار» (١٤/٢٤٠).

فضل النبي ﷺ، وكما يتفاصل الأنبياء، فإن الصحابة يتفاصلون فيما بينهم من باب أولى.

وقد كان سُخنُون يلقن ابن القصار في مرض موته: «أن أفضل هذه الأمة بعد نبئها أبو بكر وعمر»^(١).

ولا يختلف السلف في هذا، ووقع في قلة منهم نزاع في التفاضل بين عثمان وعلي^(٢):

فمنهم: من فضل عثمان على علي.

ومنهم: من فضل علياً على عثمان.

ومنهم: من توقف.

ثم استقر الأمر على أن ترتيبهم في الفضل؛ كترتيبهم في الخلافة: عثمان ثم علي، وقد قال عبد الرحمن بن عوف: والله ما بايعت لعثمان حتى سأله صبيان المدينة؛ فقالوا: عثمان خير من علي^(٣).

وقد وصف ابن أبي زيد هذا القول في «جامعه»، بأنه قول أهل الحديث؛ قال: «وهو قول أهل الحديث، ثم بقية العشرة، ثم أهل بندر من المهاجرين، ثم من الأنصار، ومن جميع أصحابه؛ على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة»^(٤).

ظهور الطعن في الصحابة في المغرب:

وقد انتشر الطعن في الصحابة في زمنبني عبيد في المغرب، خاصة القباروان، وامتحن الناس في ذلك؛ حتى أكروهوا على سب

(١) «رياض النفوس» (١/٣٦٨ - ٣٦٧)، وقد سبق.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٦).

(٣) «المسائل التي حلف عليها أحمد» (ص ٩٧). (٤) «الجامع» (ص ١١٥).

الصحابة على المنابر، وُقتلَ جماعةٌ من العلماء لأجل ذلك، وقد قام جماعةٌ من أهلِ العلم في وجه تلك الفتنة، وعلى رأسهم ابنُ الحداد. وقد شبَّه بعضُهم مقامَه في فتنة الرفض في المغرب، بمقامِ أَحْمَدَ في المشرق في فتنة القرآن^(١).

وقد كان له حجَّةٌ وبيانٌ وقوَّةٌ في الحقّ، وقد سأله أبو عبد الله الرافضيُّ: «أَنْتُم تَفْضِّلُونَ عَلَى الْخَمْسَةِ أَصْحَابِ الْكَسَابِ غَيْرِهِمْ؟ - يَعْنِي بِأَصْحَابِ الْكَسَابِ: مُحَمَّداً صلوات الله عليه، وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ صلوات الله عليهما، وَيَعْنِي بِغَيْرِهِمْ: أَبَا بَكْرٍ صلوات الله عليه - فَقَالَ ابْنُ الْحَدَادِ: أَيُّمَا أَفْضَلُ؟ خَمْسَةُ سَادِسُهُمْ جَبْرِيلُ صلوات الله عليه، أَوْ اثْنَانِ اللَّهِ ثَالِثُهُمَا؟! فَبَهَتَ الرَّافِضِيُّ»^(٢).

ما شجرَ بينَ الصَّحَابَةِ:

قالَ ابْنُ زَيْدٍ: «وَأَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صلوات الله عليه إِلَّا بِأَخْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ (في «الجامع»: أَنْ تُنَشَّرَ مَحَاسِنُهُمْ)»^(٣)؛ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَخْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَلَّنَ بِهِمْ أَخْسَنُ الْمَذَاهِبِ»^(٤):

لا يُتَحدَّثُ بما وقعَ بينَ الصَّحَابَةِ مِنْ خِلَافٍ وَنِزَاعٍ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ فِقْهٌ لِلخَاصَّةِ؛ فَذِكْرُ الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ يُؤْغِرُ الصَّدَورَ، وَيُسْقِطُ هَيْبَتَهُمْ وَجَلَالَهُمْ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ: «هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُورِثُ الْغُلَّ فِي الْقَلْبِ»^(٥).

ولَمْ يَكُنْ الصَّحَابَةُ يَتَحدَّثُونَ بِخِلَافِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا كَذَلِكَ فَقَهَاءُ

(١) «معالم الإيمان» (٢٩٨/٢ - ٢٩٩).

(٢) «الجامعة» للخلال (٨١٦).

(٣) «معالم الإيمان» (٢٩٨/٢).

(٤) «الجامعة» (ص ١١٦).

التابعين: كانوا لا يذكرون خلاف الصحابة، وإنما تفرغ لأكثره أهل سير وأخباريون، فنقلوا وزادوا ونقضوا، ومن فقهه سعيد بن المسيب قوله: «لقد رأيت علیاً وعثمان يستبان ببابا ما أخبرت به أحداً بعد»^(١).

وقد كان أحمد يعتزل مجلس عبد الرزاق إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة، فإذا انتهى، رجع، وربما وضع إصبعيه في آذنيه طويلاً، حتى مررت بعض الأحاديث، ثم يخرجهما، ثم يردهما... حتى مضت الأحاديث كلها^(٢)؛ لا يريد أن يعلق بقلبه شيء منها.

وأكثر تلك الأحاديث ليس فيها أحكام وعملي، وإنما هي حكايات وأقوال وأفعال لقريء فاضل انصرم، ويستثنى من ذلك: ما يتضمن فقهها وحلالاً وحراماً، وكان أحمد يقول: «لا أحب لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبي ﷺ؛ لا حلال ولا حرام ولا سُنّة»^(٣).

وتعرّض الصحابة بعضهم لبعض، ليس كتعرض غيرهم لهم؛ فهم مجتهدون، وفي منزلة وفضل عالي، ولديهم من العمل الصالح العظيم من صحبة النبي ﷺ: ما يوجب تكفيرونه، وليس لدى من بعدهم من الحسناوات ما يقوى على تكبير الواقعية في أعراض الصحابة، إلا أن يشاء الله.

ولمّا كاد الوليد أن يقع في عائشة، ذكره الزهراني بقول أبي مسلم الخطولاني لأهل الشام؛ لمّا أرادوا الواقعية في عائشة: «ألا أخبركم بمثلكم ومثل هذه؟! كمثل عيني في رأس يؤذيان صاحبها، ولا يستطيع

(١) «السنة» لعبد الله (١٢٩٧ و١٢٩٨).

(٢) «السنة» للخلال (٨٠٣).

(٣) «السنة» للخلال (٨١١).

أن يعاقبُهُما، إلَّا بالذِّي هُوَ خَيْرُ لَهُمَا»^(١).

والواقعية في الصحابة ذُئْب عظيم، لا يبتلي الله به أحداً إلا لسوء طويّة، وقبح نيتّه، وما رأينا أحداً طعنَ في أصحاب النبي ﷺ إلَّا وله خبيثة سوءٍ تخرُج ولو بعد حين، لا نعلمُ الغيبة، ولكن رأيناهم يبدؤون بالطعن في الصحابة، ثم لا يصيرون، فيُظهِرُ اللهُ خفاياً ومخازيًّا أخرى، كانوا يخفونها؛ وفي هذا يقولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «ما انتقضَ أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ إلَّا له دَاخِلَةٌ سُوءٌ»^(٢).

وعلى ذلك: فيجب الإمساك عمّا وقع بين الصحابة؛ لأنَّه وقع في طبقةٍ فاضلةٍ؛ فليس للمفضول الفصلُ بين الفاضلين عليه فيما لا يعنيه؛ فإنَّ لهم حسناً لا ينالها من بعدهم يغفرُ اللهُ لهم بها بإذنه، والواقعية فيهم بالسب واللعن سبّة عظيمة؛ حتى تصلُّ في بعض الأحيان بصاحبها إلى الكُفر، وحينها فلن تقاومها حسنةٌ من حسناً المتأخرين؛ فتُمحوها.

وكان مالكٌ يرى أنَّ لا نصيبَ في الفيءِ لمن سبَّ الصحابة والتابعين؛ لأنَّ اللهَ ذَكَرَ الفيءَ وأهله بقوله تعالى: «هُنَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ» [الحشر: ٧]، إلى قوله: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ» [الحشر: ١٠].

امتحانُ أهلِ المغربِ بالصحابية:

ولا تعرِفُ بلادُ الغربِ الواقعية في الصحابة والطعنَ فيهم، وذكر مثالِيهم وسبّهم، وكانوا يعلمُونَ أنَّ بدعةَ الواقعية في الصحابة جاءت من المشرقِ الأقصى من بلادِ خراسانِ العجمِ.

ولمَّا سُئلَ عبدُ اللهِ بْنُ أَبِي حَسَانَ الْيَخْصَبِيَّ - وهو مِنْ تلاميذِ مالكِ -

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد (١٦٣٠). (٢) «الستة» للخلال (٦٩٠).

عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالْتَّفَاضُلِ بَيْنَهُمَا وَغَيْرِهِمَا؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ هُنَّ دِينَ قُرَيْشٍ، وَلَا دِينَ الْعَرَبِ؛ هُنَّ أَهْلُ قُمًّ»^(١)، وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحْقُ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَالْيَتَأْنَى، وَلَا مَنْ يَسْتَحْقُ الْفَضَاءَ بَعْدَ قَاضِيَنَا؛ فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَمْرُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ»^(٢).

وَبَنُو أُمَّةَ فِي الْمَغْرِبِ لَمْ يَكُونُوا يَقْعُونَ فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَعَ مَا يَجِدُونَهُ لِأَثْرَةِ الْمُلْكِ عَلَيْهِمْ؛ تَعْظِيمًا لِلصَّحَابَةِ، وَلِقَرَابَتِهِ خَاصَّةً.

عَلَى خَلَافِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ بَنِي أُمَّةَ فِي الْمَشْرِقِ؛ مِنَ النَّيْلِ مِنْهُ بَعْيَانًا وَلِلْمُهَاجِرَةِ.

حَتَّى جَاءَ بَنُو عُبَيْدٍ؛ فَامْتَحَنُوا النَّاسَ فِي ذَلِكَ، وَقَتَلُوا مَنْ خَالَفَهُمْ، وَمَنْعُوا الْفَتُوْيَ بِمَذَهِبِ مَالِكٍ؛ حَتَّى كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَسْتَرُّ بِمَدْحِ الصَّحَابَةِ؛ كَاسْتَارِ الذَّمِّيَّ بِعِبَادَتِهِ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْفَاضِيُّ عِيَاضُ وَغَيْرُهُ^(٣)، وَقَدْ قَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

حَتَّى قَالَ أَبُو الْحَسِنِ الْقَابُعِيُّ: «إِنَّ مَنْ قَتَلَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ وَبَنُوْهُ: أَرِيعَةُ الْأَلَفِ بَيْنَ عَالِمٍ وَعَابِدٍ؛ مَمَّنْ يَتَرَضَّونَ عَنِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى خَصَّصَ دَارًا لِلْقَتْلِ سَمَّاهَا: «دَارُ النَّحْرِ»، حَتَّى لَعَنَ الصَّحَابَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ الْجُمُعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ مُدَّةً»^(٤).

﴿فِتْنَةُ الرَّافِضِيْةِ إِذَا تَمَكَّنُوا﴾

وَفِتْنَةُ الرَّافِضِيْةِ إِذَا تَمَكَّنُوا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ الْيَهُودِ

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٢٨٧)، وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا.

(٢) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٢٨٧ - ٢٨٨). (٣) «تَرِيْبُ الْمَدَارِكِ» (٥/٣٠٣).

(٤) «سِيرُ أَعْلَامِ الْبَلَاءِ» (١٥/١٤٥).

والنصارى فيهم؛ لِمَا يَجْدُونَهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِقْدَ وَالْغُلُّ عَلَيْهِمْ، يَكْتُمُونَهُ وَيُرِبُّونَ صِعَارَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُنَشِّدُونَ الْأَشْعَارَ فِيهِ؛ حَتَّى تَمَلِّئَ النُّفُوسُ، فَيُرَقِّبُونَ تَمْكِينًا، فَإِنْ تَمَكَّنُوا، بَعْثُوا بَغْيًا لَا يَبْغِيهُ غَيْرُهُمْ؛ وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كُلِّ زَمَنٍ؛ وَلَهُذَا لَا يَمْكُنُونَ فِي الدُّولَ وَالْوَلَايَاتِ، وَمَنْ مَكَّنَهُمْ فَلَا بَدْ أَنْ يَتَأْمِرُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا قَلْةً، أَوْ يَنْقِلُبُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا كَثْرَةً.

وَقَدْ قَالَ جَبَلَةُ بْنُ حَمْودَ الصَّدَافِيُّ؛ وَقَدْ هَرَبَ مِنَ الرَّافِضَةِ فِي الرِّبَاطِ، وَنَزَّلَ الْقِيرَوانَ، فَكُلِّمَ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «كَنَّا نَحْرُسُ عَدُوًا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْبَحْرُ، وَالآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوُّ بِسَاحِتِنَا؛ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وَكَانَ يُنِكِّرُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنَ الْقِيرَوانَ إِلَى سُوْسَةَ، أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الثَّغُورِ، وَيَقُولُ: «جِهَادُ هُؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشَّرْكِ»^(٢).

الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف:

قال ابن أبي ربيع: **﴿وَالطَّاعَةُ لِأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَّةِ أُمُورِهِمْ، وَعَلَمَائِمِهِمْ﴾**:

تواترت النصوص في وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف، وتحريم الخروج عليهم؛ وقد قال تعالى: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَرْسُولَهُ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾** [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: (عَلَى الْمَرْءِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِمَغْصِبَةِ أَمْرٍ بِمَغْصِبَةِ، فَلَا سَمْعٌ وَلَا طَاعَةُ)^(٣).

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٥)، و«معامل الإيمان» (٢/٢٧٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٦)، و«معامل الإيمان» (٢/٢٧٢ - ٢٧٣).

(٣) البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر.

ولا يجوز أن يبقى مسلم بلا بيعة لإمام؛ إلا إن كان في أرض ليس فيها حاكم مسلم، أو كان فيها نزاع على الولاية ولم يتمكن فيها أحد.

ولا يجوز أن يخرج على الحاكم المسلم ما لم يأت بكافر بواح؛ وقد قال عبادة بن الصامت عليه السلام: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرَنَا وَيُسْرَنَا، وَأَنْزَهَنَا، وَأَلَا نَتَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قال: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفُّارًا بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ) ^(١).

ولا يجوز الخروج بشبهة كفر أو توهم مكفر؛ ولذا قال في الحديث: (بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).

والبيعة؛ إنما هي للحاكم المسلم بالمعروف، وأما الكافر؛ فلا تصح له بيضة أصلًا، والطاعة له تكون بما يُقيم الدنيا، ويحفظ حرمات الناس وحقوقهم، وما يحفظ العدل الذي أمر الله به.

وكان السلف يعظمون أبواب السمع والطاعة للأئمة، ويجعلونها في أبواب العقائد؛ لأنها من المسائل التي خالفت فيها الفرق البدعية؛ فأصبحت علماً وفارقًا بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف؛ كالخوارج والمعزلة.

﴿الْخُرُوجُ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَأَحْوَالِهِ﴾

والفتنة بالخروج على أئمة الجحود المسلمين شرّ أعظم مما يرجحى دفعه، والخروج عليهم يتสาهل في أوله، والشرّ كامن في آخره.

(١) البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان سُخْنُونَ يُلْقِنُ ابنَ القَصَارِ في مرضِ موتهِ: «أَلَا تَخْرُجَ عَلَى
الْأَئْمَةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا»^(١).

وأكثُرُ مَنْ يَتَجَرَّأُ فِي هَذَا الْبَابِ: مَنْ يَتَوَهَّمُ نَصْرَةَ الْعَامَّةِ، وَالْعَامَّةُ
يُطْلِقُونَ الْأَلْسُنَ، وَيُجْبِنُونَ عِنْدِ إِطْلَاقِ الرُّمَاحِ، وَالْعَالَمُ لَا تَخْدَعُهُ كُثْرَةُ
الْعَامَّةِ عِنْدِ تَقْرِيرِ الْحَقِّ.

وقد كان ابنُ فَرُوْخٍ قاضِي الْقَيْرَوَانِ مِنْ تلاميذِ مَالِكٍ، رَأَى الْخُرُوجَ
عَلَى الْعَكْيِ؛ حِيثُ كَانَ رَجُلًا سُوءً، وَتَوَاعَدَ ابنُ فَرُوْخٍ مَعَ قَوْمٍ عَلَى أَنْ
يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ بِبَابِ تُونِسَ، فَذَهَبَ ابنُ فَرُوْخٍ لِمَكَانِ الْمَوْعِدِ، وَتَخَلَّفُوا
عَنْهُ؛ فَلَمْ يَأْتِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مُنْتَوْنَا مِنَ الْمَدِينَيْنِ، وَابْنُ مُحْرِزَ الْقاضِي مِنَ
الْعَرَاقِيْنِ، فَرَجَعَ ابنُ فَرُوْخٍ.

وَحِينَما أَرَادَ الْذَّهَابَ إِلَى مِصْرَ، وَشَيَّعَهُ النَّاسُ، التَّفَتَ إِلَى
أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «اَشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى
أَئْمَةِ الْجَوْرِ، وَتَائِبٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ».

وكان ابنُ فَرُوْخٍ يرى الْخُرُوجَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ إِذَا اجْتَمَعَ مِنْهُنَّ يَأْمُرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ عَدْدًا أَهْلَ بَدْرٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَحَّ الْخُرُوجُ
عَلَيْهِ تَأْصِيلًا، جَازَ عَمَّا لَمْ يَرِدْ وَتَطْبِيقًا، حَتَّى تَكُونَ الْقُدْرَةُ وَيَغْلِبَ الظَّنُّ
لَا تَوْهُمًا وَاغْتِرَارًا^(٢).

وقد رَجَعَ ابنُ عُمَرَ عَنْ قَتَالِ نَجْدَةِ الْحَرُورِيِّ لِمَا رَأَى الْعَامَّةَ مَعَهُ؛
حَتَّى قَبِيلَ لَهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَنْ تَخْرُجَ مَعَكَ إِلَيْهِ، وَسَتُرُكُكَ وَحْدَكَ»^(٣)؛ مَعَ
أَنَّ قَتَالَ نَجْدَةَ مُشْرُوعٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (١/٣٦٧ - ٣٦٨). وَفَدْ سِبْقَ.

(٢) «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ» (٣/١١١ - ١١٢). (٣) «الْسَّيْنَةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (١٥٢٨).

وَمَنْ أَجَازَ الشَّرِيعَةُ الْخَرُوجَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُكْمِ، يُشْتَرِطُ فِي ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ، وَأَلَا تَكُونَ بِالْتَّوْهُمِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنْهُمْ أَنَّ الْحَاكِمَ الْمُوْضُوعَ، أَفْضَلُ مِنَ الْحَاكِمِ الْمَدْفُوعَ، وَالحَالُ الْلَّاْحِقَةُ، أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْكِرُونَ فِي الْخَلَاصِ مِنَ الْحَالِ، وَيَغْبِيُ عَنْهُمُ الْمَالُ، وَالْتَّفْكِيرُ فِي أَدَى السُّلْطَانِ الْمَوْجُودِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْسَيَ الْحَالُ بَعْدَهُ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا بِغَلَبَةِ ظَنِّ مَعْ قُدْرَةِ، جَازَ، وَهَذَا نَادِرٌ؛ فَإِنْ مَنْ أَخْذَ الْمُلْكَ كَرْهًا، لَنْ يَكُنْهُ طَوْعًا إِلَّا بِمَوْتِهِ، وَيَذْلِلُ الْوُسْعَ فِي قَتْلِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ حَيَاتِهِمْ بَعْدَهُ؛ وَلَهُذَا سَمَّى اللَّهُ رَزْوَانَ الْمُلْكَ: نَرْعًا؛ مِثَابَهُ لِهِ بِنَزْعِ الرُّوحِ: «وَتَنْزَعُ الْمُلْكُ مِنَ نَشَاءٍ» [آل عمران: ٢٦].

وَيَجِبُ النَّظرُ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَتَغْلِيبُ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عَنْدِ التَّزَاحُمِ، فَإِنَّ الْمَرْجِئَةَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدُّنْيَا وَحْدَهَا وَلَوْ فَسَدَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَإِنَّ الْخَوَارِجَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدِّينِ وَحْدَهُ وَلَوْ فَسَدَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَلَا يَفْرُّونَ بَيْنَ حَفْظِ أَصْلِ الدِّينِ وَبَيْنَ حَفْظِ فَرِعَهِ، وَلَا بَيْنَ إِضَاعَةِ أَصْلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ إِضَاعَةِ فَرِعَهَا، فَإِنَّ لِلْدُّنْيَا أَصْلًا لَا يَقُولُ الدِّينُ إِلَّا بِهِ، وَإِنَّ لَهَا فَرِعًا لَا يَضْبِعُ الدِّينُ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَكُلُّ مَنْ وَلَيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غَلَبَةٍ، فَأَسْتَدَدْ وَطَائِهُ مِنْ بَرًّ أَوْ فَاجِرٍ - فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ، جَارٌ أَوْ عَدَلٌ، وَيُعْزِزَ مَعْهُ الْعَدْلُ، وَيُحَجِّجُ الْبَيْنَ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ مُجْرِيَّةٌ إِذَا طَلَبُوهَا، وَتَصَلَّى خَلْفَهُمُ الْجَمْعَةُ وَالْعِيدَانِ»^(١).

(١) «الْجَامِعِ» (ص: ١١٦).

﴿نَصْحُ الْأَئِمَّةِ﴾

ويجُبُ مع السمعِ والطاعةِ: النَّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِعِلْمٍ وِحِكْمَةٍ،
وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مَنِ مَنِعَ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ فِي النَّصْوصِ: تَرْكُ النَّكِيرِ عَلَيْهِمْ
بِالْقِسْطِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنْنَةِ وَالْمَرْجِحَةِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنْنَةِ
يَرَوْنَ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ جَارَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحْقَ الْمُسْلِمِينَ،
وَلَا يَتَخَذُونَ إِلَاصَاحَ بَابًا لِلْخُرُوجِ، وَأَمَّا الْمَرْجِحَةُ: فَيَتَخَذُونَ حُوفَ الْفَتْنَةِ
بَابًا لِإِغْلَاقِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَالْإِلَاصَاحُ يَكُونُ بِعِلْمٍ وِحِكْمَةٍ وَعَدْلٍ، وَلَا يَكُونُ بِذِكْرِ مَا يُخْفِيهُ
الْأَئِمَّةُ مِنْ عِيوبٍ وَذُنُوبٍ تَحْصُمُهُمْ، وَلَا تَشْبُعُ زَلَانِهِمْ، وَلَا تُذَكِّرُ عِنْدَ مَنْ
لَا تَغْنِيهِ تِلْكَ الرِّزْلَاتِ؛ فَتِلْكَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْغُلُّ،
وَيَتَوَهَّمُونَهُ إِلَاصَاحًا.

وَجَوْرُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمُهُمْ وَأَخْطاوُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ:
النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا يَحْصُمُهُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ اللَّهِ بِفَعْلِ الْمُحَرَّمِ،
وَتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ الْعَامَّةَ، وَلَا يَشْرُعُونَهُ فِيهِمْ؛
فَهَذَا يُشَرِّعُ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْمُصْلِحِ وَبَيْنَهُمْ؛
لَأَنَّهُ خَاصٌّ لَا عَامٌ، وَكُلُّ حَاكِمٍ مُسْلِمٍ، فَلِعِرْضِهِ حُرْمَةٌ كَالْمُسْلِمِينَ بِلَ أَشَدُّ،
وَلَا تَجُوزُ إِلَّا بِشَرْوِطِهَا الْمُعْرُوفَةِ.

وَمَنْ خَشِيَ أَذَى السُّلْطَانِ وَضَرَرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، جَازَ لَهُ تَرْكُ
نُصْحِهِ؛ لِأَنَّ ضَرَرَهُ خَاصٌّ بِفَاعِلِهِ، لَا عَامٌ لِلنَّاسِ، وَالْأَذِيَّةُ فِيهِ مُضِرَّةٌ
بِالْعَالَمِ، وَمَصْلَحَةُ النَّاسِ بِالْعَالَمِ عَامَّةٌ؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ: «أَدْرَكْتُ

سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا؛ فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَاءُهُمْ يَعْظُّونَهُ»^(١).
وَكَانَ حَمْدِلِيسُ مِنْ أَصْحَابِ سُخْنُونَ يُسَأَّلُ عَنِ الْإِمَامِ الَّذِي يَعْمَلُ
بِالْمُعْصِيَةِ: أَكُنْتَ تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ؟ قَالَ: «لَا»؛ وَاحْتَاجَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
«لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدْلِلَ نَفْسَهُ»، فَيَقُولُ: كَيْفَ يُدْلِلَ نَفْسَهُ؟ قَالَ ﷺ:
«يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ»^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ مَالِكٍ قَوْلَهُ السَّابِقِ^(٣).

وَهَذَا لَيْسُ فِي تَرْكِ نَصِحَّ الْأَئْمَةَ بِكُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ مَا خَصَّهُم
مِنْ ذُنُوبٍ، وَقَدْ قِيلَ لِحَمْدِلِيسَ: «فَلَوْ أَنَّ إِمَامًا دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ، وَأَمَرَ بِهَا؟
قَالَ: نُجَاهِدُهُ»^(٤)؛ يَعْنِي: لَا نَدْعُهُ، بلْ يُجَاهَدُ حَسْبَ مَقْدَارِ الْبِدْعَةِ
الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمُشْرُوعَةِ؛ مَا لَمْ تُخْرِجْهُ الْبِدْعَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛
فَيُجَاهَدُ بِاللِّسَانِ مَعَ الْعِدْلِ، وَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُجَاهَدُ بِالْيَدِ مَعَ
الْقُدْرَةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ الْمُتَعَدِّيٌّ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
فَيُتَصَرُّ لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ بِنَصِحَّهِ، وَعِنْدَ الْمُظْلومِ بِبَيَانِ حَقِّهِ لَهُ بَعْدُ.
وَإِنْ كَانَ ظُلْمُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَإِظْهَارِ الشُّرُّ وَالْمُنْكَرِ، وَدُعْوَةِ النَّاسِ
إِلَيْهِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَلَى الْقَادِرِ بِيَانِ الْمُنْكَرِ وَحَدْهُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ مَنْ
أَخْدَى بِقَوْلِ السُّلْطَانِ؛ فَلِلْعَالَمَةِ تَأْثِيرٌ بِتَقْلِيدِ السُّلْطَانِ وَمَحَاكَاتِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
بِبَيَانِ الْمُنْكَرِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَسْمِيَةُ السُّلْطَانِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، لَا بِتَعْيِينِ
فَاعِلِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي تَعْيِينِ فَاعِلِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ لَهُمْ مَا يَدْفَعُهُمْ لِلْأَسْتِسْمَاكِ

(١) «رِياضُ النُّفُوسِ» (٤٨٩/١).

(٢) التَّرْمِذِيُّ (٢٢٥٤)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٠١٦) مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ.

(٣) «رِياضُ النُّفُوسِ» (٤٨٩/١).

بالشر وتشريعه؛ فيكون المصلح في مثل هذه الحال عظيم فساد الحاكم وواسعه، ولم يُضيقه ويشدّده.

وهذا كله يُنظر فيه: الزمان، وتغيير الحال، وما لات الأمور وتقديرها، وعظم الشر والخير من الجهتين زيادةً ونقصاً، وأحوال السلاطين، وتنوع مُنكريهم وقدرهم، وسعة أخذ الناس به وضيقه.

وهذا الباب من أحوج الأبواب للسياسة الشرعية، وكثيراً ما تؤثر فيه طبائع النفوس وهوها على العدل والإنصاف بين أربعة حقوق: حق الحاكم، وحق الناصح، وحق المحكوم، وحق الله.

الخطأ في نصوص السمع والطاعة:

وعدم العدل في نصوص السمع والطاعة قد يدخل على طائفتين من المتدينين:

طائفة: تأخذ نصوص التحذير من الدخول على السلطان وإمام الجوز المسلمين وما جاء في ذمه، فتفقُّع في المحظور من جهة استحلال ما حرم الله من عرضيه، وهتك ستره، والنفرة من نصوص السمع والطاعة ولزوم الجماعة، والزهد فيها، والاقتصار على نصوص المناينة والمجاهدة.

طائفة: تأخذ نصوص السمع والطاعة والصبر على إمام الجوز المسلمين ومنع الخروج عليه، فتفقُّع في المحظور من جهة تعظيمه وإطرائه ومدحه بما لا يستحقه - أو يستحقه، لكنه يُعرّه ويُفسّره ويُطفيه - والزهد في نصوص النصح له، والاقتصار على نصوص السمع والطاعة.

والمرجئة: يواليون من كان شديد الولاء للسلطان، ولو كان شديد العداء لله ودينه.

وأهْلُ السُّنَّةِ: جعلوا الولاء للإمام تحت الولاء لله؛ كما قال الله عن بيعة الصحابة لنبيه ﷺ - وهو معصوم - : «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» [الفتح: ١٠]، وجعل النبي ﷺ الطاعة بالمعروف لا في معصية الله في أحاديث متواترة.

وربما يبلغ بعض علاء المرجحة: بعض من يبغضه السلطان، وحب من يحبه، وقد يبلغ بعضهم عقد الولاء والبراء على السلطان مبلغاً أعظم من عقده لله، ولو لم يظهر ذلك من قولهم، فربما ظهر من فعلهم؛ فيوالون من والي الحاكم ولو عادى الله بالزندة والمجنون، موالة أكبر من الولاء لمن عادى السلطان ونابذه - سواء كان مصيباً أو مخطئاً - ولو كان من أهل الولاية لله بالعلم والديانة، وقد كان ابن أبي دؤاد يوالى الجاحظ؛ لكونه يوافق السلطان، ويعادي أحمداً بن حنبل؛ لأنَّه يخالفه.

مع كون الجاحظ - مع أدبه وبلاعاته - متهماً بالزندة، وقد ذمه تلميذه ابن قتيبة ووصفه بأنه من أكذب الأمة، وأوضاعهم لحديث، وأنصراهم لباطل^(١)، وأنَّه لا يصلح ولا يصوم، وقال يعتذر عوام اليهود والنصارى والمجوس^(٢)، وكفر بعض أقواله جماعة؛ كالباقلانى، وابن قدامة^(٣).

ومع هذا يعادون أحمداً بن حنبل، ويقرّبون الجاحظ، ويليّنون معه؛ لأنَّ ولاءهم ليس لله؛ وإنَّما لما عليه السلطان، وإذا كان العالم ليتنا مع زنديق، وشديداً على عالم مجتهد، فتلك من أظهر علامات الهوى، ولو سوَّد الصحف بنصوص السنة والأثر!

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) «الفصل» (٤/١٤٨).

(٣) «روضة الناظر» (٢/٣٥٠ - ٣٥١).

وربما فسر بعضهم الفتنة بمقدار ما يُسخّطُ الحاكم، لا بمقدار ما يُسخّطُ الله؛ فيتناقضون في تقدير أشياء متساویات، بل يعكسون المتبادرات، فربما هان في أنفسهم ما أخْسَطَ الله، وعُظِّمَ فيها ما أخْسَطَ السلطان.

وصلة المحكوم بالحاكم تؤثّر فيها العلل النّفسيّة والأطماء بطرائفها:
الإفراط والتفريط:

فمنها: نفوس تُحب التذلّل والغلوّ بتعظيم رؤوس الناس، وربما يكّسون علنّهم النّفسيّة وأطماءّهم بالدين والاستدلال بأدله، وهذا يُوجّد في كلّ ملة قديماً وحديثاً؛ لأنّ الله عظيم الاجتماع لمصالح الناس، فرأوا أنّ هناك رعاية إلهيّة للملوك، وليسوا محلّاً لتقويم ولا اعتراض من أحد؛ لأنّ لديهم تفوّضاً إلهيّاً؛ كما عند الرومان واليونان وفي اليابان: يرونّ الميكادو (المملّك) هو الله وفي الهند: يرونّ أنّ للملوك سلطة من الإله الأكبر (براهما) ونحوهم الصّينيون، وفي مصر: اعتقد الفراعنة الملكيّة الإلهيّة^(١)!

ويستغلّ النصوص السماوية في السمع والطاعة سلاطين وأتباع لهم يرونّ طاعتهم ديناً بلا استثناء؛ كالحجاج بن يوسف في الإسلام، وكان حسان أبو المنذر حجاجياً، يقول: «من خالف الحجاج، فقد خالف الإسلام»^(٢).

(١) انظر: «الموسوعة الميسّرة» (٢/٧٣٢، ٩٨٥)، و«النظام الدستوري في اليابان» (ص ٥٥)، و«نظريّة الدولة» (ص ٤٧).

(٢) «القات» لابن حبان (٤٢١/٥).

وهذا في النصارى كذلك؛ فقد ذكر لويس الرابع عشر في «مذكرةاته»: أن سلطة الملوك مستمدّة من الله، وهم مسؤولون أمامه وحده، لا من الشعب، وكان يقول: «الملكية وكالة إلهية»! وبنحوه يقول لويس الخامس عشر^(١)، وكذلك غليوم الثاني فيصر المانيا^(٢).

ويقابل تلك النفوس: نفوس تحب المخالفات وإظهار الشجاعة والقوّة والتمرد تجاه كل رأس في الناس، وربما يكتسبون علتهم النفسية بالذين والاستدلال بأدلة؛ وهذا - كذلك - يوجد في كل ملة، تحمل شجاعة الإنسان وحب الظهور والذكر وحمد الناس: على الجرأة على الحكام في كل صغيرة وكبيرة، وإسماع الناس ما يريدون؛ كما يذكر أن فاكهة مجالس العامة الكلام في السلاطين، وتحمله شجاعته لاستدعاء مصالح الخروج وأدلة وغياب مفاسده وأدلة، وتحضر في نفسه البدايات، وتغيّب عنها النهايات؛ فقد يبتلى الإنسان بالشجاعة في غير موضعها؛ كما يبتلى بالجبن في غير موضعه، ويجب على العاقل أن يواجه نفسه قبل أن يجاهد بها غيره، وإذا اجتمع في الإنسان العلم والتجدد، أصحاب الحق.

والناس في حاجة إلى عالم متجرد، لا إلى متجرد جاهل، ولا إلى عالم يخافه ويقطّعه؛ فالعالم بلا تجرد يعطل الأمة بإيجاده، والمتجدد بلا علم يهلك الأمة بقادمة، وأعظم الشرور تأتي إذا قاد الناس جاهل غير متجرداً

(١) Barthelemy and duez, deals Ele stration of Constitutional Law, Paris, 1933, p.65.

(٢) في خطاب القاء عام ١٩١٠ م.

﴿ابتلاء المصلح﴾

وقد يُتَلَى العالمُ المصلحُ بالمحرّشينَ بينه وبين السُّلطانِ، ويستغلُونَ خلافَةً مع السُّلطانِ في بَابٍ، فَيَجْعَلُونَهُ في كُلِّ الْأَبْوَابِ؛ كما ابْتَلَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لِمَا كَانَ فِتْنَةً خَلْقِ القرآنِ؛ فَقَدْ وَسَى بِهِ قَوْمٌ - مِنْهُمْ أَبْنُ الشَّلْجَيِّ - عِنْدَ الْخَلِيفَةِ: أَنَّهُ لَا يَرَى الْبَيْعَةَ، وَيُؤْوِي فِي بَيْتِهِ عَلَوِيَّينَ لَا يَرَوْنَ بَيْعَةَ الْعَبَاسِيِّينَ؛ فَبَعَثَ السُّلطانُ إِلَيْهِ، فَاسْتَحْلَفَهُ بِاللهِ وَبِالطلاقِ، فَحَلَفَ، وَلَمْ يَقْنَعِ الْخَلِيفَةُ، وَجَاءَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَتَيْنِ يَفْتَشُونَ بَيْتَهُ وَبَيْتَ ابْنِهِ صَالِحٍ - حَتَّى النِّسَاءَ وَالْعَوْرَاتِ - يَبْحَثُونَ عَمَّنْ يَخْبُئُهُ مِنْ طَلِيلَةِ الْخَلِيفَةِ^(١).

وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ عَلَى السُّلطانِ مِنْ بَابِ خَوْفِهِ عَلَى مُلِكِهِ؛ فَيَكُونُ أَسْرَاعَ تَصْدِيقًا لِلظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ.

﴿تجزُّد المصلح﴾

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ عَذْلًا فِي مصالحِ النَّاسِ، فَلَا يَحْمِلُهُ كُرْهَةُ الْحَاكِمِ وَلَا حُبَّهُ عَلَى إِضَاعَةِ مصالحِ الْمُسْلِمِينَ التِّي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ فِي الشَّدَائِدِ حِفْظًا لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لَا تَشْفِيَهُ مِنْهُ، وَلَا ظَمَعًا فِيهِ.

فَقَدْ وَجَدَ أَحْمَدُ مِنَ الْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ شَرَّاً عَظِيمًا فِي دِينِهِ وَدُنْيَاَهُ: بِحَبْسِهِ وَضَرْبِهِ وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى القُولِ بِخَلْقِ القرآنِ، وَلَمَّا ظَهَرَتِ الْخُرُومِيَّةُ بِقِيَادَةِ الزَّنْدِيقِ بَابَكَ الْخُرَمِيِّ، كَتَبَ أَحْمَدُ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْمُوَلَّةِ - كِتَابًا لِابْنِ الْمَدِينِيِّ، وَوَالِيِّ الْبَصْرَةِ - يَسْتَحْثِمُهُمْ عَلَى قَتَالِ بَابَكَ، وَأَنْ يَعْثُوا مَنْ حَوْلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

(٢) «الستة» للخلال (١١٥).

(١) «السر» (٢٦٦/١١).

وقد كان من قادة الجيش ضدَّ بَابَكَ: إسحاقُ بنُ إبراهيمَ والي شُرطَةِ بَغْدَادَ، وجَلَادُ أَحْمَدَ^(١)؛ لأنَّ شَرِّ بَابَكَ على المُسْلِمِينَ أَعْظَمُ مِنْ شَرِّ الْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ؛ وهذا مِنْ فَقَهِ أَحْمَدَ وَتَجْرِيَهُ وَصِدْقِهِ.

﴿فَضْلُ السَّلَفِ وَاتِّبَاعُهُمْ﴾

﴿قَالَ أَبْنَىٰ بْنَ رَزِيدٍ: هُوَ اتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِنَاءُ آثَارِهِمْ، وَالإِسْتِغْفَارُ لَهُمْ﴾:

السلفُ الصالحُ هُمُ الصَّدِّرُ الْأَوَّلُ وَمَا اتَّصلَ بِهِمْ: الصَّحَابَةُ وَالْتَّابِعُونَ وَاتِّبَاعُهُمْ، وَسُمِّيُوا سَلَفًا؛ لِأَنَّهُم بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ: سَالِفُونَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ: خَالِفُونَ، وَسُمِّيُوا بِالصَّالِحِينَ؛ لِغَلَبةِ الصَّالِحِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى زَمَانِهِمْ.

وقد يكونُ السلفُ اسماً نسبياً بحسبِ الزمانِ؛ فالصحابَةُ سلفٌ بالنسبة للتابعِينَ، والتابعُونَ خلفٌ بالنسبة للصحابَةِ، وهكذا بالنسبة للتابعِينَ مع اتِّباعِهِمْ، وأتِّباعُ الاتِّباعِ مع اتِّباعِ اتِّباعِ التابعِينَ.

ويغليُّ إطلاقُ السلفِ الصالحِ عَلَى أَصْحَابِ الْقَرْوَنِ المُفَضَّلةِ، وخاصَّةً الطبقَتَيْنِ: الصَّحَابَةُ وَالْتَّابِعِينَ، وَكُلُّ طبقةٍ مِنْهُمْ يَعْظُمُ اللاحِقُ مِنْهُمُ السَّابِقُ؛ فالصحابَةُ يَتَبَيَّنُونَ فِي الْفَضْلِ، وَمِثْلُهُمُ التَّابِعُونَ وَاتِّبَاعُهُمْ، وقد جاءَ فِي الْحَدِيثِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ)^(٢).

(١) «الستة» للخلال (١٢٠ / ١ - ١٢٤).

(٢) سبق تخرِيجه.

﴿ سبُّ تَفْضِيلِ السَّلَفِ : ﴾

وعِلْمُ التَّفْضِيلِ لَيْسَ لِمَجْرِدِ احْتِوَاءِ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْعَهْدِ الْأَوَّلِ، وَنَزْوَلِ الْوَحْيِ، وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُهُمْ غَالِبًا؛ وَإِلَّا فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْعُصَمَاءِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ مَنْ قَامَ بِالدِّينِ مِنْهُمْ وَالْحَقُّ، فَهُوَ أَصَحُّ قَوْلًا، وَأَصَوْبُ عَمَلاً، وَأَصْدَقُ نِيَّةً؛ لِطَهَارَةِ قَلْوَبِهِمْ، وَصِحَّةِ لِسَانِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ؛ فَلَمْ يَتَبَاعَدْ بِهِمُ الْعَهْدُ حَتَّى يَقْعُدَ الْخَلَافُ وَالْفَتْنَةُ؛ كَمَا وَقَعَ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

فَالْخَلَافُ كَانَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ أَضَيقَ مِنْهُ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ أَضَيقَ مِنْهُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ فَقِهِ السَّلَفِ، وَجَدَ ذَلِكَ ظَاهِرًا، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ سُوءُ الْفَصِّدِ، وَلَكِنَّهُ بُعْدُ الْعَهْدِ.

وَقَدْ قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَهَابَ الصَّحَابَةِ وَأَثْرَهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، بِذَهَابِهِ وَأَثْرِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ؛ فَقَالَ ﷺ: (أَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِيِّ؛ فَإِذَا ذَهَبُتُ، أَتَى أَصْحَابِيِّ مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِيِّ أَمْنَةٌ لِأُمْتِيِّ؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِيِّ، أَتَى أُمْتِيِّ مَا يُوعَدُونَ) ^(١).

وَذَلِكَ الاقْتِرَانُ لِبِيَانِ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الْأَمَانِ هِيَ الْقُرْبُ مِنَ الْوَحْيِ وَالاعْتِصَامُ بِهِ؛ فَلَا أَعَظَمُ وَأَشَدُّ قَرَبًا مِنْ رَبِّهِ كَالنَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَلِيهِ أَصْحَابُهُ؛ فَكَانَ الْأَمَانُ لِلصَّحَابَةِ وَالْأُمَّةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَعَظَمُ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْأَمَانُ بِالصَّحَابَةِ لِلتَّابِعِينَ وَالْأُمَّةِ أَعَظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ مَمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

(١) مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى.

﴿ تعظيم فقه الصحابة : ﴾

وكل سُنّة لا تنتهي إلى الصحابة يتوّقف فيها؛ فهم أعلم الناس بالنبي ﷺ وسنته، والناسخ والمنسوخ من شريعته، فإذا ذُل الحديث على تشريع، ودلل الدليل على ترك الصحابة له، فليس لأحد أن يتبعه، ليس لأن منزلتهم أرفع من الوحي، ولا من النبي ﷺ، ولكن لأن منزلتهم وفهمهم أعظم من منزلة من بعدهم وفهمه.

وقد كان الأئمة يشددون في مخالفته قول الصحابة وفهمهم للسنة، ولو كان المخالف لهم من التابعين؛ كما كان ينص على ذلك مالك، وأحمد، وغيرهما، وقد قال الهيثم بن جميل: «قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً وضعوا كتاباً يقول أحدهم: حدثنا فلان، عن فلان، عن عمر بن الخطاب، بكلذا، وحدثنا فلان، عن إبراهيم، بكلذا، ونأخذ بقول إبراهيم؟ قال مالك: صَحَّ عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية؛ كما صَحَّ عندهم قول إبراهيم؟ فقال مالك: هؤلاء يُستتابون»^(١).

وإذا صَحَّ إجماع الصحابة، فلا تجوز المنازعه في ذلك؛ فالإجماع إجماعهم، ومن بعدهم تتبع لهم؛ كما قاله أحمد^(٢).

وإن قال واحد من الصحابة قوله، واشتهر ولم يخالفه، فلا يخرج عنه، خاصة في العبادات^(٣).

(١) «الإحکام» لابن حزم (٦/١٢٠ - ١٢١).

(٢) «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل» (ص ٧٥).

(٣) «المعتمد» (٢/٢٦٦)، و«الإحکام» لابن حزم (٤/٦١٥)، و«أحكام الفضول» (٤٠٧).

وإذا ثبت إجماع التابعين، فلا يجوز الخروج عنه كذلك^(١).

وإن قال واحد منهم بقوله، فالأمر فيه سَعَةً، فامرُهم ليس كأمرِ الصحابة، إلا أنَّ قولَ الواحدِ منهم الذي لا يخالفُ فيه، فالاصلُ: أنه أَخْذَه من صحابيٍّ، ولو لم يذكره، وقد نصَّ على هذا أَحمد.

الاستدلال بحديث يخالف الصحابة:

ولا يجوز لأحدِ مِنَ الْمُتَأْخِرِينَ أَنْ يَسْتَبِطَ مِنْ نَصٍّ سَنَةً تُخَالِفُ قَوْلَ أَهْلِ الصَّدِيرِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ كَانَ التَّابِعُونَ وَاتَّبَاعُهُمْ - مَعَ قُرْبِ عَهْدِهِمْ - يَعْظِمُونَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ، وَفَهْمَهُمْ لِلْوَحِيِّ، وَيَقْدِمُونَ عَلَى فَهْمِهِمْ؛ لِتَزْكِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ، وَصِدْقِهِمْ، وَسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولُوا بِقَوْلٍ يُخَالِفُ النَّصَّ، فَضَلًا عَنْ أَنْ يُجْمِعُوا عَلَيْهِ؛ قَالَ التَّنْخَعِيُّ: «لَوْ رَأَيْتُ الصَّحَابَةَ يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الْكَوْعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ، وَأَنَا أَفْرُؤُهُمَا»: **«إِلَى الْمَرَاقِقِ»** [المائدة: ٦]^(٢).

وذلك لأنَّهُمْ لَا يَتَهَمُونَ فِي تَرْكِ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِلْمِهِمْ وَحِرصِهِمْ وَوَرَعِهِمْ؛ فَلَا يُظْنُ ذَلِكَ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مَتَّهُمْ فِي دِينِهِ.

وكان عمرُ بنُ عبدِ العزِيزَ يَجْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّصْدِيقِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكُ يُعِجِّبُهُ عَزْمُ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوْلَاهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ سُنْنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِيمَا خَالَفَهَا؛ مَنِ افْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ

(١) «الإحکام في أصول الأحكام» (١/٢٣١)، و«مجموع الفتاوى» (١٣/١٩٨).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

بها منصورٌ، ومنْ ترَكَها واتَّبعَ غيرَ سبِيلِ المؤْمِنِينَ، وَلَاَهُ اللَّهُ مَا تَوَلََّ،
وأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وساعَتْ مصِيرًا^(١).

قال مالك: «أعْجَبَنِي عَزْمُ عُمَرَ فِي ذَلِكَ»^(٢).

وكان الأئمَّةُ مِنَ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ يَعْظِمُونَ عَمَلَ الصَّحَابَةِ،
وَخَاصَّةً الْخُلُفَاءِ، وَيَقْدُمُونَهُ عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ؛ لَيْسَ لَأَنَّهُ أَجَلُّ مِنْهُ،
وَلَكِنْ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِتَفْسِيرِهِ.

قال مالك: «وَالْعَمَلُ أَثَبُّ مِنَ الْأَحَادِيثِ»؛ قال مَنْ أَقْتَدَيْتَ بِهِ: إِنَّهُ
أَصَعِيفٌ أَنْ يُقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: «حَدَّثَنِي فلانٌ عَنْ فلانٍ»، وَكَانَ رَجُالٌ
مِنَ التَّابِعِينَ تَبَلُّغُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمُ الْأَحَادِيثُ، فَيَقُولُونَ: مَا نَجَهَلُ هَذَا؛
وَلَكِنْ مَضِيُّ الْعَمَلِ عَلَى خَلَافَهُ»^(٣).

وكان مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ رَيْمَا قَالَ لِهِ أَخْوَهُ: لِمَ لَمْ تَفْضِ
بِالْحَدِيثِ كَذَّا؟ فَيَقُولُ: «لِمَ أَجِدُ النَّاسَ عَلَيْهِ»^(٤).

﴿ حَقِيقَةُ الْعَمَلِ الَّذِي يَقْدِمُ عَلَى الْحَدِيثِ : ﴾

وَلَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ مُتَقْدِمٍ يَقْدِمُ عَلَى الْحَدِيثِ، بَلْ مَا قَرُبَ مِنَ الْوَحْيِ
زَمَانًا وَمَكَانًا؛ فَلَيْسَ قَرْبُ الزَّمَانِ وَحْدَهُ كافِيًّا فِي تَقْدِيمِ الْعَمَلِ؛ فَلَا يَقْدِمُ
قَوْلُ كُلِّ بَلِدٍ - مَهْمَا تَبَاعَدَ - عَلَى الْحَدِيثِ، وَلَا قَرْبُ الْمَكَانِ وَحْدَهُ كافِيًّا
فِي تَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ؛ فَلَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَهْمَا تَبَاعَدَ زَمَانُهُ
وَتَأْخَرُ كافِيًّا فِي تَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُهُ ضَلَالَةً وَشَرًّا.

(١) «مسائل حرب» (١٩٥٨)، و«السنّة» لعبد الله (٧٦٦)، و«السنّة» للخلال (١٣٢٩)،
و«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٤).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧ - ١١٨). (٤) الموضع السابق.

وإنما الذي يقدم من العمل ما جمع القرآن: قرب الزمان، وقرب المكان؛ قال عبد الرحمن بن مهدي: «السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث»^(١).

وليس هذا تأخيراً للحديث، وإنما هو تقديم لفهمهم على فهم غيرهم؛ فإن عمل أهل المدينة المتقدم لم يفضل إلا لأجل الحديث؛ ففضله فرع عن فضله، وإن فمكة أفضل من المدينة، وليس فضلها بفضل لها في فضل العمل على غيرها؛ فالمدينة متزل أكثر الحديث والعمل به.

ومن كان جاهلاً بعمل الصدري الأول وفهمهم، كثُر خطأه، وجاء بشذوذ الأقوال، ولو كان معه ظاهر الحديث؛ قال ابن عبيدة: «الحديث مضللة إلا لفقهاء»^(٢).

وقد قال ابن أبي زيد في بيان ذلك: يريده: أن غيرهم قد يحمل شيئاً على ظاهروه، وله تأويل من الحديث غيره، أو دليل يخفي عليه، أو متزوك وجَب تركه؛ غير شيء مما لا يقوم به إلا من استبحر وتفقه.

ومن هذا قول ابن وهب: «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه، فهو ضال، ولو لا أن الله أنذانا بمالك والليث، لضللنا»^(٣).

وربما أجمع الصحابة والتبعون على ترك العمل بحديث، وهو صحيح؛ لأنهم يعلمون سبباً مشروعاً لترك العمل وإن لم يبنوه؛ فصار مجرد تركهم دليلاً مستقلاً في ذاته على الترك، لا أن تركهم لذاته أفضل من الحديث لذاته.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨)، و«مستند الموطأ» (٥٦).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٩).

فلا يمكن أن يجتمعوا على ترك سُنَّة، ولا أن يجتمعوا على فعل خطأ، وقد قال ابن أبي زيد في «جامعه»: «وَالسَّلِيمُ لِلسُّنَّةِ لَا تُعَارِضُ بِرَأْيِ، وَلَا تُدَافِعُ بِقِيَاسِ، وَمَا تَأْوِلَهُ مِنْهَا السَّلْفُ الصَّالِحُ تَأْوِلَنَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلْنَاهُ، وَمَا تَرَكُوهُ تَرَكْنَاهُ، وَيَسِّعُنَا أَنْ نُمْسِكَ عَمَّا أَمْسَكُوا، وَنَتَبَعُهُمْ فِيمَا بَيْتُوا، وَنَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيمَا اسْتَبْطَوْهُ وَرَأَوْهُ فِي الْحَوَادِثِ، وَلَا نَخْرُجَ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَوْ فِي تَأْوِيلِهِ»^(١).

وكان ابن أبي زيد معلماً للسُّنَّة، بصيراً بها، عالماً بأقوال السلف، عارفاً بتاريخ البدع ونشأتها، وقد كان يقول في بدعة أصول الدين: «بنو أمية لم يكن فيهم خليفة ابتدع في الإسلام بدعة»^(٢).

ولا تنتشر البدع إلا عند من عطل الأثر وجهل منزلة الصحابة والتابعين في حفظ الدين، فمن جهل الأثر استحسن العمل بالرأي فعند الله بذوقه وما يعجبه، حتى يجد من الميل والنشاط في عبادة الله بالبدعة أكثر من السُّنَّة، حتى منهم من لا يزكي ولا يتصدق في الواجبات وينفق الأموال الطائلة على الاحتفال بالمواليد النبوية، ويسؤال له أن من ينهاء عن ذلك لا يعظُّ النبي ﷺ، وما تعظيمه إلا باتباع عمله من صلاة وصدقة وصلة وإحسان، وترك ما يكرهه من الأفعال، قال تعالى: «فَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْنِونَ اللَّهَ فَاتَّسِعُونِي يَعْبِثُكُمُ اللَّهُ» [آل عمران: ٣١]، فإذا كانت محبة الله - وهي أعظم محبة - لا تتحقق إلا باتباع فعل النبي ﷺ، فإنَّ محبة نبيه من باب أولى.

(١) «الجامع» (ص ١١٧).

(٢) الحجة على تارك المحجة (ص ٤٩٧).

﴿ ترك المرأة والجدال ﴾

قال ابن أبي زيد: لَمْ وَتَرَكِ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ، وَتَرَكَ مَا أَخْدَثَهُ
الْمُحْدِثُونَ^(١):

وقد أنزل الله وحيه كتاباً وسنته؛ ليكون دليلاً للعالمين إلى معرفة
فيهم، ولو كانت العقول المجردة كافية في ذلك، لأمر بالأخذ بها من غير
وحي ولا رسول، وكل من أراد أن يصل إلى الله بطريق غير وحيه، فهو
في ضلال وتبه؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِشُوا
الشَّبَّيلَ فَنَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْهَمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَيْعَانًا وَلَا نَرَقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله: وحيه ودينه^(٢).

وكل نزاع وخلاف في الدين يجب رده إلى الوحي، لا إلى الرجال
والآذواق والأهواء؛ كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
رَسُولَكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِنْ قَوْنَاتٍ لَتَنْزَعُمُ فِي شَقَقِ الْفَرِدَادِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنَّ كُلَّمَا
تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد قال عمر بن الخطاب: «قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم
الفرائض، وتركتكم على الواضحة، إلا أن تميلوا بالناس يمينا
و شمالا»^(٢).

﴿ طرق معرفة حق الله ﴾

وكل سبيل يراد به أن يدخل صاحبه إلى ربه من غير الوحيين، فهو
مما حذر الله منه من تلك الأهواء: ﴿ وَلَا تَنْتَعِشُوا الشَّبَّيلَ فَنَرَقَ بِكُمْ عَنْ

(١) انظر في هذا المعنى: «تفسير ابن جرير» (٦٤٣/٥).

(٢) «الموطأ» (٨٢٤/٢).

سَيِّلَهُ [الأنعام: ١٥٣]، ولن يُوصِّل صاحبَه إلى شيء؛ لأنَّه حتَّى وإنْ أصابَ الحقَّ صُدْفَةً، فقد ضَلَّ بِأَنَّ اتَّخَذَ وسيلةً للدلالة على الله غيرَ ما شرَعَهُ الله؛ وهذا بذاته محاوَّلةٌ لِرسولِه؛ لأنَّ الله جعلَ الدينَ كاملاً من جهَّتيه: جهةُ الطريق، وجهةُ الغاية:

أما جهةُ الطريق: فقد جعلَ الله في وحِيهِ كفايةً؛ لهذا أمرَ بالأخذِ منه، وحرَّمَ من الأخذِ من غيرِه، ومن لم يَجِدْ ما يُرِشدُهُ من وحِيهِ، أو قَصْرَ نظرُه عن الفهم، فهو معذورٌ، ولا يجوزُ له التماسُ حقَّ الله من غيرِ طريقِ الله؛ قال ﷺ: (فَذَرْكُنُوكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَبْلَهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيقُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكُ، وَمَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ، فَسَيَرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنْتِي، وَسُنْنَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبَدُوا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمِيلِ الْأَنْفَفِ، حَيْثُمَا قِيدَ اُنْقَادَ) ^(١).

وأما جهةُ الغاية: فهي العبادةُ التي لأجلِها خلقَ الله الخلقَ؛ كما قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ** [الذاريات: ٥٦]؛ فليس لأحدٍ أن يزيدَ في العبادةِ ما شاءَ، ولا أن ينقصَ منها ما شاءَ؛ فالله أكملَ دينَه وأتمَّه، وكلُّ مَنْ زادَ فيهِ، فقد اتهمَ بالتفصانِ، وكلُّ مَنْ نقصَ منهِ، فقد اتهمَ بالزيادةِ؛ والله تعالى يقولُ: **الَّيْوَمَ أَكْلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَلُ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ وَيَنْهَا** [المائدة: ٣].

المجتهدُ بِدُعَةٍ:

والمجتهدُ في طريقٍ غيرِ مشروعٍ يؤديهُ اجتهادُه إلى بِدُعَةٍ، ليس بمعذورٍ؛ لأنَّ ضلالَه: في سلوكِ الطريقِ، قبلَ وصولِه إلى الفهمِ، فهو

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤). واللفظ لابن ماجه.

ضلَّ في طريقه قبل فهمه، بخلاف من أخطأ في فهم نصِّ الْوَحْيِ؛ فضلًاً في اجتهاده في الفهم، لا في الطريق؛ لأنَّ طريقَ الْوَحْيِ.

ولو كان كُلُّ مجتهدٍ معذورًا بغضِّ النَّظرِ عن صِحَّةِ الوسائلِ والطريق، فلا قيمةٌ لإنزالِ الْوَحْيَيْنِ، وحصرِ التشريعِ فيهما، وقد قال ابنُ أبي زيدٍ: «وَمَنْ قَوْلٌ أَهْلُ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يُعَذَّرُ مَنْ أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى بِذْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ اجْتَهَدُوا فِي التَّأْوِيلِ؛ فَلَمْ يُعَذَّرُوا؛ إِذْ خَرَجُوا بِتَأْوِيلِهِمْ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ فَسَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الْمُجتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ مَأْجُورًا وَإِنْ أَخْطَأَ»^(١).

﴿التحذير من الجدال والمراء في الدين﴾

والجِدَالُ والمراءُ ليس طريقًا موصلًا إلى الحقِّ بذاته؛ فمتى بانتِ الحُجَّةُ، واتضَّحَ الدليلُ، وجَبَ اتباعُهُ والعملُ به، وتركُ الجدالِ والمراءِ فيه؛ فإنما هلكَ أصحابُ العقولِ باستحسانِهِمْ رأيَهُمْ، واستباطِهِمُ المجرَدُ عن النَّصِّ؛ فاستدرِجُوا إلى الأهواءِ خطوةً خطوةً، حتى انتهُوا إلى غيرِ ما قصدُوا البداءَةَ به.

ولهذا حذرَ العلماءُ من المراءِ والجدالِ في الدينِ؛ فَاللهُ تعالى لم يُنزلْ كتابَهُ إلا واضحاً وبينا لفاصدوهُ من أهلِ لُغتهِ، وليس مخلقاً مقتلاً يحتاجُ إلى جدالٍ ومراءٍ ليُعرَفَ ما فيه؛ فَاللهُ وصفَ كتابَهُ بالبينِ والشفاءِ، والنُّورِ والهدايةِ، والحجَّةِ والمُحَكَّمِ، والمفصَّلِ والبيانِ، وإنْ كانَ هناكَ استغلاقٌ في الفهمِ، فهو في العقولِ والقلوبِ، لا فيه؛ كما قالَ تعالى: «أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا» [محمد: ٢٤]؛ فجعلَ القُفلَ على القلبِ، لا على القرآنِ.

(١) «الجامع» (ص ١٢١).

الْحَسْنُ الْقَصْدُ وَسُوءُهُ، وَأَثْرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ :

وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ الْلِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُحْسِنْ قَصْدَهُ
بِحُسْنِ اللَّهِ لَهُ الْوَصْوَلُ إِلَى مَرَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ يَسْأَلُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَاتَلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُثُرْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْل: ٤٣].

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ بِلَا قَصْدِ حَسْنٍ، وَفِي قَلْبِهِ مَرْضٌ يَتَصَبَّدُ مَا يُرِيدُ
بِالْهُوَى -: زَادَهُ النَّظَرُ فِيهِ حَيْرَةً وَهُوَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذَا مَا أَنْزَلْتَ
شُورَةً فِينَهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَإِنَّمَا الَّذِينَ مَاءَمُوا فَرَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِّشُونَ﴾  وَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
رِجْسِهِمْ وَمَا لَوْا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الْتَّوْبَة: ١٢٤ - ١٢٥].

وَاللَّهُ لَا يُضْلِلُهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْهُدَىَّ، وَلَوْ أَرَادُوا الْهُدَىَّ، لَوْفَقُهُمْ
إِلَيْهَا: ﴿وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَشْعَمَهُمْ﴾ [الْأَنْفَال: ٢٣]، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمْ
قَصْدَهُمْ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَعُوا أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾
[الصَّف: ٥]؛ لَأَنَّ قَصْدَهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ: اتِّبَاعُ الْمُتَشَابِهِ؛
كَمَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا دَرَأْنَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَكَّهُ مِنْهُ أَبْيَكَةَ الْبَشَرَةَ فَإِنَّهُمْ
تَأْوِيلُهُ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَ مَالِكُ: «وَلَقَدْ قَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْأَدِيَانَ كُلُّهَا، فَلَمْ أَرِ
شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَا أَخْبِرُكُمْ
لِمَ ذَلِكَ؛ لَأَنَّكَ لَا تَتَقْرِي اللَّهَ تَعَالَى، وَلَوْ أَتَقْرِيَتُهُ، لَجَعَلَ لَكَ مَحْرَجًا»^(١).

وَلَوْ كَانَ الْجَدَالُ وَالْمَرَاءُ الزَّائِدُ عَنِ الْبَيَانِ طَرِيقًا لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللَّهِ،
لَأَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَلِيُسْ هَذَا الْجَدَالُ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ»^(٢).

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

(٢) الموضع السابق.

وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ طَرِيقًا غَيْرَ الْوَحْيِ لِيَصِلَّ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَّا كَثُرَ تَحْوِلُهُ وَتَنْقُلُهُ مِنْ قَوْلٍ إِلَى قَوْلٍ، وَمِنْ مَذَهِبٍ إِلَى مَذَهِبٍ، وَمِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ؛ لَأَنَّهُ يَبْدُأُ يَرِيدُ شَيْئًا فَيَسْتَأْنِسُ فِي الْبَدَائِيَّةِ، ثُمَّ يَسْتَوْجِشُ بِالنَّهَايَةِ، فَيَتَحَوَّلُ؛ كَسَالِكِ طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ بِلَا دَلِيلٍ؛ يَسْتَوْجِشُ كُلَّمَا طَالَ سَيْرُهُ، حَتَّى يَتَخَبَّطَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً مِنَ الْحَيْرَةِ، عَكَسَ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَهُ مِنْ رَبِّهِ فِي أَوَّلِ طَرِيقِهِ وَأَوْسَطِهِ وَمِنْتَهِاهُ؛ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَزِيزَ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ عَرَضًا لِلْحُصُومَاتِ، أَكَثَرَ التَّنَقُّلَ»^(١).

﴿هَجْرُ الْجِدَالِ وَالْمَرَاءِ وَأَهْلِهِ﴾

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْجِدَالِ وَالْمَرَاءِ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ: مِنَ الْخَوْضِ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَوَلَا زَكَرَ اللَّهُنَّ يَخْوُضُونَ فِي أَيْمَانِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَقَّ يَخْوُضُونَ فِي حَيَّاتِنَا غَيْرُهُ فَلَمَّا يُنْسِيَنَّهُ أَلْسِنَتُهُنَّ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ أَلْئَكَرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَإِنَّمَا نُهِيَّ عَنِ الْمُخَالَطَةِ لِلْبَاطِلِ؛ لَأَنَّ الْقُلُوبَ تَتَشَرَّبُ مَا تَسْمَعُ، فَتَسْتَكِرُ أَوْلَ مَرَّةً، ثُمَّ يَنْقُصُ اسْتِنْكَارُهَا حَتَّى تَأْلَفَهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْهَجْرِ حَتَّى لَا تَأْلَفَهُ الْقُلُوبُ، فَرَبِّمَا تَأْلَفَ الْقُلُوبُ حَتَّى يَعِجزَ صَاحِبُهُ عَنْ تَرِكِهِ؛ لِضَعْفِ قَلْبِهِ، وَلِقُوَّةِ الشَّبَهَةِ عَلَيْهِ؛ فَمِنَ الشَّبَهَاتِ مَا يَتَعْلَقُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ، كَمَا يَتَعْلَقُ بِهِ الْمَرْضُ الْمُعْدِي يَكْرَهُهُ وَلَا يَجِدُ خَلاصًا مِنْهُ.

كَمَا قَالَ مَالِكُ: وَكَانَ يَقَالُ: «لَا تَمْكُنْ زَائِغُ الْقُلُوبِ مِنْ أَذْنِيَكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَنْدِرِي مَا يَعْلَقُكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ شَيْئًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْقَدْرِ، فَعَلِقَ بِقَلْبِهِ؛ فَكَانَ يَأْتِي إِخْرَانَهُ الَّذِينَ

(١) «الْجَامِعُ» لَابْنِ أَبِي زِيدَ (صِ ١٢٠).

يَسْتَنْصِحُهُمْ، فَإِذَا نَهَوْهُ، قَالَ: فَكِيفَ بِمَا عَلِقَ بِقَلْبِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَنَّ الْقَيْمَنَى بِنَفْسِي مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ، لَفَعَلْتُ^(١).

وَقَدْ كَانَ السَّلْفُ يَنْهَوْنَ عَنِ مُخَالَطَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَمُجَالِسِهِمْ، وَقَلَّمَا يَقِيِّدُونَ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُقُولِ تَغْتَرُ بِنَفْسِهَا، وَتَنْخِدُ بِعِلْمِهَا الْقَاصِرِ؛ فَأَكْثَرُ النُّفُوسِ تُظْنَى كَمَالَ عَقْلِهَا، وَقُوَّتَهَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا، وَيَعْرُرُهَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ نَفْسِهَا، وَيُظْهِرُ لَهَا مِنَ الْمَعْانِي الْقَلِيلَةِ مَا تُذَرِّكُهُ، وَرِبَّمَا أَوْحَى إِلَيْهَا مِنِ الْاسْتِبَاطِ الدَّقِيقِ مَا تَنْخِدُ بِهِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُؤْمِنُ إِلَّا أَوْلَاهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَرِبَّمَا كَانَ الْقَصْدُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْوَحْيِ الشَّيْطَانِيِّ: أَنْ تُسِيرَ النَّفْسُ إِلَى مَضَايِقِ الْجَدَلِ وَالْمَرَاءِ؛ حَتَّى تَقْعُ في شِرَارِكِ الْجَهَالَاتِ، وَحَبَالٍ مَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهَا بِالْبَاطِلِ؛ فَتَغْتَرُ بِهِ وَتَنْقَادُ لَهُ.

وَكَثِيرًا مَا يَأْتِي بَعْضُهُمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ عُلَمَاءِ الْجَدَلِ وَالْمَرَاءِ؛ لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدَّ بِأَطْلَاهُمْ؛ فَيَقُولُ فِي بَاطِلِهِمْ حَتَّى يَقْتُلُهُ لَضَعِيفُهُ لَا لَقُوَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ الْأَضْعَافَ يُرَى الْضَّعِيفَ قَوِيًّا.

وَقَدْ رَأَيْتُ شَابًا جَاهِلًا فِي أَوَّلِ طَلَبِهِ يَقْصِدُ صَاحِبَ هَوَى بِرِيدِ الْأَنْتِفَاعِ مِنْهُ، فَحَذَرَتُهُ مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ إِنَاءٌ مُلِئَ عِلْمًا»، فَقُلْتُ لَهُ: صَدَقْتَ؛ هُوَ فِنْجَانٌ، وَأَنْتَ نَمْلَةٌ؛ فَتَرَاهُ كَجَبَلٍ أَخْدِ، وَلَوْ كَبُرْتَ عَلَمًا، رَأَيْتَهُ كَمَا هُوَ، وَلَكِنَّكَ لِصِغَرِكَ وَضَعْفِكَ تَرَى كِبَرَهُ وَقُوَّتَهُ عَلَيْكَ، لَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ.

وَقَدْ قِيلَ لِمَالِكٍ: «مَنْ قَوِيَ عَلَى كَلَامِ الزَّنَادِقَةِ وَالْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرَيَّةِ

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

وأهلي الأهواء؛ أيكُلُّهم؟ قال: لا؛ وإنَّ الذين خرَجُوا إنما عابوا المعااصي، وهم لا يتكلّموا في أمر الله، وقال ذلك الرجل - يعني: ابن عمر -: أمَّا أنا، فعلى بيْنَةٍ من ربِّي، وأمَّا أنت، فاذهَب إلى شاكِرٍ مثلكَ خاصِصمه»^(١).



قال ابن أبي زيد: لَمَّا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذَرِيَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وقد ختم مقدمة الصلاة على النبي - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذَرِيَّتِهِ - تيمُّناً بذلك، وإجلالاً لمبلغ الدين عن ربِّه، والتماساً لشفاعتيه، وتحمُّداً لله على تمامه وفضله وإحسانه، ونسأله السَّدَادَ والهداية، وبهذا انتهى الشرحُ لمقدمة الرسالة، مع بُعدٍ عن كثيرٍ من الكُتب، جبَرَ اللهُ الْخَلَلَ، وأحسَنَ القَضَى، ومنه القَبُولُ!

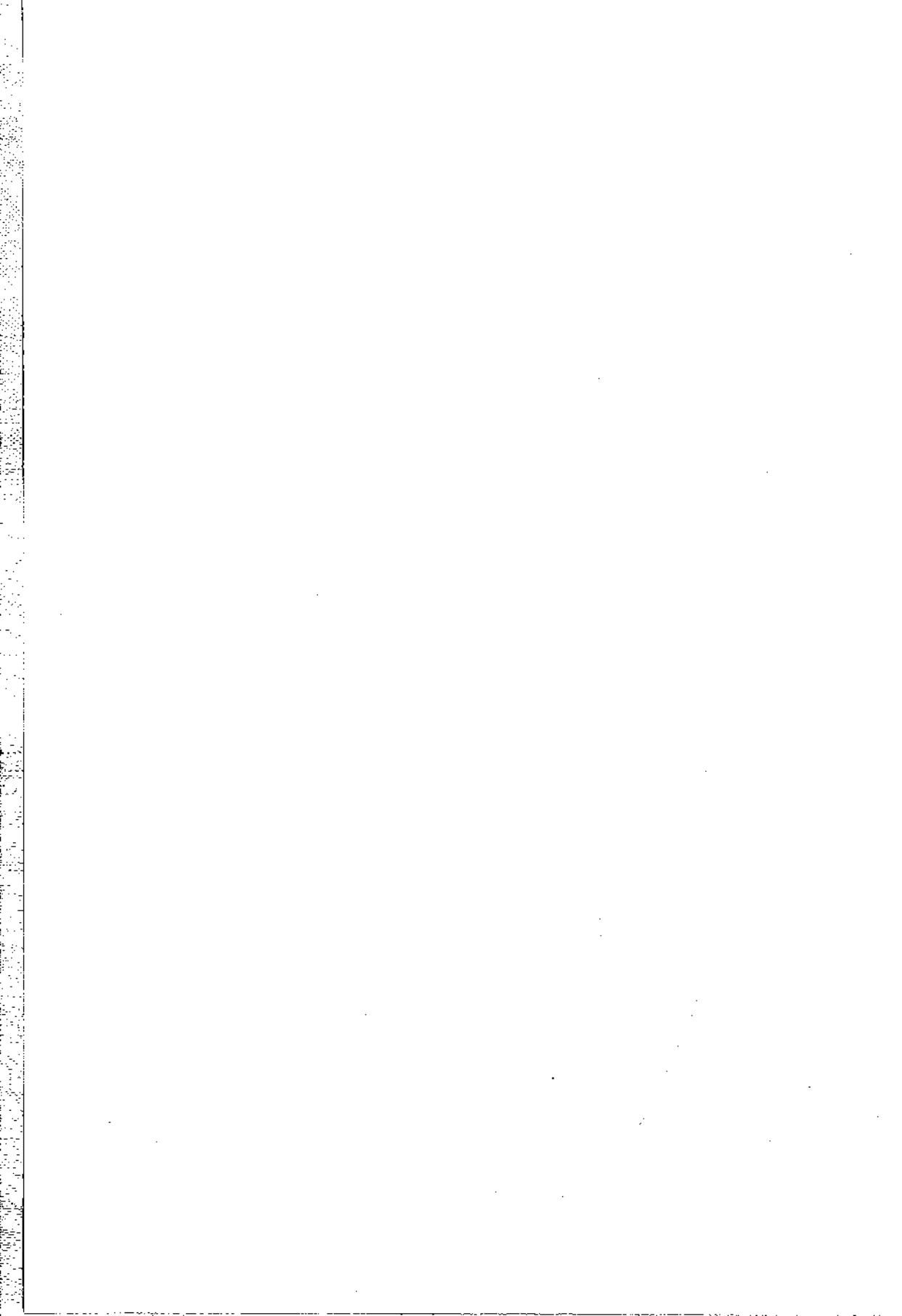


(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥).

الفَهَارِسُ الْعَامَّةُ

وتتضمن:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس القواعد والكلمات.
- ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل.
- ٨ - فهرس المذاهب والأقوال.
- ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة.
- ١٠ - فهرس الحكم والأمثال وتأثير الأقوال.
- ١١ - فهرس الفوائد.
- ١٢ - فهرس الموضوعات.



١ - فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الأية
٢ - سورة البقرة		
٧٦	١٠	»فِي قُلُوبِهِمْ شَرٌّ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا «
٢٠٥	٢٤	»أَعْذَّتْ لِكُفَّارِنَا«
١٢٤	٢٩	»ثُمَّ أَسْتَوْقَى إِلَى السَّكَّاءِ«
٢٠٤ ، ٢٠٣	٣٥	»وَقُلْنَا يَكْفُمُ أَشْكَنَ أَنَّ رَبَّكُوكَ الْجَنَّةَ«
٢٠٣	٣٦	»وَقُلْنَا آهْبِطُوا بَصَرَكُوكَ لِيَعِيشَ عَدُوُوكَ وَلَكُوكَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَغْرِيْ وَمُتَّسِعَ إِلَى جِنَوِيْ«
٢٠٣	٣٨	»وَقُلْنَا آهْبِطُوا مِنْهَا جَهَنَّمَ«
٨٠	٤٥	»وَأَسْتَعْيُوكَ إِلَى الصَّبَرِ وَالصَّلَوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْمُتَشَبِّهِنَ«
٨٠	٤٦	»الَّذِينَ يَطْلُوُونَ أَنَّهُمْ مُلْفُوْنَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ«
١٨٩	٤٨	»وَأَنَّهُمْ يَوْمًا لَا يَخْرِيْ نَفْسَ عَنْ تَقْرِيْنِ شَيْئَيْنِ«
١٨٩	١٢٣	»وَأَنَّهُمْ يَوْمًا لَا يَخْرِيْ نَفْسَ عَنْ تَقْرِيْنِ شَيْئَيْنِ«
١٨٥	١٣٦	»وَقُلُّوا مَا نَكَرَ إِلَيْهِمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ فَلَا تُكَبِّلُ وَلَا سُخْنَ وَلَا قُوْبَ وَلَا سُبْطَاط...«
١٥١	١٤٥	»فَمَنْ يَعْدُ مَا جَاءَكَ وَنَنْعَلِمْ«
٥٣	١٦٩	»وَأَنَّهُمْ يَوْمًا لَا يَعْلَمُونَ«
٧٤	١٧٢	»وَتَأْيِيْهَا الَّذِينَ عَامَّوْهَا كَثُوا وَمَا طَبِّيْتَ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَأَشْكَرُوا إِلَهًا إِنْ حَكَمَّ إِلَيْهِمْ تَقْبِيْدُونَ«
٧٤	١٧٣	»أَنَّهُمْ حَمَّ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَةَ وَاللَّدَمْ وَلَعْمَ الْجَنَّزِيْرِ وَمَا أُهْلَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ«
٢٤٢	١٧٧	»وَلَكُوكَ الَّهُ مَنْ عَانَ إِلَهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَالْمُلْكُ كَلَّا وَالْكِتَابُ وَالْيَقِيْنَ«
٧٤	١٨٩	»وَسَلَوْنَكَ«

الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٤	٢٠٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَدْخُلُوا فِي النَّارِ كَلَّا أَنْ تَشْعُرُوا خَطُوبَتِ الشَّيْطَانَ إِلَّا هُنَّ عَذَّابٌ مُّبِينٌ﴾
٢٠٦ ، ٦٦ ، ٦٤	٢١٠	﴿مَلِّ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ وَّمِنَ الْكَنَافِ﴾
١٥٨	٢٢١	﴿وَلَعِبْدٌ مُؤْمِنٌ حَيْثُ مِنْ مُشْرِكِي﴾
١٠٦	٢٥٥	﴿الْعَلَى﴾
١١٨	٢٥٥	﴿وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
٩	٢٥٥	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ وَّمِنْ عَلَيْهِ إِلَّا يَمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَجُودُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ عَلَىٰ الْعِظَمَ﴾
١٠٥	٢٥٥	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ وَّمِنْ عَلَيْهِ إِلَّا يَمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
١٨٣ ، ١٨٢	٢٥٦	﴿وَلَا إِكَاهَ فِي الْأَيْمَةِ﴾
١٨٩	٢٨١	﴿وَأَنْقَعُوا يَوْمًا رُتْجَمُوتَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾
٢٤١ ، ١٧٧	٢٨٥	﴿وَكُلُّ مَاءَمٍ بِاللَّهِ وَمَلِكِكُوْهِ وَكِبِيرٍ وَدُسْلِيْرِ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ قِنْ رُسُلِهِ﴾

٣ - سورة آل عمران

١٦٦ ، ١٢١	٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْقُنُ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾
١٨٨	٧	﴿إِمَّا مَا يَرِيدُهُ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾
٢٧٩	٧	﴿إِمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَغْبَةٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا شَاءُوا مِنْهُ أَبْغَاهُمْ أَفْشَلُهُ وَأَبْعَلُهُ تَأْوِيلِهِ﴾
١٨١	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَنَدُوا اللَّهَ الْأَمْلَأُونَ﴾
٢٦١	٢٦	﴿وَتَنَزَّلُ الْمُلْكُ مِنْ كُلِّ شَاءٍ﴾
٢٧٥ ، ١٨٨	٣١	﴿قُلْ إِنَّ كُلَّ مَنْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ فَإِنَّمَا يُتَّبِعُكُمْ اللَّهُ﴾
١٢٩	٤٠	﴿يَسْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
١٤١	٥٩	﴿إِنَّمَا مُثَلَّ حِيسَنَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ حَلْفَكُمْ وَنِرْبَكُمْ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مَنْ كَيْفُوْنَ﴾
١٥١	٦١	﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ بِمِنَ الْأَوْلَى﴾
١٧٨	٨١	﴿وَلَمَّا آتَكَ اللَّهُ بِسْقَى الْأَرْضَنَ لَمَّا مَاتَتْكُمْ مِنْ كَيْكُرْمَ وَحِكْمَتْ قُمَّ جَاهَ حَسْنَمَ رَسُولُ مُصْلَقُ لِمَا مَعَكُمْ لَتَوْمَشَ بِهِ وَلَتَنْصَرِلَهُ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَدَدَ الْإِسْلَامِ وَيُنَادِيْنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾	٨٥	١٨١
﴿وَأَغْنَيْمُوا بِحَلِيلِ اللَّهِ جَمِيعًا لَا تَنْفَرُوا﴾	١٠٣	٢٧٦
﴿أَعَذَّتْ لِكُفَّارِهِ﴾	١٣١	٢٠٥
﴿أَعَذَّتْ لِمُتَّقِيْنَ﴾	١٣٣	٢٠٤
﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مَنْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِهِ وَرَزَّقْنَاهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	١٦٤	١٨٧
﴿وَلَا تَحْسِنَ أَلْيَانَ قُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٢٣٦
﴿أَلَيْنَ قَالَ لَهُمُ الْكَافِرُونَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاحْتَسِبُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِنَةً اللَّهُ وَرَقْمُ الْوَحْشَيْلِ﴾	١٧٣	٢٢٤
﴿وَإِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْيَالِ الْأَيَلِ وَأَنْهَارِ الْأَيْنِ لَأَوْلَى الْأَنْبِيبِ﴾	١٩٠	٩١
﴿وَالَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ اللَّهُ فِينَما وَقْعَدُوا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَتَنَاهُكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا كَلَّفَ هَذَا بِطَهْلَلَا سُبْحَنَنَا فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٩١	٩١
٤ - سورة النساء		
﴿وَلَمْ يَجْتَبُوا كَثِيرًا مَا نَهَنَّاهُ عَنْهُ لَكُفُورُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَلَمْ يُؤْلِمُكُمْ مُؤْلِمًا كُرْبَمَا﴾	٣١	١٩٤
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَيَشَدَّدْنَا بِكَ عَلَى هُنْوَلَهُ شَهِيدًا﴾	٤١	١٧٧
﴿وَلَمَّا هَبَّ الْأَيَّنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاءِمُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصْبِرِكًا لِمَا مَعَكُمْ﴾	٤٧	١٧٨
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكْفُلُهُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَدَهُ إِلَيْهِ عَظِيمًا﴾	٤٨	١١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْانَةَ إِذَا أَهْلَهَا﴾	٥٨	١٢٣ ، ١٠١
﴿وَلَمَّا هَبَّ الْأَيَّنَ مَاءِمُوا أَلْيَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَئِمَّةِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٢٧٦ ، ٢٥٨
﴿فَلَا يَنْدَبِرُونَ الْقَرْمَانَ﴾	٨٢	٢٧٨ ، ٩٥

الصفحة	رقم الآية	الأية
١٨٥	١٣٦	﴿كَيْفَ يَا أَيُّهُ الَّذِينَ مَاءَمُوا مَا مَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّتِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾
١٧٧	١٥٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
١٣٧ ، ٦٦	١٦٤	﴿وَوَكْلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا﴾
١٧٧	١٦٥	﴿وَرُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا لَمَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حُلَّ اللَّهُ حَجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
٢٠٦	١٦٩	﴿خَدِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
٧٤	١٧٦	﴿بِسْقَنْوَنَكَ﴾

٥ - سورة العنكبوت

٢٧٧ ، ١٨٧	٣	﴿وَالْيَوْمَ أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَبْدُكُمْ يَعْصِي﴾
٩٥	١٥	﴿وَكَتَبْتُ مِيرَتَ﴾
١٨٦ ، ١٨٥	٤٨	﴿وَأَنَّزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَ
		﴿الْكِتَبِ وَمَهِيَّنَا عَلَيْهِ﴾
١٢٣ ، ١٠٢	٦٤	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾

٦ - سورة الأنعام

١١٤ ، ١٠٦	١٨	﴿وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِنْكَارِهِ﴾
١٤٩	١٩	﴿فَلَمَّا أَئْتَنَا شَفَوْهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلَّ اللَّهُ﴾
١٦٦	٢٨	﴿وَلَوْ رُدُوا لَمَادُوا لِمَا هُوَا عَنْهُ وَلَمْ يَهُمْ لِكَبِيُّونَ﴾
١٦٦	٥٩	﴿وَرَضِدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا لَا حَسْنَةٌ فِي ظُلْمِكُنُّ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَكِيسٌ إِلَّا فِي كَنْبُرِ شَيْءٍ﴾
٩	٥٩	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا لَا حَسْنَةٌ فِي ظُلْمِكُنُّ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَكِيسٌ إِلَّا فِي كَنْبُرِ شَيْءٍ﴾
٢٤٤	٦١	﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَكُمُ الْمَوْتُ وَقَتَنَهُ رُشْلَانٌ وَقُمْ لَا يَفِرُطُونَ﴾
١١٤ ، ١٠٦	٦١	﴿وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِنْكَارِهِ﴾
٢٨٠	٦٨	﴿وَإِنَّا رَأَيْنَاهُ الَّذِينَ يَحْوِطُونَ فِي مَا يَكِلُنَا فَأَعْرِقُ عَنْهُمْ حَتَّى يَحْوِسُوا فِي حَدِيثِ عَيْفٍ وَلَمَّا يُسْبِّنُكَ الشَّيْطَانُ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَوْ قَالَ أُرْجِيَ إِلَكَ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ﴾	٩٣	١٤٩
﴿وَرَعَقَ كُلُّ شَفَاعَةٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَفَاعَةٍ عَلِيمٌ﴾	١٠١	١٥٨
﴿وَلَا تُذِيقُهُ الْأَبْصَرُ﴾	١٠٣	٢٠١
﴿وَرَأَنَّ الشَّيْطَانَ لَتَحْمُونَ إِلَكَ أَوْلَادَهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَلَكُمْ أَمْسِكُوهُمُ الْكُمْ لِمُشْرِكِينَ﴾	١٢١	٢٨١ ، ١٨١
﴿وَقَالَهُمُ الْجَهَنَّمُ الْبَلِلَةُ﴾	١٤٩	١٧٤
﴿وَرَأَنَ هَذَا صَرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَأَتَيْعُوهُ وَلَا تَئِيمُوا أَشْبَلَهُ نَفْرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٢٧٦
﴿فَلَمَّا يَنْظُرُوكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ السَّيِّئَاتُ أَوْ يَأْتِيَ رَبِّكُمْ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ مَا يَكْتُبُ رَبِّكُمْ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿فَنِنَ جَاهَهُ الْمَسْكُونُ فَلَمَّا عَشَرْ أَثَالَهَا وَمَنْ جَاهَ يُأْتِيهِنَّهُ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنْهَا وَمَنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٦٠	١٩٣
٧ - سورة الأعراف		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَ الْحِقُّ فَمَنْ نَفَّثَ مَوْرِيزَةً فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٨	٢٠٩ ، ١١
﴿وَكَمْ يَدَكُمْ نَمُودُونَ﴾	٢٩	١٩٠
﴿وَإِنْ تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٣	٥٣
﴿وَإِنَّا فَوْهَمْهُمْ قَهْرُونَ﴾	١٢٧	١١٤
﴿وَرَبِّ أَرْبَعَ أَنْظَرَ إِلَيْكُمْ﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿فَلَمَّا جَعَلَ رَبُّهُ الْجَنَّلَ جَنَّلَهُ دَكَّا﴾	١٤٣	١٥٣ ، ١٥٢ ، ٦٦
﴿وَلَمْ يَرِدْهُ وَلَكِنْ أَنْظَرَ إِلَى الْجَبَلِ فَلَمْ أَسْتَرِّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيْنِي﴾	١٤٣	٢٠١
﴿وَكَلَمَهُ رَبِّهِ﴾	١٤٣	١٣٧
﴿فَهُنَّ يَأْتِيُنَّا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِجَمِيعِهِ الَّذِي كَهَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٥٨	١٧٧
﴿وَرَبُّهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَنْدَةُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٣٢
﴿وَأَوْلَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ بِنِ شَفَاعَةٍ﴾	١٨٥	٧٣
﴿لَا يَجِدُهُمْ لَوْقَهَا إِلَّا هُوَ﴾	١٨٧	١٩٢

الصفحة	رقم الآية	الآية
		٨ - سورة الأنفال
٢٢٤	٧	﴿إِنَّمَا الظُّمُرُوكَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَسَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ثُلِّيَتْ عَلَيْهِمْ مَا يَكْسِبُونَ رَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿وَمَا رَأَيْتَ إِذَا رَمَيْتَ وَلَكَ حَكْمُ اللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَنْسَعَهُمْ﴾
١٧١	١٧	
١٦٦ ، ٧٦ ، ٧٥	٢٣	
٢٧٩		
		٩ - سورة التوبة
١٤٣	٦	﴿حَقِّيْ يَسْمَعُ كُلَّمَ اللَّهِ﴾
١٨٩	٢٩	﴿فَقَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
١٧٩	٤٦	﴿وَلَكِنْ كَرَهَ اللَّهُ أَعْبَاثُهُمْ فَشَطَّطُهُمْ﴾
١٩٩	٩٦	﴿فَقَدْ تَرَضَوْا عَنْهُمْ فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾
٢٤٨	١٠٠	﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِالصَّنْعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ﴾
١٦٨	١١٠	﴿لَا يَرْكَلُ بِكَثِيرِهِ الَّذِي بَنَوْا بِيَدِهِ فِي قُلُوبِهِمْ﴾
٢٧٩	١٢٤	﴿وَلَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَلْوَةً إِيمَانًا فَلَمَّا الَّذِينَ مَاءَمُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُنَّ يَسْتَشِرُونَ﴾
٢٧٩ ، ٧٦	١٢٥	﴿وَلَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَرَفُوا فَرَادَتْهُمْ يَجْسَسًا إِلَى رَحْبِيْهِمْ وَمَا وَلَوْا وَهُنَّ كَفُورُونَ﴾
٧٦	١٢٧	﴿هُنَّمَ أَنْسَرُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾
		١٠ - سورة يونس
١٨٩	٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضِيَوا بِالْكِبَرِيَّةِ الَّذِيَا وَالْمُسْأَوِّيَّا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ مَا يَكْتُبُنَا عَنْظِلُونَ﴾
١٩٨	١٨	﴿وَيَقِيدُونَ مِنْ دُورِنِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَذَا لَمْ شُفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
١٥٠	١٩	

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٢	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئِقَ وَرِيَادَةً﴾
١٧٧	٤٧	﴿وَلِكُلِّ أُنْقَبِ رَسُولٍ﴾
١٨٩	٥٣	﴿وَيَسْتَعْنُوكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي وَرِيقٌ إِنَّهُ لَحَقٌ﴾
٩٠	١١١	﴿فَتَلَى الظَّرُورُوا نَادَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَفَنَّى الْأَيْكَتُ وَأَنْتُدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
١١ - سورة هود		
١٦٨	٣٦	﴿وَأَرْجَعَ إِنَّكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَأْمَنَ﴾
١٢٩	١٠٧	﴿خَدَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّكَ إِنَّ رَبِّكَ فَعَالٌ لِمَا بَرِيدَ﴾
١٥٠	١١٠	﴿وَرَلَوْلَا كَلَمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
١٨٦	١١٢	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ كَابَ مَعَكَ﴾
١٢ - سورة يوسف		
٩٤	٢	﴿إِنَّا أَرْزَكْنَاهُ مِنْا عَرَبِيَا لَتَلَكُمْ تَعْقُلُونَ﴾
١٢٢	١٠١	﴿وَرَفِعَ أَبُوبَيْهِ عَلَى الْمَرِيشِ﴾
١٣ - سورة الرعد		
١٠٦	٩	﴿الْمُتَعَالِ﴾
١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩	١٦	﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
١٤ - سورة إبراهيم		
٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ١٢	٢٧	﴿بَيَسَرَ اللَّهُ الَّذِينَ مَأْمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
١٥ - سورة النحل		
٦٤	٢٦	﴿فَاقَ اللَّهُ بِمِنْهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ حَلَقُهُمُ السَّقْفُ مِنْ فَرِيقَتِهِ﴾
١٨٥ ، ١٧٧	٣٦	﴿وَلَقَدْ يَسْتَكِنُ فِي كُلِّ أُنْقَبِ رَسُولاً أَنِّي ابْتَدَأْتُ اللَّهَ وَاجْتَبَيْتُ الظَّاغِرَاتِ﴾
٢٧٩	٤٣	﴿فَتَشَوَّلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كَثُرْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الصفحة	رقم الآية	الأية
١٨٦	٤٤	﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْحُكْمَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿وَمِنَ الْفُوقَهُمْ﴾ ﴿لَيَكُفُرُوا بِمَا أُنزَلَنَاهُمْ فَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ نَسْوَفُ عَمَلَتُهُمْ﴾
١١٤ ، ١٠٦	٥٠	
١٨٤	٥٥	
		١٧ - سورة الإسراء
٢١١	١٣	﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ الرَّحْمَةُ طَلَبَهُ فِي عَيْنِيهِ وَشَرِحُ لَهُ يَوْمُ الْقِيَمةَ حَكَيَّنَا يَلْقَاهُ مَشْوِراً﴾ ﴿أَفَرَا كَنْدَكَ كَفَنْ يَنْقِسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿مَنْ كَانَ تُرِيدُ الْمَالِهِ عَمِلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ ﴿وَلَا تَنْفُتْ مَا لَيْسَ لَكَ يَدُ عَلَمَ﴾ ﴿وَقُلْ كُوَذَا جَمَارَ أَوْ حَيْدَارَ﴾ ﴿وَأَوْ حَنَقَا قَمَّا يَسْكُنُ فِي صُدُورِكَ فَسِيقُولُونَ مَنْ يُعِيشُنَا قُلْ اللَّهُ فَطَرَكُمْ أَلَّا مَرْكَز﴾ ﴿وَعَسْقَ أَنْ يَعْثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا حَسْمُودًا﴾ ﴿وَوَسْتَلُوكَ عَنِ الرُّوعَ قُلْ الرُّوعَ مَنْ أَشَرَ رَفِ وَنَا أُوَيْشَر مَنْ الْعَلَمُ إِلَّا فَيَلَامَ﴾
١٢٤	٧٩	
٢٣٥	٨٥	
		١٨ - سورة الكهف
١٨٣ ، ١٨٢	٢٩	﴿وَقَمْ شَاهَ قَلْبُوْنَ وَقَمْ شَاهَ قَلْكَمْ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَنَا مَالَ هَذَا الْحَكَمَ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَخْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
١٩٣	٤٩	
١٦٠	٧٩	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمُسْكِنِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَابًا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَسْلِمَا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخِرُهُمَا كَزَرْفَهُمَا﴾ ﴿فَلَا تَقْبِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمةَ وَنَاهِ﴾
١٦٠	٨٢	
٢١٠	١٠٥	
		١٩ - سورة مريم
١٣٢	٦٥	﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَيِّبًا﴾ ﴿وَوَلَمْ يَكُنْ إِلَّا وَارِدًا﴾
٢١٣	٧١	

الآية	رقم الآية	الصيغة
٢٠ - سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾	٥	١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١
﴿وَوَإِنَّا لَخَلَقْنَاكَ فَأَسْتَعِنُ بِمَا يُوحَى﴾	١٣	١٤٣
﴿هُنَّا أَنَّا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾	١٤	١٤٧
﴿وَإِنَّمَّا مَنْ يَكْفُرُ بِهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَمْعِي﴾	٧٤	٢٠٦
﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ كُلُّ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّقُ﴾	١١٧	٢٠٤
﴿وَلَا تَمْدَدَنَ عَيْنَيْكَ إِلَّا مَا شَأْنَاهَا يَوْمَ أَزْفَاجَهُمْ زَهْرَةً لِلْحَيَاةِ الَّتِيْنَا لَيَقِنُّهُمْ فِيهِ وَرَزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	١٣١	٢٠
٢١ - سورة الأنبياء		
﴿هُنَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِيْنَ تَرَبَّهُمْ حَمْدَهُ﴾	٢	١٥١ ، ١٥٠
﴿فَقَاتَلُوا أَهْلَ الْأَذْكَرِ إِنْ كُثِرَ لَا يَسْلُمُونَ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَوَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْفِرُونَ عَنْ حِسَابِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	١٩	٢٤٣
﴿وَيُسَيِّرُونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لَا يَقْنُدُونَ﴾	٢٠	٢٤٣
﴿وَلَا يَنْثَلُ عَمَّا يَقْعُلُ وَهُمْ يَسْتَأْلُونَ﴾	٢٣	١٦٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾	٢٥	١٨٥ ، ١٥
﴿إِنْ عِكَارًا شَكُورُونَ﴾	٢٦	٢٤٣
﴿وَلَا يَسْقِيُونَهُ بِالْقَوْفَ وَهُمْ يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِ يَعْمَلُونَ﴾	٢٧	٢٤٣
﴿وَوَضَعَ الْمَوْرِنَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمَ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	٢٠٩
﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَارِودَ الْجِبَالِ يُسَيِّرُنَّ وَالظَّيْرَنَ﴾	٧٩	١٤٦
﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُسْتَحْكِمٌ إِنِّي كُشِّطْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	١٠٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٧٨
٢٢ - سورة الحج		
﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾	١٨	١٢٩
﴿وَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَسْلِمُ مَا فِي السَّكَنَهُ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧٠	٢٤٣

الصفحة	رقم الآية	الأية
٩١	٧٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَغُورُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذَكَرًا وَلَوْ أَحْسَمُوا لَهُ وَلَن يَسْتَهِمُ الذَّكَرُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُمُ مِنْهُ صَعْفَ الظَّالِبِ وَالظَّارِبِ﴾
٩١	٧٤	﴿مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقًّا فَقَدْرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ﴾
٢٣ - سورة المؤمنون		
١٧٧	٤٤	﴿فَمَ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مُّنَذِّرِينَ﴾
٩٥	٦٨	﴿وَأَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾
٢٣٩	١٠٠	﴿وَوَيْسِينَ وَلَدَيْهِمْ بَرْزَخٌ لَمَّا يُوَرِّي مُنْتَهَى﴾
٢٤ - سورة الفرقان		
١٥٦	٢	﴿وَيَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ فَهَدَى هَدَىٰ لِنَفْرِيْرِكَمْ﴾
٢١	١٨	﴿وَلَكُنْ تَشَتَّهُنَّ وَمَابَاهُمْ حَتَّىٰ شَوَّالِيْكَرَ وَكَافِرَا فَوْمَا يُوَرِّكَ﴾
١٤٩	٥٩	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
٤٧	٦٣	﴿وَرَبِّكَادِ الرَّحْمَنِ﴾
٢٥ - سورة الشعراء		
١٥١	٥	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ بِنَ فَكِيرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُشَ﴾
٢٠١	٦١	﴿فَلَمَّا تَرَكَهَا الْجَمْعَانُ قَالَ أَمْسَحْتُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ﴾
١٦٠	٨٠	﴿وَإِذَا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِعُنَ﴾
١٨١	٢٢١	﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُنَ﴾
١٨١	٢٢٢	﴿تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَالِيْهِ أَيْسَرُ﴾
٢٦ - سورة النمل		
١٤٩	٢٣	﴿وَأَوْتَتِ مِنْ كُلِّ مَنْوِ﴾
٧١	٣٠	﴿إِنَّهُ مِنْ سَلَيْكِنَ وَإِنَّهُ نِسَرَ اللَّهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
١٦٦ ، ١٢١	٧٥	﴿وَمَا مِنْ ظَاهِرٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
١٨٩	٨٧	﴿وَيَوْمَ يَنْفَعُ فِي الْعُشُورِ فَقِيرَعَ مَنْ فِي الشَّمْكُوتِ وَكَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاهَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَهْ دَاخِرِينَ﴾
١٦٩	٨٨	﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
	٢٨	٢٨ - سورة القصص ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُمْ﴾
٢٠٥		٢٩ - سورة العنكبوت ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ زَلَّاتَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
١٩١	١٩	
١٦٦ ، ١٢١	١٦	٣١ - سورة لقمان ﴿يَسْتَعِفُ إِنَّهَا إِنْ تُكُنْ مُّنْقَالَ حَبَّةً مِّنْ حَرَقَلَ فَتَكُنْ فِي صَحْنَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ أَطِيفٌ حَمِيدٌ﴾
١٨٩	٣٣	٣٢ - سورة السجدة ﴿وَلَخَسُوا يَوْمًا لَا يَعْرِفُونَ وَاللَّهُ عَنِ الْغَيْبِ عَلِيمٌ﴾
١٩٢	٣٤	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةُ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾
	٤	
١٤٩		٣٣ - سورة الأحزاب ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ سَبَّةٍ أَيْمَارٍ﴾
٢٤٤	١١	﴿فَقُلْ يَسْأَلُوكُمْ مَلِكُ الْمَوْتَى الَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ﴾
١٥٦	٢٨	
١٨٠	٤٠	
٨٤	٤٣	
٢٠٠	٤٤	
٢٠٦	٦٥	
	٢	
١٦٦ ، ١٢١		٣٤ - سورة سبا ﴿تَعْلَمُ مَا يَكُشُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَرْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَسْعُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾
١٨٨	٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَا تَأْتِنَاكُمْ﴾

الصفحة	رقم الآية	الأية
١٧٨	٢٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِّلنَّاسِ بِشِيرًا وَكَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٧٠ ، ١٥٨	٣	٣٥ - سورة فاطر ﴿هُلْ مِنْ خَلَقَنِي عَبْدًا اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٤٣	١١	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرْبَةٍ ثُمَّ مِنْ ظُفْرَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَنْوَافًا وَمَا تَحْصِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَقْعُضُ إِلَّا يُعْلَمُهُ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ شَعْرَرٍ وَلَا يُنْصُنُ مِنْ عُمْرِوةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
١٧٧	٢٤	﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَقَ لِهَا نَارًا﴾
٦٠	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَوْا﴾
١٥٠ ، ١٤٥	٨٢	٣٦ - سورة يس ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
١٦٢	٩٦	٣٧ - سورة الصافات ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾
١٧٩	١٦٢	﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَتِنَتِينَ﴾
١٧٩	١٦٣	﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ لِجَحِيمٍ﴾
١٥٠	١٧١	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُلُّنَا﴾
٩٥	٢٩	٣٨ - سورة ص ﴿لَلَّهُرُوا مَا يَرِيدُ﴾
١٩٨	٤٤	٣٩ - سورة الزمر ﴿قُلْ لِلَّهِ الْسَّمَدُهُ جَمِيعًا﴾
١٩٣	٥٣	﴿قُلْ يَعْبُدُوا الَّذِينَ أَنْسُرُوا عَلَى أَفْشِيهِمْ لَا تَسْتَطُوا وَنَسْحَمَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الظُّوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَزُورُ الْجَمِيعُ﴾
٤٧	٥٦	﴿بِحَسْرَةٍ عَلَى مَا قَرَطْتُ فِي جَنَّتِ اللَّهِ﴾
١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩	٦٢	﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
٢٣٤	٦٥	﴿لَمَنْ أَشْرَكَ لِيَجْعَلَنَّ عَلَيْكَ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقِيرًا وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِقَتْ بِسَمِينَهُ﴾	٦٧	١١٢ ، ١٠٢ ، ٩١
﴿وَنَفَخَ فِي الْشَّوَرِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا مُّرِئُوا يَنْظُرُونَ﴾	٦٨	١٩٠
٤٠ - سورة غافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنِنِي أَنِّي لِي صَرَاطٌ أَعْلَمُ بِالْأَسْبَابِ﴾	٣٦	١٠٦
﴿أَنْشَبَ السَّمَوَاتِ فَأَلْمِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَلَيَنِ لَأَنْشَدَ كَيْزِيرًا﴾	٣٧	١٠٦
﴿النَّارُ يَقْرَضُونَ عَلَيْهَا غَدْرًا وَعَشْرًا وَيَوْمَ تَقْعُمُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا مَالَ فَرَعَوْنَ أَشَدَ الْعَذَابِ﴾	٤٦	٢٤٠ ، ٢٣٨
٤١ - سورة فصلت		
﴿فَرَبِّكُمْ أَنَّا عَرَبَيَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٤
﴿وَكَذَبَ فُصْلَتْ مَا يَشَاءُ فَرَبِّكُمْ أَنَّا عَرَبَيَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٥
﴿فَقَالَ أَنَّا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾	١١	١٤٦
﴿أَنْكَفَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَعْبَرَ﴾	٢١	١٤٦
﴿وَأَنَّنَ يَقْنَ في الْأَنْارِ حَيْثُ أَمْ مَنْ يَأْتِيْ عَلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شَاءُتْ إِنَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَعِيدٌ﴾	٤٠	١٨٤
﴿وَلَهُ لِكَتَبٌ عَزِيزٌ﴾	٤١	١٤٦
﴿لَا يَأْتِيْ النَّطْلَلِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيرٍ﴾	٤٢	١٨٦ ، ١٤٦
﴿وَمَا زَيْكَ وَظَلَمْ لِلْعَيْدِ﴾	٤٦	١٦٤
٤٢ - سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَيْنَلِهِ شَفَعٌ وَهُوَ السَّبِيعُ الْعَيْدِ﴾	١١	٩٧ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٤٥
		١١٧ ، ١١٢ ، ١٠٢
		١٢٣ ، ١٢١ ، ١١٩
		١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧
		١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٣٤

الصفحة	رقم الآية	الأية
	٤٣ - سورة الزخرف	
١٠٨	٨٤	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾
	٤٦ - سورة الأحقاف	
١٤٩	٢٥	﴿تَدْعُرُ كُلُّ شَقْعٍ يَأْمُرُ رَبَّهَا﴾
	٤٧ - سورة محمد	
٢١	١٢	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثُمُ وَالنَّارُ شَوَّلَ لَهُمْ﴾
١٩١	١٨	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَسْاعَةً أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْدَمْ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهُمْ﴾
٢٧٨ ، ٩٥	٢٤	﴿فَإِنَّمَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْفَرَّادَاتِ أَذْ عَلَى قُلُوبِ أَفْنَالَهُمْ﴾
٢٤٤	٢٧	﴿فَنَكِّثُ إِذَا تَوَفَّهُمُ الْمَلِئَةُ يَقْرُبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْكَرُهُمْ﴾
	٤٨ - سورة الفتح	
٢٢٤	٤	﴿هُوَ الَّذِي أَزَّلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَدُوا إِيمَانَ عَنْ أَعْنَاثِهِمْ﴾
٢٦٥	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾
٢٤٨	١٨	﴿فَلَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُقْرِبِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ هَنَّ الشَّجَرَةُ فَلَمَّا فَلَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَزَّلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَذْبَحُوهُمْ فَتَحَمَّا فِي بَيْنِ أَيْمَانِهِمْ﴾
٢٢٨	٢٧	﴿لَتَخَلَّنَ الْمَسِيدَ الْعَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَمِيرِتَ﴾
٢٤٩	٢٩	﴿لِيَغْيِطَ بَيْنَ الْكَثَارِ﴾
٢٤٧	٢٩	﴿سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْهَدَهُ عَلَى الْكَثَارِ رَحْمَةً بِيَرْبِهِمْ تَرَاهُمْ وَكَمَا سَمِعْتَ﴾
	٥٠ - سورة ق	
١١١ ، ٩	١٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَقَلَّ مَا تُوْسِعُ بِهِ فَهَمَّدَ وَكَفَرَ أَفَرُّ إِلَهٌ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيلِ﴾
٢٤٢	١٧	﴿إِذْ يَأْكُلُ الْمُتَقْبِلَاتِ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الْمُحَابَلِ قَيْدٌ﴾
٢٤٢	١٨	﴿هَذَا يَلْهُطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدُنْهُ رَقِيبٌ عَيْدٌ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١ - سورة الذاريات		
﴿وَوْفِي الْأَرْضِ مَا يَنْتَهُ لِلْمَوْقِعِينَ﴾	٢٠	٧٣
﴿وَوْفِي أَفْسَكٍ أَمْلَأَ شَمَرْنَ﴾	٢١	٩٠
﴿وَوَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٧٧ ، ١٧٦ ، ١٥
٥٢ - سورة النجم		
﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ زَرَّةً أَخْرَى﴾	١٣	٢٠٥
﴿عَنْ سَدَرَةِ الْمُنْتَقِ﴾	١٤	٢٠٥
﴿صَدَرَهَا جَنَّةُ الْلَّذِيْنَ﴾	١٥	٢٠٥
﴿وَوَكَرَ مِنْ مَلَكِي فِي السَّمَوَاتِ لَا تَقْنُ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَحْمَةً﴾	٢٦	١٩٩
٥٣ - سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُمْ مِنْ مُذَكَّرِ﴾	١٧	٧٥
﴿وَإِنَّ كُلَّ شَفَاعَةٍ يُغَثَّرُ﴾	٤٩	١٦٤ ، ١٥٦
٥٤ - سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾	٣	٨٥
﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَنْظَمْ دَارِجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِ أَنْفَاصَهُمْ﴾	١٠	٢٤٧
﴿هُلَالًا عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ مُلْوِظَهُمْ﴾	١٦	٧٧
٥٥ - سورة المجادلة		
﴿وَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَبْثَثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَخْحَصَهُمُ اللَّهُ وَكُوَّهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدٌ﴾	٦	١٩٣
﴿وَالَّمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	١١١
﴿لَمْ يَبْثَثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	٧	١٠٩
﴿مَا يَكُوْنُتْ مِنْ شَفَاعَةٍ إِلَّا هُوَ رَازِيَهُمْ﴾	٧	١٠٨
﴿هُوَ عَمَدَهُ أَنِّي مَا كَانُوا بِهِ﴾	٧	١١١
٥٦ - سورة العشر		
﴿هُنَّ أَلْهَمُ اللَّهُ مَلِكُ رَسُولِهِ﴾	٧	٢٥٦

الصفحة	رقم الآية	الأية
٢٥٦	١٠	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾
٢٧٩ ، ٧٥	٥	٦١ - سورة الصاف ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَرْبَاعَ اللَّهِ قَلُوبَهُمْ﴾
١٨٩	٧	٦٤ - سورة التغابن ﴿زَعَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَا يَشَاءُونَ بِمَا عِلْمَتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
١٥٨ ، ١٥٠	١٢	٦٥ - سورة الطلاق ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَنْجَارَ بِهِنَّ﴾
٢٤٣ ، ١٧٥	٦	٦٦ - سورة التحريم ﴿لَا يَصُونُ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْتُلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾
١٦٧	١٤	٦٧ - سورة الملك ﴿لَا يَلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
٢١١	١٩	٦٩ - سورة العنكبوت ﴿فَإِنَّمَا مَنْ أُوتَ كِتَابَهُ يَمْبَلِيهُ فَيَقُولُ هَاقِمٌ أَفَرَأَوْا كِتَابَهُ﴾
٢١٢	٢٠	﴿وَإِنَّمَا مَنْ أُوتَ كِتَابَهُ يَشْكُلُهُ فَيَقُولُ يَنْتَقِي لَرْأَوْتَ كِتَابَهُ﴾
١٧٩	٢٧	٧١ - سورة نوح ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾
٢٠٦	٢٣	٧٢ - سورة الجن ﴿خَلِيلِنَ فِيهَا أَبَا﴾
٨٧	٤٥	٧٤ - سورة العنكبوت ﴿وَرَكَنَّا لَهُ مُؤْوشَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ﴾
١٩٩	٤٨	﴿وَهُدَى لَنَعْمَلُهُ شَكْلَهُ الشَّفَعِيَّهُ﴾
١٨٦	١٨	٧٥ - سورة القيامة ﴿فَإِذَا رَأَيْتَهُ فَالْيَوْمَ قُرْبَانَهُ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٦	١٩	﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بِإِيمَانِهِ﴾
٢٠	٢٠	﴿وَلَا يَلْعَمُونَ الظَّالِمَةِ﴾
٢٠٣ ، ٢٠٠	٢٢	﴿تُبَوِّبُهُمْ نَوْبَرًا﴾
٢٠٣ ، ٢٠٠	٢٣	﴿وَلَا يَرَاهُمَا كَاظِرًا﴾
٧٦ - سورة الإنسان		
٢٠	٢٧	﴿أَكَلَ هَؤُلَاءِ شَيْءَنَ الظَّالِمَةِ وَيَذْكُرُونَ رَزْكَهُمْ يَوْمًا يُقْسَمُونَ﴾
١٧١	٢٩	﴿إِنَّ هَذِهِ تَذكرةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخْذَ إِلَيْهِ رَبِيعَ سَيِّلًا﴾
١٧١ ، ١٧٠	٣٠	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
٧٨ - سورة النبا		
١٨٩	٢٧	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾
٧٩ - سورة النازعات		
١٤٣	١٥	﴿فَهُنَّ أَنذَكَ حَدِيثُ مُوئِنَ﴾
١٤٣	١٦	﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُمْ﴾
٨٠ - سورة عبس		
١٧١	١١	﴿وَلَا يَلْهَمُهُنَّ تَكْرِيزًا﴾
١٧١	١٢	﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾
٩٠	٢٤	﴿يَكْتُفِي إِلَيْنَاهُ إِنَّ طَائِبَهُمْ﴾
٩٠	٢٥	﴿أَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ﴾
٨١ - سورة التكوير		
١٧١	٢٨	﴿لَسْنَ شَاءَ يَسْتَعْمِلُ أَنْ يَسْتَعْمِلُ﴾
١٧١ ، ١٧٠	٢٩	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْكَوَافِرِ﴾
٨٢ - سورة الانفطار		
٢٤٢	١٠	﴿وَلَا عَلَيْكُمْ حُكْمُ الْعَذَابِ﴾
٢٤٢	١١	﴿وَكَرَامًا كَثِيرِينَ﴾
٢٤٢	١٢	﴿وَغَافِرًا مَا تَعْمَلُونَ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٣ - سورة المطففين	١٥	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠
﴿كَلَّا لِتَمْنَعُ عَنِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْحِجَّةِ﴾		
٨٤ - سورة الانشقاق		
﴿فَإِنَّمَا مَنْ أُفِيقَ كَيْفَ يَسِيرُونَ﴾	٧	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿فَسَوْفَ يَمْسَأُبْ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَيَنْقُلُبُ إِلَّا أَهْلُهُ مَسْرُورًا﴾	٩	٢١٢
﴿وَلَمَّا مَنْ أُفِيقَ كَيْفَ وَلَمَّا ظَهَرُوا﴾	١٠	٢١٢ ، ٢١١
٨٦ - سورة الطارق	٥	٩٠
﴿لَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ خَلَقَ﴾		
٨٧ - سورة الأعلى	١	١٠٦
﴿الْأَعْلَى﴾		
٨٨ - سورة الغاشية		
﴿فَلَمَّا يَنْظُرُوْنَ إِلَى الْأَيَّلِ حَتَّىَ حُلِقَتْ﴾	١٧	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَمَّا اسْتَلَمُوْنَ كَيْفَ رُعِتَتْ﴾	١٨	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَمَّا لَمَّا بَلَالَ كَيْفَ تُعْبَدَتْ﴾	١٩	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَمَّا لَأَرَضَ كَيْفَ شُطِّحَتْ﴾	٢٠	٩٠ ، ٧٣
٨٩ - سورة الفجر		
﴿رَبَّهُمْ رَبُّكَ وَالْمَالِكُ صَاحِبُ الْحَمَاءِ﴾	٢٢	١٥٢ ، ١٥٠ ، ١١
		٢٠٦
٩١ - سورة الشمس	١٣	٦٤ ، ٤٧
﴿نَافَّةُ اللَّهِ وَشَيْئَهَا﴾		
٩٥ - سورة التين	٤	١٧٠
﴿لَقَدْ حَلَقَ الْإِنْسَانُ فِي أَصْنَنِ قَوْبِيرِ﴾		
٩٩ - سورة الززلة	٧	١١
﴿فَكَمْ يَعْمَلُ وَثَقَالَ ذَرَّةً حَيْرًا يَسِيرُهُ﴾		

<u>الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الأية</u>
		١٠١ - سورة القارعة
٢١٠	٦	﴿فَلَمَّا مَنْ نَفَخْتُ مَوْزِعِيَّتُهُ﴾
٢١٠	٧	﴿هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ﴾
٢١٠	٨	﴿وَلَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوْزِعِيَّتُهُ﴾
٢١٠	٩	﴿نَأْمَةً مَا وَيْلَهُ﴾
٢١٠	١٠	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهُ﴾
٢١٠	١١	﴿شَارُ حَامِيَّةٍ﴾
		١٠٧ - سورة الماعون
١٨٩	١	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَنْبِينَ﴾
		١١٢ - سورة الإخلاص
٨٥	٢	﴿هُنَّ اللَّهُ الظَّاهِرُ﴾
٨٥	٣	﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَمْ يُوَلِّهُ﴾
٨٥	٤	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾

٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
١٦٢	- أبهدًا أمِرْتُم ١٩٠ أم بيهدا أزيلتُ إلَيْكُم ١٩١ إنما هَلَكَ . . .
٨٣	- أثاني جبريلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ . . .
٢١٠	- أَنْجَجُونَ مِنْ دَفَّةِ سَاقِيَّةٍ ١٩٢ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَنْقَلُ مِنْ أَخْدِ
١٩٥	- أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مُتَقَاعِدٌ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ
٢٢٤	- أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مُتَقَاعِدٌ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ
٨١	- اذْعُ ثُجْبَ، وَسَلَّنْ ثُعْطَ
٢٣٦	- أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافٍ ظَبْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ . . .
٢٣٩	- اسْمُ الْفَتَانَيْنِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنَّهُمَا أَسْوَادَانِ أَزْرَقَانِ
١٧٦	- أَظْفَلُوا الْمَاصَابِيحَ؛ فَإِنَّ الْفُؤُسِقَةَ رُومَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ؛ فَأَخْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ
٩٢	- أَغَدَدُتْ لِعْبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنُ رَأَتْ
١٦٢	- اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُبِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ
٢٥٩	- إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفُراً بَوَاحِاً؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ
٢٤١ ، ١٨٨ ، ١٥٦	- الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ
٢٢٤	- الإِيمَانُ بِضَعْ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً . . .
٨٣	- الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدُهُ، فَلَمْ يُصْلِّ عَلَيَّ
٦٤	- الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَبْيَنُ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ
٢١٠	- الْطَّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلًا الْمِيزَانِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلًا إِنَّمَا يَبْيَنُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضِ
١٠٣	- الْقُلُوبُ بَيْنَ إِضْبَاعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ الرَّحْمَنِ

الصفحة

الحديث

- الكُرْسِيُّ هو عِلْمُ الله
- الله الله في أَصْحَابِي! الله الله في أَصْحَابِي! لَا تَنْخِلُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي... .
- الله فَوْقَ الْعَرْشِ
- اللَّهُمَّ، الرَّفِيقُ الْأَغْلَى
- اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ... .
- اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
- المَقَامُ الْمَحْمُودُ هُو الشَّفاعةُ الْعُظَمَى
- الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالْطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَابِدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ... .
- الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظْ عَلَى وَالْدِيْلِكَ أَوْ اثْرُوكَ
- امْرَاءٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَذِبِي، وَلَا يَسْتَوْنَ بِسْتَيْ... .
- أَمْعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟
- إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ... .
- إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي اِنْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةً... .
- إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَرَّ لِمَوْتِ سَعْدٍ
- إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ
- إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَرْمَ وَصَنْعَتَهُ
- إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ
- إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ فَذَ وَكَلَ بِالرَّجْمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ... .
- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرُجُ مِنْهَا مِنْ أَرَادَ
- إِنَّ اللَّهَ يُكَشِّفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصْلِي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا ذَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَى فِيهِ... .
- إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَعْلَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ تَاجِيَا مِنْهَا، لَتَجَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ
- إِنَّ اللَّهَ يَسْعَهُ وَيَسْعِينَ اسْمَاءً؛ مَنْ أَخْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ
- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلْنَا عَلَى سَبْعَةِ أَخْرُفٍ
- إِنَّ هَلْيَوْ الْأَمَّةَ تَبَتَّلَ فِي قُبُورِهَا
- أَنَا أَمَّةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوَعَّدُونَ... .

الصفحة

الحديث

- أنا خاتم النّبّيّنَ ١٨٠
- إنّما نسمّةُ المُسْلِمِ طَيْرٌ يُعلقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ، حَتّىٰ يَرْجِعَهَا اللّهُ إِلَى جَسَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٣٦
- إِنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيَّ مَكَانَكُمْ ٧٠
- إِنَّهُمُ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ ٢٣٨
- إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ٢٤٠
- إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبْلِ الْيَمَنِ ٦٤
- إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتّىٰ أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي... ٢١٤
- أوصِيكُمْ بِأَصْحَابِيِّ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٢٥٠
- أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ الْفَلَمَ ١٥١
- بَأَيْمَانِ رَسُولِ اللّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهَنَا... ٢٥٩
- تَخْرُجُ مِنْهُ كَائِنُونَ رِيحٍ، حَتّىٰ يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ... ٢٣٧
- تُطَلَّبُ مِنْ آدَمَ الشَّفَاعَةَ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَعْتَلِرُ مِنْهَا ٢٠٣
- تَعُودُوا بِاللّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّفَاءِ، وَسُوءِ الْفَضَاءِ، وَشَمَائِلِ الْأَعْدَاءِ ١٥٩
- تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفَقُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ... ٢٣٧
- تَمْكُثُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا لَا تُصْلِي لِلّهِ سَجْدَةً ٢٢٥
- حَتّىٰ إِذَا أَرَادَ اللّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ... ١٩٥
- حَدَّثُوا عَنْ يَتِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ ١٣٠
- حديثُ الإتيان بالموتٍ في صورةِ كبسِ أملحٍ، فِي دَبَّحٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٢٠٦
- حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوَاهُ أَيْضُضُ مِنَ الْبَلْنِ، وَرِيحَهُ أَظَيْبُ مِنَ الْمَسْكِ... ٢١٤
- خَيْرُ النَّاسِ فَرْنَيِّ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٢٦٩، ٢٤٥، ٢١
- رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقْرَأُ : هُوَ اللّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَنْتَكُ... ١٢٣
- رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَضْعُ إِنْهَامَهُ عَلَى أَذْنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ ١٠١
- رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقْرَأُهَا، وَيَضْعُ إِصْبَاعَهُ ١٠١
- رَفِيمْ أَنْتَ امْرِئٌ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصلِّ عَلَيَّ ٨٣
- سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللّهِ؛ سَلَّهُ اللّهُ ٦٤ ، ٤٧

الصفحة

الحديث

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى جَسَدِ كُنْتِ تَغْمُرُهُ
٨٤ - عَجِلْتَ أَيْهَا الْمُصَلِّي
- عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالظَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِمَغْصِبَةِ . . .
٢٥٨ - فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ
٢٣٨ السُّوءُ . . .
- فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلَّمَ سَلَّمَ . . .
٢١٣ - فَتَوَضَّعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاطَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَافَتِ السِّجَلَاتُ
٢١٠ - فَخَوْدَ اللَّهِ، وَأَشْنَى عَلَيْهِ
٦٩ - فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يَصْلِي
٢٤٢ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ . . .
١٠٤ - فَضَحِكَ حَتَّى بَدَثَ . . .
٢١٠ - فَطَافَتِ السِّجَلَاتُ، وَنَقَلَتِ الْبِطَاطَةُ
- فِيَابِيَهِ مَلَكًا يَأْتِي شَدِيدًا الْأَنْتَهَارِ، فَيَتَهَرَّأُهُ وَيُجْلِسَاهُ، فَيَقُولُانَ لَهُ: مَنْ رَثِيكَ؟
٢٧٧ - قَدْ تَرَكْتُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا، لَا يَزِيقُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكُ . . .
٨٦ - كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ حَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . . .
١٧٨ - كَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيَبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً
١٨٧ - كَانَ حُلْقَةُ الْقُرْآنَ
١٧٨ - كَانَ يُكَاتِبُ النَّاسَ بِرَسَالَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا
١٧٦ - كَانَ يَفْتَحُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (الوزغ)
١٩٥ - كُلُّ ابْنِ آدَمْ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَنْرَ السُّجُودِ . . .
١٩٤ - كُلُّ ابْنِ آدَمْ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ
٧٠ - كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا شَهْدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَلْمَاءِ
١٥٦ - كُلُّ شَيْءٍ يَقْتَرِبُ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَنْسِ
٢٥١ - لَا تَحِيرُوْنَا بَيْنَ الْأَنْتَهَيَاتِ
٢٥١ - لَا تَحِيرُونِي عَلَى مُوسَى

الصفحة

الحديث

- لا تسبوا أصحابي، فلئن أَحَدُكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَخْدِيْدَهَا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَخْدِيْهِمْ
وَلَا نصيَّفُهُ ٢٥٠
- لا يُغْنِي حَلْرُ من قَدَرِ ١٥٧
- لا يَسْعِي لِعِبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِّنْ يُوسُفَ بْنِ مَتْتَى ٢٥١
- لا يَسْعِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدْلِلَ نَفْسَهُ ٢٦٣
- لا يُؤْمِنَ عَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ١٥٩
- لَعْلَ اللَّهُ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَزْتُ لَكُمْ ١٨٤
- اللَّهُ أَفْرَجَ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَخْدِيْمُهُ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضْلَلَ فِي أَرْضِ فَلَادَةِ . . . ١٩٣
- لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَسْعِيَ ١٨٠
- لِيَقْتَصِنَ اللَّهُ لِلشَّاءِ الْجَمَاءَ مِنَ الشَّاءِ الْقَرْنَاءِ ١٧٦
- مَا السَّمَوَاتُ السَّبِيعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةٌ مُلْقَأَةٌ بِأَرْضِ فَلَادَةِ . . . ١١٢
- مَا السَّمَوَاتُ السَّبِيعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٌ مُلْقَأَةٌ بِأَرْضِ فَلَادَةِ . . . ١١٩
- مَا تَرَضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا تَرَى بَعْدِي ١٨٠
- مَا مِنْ رَجُلٍ يُسْلِمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحِي؛ حَتَّى أَرُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ٢٢٥
- مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُوَلَّدُ عَلَى الْفَطْرَةِ؛ فَأَبْوَاهُ يُهَوَّدُانِيهُ أَوْ يُمَجْسِنِيهُ . . . ٧٦
- مُرُوا أَوْلَادُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ . . . ٧٩، ٧٧
- مَنْ بَدَلَ دِيْنَهُ، فَاقْتُلُوهُ ١٨٢
- مَنْ تَرَكَ مِنْهُ شَيْتاً خِيْمَتَهُنَّ، فَلَيْسَ مَنَّا ٢٣٣
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ٨٢
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ . . . ٨٢
- مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَخْدُهُمَا ٢١٩
- مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ١٤٣
- نَعَمْ؛ كَهِيْتُكُمُ الْيَوْمَ ٢٣٩
- هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبِّكُمْ حَقًّا ٢٣٨
- وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدِكُّ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكُ ١٦٠

الصفحة

الحديث

- والذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَشْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا
١٧٩ نَصَارَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ... .
- والذى تَقْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْبِحُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ... .
١٩٤
- وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَكُنْ لَا يَحْقُونَ
٢٢٨
- وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ
١٥٩
- وَضَعَ إِنْهَامُهُ عَلَى أَذْنِهِ، وَسَبَابَتُهُ عَلَى عَيْنِهِ
١٢٣
- وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلًا أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ
٢٣٩ الدَّجَالِ
- وَلَكُنْيَى عَلَى مَا أَشَاءَ قَادِرٌ
١٧٤
- وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قُبْضَةِ اللَّهِ إِلَّا كَالْحَبَّةِ... .
١١٢
- وَيَحْكَ أَنْذِرِي مَا اللَّهُ أَنْ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهُكُنَّا... .
٩٢
- وَيَحْكَ أَنْذِرِي مَا تَقُولُ
٩١ ١٩
- وَيَحْكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَاءَ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ
٩١ ذَلِكَ... .
- وَيُضَرِّبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ
- يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بِلَعْنِي عَنِكِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتِ بِرِيشَةِ، فَسَيُبَرِّيكِ اللَّهُ
٧٠ ٢٦٣ يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ
- يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٩٥ ٢٢٤ يَدْخُلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ... .
- يَعِيشُ هَذَا الْغَلَامُ قَرْنَانًا، فَعَاشَ مِئَةً سَنَةً
٢٤٦ ١٤٣ يَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرُجَ مِنْ دُرِّيَّتَكَ بَعْدًا إِلَى النَّارِ
- يَنْزَلُ رَبِّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
١٥٢ ١٨٠ يَنْزَلُ عِيسَى فِي أَخِيرِ الزَّمَانِ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْجِنَّرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ... .

٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء

الصفحة	الأثر / القول
٦٧	إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الحربي - كان أهلُ البَصْرَة أهْلَ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، إِلَّا أَرْبَعَةٌ . . .
٢٤٥	إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور - لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَفَّونَ عَنْ أَمْرِهِ - لَوْ رَأَيْتُ الصَّحَابَةَ يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الْكُوعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ . . .
٢٧٢	أبو إسحاق الفزارى - كافِرُ (القائل بخلق القرآن)
١٣٩	أبو البختري - كُلُّ حاجةٍ لِيْسَ فِيهَا تَشْهِيدٌ، فَهِيَ بِثَرَاءٍ
٧١	أبو العباس بن طالب - كَانَ يَسْتَفْتِنُ حُطْبَةَ الْجُمُعَةِ بِإِثْبَاتِ رَوْيَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ
٢١٠	أبو بكر بن أبي أُوسٍ - أَكَفَرُ بِاللَّهِ بَعْدِ نِيَّفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمِجَالِسَةُ مَالِكٍ!
١٣٩	أبو بكر المرزوقي - رَأَيْتُ أبا عبدِ اللهِ يُشَبِّهُ بِإِضْبَاعٍ إِضْبَاعٍ
١٠٣	أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفي المقرى الحناط - كافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كافِرٌ، فَهُوَ كافِرٌ (القائل بخلق القرآن)
١٣٩	أبو عمرو بن العلاء بن عمارة بن عبد الله البصري - أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ . . .
١٦٥	

الأثر / القولالصفحة

- أبو مالك الأشعري
- الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ١١٨
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي
- أَدْعُوكُمْ بِالصَّلَاحِ ٢٣٠
- إِذَا أَصَبْتَ الْكُوفَى صَاحِبَ سُنْتَ، فَهُوَ يَقُوْلُ النَّاسُ ٧٨
- إِذَا رَأَيْتَ رِجَالًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بُشُورًا، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ٢٥٠
- إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقْصَنَ ٢٢٦
- أَشَهَدُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، خَلْقُهُ خَلْقُ، وَقَوْلُهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ١٤١
- أَعْطَى مَعَاوِيَةً أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَطَايَا مَا أَعْطَاهَا خَلِيفَةً كَانَ قَبْلَهُ ٢٥٢
- أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ ٩٥
- إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمُ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ ١٤٤
- بَلْ تَكَلَّمُ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرْوَى كَمَا جَاءَتْ ١٤٤
- فَجَبَّهُمْ سُنَّةً، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ فُرْيَةً، وَالاِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةً (الصحابيَّة) ٢٤٨
- قَاتَلَهُ اللَّهُ الْخَيْرُ عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَغَيَّرَهُ ٤٥
- قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَنَ شَيْئًا، فَعَبَرَ عَنِ اللَّهِ (الجهنمية) ١٤٦
- قَالُوا: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ ٩٣
- قَطَعَهَا اللَّهُ قَطَعَهَا اللَّهُ ١٠٣
- قَيْقَنَ بَنَا عَلَى هَذِهِ الْمُتَخَرِّصِ ٢٠٩، ٢٠٧، ١٥٣، ١٠٥
- كَانَ يُسَمِّيَ الْفَدَرَ: قُدْرَةُ اللَّهِ ١٥٨
- كَانَ يُسْلِدُ فِي مُخَالَقَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْيَمِهِمْ لِلسُّنْنَةِ ٢٧١
- لَا تَجْزَعْ أَنْ تَقُولَ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ ذَاتُ اللَّهِ ١٥١
- لَا كَيْفَ، وَلَا مَغْنِي ٩٩
- لَا تُزِيلُ عَنِهِ صَفَّةً مِنْ صَفَافِهِ؛ لِشَنَاعَةِ شُعْثَ ٩٩
- لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنْنَةِ، وَلَا كَرَامَةً (الواقفة) ١٤٨
- مَا أَرَأَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ٢٤٩
- مَا أَعْلَمُ أَنِي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاؤِدَ الْمَصْبِيِّيِّ ١٠٤

الأثر / القول

الصفحة

- ما انقصن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ إلَّا لَهُ دَاخِلَةٌ سُوءٌ
٢٥٦
- نَعَمْ، أَعْطَيْهِ لِعْلًا اللَّهُ يَنْتَهِي بِهِ
٢٢٢
- نفي الصوت والحرف هو قول الجهمية
١٤٤
- تَفَصَّانُهُ بِتَرَكِ الْعَمَلِ
٢٢٦
- هذه الأحاديث ثُورِثُ الغَلَّ في القلبِ
٢٥٤
- يا هذا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَعْيُّرُ عَلَى رَبِّي مِنْكَ...
٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥

أحمد بن محمد بن زيد، أبو سعيد، ابن الأعرابي

- ما رأيْتُ قومًا أكذبَ على اللغةِ مِنْ قومٍ يزعمُونَ أَنَّ القرآنَ مخلوقٌ
١٤٨
- خرجَ الشَّكُّ الذي كان يدخلُ في الكلامِ
١٣٨
- أرسطو طاليس بن نيقوماخوس بن ماخاون
- لماذا كلّما تجاوزنا المستوى المتوسط في الفلسفة، تملّكتنا الأحزان،
ولا زَمَّشتَنا الأمراض
٦٠

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه

- إِنَّ اللَّهَ يَقْدِيرُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ وَيَصْعَدَ وَلَا يَتَحرَّكُ
- إنما يكونُ التشيه إذا قال: يدُ كيد أو مثلُ يدٍ...
١٣٤
- مُحدَّثٌ مِنَ الْعَرْشِ
١٥٠

أسد بن الفرات

- والله، لو أدخلتُ الجنةً، فمحجِّبُ عن رؤيةِ الله، لشَكَكْتُ...
٢٠٢
- وَنَحْ أَهْلُ الْبَدْعِ؛ هَلَكَتْ هَوَالْكُّهُمْ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا...
١٤٧

الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري

- أهْلَكُوكُمُ الْعُجَمَةَ؛ يَنَأُلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ
- نَعَمْ، بِغَيْرِ مِثَالٍ
٦٢
- نَعَمْ، بِغَيْرِ مِثَالٍ
٩٢

الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي

- تُبَصِّرُ شَيْئًا مِنَ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ...
١٦٥
- تَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ
٢٠١

الأثر / القول

الصفحة

- صَدِيْقُ بْن عَجْلَانَ بْن وَهْبٍ، أَبُو أُمَّةِ الْبَاهْلِيِّ
 - رَحْمَةً لَهُمْ؛ لَا تَهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ٢٢١
- الْقَاسِمُ بْن سَلَامَ الْأَزْدِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، أَبُو عَبْدِ الْقَاضِيِّ
 - إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَرَبَهُ؟ قَلْتُ: لَا يَفْسَرُ هَذَا... ٩٩
- لِأَهْلِ الْعَرَبِ لِغَةُ، وَلِأَهْلِ الْحَدِيثِ لِغَةُ، وَلِغَةُ أَهْلِ الْعَرَبِ أَقْيَسُ... ٦٥
- لَوْ حَلَّفَ الرَّجُلُ أَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، لَمْ يَحْتَثْ
 - نَحْنُ نَرُوِيْ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا نُرِيْغُ لَهَا الْمَعْانِي ١٤٧
- الْلَّيْثُ بْن سَعْدَ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْمِيِّ، أَبُو الْحَارِثِ الْمَصْرِيِّ
 - أَمْرُوْهَا كَمَا جَاءَتْ ٩٥
- كَايْفُ (القائل بخلق القرآن) ١٣٩
- الْمُخْتَارُ بْن عَوْفَ الْأَزْدِيِّ أَبُو حَمْزَةَ
 - النَّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدُ وَتَنِّ، أَوْ كَفَّرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ... ٢٢١
- الْعَمَانُ بْن ثَابَتَ الْكُوفِيِّ، أَبُو حَنِيفَةَ الْإِمامِ
 - لَعَنَ اللَّهِ عَمْرَوْ بْنَ عُثْيَدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ... ٥٨
- الْوَلِيدُ بْن أَبْيَانَ الْكَرَابِسِيِّ
 - إِنِّي أُوصِيْكُمْ بِمَا عَلِيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعْهُم
 - هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟ ٥٩
- الْوَلِيدُ بْن مُسْلِمَ
 - أَمْرُوْهَا بِلَا كَنْفِيْ ٩٥
- كَايْفُ (القائل بخلق القرآن) ١٣٩
- جَبَلَةُ بْن حَمْدَوْ الصَّدِيفِيِّ
 - جِهَادُ هُؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشَّرِكَ ٢٥٨
- كَمَا نَحْرُسُ عَدُوْنَا بَيْتَنَا وَبَيْتَ الْبَخْرُ، وَالآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوُّ بِسَاحِتَنَا... ٢٥٨
- حَسَانُ أَبْوَ الْمَنْذِرِ
 - مَنْ خَالَفَ الْحَاجَاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ ٢٦٦

الصفحة	الأثر / القول
	حمدليس
٢٦٣	- يُجاهد حسبَ مقدارِ الدِّيْنِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمُشْرُوَّةِ سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي التبراني
٢٥٣	- أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَّارُ
٢٦٠	- أَلَا تَخْرُجُ عَلَى الْأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا
٢٢٨	- قُلْ : مُؤْمِنٌ، وَلَا تَخْلِطْ مَعَهَا غَيْرَهَا
٢٠٠	- كَانَ يَلْفُّ ابْنَ الْقَصَارِ فِي مَرَضٍ مُوْتَهُ أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٤٥	- مَا هَذَا الْقَلْنَ؟
٢٥٥	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو محمد المخزومي - لَقِدْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا وَعْشَانَ يَسْتَبَانَ سَبَابَاً مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَ
٩٥	سفيان بن سعيد بن مسروق الشوري، أبو عبد الله الكوفي - أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ
٢٧٤	سفيان بن عبيدة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي - الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْفُقَهَاءِ
١٣٩	- كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
٩٥	- هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ تُقْرَرُ بِهَا، وَتُنَحَّدَثُ بِهَا بِلَا كَيْفٍ
٢١٣	سلمان الفارسي، أبو عبد الله - الصَّرَاطُ إِنَّهُ كَحَدَّ الْمُوسَى
٢٢٦	- لَوْ تَنْطَعَّتْ أَعْصَاءُ، مَا بَلَغَتِ الْإِيمَانَ
	شيب الخارجي
٢٢٠	- مِنْ دِينِنَا قُتِلَ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأِينَا؛ مِنْا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا
٢١٩	العاصم بن أبي النجود - وَاللَّهُمَا مَا أَعْزَزْتَ هَذَا مِنْ دِينِنَا، وَلَا دَفَعْتَ عَنْ مَظْلومٍ
٩٥	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه - أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ

الصفحة

الاثر / القول

- عبد الرحمن بن مهدي بن حسان المؤلقي، أبو سعيد البصري
- السنة المقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث
- من طلب الكلام، فآخر أمره زندقة
- عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
- من زعم أن الله لا يرى يوم القيمة، استبيب
- هذا الكلام هدم بلا بناء، وصفة بلا معنى
- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقدسي
- بلا تزيء يعني حقيقة التزوير
- عبد الله بن أبي حسان
- ليس هذا دين قريش، ولا دين العرب؛ هذا دين أهل قم
- والله، لا يخفى علينا نحن من يستحق الولاية بعد واليتنا...
- عبد الله بن إدريس
- كافر (القاتل بخلق القرآن)
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي النعيمي، أبو عبد الرحمن المروزي
- كافر (القاتل بخلق القرآن)
- ينزل كيف شاء
- عبد الله بن طالب، أبو العباس
- الحمد لله الذي يُشكّر على ما به أنعم...
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
- إذا جاء القذر، حال دون البصر
- الكُرُسي مَرْضِعُ الْقَدَمَيْنِ
- كان يسمى القذر: نظام التوحيد
- لا أعلم الصلاة تتبغى من أحد على أحد إلا على رسول الله
- ليسوا بالشّدّ من اليهود والنصارى وهم يُقتلون (الخوارج)
- ما بعث الله نبيا إلا أحداً عليه المينا: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّداً...
- ما فرق هؤلاء! يجدون عند مُحكِّمه، ويهلكون عند مُشايه!

الأثر / القول

الصفحة

- عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصديق
٧٠ - تَشَهِّدُ فِي حُظْبَةِ غَيْرِ الْجَمَعِ
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوى
٢٥١ - أبو بكر والله أخْيَرُ منه، وهو والله أسوَدُ من أبي بَكْرٍ
٢٨٢ - أَمَّا أنا، فعلى بِيَنَةٍ مِنْ رَبِّيِّ، وَأَمَّا أَنَا، فاذْهَبْ إِلَى شَاكِرٍ مِثْلَكَ خَاصِّهُ
٧٠ - جَمَعَ بَيْنِهِ وَأَهْلَهُ فِي إِثْبَاتٍ بِعِتَّهِ يَزِيدَ لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ
٢٥١ - ما رأيْتُ أسوَدَ مِنْ معاوِيَةً!
٢٥٢ - مُعاوِيَةً أسوَدَ مِنْ عُمَرَ وَعُمَانَ!
- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو محمد السهمي
٢٣٨ - شُرُّ وَادِيَنِ فِي النَّاسِ: وَادِيُ الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَحْرِهِ مَوْرِوتْ يَقَالُ لَهُ: بَرْهُوتْ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
١١٨ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدْمَيْنِ
- عبد الله بن لَهِيَة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي
١٣٩ - كَافِرُ (القاتل بخلق القرآن)
- عبد الله بن محمد الضعيف
١٤٨ - قَعْدُ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَقَعْدُ الْجَهَمَّةِ هُمُ الْوَاقِفُونَ
- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن
١٤٣ - إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ
١٦٢ - إِذَا ذُكِرَ الْقَدْرُ، فَأَمْسِكُوا
- ٧١ - التَّشَهِّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا
١٢٠ - بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةٍ عَامٍ . . .
- ١٢٤ - عَبَرَ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ بِالْجُلوْسِ
- ٢١٣ - وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضُ مَزِيلَةِ
- عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهري القرشي
٢٧٤ - كُلُّ صاحِبِ حَدِيثٍ لِيْسَ لَهُ إِمامٌ فِي الْفَقِيرِ، فَهُوَ ضَالٌ . . .

الصفحة

الأثر / القول

- ٢٧٤ - لولا أنَّ الله أنقذنا بِمَا لَكَ وَلِيَثُ، لَضَلَّنَا
عبد الله بن يزيد المقرئ
١٠١ - يَعْنِي أَنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجوني إمام الحرمين
٥٩ - أَمُوتُ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيَّابُور
عبد الملك بن قریب بن عبد الملك بن علي، أبو سعد الأصمی البصري
١٣٣ - إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الاسمُ غَيْرُ المُسَمَّى، فاحْكُمْ عَلَيْهِ بِالرَّئْنَدَةِ
١٦٥ - جَلَّسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرُو بْنِ الْمَلَاءِ عَشْرَ حِجَّاجَ...
١٢٨ - هِيَ كَافِرَةٌ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
عبدة بن سليمان الكلابي
١٣٩ - كَافِرٌ (القائل بخلق القرآن)
٦٥ عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني
- أئمَّةُ الْقُرْءَاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِّنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي الْلُّغَةِ،
وَالْأَقْبَاسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ
٧٠ عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي
- تَشَهَّدُ فِي كَلَامِهِ لِمَا أَقَامَ الْحَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةِ
عُقبة بن نافع
٢٢ عَلَيْهِمُ اللَّهُمَّ اشْهِدْ أَنِّي فَدَّ بَلَغْتُ الْمَجْهُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبَخْرُ، لَمَضَيَّتُ فِي الْبِلَادِ
٢٢١ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو الْحَسْنِ الْهَاشِمِيِّ
٧٠ - أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَفَكُوا الدَّمَّ الْحَرَامَ
٨١ - تَشَهَّدُ فِي خُطْبَةٍ غَيْرِ الْجَمْعِ
٢٣٧ - خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٨٤ - شَرُّ وَادِيهِنَّ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَحْرِهِمُوتِ يَقَالُ لَهُ: بَرَهُوتٌ
- حَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ

الصفحة	الأثر / القول
٢٢٢	- وإن خالقو إماماً جائراً فلا تقاتلهم (الخارج)
٨١	- يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْحَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ
١٣٩	علي بن عاصم - كافر (القائل بخلق القرآن)
٦٠	علي بن عقيل، أبو الوفاء البغدادي - عَدَتُ الْقَهْفَرَى إِلَى مَذَهَبِ الْمَكْتَبِ
١٢٦	عمر بن الخطاب بن نفیل، أبو حفص العدوی - إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُرْسِيِّ
٧٠	- تَشَهَّدُ فِي خَطْبَتِهِ لِمَا مَاتَ النَّبِيُّ
٢٧٢	- سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ وَوْلَاهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ سُنْنَةً، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ . . .
٢٧٦	- قَدْ سُئِلَتْ لَكُمُ السُّنْنُ، وَفَرِضْتُ لَكُمُ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكْتُمُ عَلَى الْوَاضِعَةِ . . .
٢٧٦	- كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيِ، فَهُوَ باطِلٌ
٢٨٠	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي - مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضاً لِلْمُحْسُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ
١٦٤	عمران بن الحصين - أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْلَمُونَ فِيهِ؛ أَشَنِّهُ قُضِيَّةُ عَلَيْهِمْ . . .
١٧٢	عون بن يوسف الخزاعي - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْفُرَ الْقَدَرِيَّ، فَقُلْ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ؟
١٥١	قيبيصة بن ذؤيب بن حلحلة، أبو إسحاق - مَنْ قَالَ: مُحَدَّثٌ، فَهُوَ يَقُولُ - إِنَّهُ مَخْلوقٌ . . .
٢٦٢	مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصبحي المدائني - أَدْرَكْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعًا؛ فَمَا سَعَيْتُ أَنْهُمْ قَامُوا إِلَى إِمامٍ جَائِرٍ يَعْظُّونَهُ
٢١٩	- أَرَأَهُ فِي الْحَرُورَةِ

الصفحة

الأثر / القول

- الاستواء معلوم، والكيف مجهول
- السيف السيف
- العمل أثبت من الأحاديث
- القدرة أشر الناس، ورأيهم أهل ظيسن وسخافة عقوله ويدع ...
- القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا يندى، وليس بمحظوظ
- الله في السماء، وعلمه في كل مكان ...
- العيزان حق
- أمروها كما جاءت
- أمسك عن التفضيل بين عثمان وعلي
- إن التفاضل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا ...
- إن ظنت ذلك بتفسيك، خفت أن تزل فنهلك ...
- أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ...
- أهل الذنب مؤمنون مذنبون
- إياكم والبدع
- بعض الإيمان أفضل من بعض
- بلعني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت
- تُؤكِّن حفصة عام فتحت إفريقية
- رأيت أهل بلدينا ينهون عن الكلام في الدين
- قل: مُؤمن، ولا تخاطط معها غيرها
- كافر زنديق؛ اقتلوه (القاتل بخلق القرآن)
- كان ابن هزير رجلا كنت أحب أن أفتدي به ...
- كان يحدُّر من تفسير القرآن من غير معرفة بلسان العرب
- كان يشدُّ على منكري رؤية الله
- كان يشدُّ على منكري القدر، ويرى أنهم يستتابون
- كان يشدُّ في مخالفته قول الصحابة وفهمهم للسنة

الأثر / القولالصفحة

- كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله
١٣٨
- كان يقال: لا تمسك زانع القلب من أذنِك؛ فإنك لا تدري ما يتعلّمك من ذلك
٢٨٠
- كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى...
٢٠١
- لا أُوتَى بِرَجْلٍ يفسِّرُ كتابَ اللهِ غَيْرَ عَالِمٍ بِلغاتِ الْعَرَبِ، إِلا جعلَتُهُ نَكَالًا
٦٢
- لا يُحدِّثُ به، وما يدعُ الإنسَانَ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكِ...
١٠٣
- لا، ولكن يُخْبِرُ بِالسُّنْنَةِ؛ فإنَّ قِيلَ مِنْهُ، وَإِلَّا سَكَتَ
١٦
- ليس للإيمانِ مُتَهَّى؛ هو في زيادةِ أبداً
٢٢٦
- ليس هذا الجدلُ من الدينِ بشيءٍ
٢٧٩
- ما أذرَكتُ أحدًا أقتدي به بفضلِ أحدهما على صاحبه
٢٥٢
- ما فَلَّتِ الآثارُ فِي قومٍ إِلَّا ظَهَرَتِ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ...
٥٤
- منْ رَمَى عائشَةَ، كَفَرَ، فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ
٢٤٩
- منْ سَبَّ عائشَةَ، قُتِلَ
٢٤٩
- منْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ، تَرَدَّدَ
٥٤
- منْ وَصَفَ شَيْئًا مِنْ ذَاتِ اللهِ، مثُلُ قوله...
١٢٣ ، ١١٢
- هؤلاءِ يُسْتَأْبِونَ
٢٧١
- ولا يُشْكُتونَ عَمَّا سَكَتَ عَنِ الصَّحَابَةِ
١٠٠
- ولقد قال رجلٌ: لقد دخلت هذه الأديانَ كلها، فلم أر شيئاً مستقيماً...
٢٧٩
- يَرْوَنَهُ بِأَغْيِنِهِمْ
٩٦
- يَنْتَظِرُونَ إِلَى اللهِ بِأَغْيِنِهِمْ هَاتَيْنِ
٢٠٠
- متقدمو المالكية كانوا يشدّدون على منكر رؤية الله
٢٠١
- مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ
١٢٤
- يَقْعِدُهُ مَعْهُ عَلَى العَرْشِ
١٠٤
- محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
١٤٤
- سُبْحَانَ اللهِ شَيْئًا مِنْهُ مَخْلوقٌ
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
- إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمُ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ

الأثر / القول

الصفحة

- صوت الله لا يُشبة صوت الخلق
١٤٤
- صوت الله يُسمع من بعيد، كما يُسمع من قرب
محمد بن الحسن بن فرقان الشيباني
١٤٤
- كان أبو حنيفة يُحثّنا على الفقه، وينهانا عن الكلام
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التتوخي القبرواني
٥٨
- أرأيت كل مخلوق:
- هل يَذَلُّ لخالقه؟
١٤٦
- الإقرار غير مخلوق، وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة
١٦٣
- لا أقول ما قالت المرجنة: لا تضر الذنوب مع التوحيد
محمد بن عبد الكريم، طراز الشريعة الشهيرستاني
٢٣٢
- عليكم بذلين العجائز
٦٠
- محمد بن عبد الله الأندلسى، أبو عبد الله، ابن أبي زمین
- الكرسي موضع القدمين
١١٨
- محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
- عَبَرَ عن الاستواء بالقعود
١٢٥
- محمد بن علي بن عمر التميمي المازري
- ويُؤدي لو مَحْوِتُ هذا مِنْ هَذَا الْكِتَاب بِمَاءَ بَصَرِي
١٦٧
- محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازى
- لقد اختبرت الطرق الكلامية، مما رأيتك فيها فائدة تساوي فائدة القرآن
العظيم
٦٠
- محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله، ابن شهاب الزهري
- ألا أخربكم بمثلكم ومثل هذه؟ كمثل عيدين في رأس يُؤذيان صاحبَهما...
٢٥٥
- أمروا الأحاديث كما جاءت
٩٥
- مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري
- رأيتك أهل بلادنا ينهون عن الكلام في الدين
٥٤

الأثر / القول

الصفحة

- مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي الخراساني
٢٣٨ - شرُّ واديين في الناس: وادي الأحاف، ووادي بحضرموت يقال له: بَرْهُوت
- ٩٥ مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي
٩٥ - أمرُوا الأحاديثَ كَمَا جاءَتْ
- ١٥٧ هاني بن مسعود الشيباني
١٥٧ - إِنَّ الْحَدْرَ، لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدْرِ
- ١٣٩ هشيم بن بشير
١٣٩ - كافِرُ (القاتل بخلق القرآن)
- ١٣٩ وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي
١٣٩ - كافِرُ (القاتل بخلق القرآن)
- ٩٥ سَلَّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا تَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟
١١٨ وهب بن منبه بن كامل البهاني، أبو عبد الله الأبناوي
١١٨ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدْمَيْنِ
- ١٣٩ يحيى بن زكريا
١٣٩ - كافِرُ (القاتل بخلق القرآن)
- ٢٢٥ يحيى بن سعيد القطان
٢٢٥ - مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَّا عَلَى سُتُّنَا فِي الإِيمَانِ
- ٩٦ يزيد بن هارون
٩٦ - مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى خَلَافِ مَا يَقْرُرُ فِي قُلُوبِ
الْعَامَّةِ . . .
- ١٠٠ وَيَلَّكَ مَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا؟
١٦٢ يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
١٦٢ - الْقَدْرُ لَا يُدْرِكُ بِجِدَانٍ، وَلَا يَشْفَى مِنْهُ مَقَانٌ
- ١٦٥ يونس بن حبيب
١٦٥ - لَا فِتْكَ لِي فِيهِ

٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات

- إِنْ كَانَ رَبِّيْ فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا ١٥٧
 رَبِّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا ١٢٢
 سَوْءَى فَرُوقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا ١٢٢
 بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ ١٤٧
 وَلَا يُكَرِّسِيْ عِلْمَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ ١١٩
 لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقٍ ١٤٧
 وَمِثْلُ ذَاكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الْجِلَّةِ ١٤٧
 إِنَّ الْمَنَابِيَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا ١٥٧
 أَوْ مُخَذَّثٌ فَقْوْلُهُ مُرْوُقٌ ١٤٧
 مُفَدَّرَةٌ لَنَا وَمُفَدَّرِنَا ١٥٧

يَا عَبْلَ أَيْنَ مِنَ الْمَذِيَّةِ مَهْرَبِي
 مَجْدُوا اللَّهُ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ
 بِالْبِنَاءِ الْأَغْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا
 وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلُ
 مَا لَيْ بِأَنْرِكِ تُكَرِّسِيْ أَكَاتِفُهُ
 عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ
 وَالْوَقْفُ فِيهِ بِذُعْنَةِ مُضِلَّةٍ

 مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ
 وَأَنَا سَوْفَ تُذْرِكُنَا الْمَنَابِيَا

٥ - فهرس المصطلحات

<u>الصفحة</u>	<u>المصطلح</u>	<u>الصفحة</u>	<u>المصطلح</u>
١٤٨	- الواقعه	١ - فهرس المصطلحات العقدية والفكريّة	
٢٣٩	- حياة البرزخ		
١٩٧	- شفاعة النجاة والسلامة	١٣٥	- إضافة التشريف
١٩٧	- شفاعة تخفيف العذاب	١٣٥	- إضافة الصفة
١٩٨	- شفاعة دخول الجنة	١٣٣	- الأسماء الحسنى
١٩٨	- شفاعة رفع الدرجات	٢٤٩	- البُلْذُعَةُ المكفرةُ
١٩٧	- شفاعة زوال العذاب	٢٦٩	- السلف الصالح
٨٩	- مائة الشيء	٢١٣	- الصراط
١١٣	- مقالة التأويل	٨٦	- الكُنْه
	٢ - فهرس المصطلحات الأصولية	١٢٠	- المرفوع حكما
٢٤٧	- الصحابي	٢٤٢	- الملائكة الحفظة

٦ - فهرس القواعد والكلمات

الصفحة

القاعدة/ الكلمة

١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر	
١٥	- الجدالُ والمراءُ الرائدُ يُورِثُ العناًدَ والمكايدةَ
٢٧٨	- الجدالُ والمراءُ ليس طريقاً موصلاً إلى الحقّ بذاته
٢٢٣	- العالمُ المُنصفُ لا يتكلّمُ بما تُجْبِه كُلُّ فتنةٍ في خصيمها
١٦١	- العقولُ إنما تَبَحُثُ في مُمكِنَاتِ الإدراكِ العقليِّ، لا في مُحالاته
٥٠	- الموافقةُ في مسائلٍ لا تَعْنِي الموافقةَ في الأصولِ
٨٧	- النَّهَيُ عن الخوضِ فيما لا يُدرِكُهُ العقلُ
٢٢٦	- إمكانُ الشيءِ شيءٌ، وحصولُه شيءٌ آخرٌ
٢٧٨	- أهلُكَ أصحابُ العقولِ استحسانُهم رأيُهم، وهجرُ النَّصْ
١٦	- إيضاحُ الحقّ بلا جدالٍ أقربُ إلى القبولِ
١٥	- بيانُ الحقّ يكونُ من أصولِهِ، بلا جدالٍ ولا مراءٍ
١٩	- فضلُ العلومِ بفضلِ المعلومِ
١٢٧	- كُلُّ ما لا مَجَالٌ للعقلِ فيهِ، فلا يجوزُ الخوضُ فيهِ
٢٢٣	- كم تأذى الحقّ، بمحاباةِ الخلقِ!
٢٧٥	- لا تنشرُ البدعُ إلا عندَ من عَقَلَ الأثرَ
٩٩	- لا يُفْرِّ من باطلٍ إلى باطلٍ
٥٠	- ليس الشَّيْءُ ولا التَّلْمِذَةُ تُدخلُ أحداً في مذهبِ أحدٍ
١٣٥	- ليس في القرآنِ ما لا يَفْهَمُ معناهُ البتَّةَ
١٨٧	- ما فَهِمَهُ الصَّدِّيرُ الأوَّلُ من القرآنِ هو مرادُ اللهِ فيهِ
١٠٣	- ما كُلُّ صحيحٍ يَصْبُحُ التَّحدِيثُ بهِ
٢٧٨	- متى بانتِ الحَجَةُ، واتضَحَ الدَّلِيلُ، وجَبَ اتِّباعُهُ وَالْعَمَلُ بهِ

- من أعظم البدع والضلال أن يُرَد الدليل بالنظر
 ٢١٥
- من جهل الأثر استحسن العمل بالرأي
 ٢٧٥
- من عطل العقل، فساد دنياه، ومن عطل النقل، فساد دينه
 ٢٠
- نهى الله عن الخوض فيما لا سبيل لإدراكه
 ١٦١
- يجب بيان الحق بحججه بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكليف
 ١٦
- يُرشد الأثر العقل إلى الوقوف على ما لا يحيط به
 ٥٣

٢ - فهرس قواعد العقائد

- ١ - فهرس قواعد الإلهيات
- **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَفَعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** ٤٥ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦
- إثبات أفعال الله الاختيارية على وجو الحقائق
 ٢٠٧
- إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة ليس منفياً
 ٩٧
- إثبات الصفات لله إثبات للوجود والحقيقة والكيفية
 ٨٦
- إثبات الصفة لا يعني تشبيهاً، وتقيي الكيف لا يعني تعطيلاً
 ٦١
- إثبات الصفة للخالق لا يعني مشابهتها لصفة المخلوق
 ١٣٦
- إذا اختلفت لوازيم الذات، اختلفت لوازيم الصفات
 ١٢٨
- الأصل ألا تثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين
 ١٣٠
- الإمساك عن الزيادة على النص أحوط
 ١٥٤
- التشيه المتوهّم أصل ضلال الفرق في الله
 ١٦٤
- التفكّر في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأثارها، والعمل بمقتضها
 ٨٨ ، ٦٢
- الحق أن تؤخذ مسائل الصفات والغيبيات على ظاهرها
 ٥٩
- السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة
 ٦٥
- السياق محكم في إثبات الصفات
 ٤٧
- الفقه في الكلام الجهل به
 ٤٤
- القول من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير شرع
 ١٦١
- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له
 ٩
- الله تعالى لا يشبهه شيء في كيفية صفاتيه
 ١٠٥

الصفحة

القاعة الكلية

- الله ليس له مثيل يكفيه عليه، ولا شبيه يفاسع عليه ٨٦
- ترك حفاظ النصوص ومعاناتها الصحيحة هلاك ٩٨
- تعالى الله أن تكون صفاتة مخلوقة، وأسماؤه مخدّة ٩
- ذات الله وصفاته يكتفى فيها بالقدر الوارد في السمع ١٢٧
- كل اسم له معنى يتبع له الاسم والمعنى جمياً ١٣٢
- كل ما أخبر الله به عن نفسه يجب إثباته على الحقيقة ١١٢
- لا نسميه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه، إلا ما سمي به نفسه ١٢٤
- لا يبلغ كثرة صفتته تعالى الواصفون، ولا يحيط بأمره المفكرون ٨٦ ، ٩
- لا يجوز تكيف فعل الله ١١٩
- لا يحملك خوف التشبيه على النفي، ولا خوف التأويل على التشبيه ٦١
- لا يزال الله تعالى على كماله، لا بغيرة الزمان ١٢٩
- لا يكون الكيف إلا بما له حقيقة ١٢٧
- لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه ١٢٦ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ٩٢
- الله تعالى الأسماء الحسنـى، والصفات العـلا ٩
- لم يزل الله تعالى بجميع صفاتـه وأسمـائه ٩
- لو خلـت أدـهـانـ المـعـتـلـةـ مـنـ الـقـيـاسـ، لـخـلـتـ مـنـ التـعـطـيلـ ١١٢
- ليس للـهـ تـعـالـىـ مـنـ يـشـابـهـ فـيـ أـسـمـائـهـ ١٣٢
- ليس من السـلامـةـ تـرـكـ مرـادـ اللهـ فـيـ كـلـامـهـ ٩٨
- ليس العـقـائـدـ مـنـ مـوارـدـ النـزـاعـ ١٣٠
- ما خـالـفـ مـاـ أـجـمـعـ عـلـيـ السـلـفـ مـنـ الـمـعـانـيـ، فـهـوـ فـاسـدـ ٦٥
- ما ذـلـ السـيـاقـ عـلـيـ حـقـيقـتـهـ تـبـيـعـ حـقـيقـتـهـ ١٢٧
- مجرد الإضافة لا تـبـيـعـ إثـبـاتـ الصـفـةـ ١٣٥ ، ٤٧
- مـسـائـلـ الغـيـبـ مـرـدـهـ إـلـىـ عـلـمـ اللهـ؛ لـاـ مـجـالـ فـيـهـ لـلاـجـهـادـ وـالـنـظـرـ ١٣٠
- مـنـ الـعـلـمـ بـالـلـهـ: الـجـهـلـ بـمـاـ لـمـ يـخـبـرـ اللهـ بـهـ عـنـ تـقـيـهـ ٨٨ ، ٦١ ، ٤٤
- مـنـ كـانـتـ ذـائـةـ لـاـ شـبـيـهـ لـهـ، صـفـاتـهـ لـاـ شـبـيـهـ لـهـ ١٣٠ ، ١٢٨
- مـنـ كـمـالـ الـخـالـقـ كـمـالـ عـلـمـهـ ١٥٧

الصفحة

القاعدة/ الكلية

١٣٠	- من ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في صفاته
٦١	- منع الاسترسال في التفكير في كيفية ذات الله وصفاته
٨٦	- واجب العقول الوقف في إثبات الصفات على النصوص
٨٧	- يجب الإمساك عن التفكير في كيفية ذات الله وصفاته
٢٧٥	- يسعنا أن نمسك عمّا أمسك عنه السلف
٩	- يغترب المتكلمون بآياته، ولا يتكلمون في ماهيّة ذاته
٢ - فهرس قواعد النبوات	
٢٠١	- الأنبياء لا يسألون المحاجة، بل الممكّن
٣ - فهرس قواعد السعيّات	
٢١٤	- ليس في صريح العقل ما يجعل الغيبات
٢١٤	- ما ثبت بالنص من الغيبات لا يجوز إنكاره بالعقل
٤ - فهرس القواعد الأصولية	
١ - فهرس القواعد الأصولية الكبرى	
٧٩	- الاهتمام في الشريعة يكون للأهم والأعظم
٢٦٥	- الطاعة بالمعروف لا في معصية الله
١٣١	- الفروع محل رأي واجتهاد
٢١	- أنزل الله الوحي بلسان عربٍ مبين
٢٧١	- كل سُنّة لا تنتهي إلى الصحابة يتوقف فيها
٢٦١	- يجب تغليب صلاح الدين على صلاح الدنيا عند التزاحم
٧٣	- ينهى الله عن شيء، ثم يُبيّن سَعَةَ الحلالِ
٢ - فهرس قواعد الحكم الشرعي	
٧٩	- الصبي غير مكلّف
٣ - فهرس قواعد الأدلة	
٢٧٢	- إذا ثبت إجماع التابعين، فلا يجوز الخروج عنه
٢٧١	- إذا صَحَّ إجماع الصحابة، فلا تجوز المنازعَةُ في ذلك
١٣٢	- الأصل في مراasil التابعين التوقف

الصفحة	الفائدة/ الكلية
١٣٢	- قول التابعِ لِيَسْ حُجَّةً مقطوعةً في الفروع والأصول
٢٧٢	- لا يجوز استنباط حكم يخالف قول أهل الصدر الأول
	٤ - فهرس قواعد دلالات الألفاظ
١٣٧	- إذا أكد الفعل بالمصدر، لم يحمل إلا على الحقيقة
١٤٥	- إذا تدل على المستقبل
٦٥	- الاصطلاح والوضع الشرعي مقدم على الوضع اللغوي
٤٧	- السياق محكم في تفسير النصوص
١٠٤	- سياقات الكلام لا بد من معرفتها لتمييز الألفاظ
١٢٦	- على تدل على العلو والفوقية
١٣٢	- كل اسم له معنى يثبت له الاسم والمعنى جميعا
٦٥	- لا يجوز تقديم الوضع اللغوي على الوضع الشرعي
٢٧٥	- ما تأوله السلف تأولناه، وما عملوا به علينا به
١٠٠	- معرفة سياقات كلام الآئمة مفسرة لألفاظهم المتباينة في الاستعمال
٦٤	- يجب اعتبار السياق والقرائن وأحوال المتكلم والمخاطب
١٤٩	- يطلق العموم في القرآن وله ما يخصصه من الحسن وغيره
	٥ - فهرس قواعد التعارض والترجيح
٢٧٦	- كل نزاع وخلاف في الدين يجب رده إلى الوحي
٢٧٥	- لا تعارض السنن برأي، ولا تدافق بقياس
	٦ - فهرس قواعد الاجتهاد والتقليد
٢٧٨	- المجتهد في الأحكام مأجور وإن خطأ
	٤ - فهرس القواعد الحديثية
١٣٢	- الأصل في مراasil التائبين التوقف
١٣٢	- قول التابعِ لِيَسْ حُجَّةً مقطوعةً في الفروع والأصول
	٥ - فهرس العلل والحكم على الحديث والثر
٨٣	- أثاني جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال: يا محمد... .
٧١	- الأحاديث الواردة في الأمر بالبداعة بالبسملة والحمدلة معلولة

الصفحة	القاعة/ الكلية
١١٩	- الكرسي علُم الله
١٢٠	- الكرسي قدرة الله
٢٤١	- إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيا منها، لنجا سعد بن معاذ
٨٣	- حديث الصلاة على النبي عند دخول المسجد، وعند الخروج منه
٢١٤	- دقة الصراط ليس فيها شيء مرفوع
١٢٤	- عَبَرَ عن الاستواء بالجلوس
٢١٠	- لا يثبت في حجم الميزان حديث
١١٢	- ما السموات السبع في الكرسي، إلا كحلقه ملتفة بأرض فلاد ..
٢٢٢	- وإن خالقو إماما جائرا فلا تقاتلوهم (الخارج)
٦ - فهرس القواعد والضوابط الفقهية	
٢٥٩	- تكون طاعة الإمام بما يقيمه الدنيا
٧ - فهرس الفروق	
٤٢	- الفرق بين أهل الحديث وأهل الكلام

٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع/رأس المسألة</u>
	ابن أبي زيد القيرواني
٣٩	تقريع القول بانتماهه إلى المذهب الأشعري
٣٨	ثناؤه على ابن كلاب
٣٧	ثناؤه على أبي الحسن الأشعري
١٦	دفاعه عن منهج السلف ومذهبهم
٣٢	ردّه على ابن مسّرة الجبلî الفلسفة المشائية
٣٢	ردّه على أبي القاسم البكريّ الفكر الإشراقي الصوفي
٣٢	ردّه على أبي طالب شيخ المعتزلة
٣٠	ردّه على الظاهريّة
٣٦	ردّه على عليّ بن أحمد البغدادي داعية الاعتزاز
٣٢	مكتاباته إلى أبي بكر الباقلاني في الكرامات عند المعتزلة
٣٩	موقفه من قضيّة الأسماء والصفات
	ابن تومرت
٥٢	مذهب العقدي بين الأشاعرة والمعزلة
	أبو المعالي الجوني
٤٣	استحلّ إطلاق القول بأنَّ العبد خالقُ أعماله
٤٣	القدرة الحادثة تؤثُّ في مقدورها عندَه
٤٣	فعلُ العبد واقعٌ بقدرته قطعاً
٤٣	قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
٤٢	مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع/رأس المسألة</u>
	أحاديث الصفات
١٠٠	- روايَةُ الأئمَّةِ إِيَّاهَا، واحترارُهُم مِنْ سوءِ فهمِها
	أدب التأليف
٧٤	- بيانُ سبِّ تأليفِ الكتبِ
	شروط الساعة
١٩١	- الأحاديَثُ الواردةُ فيها
١٩١	- أنواعُها
	أفعال العباد
١٦٢	- حَلْقُهَا
	الإرادة
١٠	- تعالى الله أن يكون في ملکه ما لا يُريدُ
	الاستواء على العرش
١٢١	- إثباته
١١٣	- الاستواء على العرش
١٢٦	- التعبيرُ عنه ببعض لوازمه
١٢١	- حقيقته
١١٣	- حكاية الإجماع على إثباتها
١٢٨	- سببُ تأويله
١٢٥	- معناه في اللغة
١٠٩	- من شبُهاتِ بعض من عَللَها
١٢١	- مواضع ذكره في الكتابِ الكريم
١٢٧	- يجبُ إثباتُ الاستواء حقيقةً، وتقويضُ كفيته
	الإسلام
١٨١	- الإسلام وحرمة الدين
	الإسلام والإيمان
٢٢٨	- الإسلام أوسع دائرةً من الإيمان

الصفحة	الموضوع/رأس المسالة
٢٢٨	- العلاقة بينهما الاسم والمسمى
١٣٣	- العلاقة بينهما الأسماء الحسنة
١٣٢	- إثباتها معنى إحصائيها
١٣٢	الأسماء والأحكام
١٢	- أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون
١٢	- الإمساك عما شجر بين الصحابة
٢٢٣	- التكبير بالذنوب، وأحوال الطوائف
٢٠٣	- الجنة والنار، ولمن أعدّهما الله
١٧٩	- حكم اتباع دين غير الإسلام
١٩٤	- حكم أصحاب الكبائر
١٩٤	- حكم من مات ولم يثبت من ذئبه خير الفرّون القرن الذين رأوا رسول الله، ثمّ الذين يلُونهم، ثمّ الذين يلُونهم
٢٤٥ ، ١٢	- ضاعفت الله لعباده المؤمنين الحسَنات، وضَفَحَ لَهُم بِالتَّنَزِّهِ عن كُتابِ السيّكاث
١١	- لا يحيط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك
٢٢٣	- لا يذكر أحدٌ من الصحابة إلا بإحسنه ذكر
١٢	- لا يكفر أحدٌ يذنب من أهل الفلة
١٢	- مصير من دخل النار من عصاة المسلمين
١٩٥	- من حمل غيطاً في قلبه على الصحاوة كافر
٢٤٩	- من طعن في عرضي عائشة كافر
٢٤٩	- من طعن في من تواتر فضلها كافر

الصفحة	الموضوع/رأس المائدة
الأسماء والصفات	
١١	- إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات النعيم
١٢٩	- إثباتها
٦١	- اعتقاد السلف فيها
١٠٢	- الإشارة باليدي عند الحديث عن صفات رب
٨٧	- الإمساك عن التفكير في كيفية الصفات العلية
١٢٢	- التحذير من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الاشارة والكلام
٨٥	- الله هو الأول؛ فليس قبله شيء، وهو الآخر؛ فليس بعده شيء
٩٦	- إمارات نصوص الصفات لا ينافي الإفراز بحقيقةها
٨٨	- أنواع ظاهر الصفات
١٢٩	- قدمها
١٢٩	- كونها غير مخلوقة
٨٦ ، ٩	- لا يبلغ كثرة صيغته تعالى الواصفون، ولا يحيط بأمره المتكلمون
١٣٠	- ما ورده منها عن الصحابة والتبعين
٣٥	- مذهب متقدمي المغاربة فيها
١١١	- نقى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق
الأشاعرة	
١٧٢	- تأثرهم في القول بالكسب بالضرارية والتجارية
الإمام مالك	
١٣٨	- شدته على القائلين بخلق القرآن
٥٣	- موقفه من علم الكلام
٢٢٦	- نقصان الإيمان عنده
٥٥	- تهيئة عن علم الكلام، ومراده منه
الإمامية	
١٣	- الطاعة لأئمة المسلمين؛ من ولاة أمرهم وعلمائهم

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

- الإمامية العظمى
- الخروج على الحاكم المسلم ٢٠٩
 - الخروج على الحاكم المسلم بشبهة كفر أو توهّم مكفر ٢٠٩
 - النصّ للائمة ٢٦٢
 - بقاء المسلمين بلا بيعة لإمام ٢٠٩
 - تكون طاعة الإمام بما يُقيم الدنيا ٢٥٩
 - شروط الخروج على الحاكم ٢٦١
- الأهواء والبدع
- حِيَاطَةُ التَّنْقِيلِ وَمِنْهَا ٢٠
 - الإيمان
- أثر إخراج العمل منه
- الاستثناء في الإيمان شَكًا لا يجوز ٢٢٨
 - الاستثناء فيه ٢٢٧
- الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح
- الإيمان قول وعمل ١٢
 - الإيمان يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بقصتها ٢٢٨
 - الإيمان يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بقصتها ٢٢٣
 - حقيقة الاستثناء منه ١٢
 - حقيقته ٢٢٨
- حكم تارك العمل كله
- زوال الإيمان وكماله ٢٢٩
- طوافُ العلاة فيه
- لا يُحيط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك ٢٢٦
 - لا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ٢٣٣
 - وبنية إلا بموافقة السنة ٢٣٢ ، ٢٢٨ ، ١٢
- ما يدخل فيه
- من انتهى منه العمل كله، كمن انتهى منه القول كله ٢٢٩

الصفحة

الموضوع/رأس المسالة

<p>الإيمان بالكتب</p>	<p>- الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسلي</p>
<p>١٨٥</p>	<p>الإيمان بالملائكة</p>
<p>٢٤١</p>	<p>- أدلة وجوبه</p>
<p>٢٤١</p>	<p>- الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان</p>
<p>٢٤٢</p>	<p>- عدد الملائكة ووظائفهم</p>
<p>٢٤٣</p>	<p>- كل الملائكة عباد مكرمون</p>
<p>البدعة</p>	<p>البدعة</p>
<p>٢٧٧</p>	<p>- المجتهد ببدعة</p>
<p>التأويل</p>	<p>التأويل</p>
<p>٤٦</p>	<p>- التأويل في كلام بعض أهل السنة</p>
<p>١٠٥</p>	<p>- توهم الوازِم الباطلة يفضي إليه</p>
<p>التشبيه</p>	<p>التشبيه</p>
<p>١٢٢</p>	<p>- التحذير منه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام</p>
<p>٩٣</p>	<p>- لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه</p>
<p>١٠٠</p>	<p>- لا يلزم من تزويه الله عن التشبيه نفي الحقيقة عن صفاتيه</p>
<p>التعطيل</p>	<p>التعطيل</p>
<p>٩٣</p>	<p>- أسبابه</p>
<p>١٠٥</p>	<p>- توهم الوازِم الباطلة يفضي إليه</p>
<p>٩٣</p>	<p>- لازم نفي الصفات التعطيل</p>
<p>التعليم</p>	<p>التعليم</p>
<p>٧٨</p>	<p>- تعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير</p>
<p>٧٧</p>	<p>- فضل تعليم الصغار والأمر به</p>
<p>التفويض</p>	<p>التفويض</p>
<p>٩٨</p>	<p>- ادعاء أن التفويض باعثه التعظيم</p>
<p>٩٥</p>	<p>- ادعاء نسبة التفويض إلى السلف</p>

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
٩٣	- أسبابه
٩٤	- اشتهرة في مقالات الكلائية
١٣٥	- الإقرار بثبات الصفة يُبطل التفويض
٤٦	- التفويض في كلام بعض أهل السنة
٩٥ ، ٩٣	- تاريخ مذهب التفويض
١٠٥	- توهم اللوازم الباطلة يقضي إليه
٩٤	- حضوره في مقالات أبي الحسن الأشعري ومنصور الماتريدي
٩٩	- شيوخ مقالة التفويض في بلاد المغرب
٩٢	- عقيدة التفويض
٩٥ ، ٩٣	- لم يؤثر التفويض عن أحد من الصحابة والتابعين
٩٧	- نسأة مقالة التفويض وشيوخها
التوحيد	
١٥	- أعظم الواجبات معرفة الخالق، والغاية من الحلق
٩	- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له
٨٥	- بدء مباحث الأصول بتقريره
٩٠	- سبب الواقع في الشرك
٩	- ليس لأوليئه ابتداء، ولا لآخرئه انقضاء
٩٠	- معرفة الله بآياته الكونية
الجدل والمناظرة	
٢٧٨	- التحذير من الجدال والمراء في الدين
١٥	- الجدال والمراء الزائد يورث العناد والمكابرة
١٥	- بيان الحق يكون من أصوله، بلا جدال ولا مراء
٢٧٦	- ترك المرأة والجدال
٢٨٠	- هجر الجدال والمراء وأهله
الحديث الشريف	
٢٧٤	- الإجماع على ترك العمل بال الحديث

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

الحرف والصوت

١٤٤

- لم يُعرَفُ الخلافُ في إثباتِهِما قبلَ ابنِ كُلَّابٍ
- نشأةُ الكلامِ في المسألة

الحلال والحرام

٧٣

- سَعَةُ الْحَلَالِ، وَضيقُ الْحَرَامِ

الحوض

٢١٤

- أحاديثُ إثباتِهِ بلغت مبلغَ التَّوَافُرِ

٢١٥

- الْحَوْضُ قَبْلَ الصِّرَاطِ فِي التَّوْقِفِ

٢١٥

- إنكارُ المادِيِّينَ إِيَّاهُ

٢١٤

- ذُودُ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالتَّبَدِيلِ عَنْهُ

٢١٤

- لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ

٢١٥

- لِلأنبياءِ حوضٌ لَهُمْ وَلَا مُؤْمِنٌ

٢١٤

- مَنْ شَرَبَ مِنْهُ لَا يَظْلَمُ أَبَدًا

الخلاف العقدي

٤٢

- الحديثُ والكلامُ، وأثرهما في الخلاف

الخوارج

٢١٩

- أسبابُ الافتتانِ برَأْيِهِمْ

٢٢٠

- الصفةُ الجامدةُ لَهُمْ

٢٢٣

- الموازنةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المرجحة

٢٢١

- شَيْءٌ عَبَادِهِمْ

٢١٨

- فتنتُهُمْ فِي التَّكْفِيرِ بِغَيْرِ مَكْفُرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَسَائِرِ الأَعْمَالِ

١٩٦

- مقالاتهم في صاحبِ الكبيرة

٢٢٢

- تُضَحِّيُّهُمْ قَبْلَ قَاتِلِهِمْ

الذات الإلهية

٨٧

- الإمساكُ عن التفكيرِ في كيفية ذاتِ اللهِ

٨٦

- حُكْمُ التَّفْكِيرِ في ذاتِ اللهِ

الصفحةالموضوع/رأس المسألة

- ٩ - يَقْتَرُبُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِأَيَّاتِهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَائِنَةِ
الرافضة
- ٢٥٧ - فَتَتَّهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا
الردة
- ١٨١ - حُرْيَّةُ الدِّين
- ١٨٢ - شُبُّهَاتٌ فِي حُرْيَّةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ
- ١٨١ - مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَسْعَهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ بِحَالٍ
السببية
- ١٧٣ - الْحَتْمِيَّةُ السَّبُبِيَّةُ
السلف
- ٦١ - اعْتِقَادُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ
- ٢٦٩ - حَقِيقَتِهِمْ
- ١٠٠ - رَوَايَةُ الْأَئمَّةِ لِأَحَادِيثِ الصَّفَاتِ، وَاحْتِرازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهُومَهَا
- ٢٧٠ - سَبُبُ تَضَليلِهِمْ
- ٢٦٩ - فَضْلُ السَّلْفِ وَأَتْبَاعِهِمْ
- ٢٦٩ - نَسْيَةُ هَذَا الوَصْفِ بِالسَّلْفِيَّةِ
السمع والطاعة
- ٢٦٤ - الْخُطُّاطُ فِي نُصُوصِهِمَا
- السمعيات
- ٢٣٧ - أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْهَارِيَّةِ
- ٢٣٥ - أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِيَّ وَأَحْوَالُهَا
- ١٢ - أَرْوَاحُ أَهْلِ السُّعَادَى بِاقِيَّةٌ نَاعِمَّةٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقاَةِ مُعَذَّبَةٌ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
- ١٩١ - أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
- ٢٤١ - الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي إِثْبَاتِ ضَمَّةِ الْقَبْرِ
- ٢٤٣ - الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

٢٤١	- الإيمانُ بالملائكةِ رُكْنٌ من أركانِ الإيمانِ
١٢	- الإيمانُ بِخُوضِ رَسُولِ اللهِ
٢٠٤	- الجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَا؛ أُعْدَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ
٢٠٤	- الجَنَّةُ وَالنَّارُ لَا تَفْتَأِنُ وَلَا تَيْدَأِنُ
٢٠٣	- الجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعْدَهُمَا اللَّهُ
١٩٢	- الحسابُ والعِقابُ
٢١٤	- الْخَوْضُ الْمُورُودُ
١٢	- الْخَوْضُ لَا يَظْلَمُ مَنْ شَرَبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَلَ وَغَيَّرَ
١٢	- الشَّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ
١١	- الصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ يَقْدِرُ أَعْمَالَهُمْ
٢١٢	- الصِّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ فِيهِ
٢٣٨	- العذابُ والنِّعَمُ فِي الْبَرْزَخِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدْنِ جَمِيعًا
٢٣٨	- الْقَبْرُ وَفِتْنَةُ
٢٤٤	- الْمَلَكُ الْمَوْكِلُ بِالرُّوحِ عَنْ نَفْخِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمَوْكِلُ بِالرُّوحِ عَنْ تَفْصِيلِهَا
٢٠٩	- الْمِيزَانُ حَقٌّ
٢٠٩	- الْمِيزَانُ وَالْوَزْنُ
٢٠٩	- الْمِيزَانُ وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ
١٨٩	- التَّفْخُ في الصُّورِ
١٩٠	- بَعْثُ الْأَجْسَادِ وَجَزَاؤُهَا
٢٣٩	- تَبَدَّلُ حَيَاةُ الْبَرْزَخِ مِنْ خَرْوَجِ الرُّوحِ وَمَفَارِقَةِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ
٢١١	- تَكْبِيْتُ الْمَلَائِكَةِ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيَّئَاتٍ
٢٣٩	- تَوَاتَرُ النَّصْوصُ فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعِذَابُهُ
١١	- تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ
١١	- جَعَلَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِهِ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَاةِ
٢٠٣ ، ١١	- جَنَّةُ الْآخِرَةِ هِيَ الَّتِي أَغْبَطَ اللَّهُ مِنْهَا آدَمَ نَبِيًّا وَخَلَقَهُ إِلَى أَرْضِهِ
٢٣٩	- حَقِيقَةُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعِذَابِهِ
٢٠٤	- خَلْقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

الصفحةالموضوع/رأس المسألة

- خلق الله الجنة فأعدّها دار خلود لأولئك
 - خلق الله النار فأعدّها دار خلود لمن كفر به
 - خلق الله النار وأعدّها دار خلود لمن كفر به
 - خلود الجنة والنار
- صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيمة
 - عذاب القبر حق؛ ثبت في الدليل من وجود كثيرة
 - على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم
 - كتابة الأعمال على المكلفين
 - كيف يؤتى كتابة؟
 - لا يجوز إنكار الصراط بمجرد العقل
 - للأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها
 - مستقر أرواح الشهداء
 - ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربها
 - من عاقبه الله بزيارة، آخر جهه منها بإيمانه، فادخله به جنته
 - نفع الروح
 - واختلف في التفخيات
 - يجب الإيمان بحياة البرزخ
 - يجيء الله يوم القيمة لعرض الأمم وحسابها
 - يخرج من النار شفاعة النبي، من شفع له من أهل الكبار من أمته
 - يفتّن المؤمنون في قبورهم ويسألون
 - يكون قبض الأرواح بعلم الله وحده، لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون
 - يؤتى العباد صحائفهم بأعمالهم
 - يؤتى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره
 - يؤتى المؤمن كتابه بيمينه إكراماً وإشارة له
- الشفاعة**
 - إثباتها أحکامها
 - الشفاعة حق لا ينكر أصلها مسلم

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
١٩٧	- الغاية منها
١٩٧	- أنواعها
١٩٨	- شروطها
	- الصحابة
٢٧٢	- الاستدلال بحديث يخالف الصحابة
٢٥٦	- الإمساك عما وقع بينهم
٢٥٠	- التفاضل بين الصحابة
٢٥٢	- التوسيع في التفضيل بين الصحابة
٢٥٠	- المفاضلة بينهم
٢٤٨	- الوقوع فيهم
٢٥٦	- امتحان أهل المغرب بهم
٢٧١	- تعظيم فقه الصحابة
٢٥٤	- حكم ما شجر بينهم
٢٥٣	- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
٢٥٤	- لا يُحدث بما وقع بين الصحابة من خلاف وزراع
١٣١	- موقفهم من قضية الأسماء والصفات
	الصحاباة الكرام
٢٤٧	- فضلهم، وتفاضلهم
	الصراط
٢١٣	- حقيقته
٢١٤	- لا يجوز إنكاره بمجرد العقل
	الصفات
٩٢	- الحق نفي تشبيه الصفات، لا نفي حقيقتها
	الصفات الإلهية
١٣٥	- الإقرار بإثبات الصفة يبطل التفويض
١٣٣	- حقيقتها

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

٩٣	- لازم نفي الصفات التعطيل الصفات الخبرية
٢٠٦	- الإناءُ والمجيءُ من الصفات الفعلية الخبرية الصفات الفعلية
١٢٩	- أدلة إثباتها الصلة
٧٩	- سبب تخصيصها بأمر الصغير بها الصلة على النبي
٨٤	- حكم الصلة على غير النبي
٢٨٢	- ختم الكلام بها فضلها
٨١	- ما يجزئ منها
٨٣	- مشروعتها في الخطب
٨١	- مواضعها
٨٢	- هي من أعظم أسباب مكفرات الذنوب العذر بالجهل
٧٦	- مجرد الجهل مع إمكان رفعه لا يقوم عذرًا العرش
٩	- الله على العرش اشتوى، وعلى الملك احتوى
١٢٢	- ما تطلقه العرب عليه
٥٣	العقل والنفل - العلاقة بينهما
٧٣	العلم - الغاية من العلم: العمل بالمامور، وترك المحظور
٧٦	- تعليم الولدان الحق والخير واجب

الصفحة	الموضوع / رأس المسالة
١٩	<p>- فضلُ العلم وأفضلُه العلم الإلهي</p>
١٢٠	<p>- إحاطةُ عِلْمِ الله بكلِّ شيءٍ</p>
١٦٦	<p>- عِلْمُ الله بكلِّ شيءٍ</p>
١٠	<p>- عِلْمٌ كُلَّ شيءٍ قبلَ كُونِه؛ فَجَرَى عَلَى قَدْرَةِ لا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا سَبَقَ عِلْمَهُ بِهِ</p>
١٠	<p>- العلو</p>
٩	<p>- الله فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كُلِّ مكانٍ بعلمه</p>
الفتن وأشراف الساعة	
٢٢٢	<p>- الموقف عند اجتماع الصلالات</p>
الفضائل	
٢٥٢	<p>- التوسيع في التفضيل بين الصحابة</p>
٢٥٣	<p>- المفاضلة بين عثمان وعلي</p>
٢٥٣	<p>- ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضلٍ كترتيبهم في الخلافة</p>
٢٤٧	<p>- فضل الصحابة، وتفاضلهم</p>
٢٤٥	<p>- فضل خير الفرّون</p>
الفكر الأشعري	
٥٢	<p>- جذورُ الفكرية قبل نشأته</p>
٣٥	<p>- رواجه في بلاد المغرب العربي</p>
الفكر الاعتزالي	
٦٧	<p>- انتشاره في كثير من أهل العربية</p>
الفلسفة	
٦٠	<p>- كلّما تعمّقوا في الفلسفة، ازدادوا حزنًا وخيبة</p>
الفلسفة	
٦٠	<p>- يبدأ الداخُلُ فيها بنشوة، ثم يتّهي بحَيرة</p>

- الفقران الكريم
- العمل في القرآن على الأثبات في الآخر، والأصح في الرواية ٦٥
 - القرآن كلام الله غير مخلوق ١٥٥
 - القرآن كلام الله، ليس بمحلوقي في بيده، ولا صفة لمخلوق في يقظة ١٠
 - أئمة القراء لا تعلم في القرآن على الأفتش في اللغة، والأقويس في العربية ٦٥
 - حسن القصد وسوءه، وأثره على فهم القرآن ٢٧٩
 - مصادر تفسيره ١٨٦
 - القضاء والقدر ٢٦٨
 - ابتلاء المصلح ١٥٦
 - أدلة إثباته من الكتاب والسنّة ١٦٢
 - أفعال العباد وخلقها ١٦٨
 - الأمر بالإمساك بما سكت عنه الشع في القدر ١٥٦
 - الإيمان بالقدر ١٠
 - الإيمان بالقدر خيراً وشراً، خلوه ومرأة، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ١٦١
 - الجدال في ١٦٥
 - العلم بالأسباب لا يخرج صاحبه من قدر الله ١٥٧
 - الفطرة قاطعة بالإيمان به ١٥٩
 - الله لا يقدر لعباده شرّا محضًا ١٦٨
 - المخالفون في القدر ١٦٣
 - أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم ٢٦٨
 - تجرد المصلح ١٥٨
 - تقدير الخير والشر ٢٤١
 - كتابة الأعمال على المكلفين ١٠
 - كل ميسّر يتيسّر، إلى ما سبق من علمه وقدره، من شقي أو سعيد ١٥٩
 - لا يخلو الله شرّا محضًا، ولا راجحا ولا مساوياً ١٠
 - لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد فضاه ١٦٠
 - لا ينسب الشر إلى الله

الموضوع/رأس المسألة**الصفحة**

-	مقادير الأمور بيده، ومصلحتها عن قصاية
١٠	-
١٧٤	نفي القدر يلزم منه العجز
١٠	يُصلٌّ من يشاء فيخذله بعذله
١٠	يهدي من يشاء فيوفقه بفضله
الكتب السماوية	
١٨٥	-
١٨٥	الإيمان بها من أركان الإيمان
١٨٥	الكتب كلها تدعوا إلى أصل التوجيد
الكرسي	
١١٨	-
١١٩	إثباته، وورود الأدلة به
الكبس	
١٧٢	-
الكفر بالله	
١٧٩	-
الكلام النفسي	
١٤١	-
١٤١	أصل فتنة القول به
الtàلكة	
١٣٨	-
المتكلمون	
٤٢	-
٦٦	الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
٦٤	تلرعنهم بقواعد اللغة لتأييدهم بدعهم الكلامية
٥٣	خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
ضعف إمامتهم بال الحديث والأثر	

الصفحةالموضوع/رأس المسألة

المحاجة	- إثباته لله تعالى
٢٠٦	
إثبات المحاجة لله يوم القيمة	- تقويم ما روي عن الإمام أحمد من تأويله
٢٠٧	
حكاية الإجماع على إثباته	- حكاية الإجماع على إثباته
٢٠٧	
المذهب المالكي	
أصحاب مالك من المغاربة في حياته	- أصحاب مالك من المغاربة في حياته
٤٠	
أصوله وفروعه	- أصوله وفروعه
٤٠	
شيوخه واتشاره في بلاد المغرب	- شيوخه واتشاره في بلاد المغرب
٤٠	
المرجئة	
الموازنة بينهم وبين الخوارج	- الموازنة بينهم وبين الخوارج
٢٢٣	
غلوّهم في باب الإيمان	- غلوّهم في باب الإيمان
٢١٦	
مراتبهم في باب الإيمان	- مراتبهم في باب الإيمان
٢١٦	
المشيئة الإلهية	
مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد	- مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد
١٦٧	
المعزلة	
مقالاتهم في صاحب الكبيرة	- مقالاتهم في صاحب الكبيرة
١٩٦	
المعطلة	
من شبهاهاتهم	- من شبهاهاتهم
١٣٧	
المنهج القويم	
اتباع السلف الصالح، واقتفاء آثارهم، والإستغفار لهم	- اتباع السلف الصالح، واقتفاء آثارهم، والإستغفار لهم
١٣	
ترك المرأة والجندي في الدين، وترك ما أخذته المخدّرون	- ترك المرأة والجندي في الدين، وترك ما أخذته المخدّرون
١٣	
حفظ العقل والنقل	- حفظ العقل والنقل
٢٠	
فضل قرب الرمان والمكان الأول	- فضل قرب الرمان والمكان الأول
٢١	
النبوات	
الأنبياء يتفاصلون فيما بينهم في الإيمان المستحب	- الأنبياء يتفاصلون فيما بينهم في الإيمان المستحب
٢٢٦	

الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
١٧٧	- الإيمان بجميع الرسُلِ واجب
١٧٦	- الغاية من إرسال الرسُلِ
١٧٧	- الكافرُ بواحدٍ من الرُّسُلِ كافرٌ بجميع الرُّسُلِ
١٧٨	- أوجَبَ اللهُ على جميع الأنبياء اتِّباعَ محمدٍ
١٧٧	- تتابعُ الرُّسُلِ
١٧٧	- خاتمُ رسالتِ النبيِّ، وعمومُها
١٠	- خَتَمَ اللهُ الرُّسَالَةَ وَالنُّذَارَةَ وَالثُّبُورَ بِمُحَمَّدٍ
١٨٠	- ختم النبوات ببعثةِ مُحَمَّدٍ
١٧٦	- رسالةُ النبيِّ، وكتابُه
١٧٩	- شريعةُ الإسلام ناسخةٌ للشَّرائعِ قبلَها
١٧٧	- عمومُ رسالتِ النبيِّ لجميعِ الأممِ
١٨٧	- يجبُ الإيمانُ بكلٍّ ما جاءَ الرسولُ
	النَّزُولُ
١٥٣	- إِنْبَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى
	الوَاقِفَةُ
١٤٨	- حقيقةُ قَوْلِهِمْ
١٤٨	- سببُ تشديدِ الأئمَّةِ على الواقفة
	اليَوْمُ الْآخِرُ
٢٣٥	- أرواحُ الْمَوْتَى وَأَحْوَالُهَا
١٩١	- أشراطُ السَّاعَةِ
٢٤٣	- الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا
١٨٨	- الإيمانُ بالبعثِ بعد الموتِ من أركانِ الإيمانِ
١٨٨	- الإيمانُ بالقيمةِ وما فيها
١٩٢	- الحسابُ والعقابُ
١٠	- السَّاعَةُ آتِيهَا لا رَيْبٌ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَعْثُثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا يَدَاهُمْ يَعْتُدوْنَ
١٩١	- تنزيلُ أشراطِ السَّاعَةِ على الواقع

الصفحةالموضوع/رأس المسألة

١٨٨	- ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَمَا بَعْدَ
٧٤	- اسْتِعْمَالُهَا فِي الْكَلَامِ أَهْلُ الْحَدِيثِ
٤٢	- الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ، وَأَثْرُهُمَا فِي الْخَلَافَةِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
٤٦	- إِجْمَاعُهُمْ عَلَى الإِفْرَارِ بِالصَّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
٢٢٢	- الْفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَرْجِعَةِ
٨٥	- مُجَمِّلُ اعْقَادِهِمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى
٦٧	- مَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْلُّغَةِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
٤٥ ، ٤٤	- إِثْبَاثُ عَقَائِدِهِمْ عَلَى شَوَاهِدِ قَبْرِهِمْ
٣٧	- أَثْرُ الْاعْتَازَالِ فِي قُبُولِ الْمَغَارِبَةِ عِلْمَ الْكَلَامِ الْأَشْعُرِيِّ
٤٠	- أَصْوَلُ مَالِكٍ وَفَرُوعَةُ، وَأَحْوَالُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَغْرِبِ
٢٦	- اعْتِقَادُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
٤٠	- التَّرَاجُّهُمْ مُتَذَهَّبُ مَالِكٍ
٤٣	- امْتَحَانُهُمْ بِفَتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ
٢١٧	- إِنْكَارُهُمْ إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِيمَانِ
٢٣٢	- إِنْكَارُهُمْ مَقَالَةَ الْإِرْجَاءِ
٢٦	- أَهْلُ الْمَغْرِبِ أَهْلُ سُنَّةٍ وَأَثْرٍ
٤٥	- بِدَائِيَّةُ تَصْنِيفِهِمْ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبَدِعِ
٢٩	- بِدَائِيَّةُ رَدِّ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ فِي الْفَرْوَعِ لَا فِي الْأَصْوَلِ
٤٣	- ثَبَاثُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَامْتَحَانُهُمْ بِعِلْمِ الْكَلَامِ
١٤٠	- كَانُوا يَسْمُونُ الْقَاتِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ: أَهْلُ الْعَرَاقِ
٣٣	- لَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ مِنْ أَهْيَانِ الْمَغَارِبَةِ الْمُعْتَبَرَيْنَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعُرِيِّ
٤٦	- مَا مَرَوْا بِهِ مِنْ فَتَنٍ

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

٣٥	- مذهب متقدمي المغاربة في الأسماء والصفات
١٣٥	- مصنفاتهم في إثبات حقيقة الصفات
٢٠٢	- مصنفاتهم في الرد على منكري رؤية الله
٢١٨	- تبذلهم مقالة الخوارج
٣٩	- نشأة التصنيف الكلامي فيها
أولياء الأمور	
٢٥٨	- طاعتهم في المعروف
آيات الله في الآفاق	
٧٢	- الأمر بعبادة النَّظرِ والتَّفْكِيرِ وتلذُّثِ آياتِ اللهِ
٩١	- التَّفْكِيرُ فِي الْمَلَكُوتِ مُوجِّبٌ لِسُؤالِ النَّجَاهِ مِنَ الْعَذَابِ
٩٠	- معرفة الله بآياته الكونية
آئمة المسلمين	
٢٥٩	- الخروج على الأئمة وأحواله
٢٦٤	- الخطأ في تصوّص السمع والطاعة
٢٥٨	- الطاعة لأئمة المسلمين في المعروف
٢٦٢	- جرائم وظلمائهم وأخطائهم
بلاد المشرق	
٢٤	- هي موضع الفلسفه في الإسلام
بلاد المغرب	
٢٥	- أثر المشرق على المغرب
٣٣	- أسباب انتشار علم الكلام فيها
٣١	- أسباب تأخر ذيوع علم الكلام في المغرب
٣٤	- أكثر المتكلمين أثراً في المغرب
٢٢	- المغرب في زمن الصحابة والتابعين
٥٠	- انتشار الفكر الأشعري فيها على يد ابن تومرت
٣٦	- انتقال بعض أهل الفلسفه والكلام من المشارقه إلى المغرب

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

- انتقال كتب المشارقة إلى المغرب مع الرسول والتابع
- ٣٦
- انحسار الفلسفة وعلوم الأوائل فيها
- ٢٤
- أول ظهور الفكر الاعتزالي فيها، وطبقات المتممرين إليه
- ٢٧
- أول ظهور الفلسفة المشائية فيها
- ٣٢
- أئمة المغرب الذين كانوا على طريقة السلف
- ١٦
- بداية الخوض في الكلام والفلسفة عند المغاربة وأسباب انتشاره فيها
- ٣٣
- دخول الإسلام فيها
- ٢٢
- رواج الفكر الأشعري فيها
- ٣٥
- شيوخ مقالة التقويض فيها
- ٩٩
- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
- ٢٥٣
- ظهور القول بخلق القرآن فيها
- ١٤٠
- لم يكن فيها حتى المئة الخامسة أشعريًّا على طريقة المتأخرین
- ٥٠
- من حمل الفكر الاعتزالي إليها
- ٢٨
- من دخلها من الصحابة والتابعين
- ٢٣
- وجود الاعتزاز فيها، وموقف العلماء منه
- ٢٧

تأويل الصفات

- ما يتضمنه من محظوظ
- ١٣٤

تعطيل الصفات

- سببية
- ١٣٤

جلال الدين الدواني

- الحوادث عنده لا أول لها
- ٤٣
- الصفات عنده غير الذات
- ٤٣
- مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري
- ٤٣ ، ٤٢
- يقول بعِينيَّة الصفات
- ٤٣

حق الله

- طرُق معرفته
- ٢٧٦

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

خلق القرآن

- أصل القول به مأخوذه من قول اليهود في التوراة ١٤٠
- أصل فتنة القول به ١٤١
- القول به يذعّه، لم يقل بها إمام متبع ١٣٨
- الواقعه في تحلي القرآن، وسبب التشديد عليهم ١٤٨
- ذكر الله القرآن أربعه وخمسين مرّة دون إشارة واحدة إلى خلقه ١٤٠
- شدة مالك وأصحابه على القائلين به ١٣٨
- ظهور القول به في المغرب ١٤٠
- من أدلة القائلين بتحلي القرآن ١٤٩

ذكر الله

- اقتران الحمدلة بالشهاده في الخطيب ٧٩
- البداءه به قبل الشروع في المقامات المهمه ٧٩
- التفريق بين الخطيب والمكتابات فيما تستفتح به ٧١
- مواضع البداءه بالبسملة ٧١
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني
- سبب تأليفها
- شرح مقدمتها

صاحب الكبيرة

- كيف يُؤتى كتابه؟ ٢١٢

صفة التجلي

- إثباتها لله تعالى ١٥٢
- التجلي صفة فعلية خبرية ١٥٢

صفة الرزية

- إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات العجم ١١
- أدلة إثباتها ٢٠٠
- استفاضت النصوص على إثباتها ٢٠٠

الصفحةالموضوع/رأس المسألة

٢٠١	- التفريق بين الرؤية والإدراك
١١	- جعل الله الكافرين به مُخجّلين عن رؤية
١٩٩	- رؤية الله في الآخرة
٢٠٠	- مواضع ذكر لقاء الله يوم القيمة في القرآن
صفة العلو	
١٠٧	- العلو والمتعة
١٠٧	- حكاية الإجماع على إثباتها
١٠٥	علو الله
١٠٥	- كثرة الأدلة على إثباتها
١٠٩	- من شبهات بعض من عَذَّلُوها
صفة القدم	
١٣١	- أدلة إثباتها
صفة الكلام	
١٣٧	- إثباتها
١٣٧	- الله متكلّم متى شاء بما شاء
١٤٨	- سبب تشديد الآئمة على الواقعية
١٣٧	- كلامه تعالى يائِنٌ من خلقه
١٤٤	- من حُكْمِح نفقة الصوت والحرف الله
١٤٣	- نشأة الكلام على مسألة الحرف والصوت
عذاب الكبر	
٢٤٠	- ثبوته وأدلة
علم الكلام	
٥٩	- أثر الاسترسال فيه
٣٣	- أسباب انتشاره في بلاد المغرب
٦٠	- التعرّف على الله به يورث الوحشة
٥٤	- الرأي وعلم الكلام

الموضوع/رأس المسألة

الصفحة

- اللغةُ وعلمُ الكلام، وأسبابُ انتشارِ البدعةٍ
٦٢
- انتشارُ الكلام في متأخرِي المالكيةِ أكثرَ
٤٩
- سياقُ شأتهُ وغايتهاُ
٢٥
- طريقُ المتكلّمين كلّهم طريقٌ واحدٌ بال النوع، وإنْ اختلفتْ أصنافُه
٢٦
- فلسفة اليونان وأثرُها على المتكلّمين
٢٥
- مقالاتُ المتكلّمين مبنيةٌ على مقدّماتٍ مأخوذةٍ من اليونان والسرّيان
٢٥
- مناطقُ انتشاره وانحساره
٢٤
- موقفُ الإمامِ مالك بن أنسٍ منهُ
٥٣
- نهيُ الإمامِ مالك عنِه، ومرادُه منهُ
٥٥
- يبدأُ الداخُلُ فيه بِنشوةٍ، ثم ينتهي بِحَمْرَةٍ
٦٠
- عملُ أهلِ المدينة
٢٧٣
- حقيقةُ العملِ الذي يقدّمُ على الحديث
- فخرُ الدينِ الرازِي
٤٣
- الصفاتُ عندهُ تُسَبَّبُ وإضافاتُ بين الذاتِ، وبين المعلومِ والمقدورِ والمرادِ
- مخالفتهُ بعضُ أصولِ المذهبِ الأشعريِّ
٤٢
- قواعدُ الحجاج
٣٧
- مرانُ المخالفين تقتضي مدحَ الأقربِ واللَّيْنَ معه
- كلامُ الله
١٠
- القرآنُ كلامُ اللهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِّدُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَذُ
- ملهُبُ الأشاعرة
٤٢
- تشديدهُم في الخلافِ في العقليّات
- مخالفتهُ بعضُ رؤوسيهم في أصولِ المذهبِ
- مُخالفتهم يترَدُّدُ بين الكُفرِ والابتداعِ والإثم
- نفيُ الصفات
١١١
- نفيُ بعضِ الصفات لأجلِ توهمِ إحاطةِ المخلوقاتِ بالخالق

٨ - فهرس المذاهب والأقوال

الصفحة

المذهب/ القول

- | | |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٤٥ | ابن أبي زيد القيرواني |
| ٢٦٩ | - اتّباع السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِمَاءُ آثَارِهِمْ، وَالإِسْتَغْفَارُ لَهُمْ |
| ٢٣٨ | - أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بِاِقْيَةٍ فِي سَجِينٍ |
| ٢٣٥ | - أَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بِاِقْيَةٍ نَاعِمَةٍ إِلَى يَوْمٍ يَمْعَطُونَ |
| ٢٣٥ | - أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّفَاوَةِ مُعَذَّبَةٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ |
| ١٤٢ | - أَسْمَعَ اللَّهُ مُوسَى كَلَامَهُ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِغَيْرِهِ |
| ١٥٦ | - الإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوهٌ وَمُرُورٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدْرَةُ اللَّهِ رَبِّنَا |
| ٢١٤ | - الإِيمَانُ بِخَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ، تَرِدَّهُ أُمَّةٌ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ |
| ٢١٥ | - الإِيمَانُ قُولٌ بِاللُّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ |
| ٢٧٥ | - التَّشْلِيمُ لِلسُّنْنِ لَا تُعَارِضُ بِرَأْيِي، وَلَا تُذَافَعُ بِقِيَاسِي |
| ٢٣٥ | - الشُّهَدَاءُ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ |
| ٢١٢ | - الصُّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ |
| ٢٥٨ | - الطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وِلَاءُ أُمُورِهِمْ، وَعَلَمَائِهِمْ |
| ١٥٥ | - الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيُبَيِّنُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيُنَفَّذُ |
| ١٧٤ | - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ خَالِقُ الشَّيْءِ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ |
| ١٧٤ | - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غَنِيٌّ |
| ٢٠٩ | - تُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ |
| ٢٢٩ | ابن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور الإمام الشافعي |
| | - يفرقون بين الترك الكلبي للعمل وبين الترك الجزئي |
| | - إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران التخعي الكوفي الأعور |
| | - لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَفَّونَ عَنْ أَمْرِهِ |

الصفحة	المذهب / القول
١٦٨	- خَلَّ اللَّهُ مِنْ عَصَاءً وَكَفَرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَيَسَّرَهُ لِذَلِكَ فَحَجَجَهُ وَأَصْلَهَ
١٦٦	- عَلِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَعَجَرَى عَلَى قَدْرِهِ
٢٤٧	- كُلُّ مَنْ صَحِّبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَاهَ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ التَّابِعِينَ
٢٦١	- كُلُّ مَنْ وَلَجَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضاً أَوْ عَنْ غَلَبةٍ، فَلَا يُخْرُجُ عَلَيْهِ
١٦٧	- كُلُّ مُيسَرٍ يَتَسَبِّرُهُ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ؛ مِنْ شَقِّيٍّ أَوْ سَعِيدٍ
١٦٨	- كُلُّ يَتَسَبِّي إِلَى سَاقِي عِلْمِهِ؛ لَا مَحِيصٌ لِأَحَدٍ عَنْهُ
١٣٧	- كَلَمُ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صَفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ
٢٣٣	- لَا يَكُفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَفْلَى الْقِبَلَةِ
١٦٦	- لَا يَكُونُ مِنْ عَبَادِهِ قُولٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ
١٥٦	- مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضَدُّرُهَا عَنْ قَضَايَاهُ
٢٥٠	- وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُونَ
٢٥٤	- وَأَلَا يُذَكِّرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا يَأْخُذَنَ ذَكْرِهِ
٢٤٠	- يُضْعَطُ النَّاسُ وَيُتَأْوَنُ، وَيُثَبَّتُ اللَّهُ مُنْطَقَ مِنْ أَحَبَّ تَشْيِيهٍ
١٦٧	- يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعِذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ
٢٣٨	- يُفْشِنُ الْمُؤْمِنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسَأَلُونَ
ابن أبي زيد القبرواني	
٢٤١	- عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةٌ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ
ابن عزوز المالكي التونسي	
١٠٨	- اللَّهُ مُسْتَوٌ عَلَى عَرْشِهِ، بَانِّي مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِهِ
ابن فروخ قاضي القبروان	
٢٦٠	- اشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أَئِمَّةِ الْجَمْعِ
٢٦٠	- رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْعَكْيِ
أبو الحسن التميمي	
١٥٣	- نَفَى النَّزُولِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
أبو العباس القلانسى	
١٤٤	- نَارٌ فِي إِثْيَاتِ الْحَرْفِ وَالصُّوبِ

المصفحةالمذهب / القول

٢٠٠	أبو العباس بن طالب - إثبات رؤية الله في الآخرة
١٠٨	أبو القاسم المقربي - الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
١٠٨	أبو المطراف التنازعي القرطبي - الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
١٤٤	أبو عبد الله الصالحي - نازع في إثبات الحرف والصوت
٢١٦	أحمد بن أبي بكر، أبو مصعب - الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر
١٢٤	أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي - عَيْرَ عن الْاسْتِواءِ بِالْجُلُوسِ
٢٠٧	أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني العروزي - إثبات أفعال الله الاختيارية على وجاه الحقيرة
٢٠٩	الإيمان بالميراث من أصول الشّرعة
٢٢٢	التفریق بين قتال الخوارج لامام جوز وبيان قتالهم لامام عذل
١٥٥	القرآن خرج من الله
١١٣	الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
١٤٣	الله يتكلّم بصوّت
١١٣	الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش
١١٣	الله يغضّب ويرضى ويتكلّم بما شاء
١١٣	الله يتزلّ إلى سماء الدنيا
٥٨	اللهي عن علم الكلام عموماً بلا استثناء
١٤٤	إن الله تكلّم بالصوّت والحرف
١٤٤	بل تكلّم بصوّت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت
٢١٩	توقف في تكبير الخوارج

الصفحة

المذهب / القول

- حَرَمَ بِكُفْرِ مُنْكِرِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٢٠٥
 - عَبَرَ عن الْاسْتِوَاءِ بِالْجَلْوَسِ ١٢٤
 - قَوْلُ النَّابِعِ لَيْسَ حُجَّةً مُقْطَعَةً فِي الْفَرْوَانِ وَالْأَصْوَلِ ١٣٢
 - كَانَ يَعْتَرِضُ مَجْلِسَ عَبْدِ الرَّزَاقِ إِذَا حَدَثَ بِأَحَادِيثِ الْخَلَفِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، ، ٢٥٥
 - كُفَّرُ مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ خَاصَّةً ٢٠٦
 - كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَيِّنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ ١٥٦
 - لَا أُحِبُّ لَأَحِبٍ أَنْ يَكُبُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ٢٥٥
 - لَا يَكُفَّرُ مَنْ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ قُوَّلًا وَاعْتَقَادًا بِلَا عَمَلٍ ٢٣٠
 - لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةً (الواقة)
 - مُسْتَقْرَأُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ ٢٣٦
 - مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرٌ فِي رِوَايَةِ ٢٣٠
 - نَفِيَ الصَّوْتُ وَالْحَرْفُ هُوَ قَوْلُ الْجَهَمِيَّةِ ١٤٤
 - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرْكِ الْكُلُّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرْكِ الْجُزْئِيِّ ٢٢٩
 - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو عُمَرِ الطَّلْمَانِيِّ
 - إِثْبَاتُ الْجَنِّبِ اللَّوِيِّ ٤٧
 - أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ يَسَارِ الشَّيْبَانِيِّ، أَبُو الْعَبَاسِ ثَعْلَبٍ ٦٥
 - السُّنَّةُ تَقْضِيُ عَلَى الْلُّغَةِ، وَاللُّغَةُ لَا تَقْضِيُ عَلَى السُّنَّةِ
 - إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُخْلَدٍ، أَبُو يَعْقُوبِ الْحَنْظَلِيِّ الْنِيَّاسِبُورِيِّ، أَبُو رَاهِيَّةٍ ١١٣
 - اللَّهُ بِذِيَّتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ١١٣
 - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ ١١٣
 - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ ١١٣
 - اللَّهُ يَتَرَوَّلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ١٤٨
 - الْوَاقِفَةُ شَرٌّ عِنْدِي مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لَأَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ غَيْرُهُ ٢٢٩
 - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرْكِ الْكُلُّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرْكِ الْجُزْئِيِّ
- أَفْلَاطُون
- الشَّرُّ مِنِ الْجَهَلِ ١٥٩

الصفحة

المذهب/ القول

الأشاعرة

- أفعال العباد الاختيارية بارادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قدرته ١٧٢
 الجهم بن صفوان بن محرز السمرقندى، رأس الجهمية ٢٠٥
 - أفعال الله لها آخر، ومنها الجنة والنار ٢٠٥
 - الجنة والنار تُفْنِيَانٌ

الجهمية

- ١٣٣ - أظهروا أسماء الله مخلوقة
 ١٣٣ - نفي الأسماء الحسنة
 الحسن بن بسار، أبو سعيد البصري ١٢٠
 - الكرسي هو العرش ١٢٤
 - عَبَرَ عن الاستواء بالجلوس ٢١١
 - ميراث الأعمال له لسان
 الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي ١٢٧
 - تفسير الاستواء بالاستيلاء لا تَعْرِفُهُ الْعَربُ في كلامها

الخوارج

- ٢٣٤ - الإيمان شيء واحد لا يتجزأ
 ٢١٨ - حكم تكفارهم
 ٢٣٤ ، ١٩٦ - سلب الإيمان من صاحب الكبرية
 ١٩٩ - لا شفاعة لعصابة المسلمين
 ١٩٩ - لا يدخل النار إلا نفس كافرة
 ١٩٩ - لا يرثون صاحب الكبرية مؤمنا
 ٢١٨ - لا يؤمنون في إمرة على المسلمين

الرافضة

- ٢١٨ - لا يؤمنون في إمرة على المسلمين

السلف

- ٦١ - إثبات الصفة لا يعني تشبيها؛ ونفي الكيف لا يعني تعطيلا

الصفحة

المذهب / القول

- إثبات حقائق الصفات و معانيها الصحيحة
- إثبات حقيقة الصفات، وتفويض كفيتها
- إثبات ما أتبه الله لنفسه، وما أتبه له نبيه
- استواء الله على العرش يليق بجلاله، ويتنازه عما يليق بالملحوظ
- الجنّة والنار لا تفنيان
- الصراطُ حَقٌّ
- القرآنُ كلامُ الله، ليس بمحلوقي
- الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان
- النهي عن الجدال في الله وصفاته وأسمائه
- صحة الاستثناء في الإيمان
- فوضوا كيفية الاستواء
- كانوا يرجعون فهم مسائل الدين إلى ما توافع عليه أهل الصدر الأول
- كلام الله هو هذا الخارج منه المسموع والممروء، والمكتوب والمحفوظ
- لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
- لم ينكر أحد منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة
- نهيم عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم
- يتذمرون كتبهم بالبسملة قبل الشروع في المقصود
- يتبعون الحقيقة للصفة اللاحقة بالله
- يشترون لله الأسماء والصفات؛ كما أتبها الله لنفسه
- ينزل رثنا ويتجلى ويجيء بلا كيف

الصحابة

- القرآنُ كلامُ الله، منه خرج، وإليه يعود
- الله الخالق، وما سواه مخلوق
- ليست العقائد من موارد التزاع
- الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني
- الكرسي هو العرش
- الفضيل بن عياض بن مسعود، أبو علي الزاهد الخراساني

المذهب / القول	الصفحة
- الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضّب ويُرضي ويتكلّم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- لا يكفر أحداً بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
الفلاسفة	
- نَفَوْا العُلوُّ	١٠٧
القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبد القاضي	٦٥
- لا تجده بُدأ من أتباع لغة أهل الحديث من أجل السمع	
الماديون	
- إنكار الحَوْضِ	٢١٥
- إنكار حَسَنَةِ الْقَبْرِ	٢٤١
- المالكية	
- القرآن كلام الله، ليس بمخلوق	١٣٨
- أهل الأهواء هم أهل الكلام	٥٥
المتكلمون	
- نَفَوْا العُلوُّ	١٠٧
- يتأولون النزول والمجيء وغيرهما	١٥٤
- يقدّمون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية	٦٤
المرجئة	
- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ	٢٢٤
- لا تضرُّ الذنوب مع التوحيد	٢٢١
- لا يدخل النار أحدٌ من المسلمين مهما بلغ ذنبه	١٩٦
- لا يدخل النار إلا نفس كافرة	١٩٩
- لا يدخلون النار بالمعاصي أصلًا	١٩٩

<u>الصفحة</u>	<u>المذهب / القول</u>
١٩٩ ٢٣٤ ٢٦٤	<ul style="list-style-type: none"> - لا يَرَوْنَ الشفاعة للعصابة - لا يُؤثِّرُ الذنبُ على الإيمان - يَوْلُونَ مَنْ كَانَ شَدِيدَ الولاء للسلطان
المعزلة	
١٣٣ ١٣٣ ٢٣٤ ٢١٥ ٢٣٤ ، ١٩٦ ١٩٩ ١٩٩ ١٢٧	<ul style="list-style-type: none"> - إثبات الأسماء الحُسْنَى مجردةً عن معانيها - أَظَهَرُوا أسماءَ اللَّهِ مخلوقةً - الإيمان شيءٌ واحدٌ لا يتجرأ - إنكارُ الحَوْضِ - سلبُ الإيمان من صاحبِ الكبيرة - لا شفاعة لعصابة المسلمين - لا يدخلُ النَّارَ إِلا نَفْسٌ كافِرٌ - لا يَرَوْنَ صاحبَ الكبيرة مؤمناً - نَفَوْا الْإِسْتِوَاءَ، وَفَسَرُوهُ بِالْإِسْتِيَالِ
النحو	
١٣٧	<ul style="list-style-type: none"> - إذا أكَدَ الفعلُ بال مصدرِهِ، لم يُحملُ إِلَّا على الحقيقة
اليهود	
١٤٠	<ul style="list-style-type: none"> - التوراة مخلوقةً
أهل الحديث	
٢٥٣	<ul style="list-style-type: none"> - ترتيبُ الخلفاء الرَّاشِدِينَ في الفضلِ كترتيبِهم في الخلافة
أهل السنة والجماعة	
٤٦ ٢٦٥ ٢٧٨ ٢٢٩ ١٣٢	<ul style="list-style-type: none"> - الإقرارُ بالصفاتِ الواردةِ كُلُّها في القرآنِ والشَّرِعِ - الولاءُ للإمام تحتَ الولاءِ لله - لا يُعذَّرُ مَنْ أَدَاءَ أَجْنِيَاهَادَةً إِلَى بِذَعَةٍ - لا يكُفِّرونَ أحداً بتركِ شيءٍ معينٍ من الباطنِ أو الظاهرِ - من أصولِ الشَّرِعِ التَّمْسِكُ بما عليه الصَّحَابَةُ

الصفحة	المذهب / القول
٢٢٩	- يفرقون بين الترك الكلّي للعمل وبين الترك الجزئي
٢٢٣	- يفرقون بين الدين والرأي، ومواضع القطع ومواضع الاجتهاد أهل المدينة
٥٤	- كانوا يهونون عن الخوض في علم الكلام أهل المغرب
١٠٨	- إثبات العلو على الحقيقة بشر بن الحارث الحافي
١٥٦	- نشهد أنَ الله يقولُ ويخلقُ، قوله قولُ، وخلقه خلقُ، ، بعض الفلاسفة
١٦٧ ، ١٢١	- نفي علم الله بالجزئيات بعض المتكلمين
١٦٧ ، ١٢١	- نفي علم الله بالجزئيات حرب بن إسماعيل بن خلف العنظلي الكرماني
١٥٣	- إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكليف ولا تعطيل حمد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزرق الجهمي البصري الضرير
١١٣	- الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش
١١٣	- الله يغضب ويرضى وينكلم بما شاء الله ينزل إلى سماء الدنيا
١١٣	حمد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
١١٣	- الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش الله يغضب ويرضى وينكلم بما شاء
١١٣	- الله ينزل إلى سماء الدنيا

الصفحة

المذهب / القول

- خارجية بن مصعب
١٢٤ - غير عن الاستواء بالجلوس
- سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي القبرواني
٢٥٣ - أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر
٢٦٠ - لا تخرج على الأئمة بالسيف، وإن جاروا
٢٠٠ - الله يرى يوم القيمة
١٢١ - إن الله على العرش استوى
٨٨ ، ٦١ ، ٤٤ - من العلم بالله: الجهل بما لم يخبر الله به عن نفسه
سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي، أبو محمد الكوفي
٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلّي للعمل وبين الترك الجزئي
سعيد بن عبد العزيز
٢٢٩ - لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان
٢٢٩ - يذكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل
- سعيد بن محمد بن صبيح الفساني، أبو عثمان بن الحداد
١٤٢ - كُلُّ من زعم أنَّ موسى سمع الكلام من الشجرة على الحقيقة، فقد كفر
- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي
١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
١١٣ - الله يرى يوم القيمة بالأ بصار فوق العرش
١١٢ - الله يغضب ويرضي ويتكلم بما شاء
١١٣ - الله ينزل إلى سماء الدنيا
- سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي
٢١٧ - الإيمان قول وعمل
١٥٥ - القرآن خرج من الله
١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
١١٣ - الله يرى يوم القيمة بالأ بصار فوق العرش
١١٣ - الله يغضب ويرضي ويتكلم بما شاء

الصفحة	المذهب / القول
١١٣	<ul style="list-style-type: none"> - الله ينزل إلى سماء الدنيا
٢٣٤	<ul style="list-style-type: none"> - لا يكفر أحداً بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
٢٢٩	<ul style="list-style-type: none"> - يفرقون بين الترك الكلّي للعمل وبين الترك الجزئي
	سقراط
١٥٩	<ul style="list-style-type: none"> - ينفي القرآن كله
	سلمان الفارسي، أبو عبد الله
٢١١	<ul style="list-style-type: none"> - ميزان الأعمال له لسان
	سلیمان الفراء
١٤٠	<ul style="list-style-type: none"> - القول بخلق القرآن في المغرب
	سلیمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباقي
٤٨	<ul style="list-style-type: none"> - اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
	عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني قاضي المعتزلة
٦٦	<ul style="list-style-type: none"> - تأويل اليدين بالنعمة
٦٦	<ul style="list-style-type: none"> - تأويل صفة الكلام
٦٦	<ul style="list-style-type: none"> - طريقتنا في المتشابه: أن يكون له تأويل صحيح، يخرج على مذهب العرب
	عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي الأندلسي
١٣٦	<ul style="list-style-type: none"> - صفة اليدين ثابتة على الحقيقة لا تؤول
١٣٦	<ul style="list-style-type: none"> - إن الله يدین ووجهها وعيثین
	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عفرو الأوزاعي الفقيه
٢٢٩	<ul style="list-style-type: none"> - لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان
٢٢٩	<ul style="list-style-type: none"> - ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل
	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان المؤلوبي، أبو سعيد البصري
٩٩	<ul style="list-style-type: none"> - قد هلك قوم من هذا الوجه
	عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢	<ul style="list-style-type: none"> - من زعم أن الله لا يرى يوم القيمة، استتب

المذهب / القول

الصفحة

- عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي، أبو بكر المكي
- من ترك العمل كله حتى يموت كافر في رواية
- يفرقون بين الترك الكلي للعمل وبين الترك الجزئي
٢٣٠
٢٢٩
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن المروزي
- الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
- الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش
- الله يغضب ويرضي وتكلم بما شاء
١١٣
١١٣
١١٣
١١٣
٢٣٤
- عبد الله بن سعيد، أبو محمدقطان البصري، ابن كلاب
- أبى الكلام النسبي
- خلق ما عدا الكلام النسبي من المسموع والممروء والمحفوظ، والمكتوب
١٤١
١٤١
١٤٤
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
- إثبات القدمين لله
- الكرسي علم الله
- الكرسي قدرة الله
- آيات الصفات من المحكمات
- ميراث الأعمال له لسان
١٣١
١١٩
١٢٠
٩٤
٢١١
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوى
- رجع عن قتال تجدة الحروري
٢٦٠
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
- إثبات القدمين لله
١٣١
- عبد الله بن محمد الضعيف
- قعد الخوارج أثبتوا الخوارج، وقعد الجهمية هم الواقفة
١٤٨

المذهبة

المذهب / القول

- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهمذاني، أبو عبد الرحمن
١٣١
- إثباتُ القدَمَيْنِ اللَّهُ
١٢٠
- الكرسيُّ غيرُ العرشِ
١٢٠
- بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةٍ عَامٍ
٤٣
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجوني إمام الحرمين
٤٣
- استحَلَّ إطلاقُ القولِ بِأَنَّ الْعَبْدَ خَالِقُ أَعْمَالِهِ
٤٣
- القدرةُ الحادثَةُ تؤثُرُ في مقدورِها عندهُ
٤٣
- فعلُ العبدِ واقعٌ بقدرِهِ قطعاً
٤٣
- قدرةُ العبدِ منفردةٌ بالتأثيرِ في فعلِهِ
٥٢
- نفيٌ صفةُ الوجهِ
٥٢
- نفيٌ صفةُ اليدِ
٥٢
- نفيٌ صفتَيِّ العلوِّ والاستواءِ
١٣٣
- عبد الملك بن قریب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمی البصري
١٢٤
- إذا سمعتَ الرجلَ يقولُ: الاسمُ غيرُ المسمى، فاحكُمْ عليه بالرُّدْقةِ
عبد الوهاب الوراق
١٢٤
- عَبَرَ عن الاستواء بالقعودِ
- عبد الوهاب بن علي بن نصر، القاضي عبد الوهاب
١١٤
- نَصَّ على ذكرِ استواءِ الله على العرشِ بذاتهِ
٦٧
- عثمان بن جنی، أبو الفتح
٦٧
- أكثرُ اللغةِ مجازاً، لا حقيقةً
- عثمان بن سعید بن خالد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي
١٥٣
- إثباتُ التزوِيلِ بلا تأويلٍ ولا تشبيه، ولا تكيفٍ ولا تعطيلِ
- عثمان بن سعید بن عثمان، أبو عمرو الداني
٤٧
- له ميل إلى بعضِ كلامِ الباقلي
- عكرمة مولى ابن عباس
١٢٤
- عَبَرَ عن الاستواء بالجلوسِ

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي
- التفريق بين قتال الخوارج لإمام جعور وبين قتالهم لإمام عدل ٢٢٢
 - عدم قتال الخوارج حتى يذروا المسلمين بالقتال ٢٢٢
 - وإن خالقوا إماماً جائراً فلا تقاتلواهم (الخوارج) ٢٢٢
- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري
- أنكر الكفّار في ميزان الأعمال ٢١١
 - يأخذ العصاة كتبهم وراء ظهورهم، والمؤمنون بأيمانهم، والكفار بشمائهم ٢١٢
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري البصري
- إثبات اليد والوجه صفتين حقيقيتين زائدتين على الذات ١٣٧
 - حضور مقالة التقويض في معتقده ٩٤
 - ليس مجده حركة، ولا زوالاً، ولا انتقاماً ٢٠٨
 - نازع في إثبات الحرف والصوت ١٤٤
 - نصّ على ذكر استواء الله على العرش بذاته ١١٤
- علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن القابسي القيرواني
- الاعتماد على السمع ٤٨
 - الإيمان هو التصديق فقط ٤٨
 - الجدل وعلم الكلام ٤٨
 - لله يداني؛ كما يقول أهل الحديث والأثر ٤٨
 - نصّ على إخراج العمل من الإيمان ٤٨
- علي بن مهدي، أبو الحسن الطبرى
- إثبات العلو والاستواء ٥٢
 - إثبات الوجه ٥٢
 - إثبات اليد ٥٢
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي
- فعل الخليفة الراشدين من التصديق بكتاب الله ٢٧٢

الصفحة

المذهب/ القول

- عياض بن موسى بن عياض، القاضي أبو الفضل البصري
- اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام ٤٨
- عيسي بن يونس
- لا يكفر أحداً بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة ٢٣٤
- غليوم الثاني
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده ٢٦٧
- غيلان الدمشقي
- تصرف المخلوق متفرداً كتصرف الخالق ١٦٨
- لويس الخامس عشر
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده ٢٦٧
- لويس الرابع عشر
- الملكية وكالة إلهية ٢٦٧
- لويس الرابع عشر
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده ٢٦٧
- لويس الرابع عشر
- سلطة الملوك مستمدّة من الله ٢٦٧
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصحابي المدني
- الإيمان قول وعمل ٢١٧
- التفرقة بين قتال الخارج الإمام جوّي وبين قتالهم الإمام عذل ٢٢٢
- القرآن كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله ١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق ١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيّد ولا ينفّد، وليس بمخلوق ١٥٥ ، ١٣٨
- الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان ١١٣
- الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان ١١٣
- الله يرى يوم القيمة بالأبصار فوق العرش ١١٣
- الله ينقض ويُرضي ويتكلّم بما شاء ١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا ١١٣
- الجيزان حق ٢٠٩

الصفحة

المذهب / القول

- النهي عن علم الكلام عموماً بلا استثناء
- أمسك عن التفضيل بين عثمان وعلي
- أهل الأهواء هم أهل الكلام
- أهل الذنب مؤمنون مذنبون
- توقف في تكفير الخارج
- قول التابع ليس حججاً مقطوعة في الفروع والأصول
- كان يحدّ أصحابه من علم الكلام
- كان يشدّ على منكر رؤية الله
- كان يفضل أبو بكر وعمر على غيرهما من الصحابة
- لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان
- لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء
- لا نصيب في الفيء لمن سب الصحابة والتلابين
- لا يكفر أحداً بذلك، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
- إن الله يذين ووجهها وعيتها
- ليس للإيمان مُتَهَّى؛ هو في زيادة أبداً
- ما قلل الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء
- من طلب الدين بالكلام، ترنّد
- نفي مالك معرفة كثيّة الصفات وفُوْضها، ولم يفُوض في المعرفة
- يفرقون بين الترك الكلّي للعمل وبين الترك الجزئي
- ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل

متقدمو الأشاعرة

- إثبات الوجه والبيد لله تعالى على المعرفة
- إثباتهم الصفات الخبرية، ولا ينأونها

متقدمو المالكية

- كانوا يشدّدون على منكر رؤية الله
- كلام متقدمي المالكية يجري مجرّد كلام السلف

الصفحة

المذهب / القول

<p>محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر بن خويز منداد ٥٥</p> <p>- أهل الأهواء هم أهل الكلام</p> <p>- كان ينهى عن قبول شهادة أهل الكلام كافة</p> <p>محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائي البصري ٥٢</p> <p>- إثبات العلو والاستواء</p> <p>- إثبات الوجه</p> <p>- إثبات اليد</p> <p>محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي ٤٤</p> <p>- الفقه في الكلام الجهل به</p> <p>٥٨</p> <p>- النهي عن علم الكلام عموماً بلا استثناء</p> <p>٢٢٢</p> <p>- عدم قتال الخوارج حتى يبدؤوا المسلمين بالقتال</p> <p>٢٣٦</p> <p>- مستقر أرواح المؤمنين بعد الموت في الجنة</p> <p>٢٢٩</p> <p>- يفرقون بين الترك الكلّي للعمل وبين الترك الجزئي</p> <p>محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين الدواني ٤٣</p> <p>- الحوادث لا أول لها</p> <p>٤٣</p> <p>- الصفات عنده عين الذات</p> <p>٤٣</p> <p>- يقول بعینية الصفات</p> <p>محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري ١٤٣</p> <p>- الله يتكلّم بصوته</p> <p>محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني ٥٢</p> <p>- إثبات العلو والاستواء</p> <p>٥٢</p> <p>- إثبات الوجه</p> <p>١٣٦</p> <p>- إثبات الوجه واليد لله تعالى على الحقيقة</p> <p>٥٢</p> <p>- إثبات اليد</p> <p>١٧٣</p> <p>- لا يقول بالكتسب</p> <p>١١٤</p> <p>- نصّ على ذكر استواء الله على العرش بذاته</p>	<p>الملذهب / القول</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------

الصفحة

المذهب/ القول

- نفي الوجه واليد لله تعالى من مخازي المعتزلة
محمد بن الكلاهي
١٣٦
- القول بخلق القرآن في المغرب
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ابن جرير الطبرى
١٤٠
- نص على ذكر استواء الله على العرش بذاته
محمد بن رشد، أبو الوليد بن رشد الجد
١١٤
- أسماء الله وصفاته إنما تفهم من جهة السمع
الجلوس والتخيّر والمماشة مستحبة في صفات الله
١٢٨
- إن الله يَدِين ووجهاً وعيّن
لم يمتنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية
١٢٥
- ما وصف الله به نفسه لا مجال للعقل فيه
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني
١٢٨
- الله سمى نفسه، ولم ينزل له الأسماء الحسنى
محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زمرين
١٣٧
- الله مستو على عرشه، باطن من خلقه، قريب لهم بعلمه
من العلم بالله: الجهل بما لم يخبر الله به عن نفسه
١٠٨
- اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
انكرا على ابن حوريز منداد، وابن أبي زيد طريقتهما في إثبات العقائد
٦١
- محمد بن علي بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات الشبيهة
٤٩
- لازم تقي الصفات التعطيل
محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازى
٩٣
- إثبات الأشعري اليد والوجه إثبات لا توقف فيه
الصفات تسب وإضافات بين الذات وبين المعلوم والمقدور والمراد
٤٣

الصفحة

المذهب/ القول

محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالى	
٥٢	- نفي صفة الوجه
٥٢	- نفي صفة اليد
٥٢	- نفي صفتى العلو والاستواء
محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي	
٩٤	- حضور مقالة التفويض في معتقده
معبد الجهنمي	
- تصرُّف المخلوق منفردًا كتصرُّف الخالق	
١٦٨	
مكبي بن أبي طالب، أبو محمد القيسى القيروانى	
٤٩	- أكثر كلامه التصریح بثبات الاستواء
٤٩	- تأوَّل الاستواء بالقدرة
٤٩	- تأوَّل صفة اليد بالقدرة
١٥٣	- نفي التزول عن الله تعالى
وكتيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي	
١٢٤	- عبر عن الاستواء بالجلوس
٢٣٤	- لا يكفر أحداً بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي أبو يوسف	
٥٥	- من طلب الدين بالكلام، تردد
يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر	
٤٧	- أبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بالاستيلاء
٤٧	- ثبات علو الذات، واستواء الله على عرشه
٤٧	- ثبات نزول الله على الحقيقة على ما يليق به
٤٧	- الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنّة
٢٠٨	- الله ليس بمخلٍ للحركات، ولا فيه شيءٌ من علامات المخلوقات
٥٦	- لا تجوز المناظرة في مباحث الغيبيات ومسائل الصفات
٥٦	- لا تقرّر مباحث الغيبيات ومسائل الصفات بالنظر

الصفحة**المذهب / القول**

- لا نسميه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه، إلا ما سمى به نفسه
- ليس في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء في الكتاب أو السنة
- ليس مجيئة حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً
- مستقر أرواح المؤمنين بعد الموت في أفني القبور
- نفي النزول عن الله تعالى
- نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل
- نقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم
- نهينا عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في خلقه الدال عليه
- هو على طريقة السلف في الصفات
- يثبت الاستواء على ظاهره

٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة

الصفحة

٢٨٠

الحكمة / المقصد

- النهي عن مخالطة الباطل

١٠ - فهرس الحكم والأمثال وتأثير الأقوال

الصفحة	الحكمة/ المثل/ وتأثير الأقوال
٧٧	- أرجح القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه
٢١	- التوسيع بالمتعة العاجلة يُنسى النعيم الآجل
٥٩	- الذين لم ينزله الله للأذكياء، بل أنزله الله للأشوّاه
٦٠	- العلم الصحيح يورث خشية الله
٧٣	- الغاية من العلم: العمل بالمامور، وترك المحظور
١٦٢	- القذر لا يدرك بجدان، ولا يشفى منه مقال
١٠	- القرآن كلام الله، ليس بمحلوقي قيـد، ولا صفة لمخلوق فـيـقـدـ
١٢١	- الله تعالى على العرش انتوى، وعلى الملك اخـتـوى
٢٦٧	- الناس في حاجة إلى عالم متجرد
١٥٧	- إنـ الـ حـلـزـ لـاـ يـتـجـيـ منـ الـ قـدـرـ
٧٧	- تعلم الصغار لكتاب الله، يطغى غضب الله
٧٧	- تعلم شيء في الصغر، كالتشقق في الخجـزـ
١٦٨	- خـذـلـ اللـهـ مـنـ عـصـاهـ وـكـفـرـ يـهـ، فـأـشـلـمـهـ وـيـسـرـهـ لـذـلـكـ فـحـجـجـهـ وـأـضـلـهـ
٧٧ ، ٦	- خـيرـ القـلـوبـ أـوـعـاـهـ لـلـخـيـرـ
٩٠	- كل عظيم له آيات
١٠	- كل ميسرة يتسبّرها، إلى ما سبق من علمه وقدره، من شقي أو سعيد
١٦٨	- كل ينتهي إلى سابق علمه، لا مجيش لأحد عنه
١٩	- كمال التوفيق إصابة الحق عن علم به
٢٧٥	- لا تعارض السنن برأي، ولا تدافع بقياس
٢٧٥	- لا تشير البدع إلا عند من عطل الأثر
٧٦	- لا يصرف أحدا عن الحق وهو يريده

الصفحة

الحكمة/ المثل/ وتأثير الأقوال

- لا يكُنْ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعْمَلٍ إِلَّا بِنَيْةً، وَلَا قَوْلُ وَعْمَلٌ
وَنَيْةٌ إِلَّا بِمُوافَقَةِ السُّنْنَةِ ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ١٢
- ما قَلَّتِ الْأَثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتِ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا قَلَّتِ الْعُلُمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ
فِي النَّاسِ الْجَمَاعَةِ ٥٤
- مَقَادِيرُ الْأَمْوَارِ يَدِيهِ تَعَالَى، وَمَضَدُّهَا عَنْ فَضَائِهِ ١٠
- مَنْ جَهَلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ ٢٧٥
- مَنْ عَطَلَ الْعُقْلَ، فَسَدَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ عَطَلَ النُّفُلَ، فَسَدَّ دِينَهُ ٢٠
- واجبُ الْعُلُمَاءِ تَبَيَّنُ الْحَقُّ حَسْبَ الطَّاقَةِ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِإِظْهَارِهِ ٤٥
- يَحِيِّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَرْضِ الْأَمْمِ وَجِسَابِهَا، وَعُشُوبِهَا وَتَوَابِهَا ١١
- يُضْلِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوْفِقُهُ بِفَضْلِهِ ١٦٧
- يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ ١٠
- يَعْتَرِفُ الْمُتَكَبِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَائِنَةِ ٨٩ ، ٩
- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوْفِقُهُ بِفَضْلِهِ

١١ - فهرس الفوائد

الصفحة	الفائدة
١٤١	- ابن كُلَّاب أول من فرق بين الكلام النفسي وبين الكلام اللفظي
٢٤	- إذا أطلق إفريقية، فالمراد بها: القِيرَوان
٢٩	- أكثر رؤوس الاعتزالي حنفيّة في الفروع
٣١	- إنما قوَّى شوكة أهل الظاهر في المغرب الأقصى بعد ابن حزم
٤٢	- أهل الحديث نزاغهم في الفروع، وأهل الكلام نزاغهم في الأصول والفروع
٣٠	- أول من دخل الفقة الظاهري بلاد الأنذلّس تلاميذ داود الأصفهاني
١٦١	- أول من شهر نقى القراء
٤٥	- تحريف المعتزلة القرآن على كسوة الكعبة
١٣٧	- نسمى العرب ما يصل من القول إلى الإنسان كلاماً
٢٦	- كان ابن الحارث ناقلاً عقيدة ابن حنبل إلى المغرب من شيخ ابن أبي زيد القِيرَوانِي
٢٣	- كان السلف يسمون القِيرَوانَ: إفريقية
٣٠	- كان المغاربة يسمون داود الظاهري: القياسي
٢٨	- كثير من أمراء الأغالبة كانوا على الفكر الاعتزالي
٢٧	- لا يوجد مالكيٌ معتزليٌ إلا أبو إسحاق إبراهيم الغافقي
٢٦	- لا بن سحنون كاتب في أدب المتناظرين
٢٣٩	- لماذا سميت حياة البرزخ بهذا الاسم
١٤٠	- هم المغاربة يقتل سليمان الفراء حينما قال بخلق القرآن

١٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة الفقديّة، للرسالة الفقهيّة
١٩	فضل العلم وأفضله
٢٠	حفظ العقل والنقل
٢١	فضل قرب الرزمان والمكان الأول
٢٢	المغرب في زمن الصحابة والتابعين
٢٤	السنة والأثر وعلم الكلام في المغرب
٢٥	أثر المشرق على المغرب
٢٥	فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين
٢٦	اعتقاد أهل المغرب
٢٧	وجود الاعتزال في المغرب، وموقف العلماء منه
٢٩	بداية رد المغاربة على المشارقة في الفروع لا في الأصول
٣١	أسباب تأخر ذيوع علم الكلام في المغرب
٣٣	أسباب انتشار علم الكلام في المغرب
٣٧	أثر الاعتزالي في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة
٣٧	مراتب المخالفين تقتضي مدخ الأقرب واللذين معه
٣٩	كتابة أهل المغرب في العقائد
٤٠	أصول مالك وفروعه، واحوال أصحابه في المغرب
٤٢	الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
٤٣	ثبات أهل المغرب، وامتحانهم بعلم الكلام
٤٦	التأويل والتفسير في كلام بعض أهل السنة
٥٣	علم الكلام والإمام مالك بن أنس
٥٤	رأي وعلم الكلام
٥٥	نهي مالك عن علم الكلام، ومراده

الصّفحة	الموضـع
٥٩	الاسترسـال في علم الكلام وأثره
٦٠	التعرـف على الله بعلم الكلام يورث الوحشـة
٦١	اعتقاد السـلف في الصـفات
٦٢	اللغـة وعلم الكلام، وأسبـاب انتشار الـبدعة
٦٤	خطـأ المتكلـمين في استعمال اللغة
٦٩	الـشـرـح
٧٣	سـعـةـ الحـلالـ، وضـيقـ الحـرامـ
٧٤	بيان المؤـلـفـ لمـوـجـبـ التـالـيفـ
٨١	فضـلـ الصـلاـةـ عـلـىـ النـبـيـ، وـمـوـاضـعـهـ
٨٤	حـكـمـ الصـلاـةـ عـلـىـ غـيرـ النـبـيـ
٨٥	مـعـمـلـ اـعـتـقـادـ أـهـلـ السـنـةـ فـيـ اللـهـ تـعـالـىـ
٨٦	حـكـمـ التـفـكـرـ فـيـ ذـاـتـ اللـهـ
٨٨	أـنـوـاعـ ظـاهـرـ الصـفـاتـ
٩٠	مـعـرـفـةـ اللـهـ بـأـيـاتـهـ الـكـوـنـيـةـ
٩٠	سـبـبـ الـوقـوعـ فـيـ الشـرـكـ
٩٢	عقـيـدةـ التـفـويـضـ
٩٣	تـارـيخـ مـذـهـبـ التـفـويـضـ
٩٥	نـسـبـةـ التـفـويـضـ لـلـسـلـفـ
٩٨	توـهـمـ التـعـظـيمـ يـؤـدـيـ إـلـىـ التـفـويـضـ وـالـتـعـطـيلـ
١٠٠	رواـيـةـ الـأـنـمـةـ لـأـحـادـيـثـ الصـفـاتـ، وـاحـزـارـهـمـ مـنـ سـوـءـ فـهـمـهـاـ
١٠٥	توـهـمـ الـلـوـازـمـ الـبـاطـلـةـ يـقـضـيـ إـلـىـ التـفـويـضـ وـالـتـأـوـيلـ وـالـتـعـطـيلـ
١٠٥	عـلـوـ اللـهـ
١٠٧	الـعـلـوـ وـالـمـعـيـةـ
١١١	نـفـيـ بـعـضـ الصـفـاتـ لـأـجـلـ توـهـمـ إـحـاطـةـ الـمـخـلـوقـاتـ بـالـخـالـقـ
١١٣	الـاسـتـوـاءـ عـلـىـ الـعـرـشـ
١١٨	الـكـرـسيـ
١٢٠	إـحـاطـةـ عـلـمـ اللـهـ بـكـلـ شـيـءـ
١٢١	عـودـةـ إـلـىـ الـكـلـامـ عـلـىـ اـسـتـوـاءـ اللـهـ عـلـىـ الـعـرـشـ
١٢٢	الـحـلـزـ منـ التـشـيـيـهـ، وـحـكـمـ التـعـبـيرـ عـنـ الصـفـاتـ بـمـاـ لـمـ يـرـدـ فـيـ الشـرـيـعـةـ مـنـ إـشـارـةـ وـالـكـلـامـ

الصفحة	الموضوع
١٢٩	الأسماء والصفات
١٣٠	ما ورد من الأسماء والصفات عن الصحابة والتابعين
١٣٢	أسماء الله
١٣٣	حقيقة الصفات
١٣٥	الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض
١٣٧	كلام الله
١٣٨	شدة مالك وأصحابه على القول بخلق القرآن
١٤٠	ظهور القول بخلق القرآن في المغرب
١٤١	أصل فتنة خلق القرآن، والكلام الفيسي
١٤٣	الحرف والصوت
١٤٤	من حجّج ثنا الصوت والحرف لله
١٤٨	الواقة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم
١٤٩	من أدلة القائلين بخلق القرآن
١٥٢	صفة التجلّي لله تعالى
١٥٣	صفة تزول لله تعالى
١٥٥	القرآن كلام الله غير مخلوق
١٥٦	الإيمان بالقدر
١٥٨	تقدير الخير والشر
١٦٠	لا ينسب الشر إلى الله
١٦١	المجادل في القدر
١٦٢	أفعال العباد وخلفها
١٦٣	أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النقوص الظلّم
١٦٥	العلم بالأسباب لا يخرج صاحبه من قدر الله
١٦٦	علم الله بكل شيء
١٦٧	مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد
١٦٨	المخالفون في القدر
١٧٣	الحتمية السبيبية
١٧٤	نفي القدر يلزم منه العجز

الصفحة

الموضوع

١٧٦	رسالة النبي، وكتابه
١٧٧	ختام رسالة النبي ﷺ للرسالات
١٧٩	حكم اتباع دين غير الإسلام
١٧٩	والكفر حبّل جاء من جهات أعظمها
١٨١	الإسلام وحرمة الدين
١٨٢	شبّهات في حرمة ترك الإسلام
١٨٥	الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسلي
١٨٦	مصدر تفسير القرآن
١٨٨	الإيمان بالقيامة وما فيها
١٨٩	التغّيّر في الصور
١٩٠	واختلاف في التفخات
١٩٠	بعث الأجساد وجزاؤها
١٩١	أشرطة الساعة
١٩١	تزييل أشرطة الساعة على الواقع
١٩٢	الحساب والعقاب
١٩٤	حكم من مات ولم يتب من ذنبه
١٩٥	المصير من دخل النار من عصاة المسلمين
١٩٧	وخالفت في هذا الخوارج والمعتلة، والمرجحة
١٩٧	الشفاعة وأحكامها
١٩٩	رؤيا الله في الآخرة
٢٠٣	الجنة والنار، ولمن أعدّهما الله
٢٠٤	خلق الجنة والنار
٢٠٥	خلود الجنة والنار
٢٠٦	صفة المعجى لله
٢٠٩	الميزان والوزن
٢١١	صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيمة
٢١٢	الصراط وأحوال الناس فيه
٢١٤	الحوض المورود
٢١٥	حقيقة الإيمان

الصفحة	الموضوع
٢١٦	والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان
٢١٩	أسباب الافتخار برأي الخارج
٢٢٠	الصفة الجامدة للخارج
٢٢٢	الموقف عند اجتماع الضلالات
٢٢٣	الموازنة بين المرجحة والخوارج
٢٢٣	زيادة الإيمان ونقصانه
٢٢٦	زوال الإيمان وكماله
٢٢٦	نقصان الإيمان عند مالك
٢٢٧	الاستثناء في الإيمان
٢٢٨	الإيمان قول وعمل
٢٢٩	حكم تارك العمل كله
٢٣١	أثر إخراج العمل من الإيمان
٢٣٣	الكافر بالذنب، وأحوال الطوائف
٢٣٥	أرواح المؤمن وأحوالها
٢٣٨	القبر وفتحه
٢٤١	كتابة الأعمال على المكلفين
٢٤٣	الأرواح وقبضها
٢٤٥	فضل خير القرون
٢٤٦	معنى القرن
٢٤٧	فضل الصحابة، وتفاضلهم
٢٤٨	الوقوع في الصحابة
٢٥٠	التفاضل بين الصحابة
٢٥٢	التواضع في التفضيل بين الصحابة
٢٥٣	ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
٢٥٤	ما شجر بين الصحابة
٢٥٦	امتحان أهل المغرب بالصحابة
٢٥٧	فتنة الرافضة إذا تمكنا
٢٥٨	الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف
٢٥٩	الخروج على الأئمة وأحواله

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٦٢	نُصح الأئمَة
٢٦٢	وَجَوْزُ أَئمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نُوعَيْنَ
٢٦٤	الخطأ في نصوص السمع والطاعة
٢٦٨	ابتلاء المصلح
٢٦٨	تجرد المصلح
٢٦٩	فضل السلف واتباعهم
٢٧٠	سب تفضيل السلف
٢٧١	تعظيم فقه الصحابة
٢٧٢	الاستدلال بحديث يخالف الصحابة
٢٧٣	حقيقة العمل الذي يقدم على الحديث
٢٧٦	ترك اليراء والجدال
٢٧٦	طريق معرفة حق الله
٢٧٧	المجتهد يذلة
٢٧٨	التحذير من الجدال والمراء في الدين
٢٧٩	حسن القصد وسوءه، وأثره على فهم القرآن
٢٨٠	مخبر الجدال والمراء وأهله
٢٨٣	الفهارس العامة
٢٨٥	١ - فهرس الآيات
٣٠٤	٢ - فهرس الأحاديث
٣١٠	٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء
٣٢٣	٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات
٣٢٤	٥ - فهرس المصطلحات
٣٢٥	٦ - فهرس القواعد والكلمات
٣٣١	٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل
٣٥٥	٨ - فهرس المذاهب والأقوال
٣٧٥	٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة
٣٧٦	١٠ - فهرس الحكم والأمثال وتأثير الأقوال
٣٧٨	١١ - فهرس الفوائد
٣٧٩	١٢ - فهرس الموضوعات

المَغْرِبِيَّةُ

شَرْحُ الْعَفِيفَكَلَةِ الْفَيْرَوَانِيَّةِ

(وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الْفَيْرَوَانِيُّ مِنْ قَوْلِ مَالِيَا، وَالْمَعْلُومُ مِنْ مَنْهُ هِيَ، وَمَا
عَلَاهُ أَهْلُ الشَّتَّى وَأَنْقَمُ النَّاسِ فِي الْعِقَدِ وَالْتَّحْدِيدِ)

تألِيف

عبد العزيز بن مرتضى الحصري

مكتبة دار المنهاج بالرياض